توضیح

نهج البلاغة

الجزء الثالث

تألیف

آیة الله المجاهد

الحاج السید محمد الحسینی الشیرازی

توضیح

نهج البلاغة

الجزء الثالث

سماحة آیة الله العظمی

السید محمد الحسینی الشیرازی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد وآله اجمعين ،
واللعن على أعدائهم إلى يوم الدين .

جميع الحقوق محفوظة

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۰۰۲۴۸۵
تاریخ ثبت :

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

ٱبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ ؛ فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ ٱلْبَيِّنَاتِ عَلَىٰ لَطِيفِ صَنْعَتِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ ،

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس ، و دقائق خلقة الطيور ، و يصف الجنة

(ابتدعهم) أى المخلوقات ، والاتيان بضمير العاقل ، تغليبا للعقلاء على غيرهم (خلقا عجيبا) يورث تعجب الانسان (من حيوان و موات) الشئ الذى لا روح فيه (و ساكن) كالجبال و ما أشبه (و ذى حركات) حيوانا كان أو انسانا أو غيرهما كالشمس و القمر و الرياح و ما أشبه .

(فأقام) سبحانه (من شواهد البيّنات) أى الأدلة الشاهدة (على لطيف صنعته) أى دقيقها (و عظيم قدرته) فان الأشياء الدقية تحتاج الى

مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الْأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الْأَرْضِ ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا وَرَوَاسِي أَعْلَامِهَا ، مِنْ ذَوَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ ، مُصَرِّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ

قدرة فائقة (ما انقادت له العقول معترفة به) أى خضعت العقول معترفة بالله سبحانه (و مسلمة له) بأن للكون الها عالما قادرا لطيفا .

(و نعقت) أى صاحت (فى أسماعنا ، دلائله على وحدانيته) كناية عن وضوح الأدلة الدالة على الوحدانية ، اذ لو كان فيها آلهة الاّ الله لفسدتا .

(و ما ذرأ) عطف على الضمير المجرور فى ((دلائله)) أى نعقت دلائل ما ذرأ ، أى ما خلق (من مختلف صور الأطيار) جمع طير (الّتى أسكنها أخاديد الأرض) جمع اخدود ، و هو الشّق الكائن فى الأرض ، فانّ كثيرا من الطّيور يسكنون فى شقوق الأرض كالعصافير و ما أشبه (و خروق) جمع خرق ، و هو الشّق (فجاجها) الفج الطريق ، و جمعه فجاج (و رواسى أعلامها) جمع راسية ، بمعنى : الشامخة و المرتفعة ، و الأعلام جمع علم ، بمعنى الجبل .

(من ذوات أجنحة) جمع جناح (مختلفة) فى الشّكل و الكيفيّة (و هيئات متباينة) غير متشابهة (مصرّفة) أى يصرفها الله سبحانه (فى زمام التّسخير) و الاستخدام ، فانها لا تعمل الاّ كما قدّر الله سبحانه ، و هيّأ لها من الأسباب و الأجهزة .

(و مرفرفة) أى باسطة جناحها (بأجنحتها فى مخارق الجوّ) جمع مخرق ،

الْمُنْفَسِحِ ، وَالْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ . كَوَّنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي السَّمَاءِ خُفُوفاً ، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً . وَنَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ . فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ لَوْنٍ

وهو الواسع من المكان ، والجو : الفضاء (المنفسح) أى الواسع (والفضاء المنفرج) أى ذو الفرجة ، وهى مقابلة للمنسد .

(كونها) أى كون الله الطّيور (بعد ان لم تكن) أى أوجدها من العدم (فى عجائب صور ظاهرة) للابصار (وركّبها فى حقاق مفاصل) حقائق جمع ((حق)) وهو مجتمع المفصلين ، ومفاصل جمع مفصل ، وهو محل اتصال عظمين (محتجبة) أى مخفية عن الأنظار فانّ الانسان لا يرى داخل بدن الطّير ، الّذى هو محلّ المفاصل والعظام .

(ومنع) سبحانه (بعضها) أى بعض أنواع الطّيور (بعبالة) هى الضّخامة وامتلاء الجسد (خلقه) أى بسبب عظم بدنه (أن يسمو فى السّماء) أى يرتفع (خفوفا) أى سرعة وخفّة .

(وجعله يدف دفيفا) بأن يحرّك جناحيه حتّى يتمكن من الطّيران ، والدّفيف مقابل الصفيف ، وهو بسط الجناحين فى حال الطّيران .

(ونسقها) أى رتّبها (على اختلافها فى الأصابيغ) جمع اصباغ ، وهو جمع صبغ بمعنى اللّون (بلطيف قدرته ودقيق صنعته) فلكل طائر لون أو ألوان متعدّدة ، مما تجذب الأنظار ، وتلفت الأبصار .

(فمنها) أى من الطّيور (مغموس) قد غمس وأدخل (فى قالب لون)

لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ ؛ وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ .

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ . إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ ، وَسَمَا بِهِ

واحد ، كأنّ اللّون كان قالبا للطائر بلا زيادة و نقصان ، ولذا كان له لون واحد فقط (لا يشوبه غير لون ما غمس فيه) وذلك كالغراب الأسود وما أشبه .

(و منها مغموس فی لون صبغ) ای ما یصبغ به (قد طوّق) ذلك الطائر (بخلاف) لون (ما صبغ به) سائر جسده كالحمام المطوق ، حيث انّ حوالی عنقه لون غير لون سائر جسمه .

(و من أعجبها خلقا الطّاووس الّذی اقامه فی احكم تعديل) ای عدالة الجسم و اللّون فلا اعوجاج فی جسمه ، ولا بشاعة فی لونه ، وانما وضع كل شئ موضعه (و نضّد) ای رتّب (الوانه فی احسن تنضيد) أی فی اجمل ترتيب ، خلقه سبحانه (بجناح اشرج قصبه) ای داخل بعض احاد اعدة الجناح ، فقد شبه علیه السلام اعدة الجناح بالقصب ، والاشراج جعل بعض الأجزاء داخلا فی بعض بشكل منظّم (و) ب (ذنب أطال مسحبه) ای طول الذّنب حتّی انّه يسحب علی الأرض ، فان للطّاووس ذنبا طويلا ينشره احيانا ، و يطويه احيانا (إذا درج) ای تحرك الذكر من الطّاووس (الی الانثی نشره) أی نشر ذنبه (من طيه) ای من حالة جمعه (وسما به) ای ارتفع بذنبه ، بمعنی

مُطِلاً عَلَىٰ رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ . يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ . يُفْضِي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ ، وَيَوُرُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ فِي الضِّرَابِ أُحِيلُكَ مِنْ ذٰلِكَ عَلَىٰ مُعَايَنَةٍ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَىٰ ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ.

ارفعه (مطلا) اى مشرفا (على رأسه) كأنه يظلله ، فصار بذلك جميلا وفى وضع جذاب .

(كأنه) اى كأن جناحه (قلع) هو شراع السفينة (دارى) منسوب الى ((دارين)) وهو بلد يصنع به الشراع (عنجه) اى جذبه فرفعه (نوتيه) اى ربان السفينة .

(يختال) اى يتكبر الطاووس (بألوانه) اى الوان ذنبه (ويميس بزيفانه) اى يتبختر بحركات ذنبه يمينا وشمالا ، فان الزيفان الحركة بتكبر (يفضى) الطاووس الى انثاه ، اى يقترب منها لقضاء حاجته (كإفضاء الديكة) جمع ديك (ويور) اى يأتى انثاه (بملاقحة) اى افراز مادة منوية فيها (ارّ الفحول) اى مثل ملاقحة الفحل لانثاه (المغتلمة) من اغتلم اذا غلب للشهوة ، وهذا لبيان شدة شبقه بانثاه (فى الضراب) هو بمعنى لقاح الفحل لانثاه .

(احيلك) ايها السامع (من ذلك) الذى ذكرت فى امر الطاووس (على معاينة) بأن تذهب وتعاين حاله بعينيك (لا كمن يحيل على ضعيف إسناده) مما لا دليل له استناد ضعيف ، بل له امر خارجى واضح يتمكن كل احد ان يراه بأم عينيه ، وانما اكد الامام عليه السلام فى امر تلقيح الطاووس ، لأن بعض الناس كانوا يزعمون ان الذكر تدمع عينيه فتقف الدمعة بين اجفانه فتاتى الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة .

وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ ، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ ، وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ ، ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَىٰ الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ ، لَمَا كَانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ ! تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَا أَنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ

(ولو كان) تلقيحه (كزعم من يزعم انه يلقح بدمعة تسفحها) اى تصبها (مدامعه) اى عيونه ، جمع مدمع ، وهو محل الدمع (فتقف) الدمعة (فى ضفّتى) اى جانبى (جفونه) جمع جفن ، غلاف العين (وان انثاه تطعم ذلك) اى تشربه (ثمّ تبيض) الانثى بيضة تكون منشأ الفرخ (لا من لقاح فحل) وسفاده (سوى الدّمع المنبجس) اى المنفجر من عينيه .

(لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب) اى لو صح ذلك الزعم فى الطاووس لكان له مثال ، حيث زعم جمع آخر ، ان الغراب ايضا لا سفاد له ، وانما تشرب الانثى من ماء اجتمع فى قانصة الذكر ، ومطاعمة ، بمعنى الشرب ، فان هذه المادة تستعمل فى الشرب كما تستعمل فى الاكل ، قال سبحانه : ((و من لم يطعمه فانه منى)) .

ثم رجع الامام عليه السلام الى ذكر بقايا عجائب الطاووس بقوله : (تخال) اى تظن ايها الناظر (قصبه) جمع قصبة ، وهى عمود الريش (مدارى) جمع ((مدرى)) وهو ما يصنع ، من حديد او خشب ، على شكل المشط (من فضّة) وذلك لبريق القصب وبياضها وانتظامها (و) تخال (ما انبت) من الريش (عليها) اى على القصب .

(من عجيب داراته وشموسه) اى استدارته العجيبة المماثلة للشمس

خَالِصَ ٱلْعِقْيَان وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ. فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ ٱلْأَرْضُ قُلْتَ : جَنَّى جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ . وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِٱلْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ ٱلْحُلَلِ أَوْ مونِقِ عَصْبِ ٱلْيَمَنِ. وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ ٱلْوَانِ ، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ ٱلْمُكَلَّلِ. يَمْشِي مَشْيَ

(خالص العقيان) هو الذهب الخالص (وفلذ) جسم فلذه بمعنى القطعة (الزبرجد) الأخضر ، والتشبيه بهما لأن ريشه احمر واخضر فى لونى الذهب الخالص والزبرجد الأخضر .

(فان شبهته) اى ريش الطاووس (بما انبتت الأرض) اى بالأعشاب (قلت جنى) اى مجتنى (جنى) اى اقتطف (من زهرة كل ربيع) اى من كل زهرة تنبت فى الربيع ، لأن الريش فى لون الأزهار المختلفة (وان ضاهيته) اى شبهته (بالملابس) جمع ملبس بمعنى اللباس (فهو) اى الريش (كموشى الحلل) بصيغة اسم الفاعل ، اى المنقوش من الحلة ، وهى البزة اى الثوب (او مونق) اى جميل (عصب اليمن) وهو ضرب من البرود المنقوشة التى تصنع فى اليمن .

(وان شاكلته) اى شبهت الريش (بالحلى) وهى الحلية التى تلبسها المرأة للزينة (فهو) اى الريش (كفصوص) جمع فص ، وهو ما يركب فى الخاتم من زبرجد والماس ودرّ وما اشبه (ذات الوان) لكل فص لون (قد نطقت) اى شدّت (باللجين) اى الفضة (المكلل) اى المزين بالجواهر ، فان القصب يشد بعض تلك الفصوص ببعض ، والقصب شبيه بالفضة فى بياضها ، فالقصب مكلل بالفصوص ، والفصوص شدت بالقصب (يمشى) الطاووس (مشى

ٱلْمَرِحِ ٱلْمُخْتَالِ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ ، فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ ،وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ؛ فَإِذَا رَمَىٰ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلًا بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ ٱسْتِغَاثَتِهِ ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ ٱلْخِلَاسِيَّةِ . وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ ، وَلَهُ فِي

المرح) اى المعجب بنفسه (المختال) اى المتكبر فى مشيته (و يتصفّح) اى يتفقد و ينظر بالرقة (ذنبه و جناحيه فيقهقه ضاحكا) تشبيه لصوته بالقهقهة (لجمال سرباله) اى لباسه (و اصابيغ) اى الوان (و شاحه) سير يجعل فيه اللؤلؤ و نحوه فتلبسه المرئه من عاتقها الى كشحها .

و الطاووس بهذا الحسن ، له رجلان قبيحتان ، و لذا اذا نظر اليهما حزن و اغتم ، بما يظهر ذلك لمن نظر اليه (فاذا رمى) الطاووس (ببصره الى قوائمه) جمع قائمة ، بمعنى الرجل (زقا) اى صاح فى دهشة (معولا) الاعوال رفع الصوت بالبكاء (بصوت يكاد يبين) اى يظهر (عن استغاثته) اى طلبه ان يغاث من قبح رجله (و يشهد) ذلك الصوت (بصادق توجعه) اى تألمه الصادق لما فى رجله من قبح (لأنّ قوائمه حمش) جمع احمش اى دقيق (كقوائم الدّيكة) جمع ديك (الخلاسية) المنسوبة الى خلاس ،وهى المتولدة بين هندية و فارسية ، فانها اقبح رجلا من الديكة العادية .

(و قد نجمت) اى ظهرت و خرجت (من ظنبوب) هو عظم حرف الساق (ساقه) اى ساق الطاووس (صيصية) هى الاصبع الطالعة فى رجل الديك و نحوه مما لا تلامس الأرض (خفية) ليست بالطويلة (و له) اى للطاووس(فى

مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ. وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ، وَمَغْرِزُهَا إِلَىٰ حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ، إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ، أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ. وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي

موضع العرف) ريش الرقبة ، وعرف الفرس شعر اطراف عنقه (قنزعة) هى الخصلة من الشعر و نحوه (خضراء) اللون (موشاة) اى منقوشة ملونة (و مخرج عنقه كالابريق) فى الهيئة و الشكل (و مغرزها) اى الموضع الذى غرز فيه العنق كأنه شئ دخل فى جسم الطاووس ، و هو المحل بين العنق و البطن ، و لذا قال : (الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية) فى اللون ، و هى نبات النيل الذى منه صبغ النيلج ، و اليمانية من افخر اقسامها .

(او) ان ذلك المحل من العنق ، فى لونه و صفاته (كحريرة) سوداء (ملبسة مرآة ذات صقال) اى ذات جلاء ، فكما يبرق مثل ذلك الحرير، كذلك يبرق هذا الموضع من عنق الطاووس (وكأنه متلفّع) من تلفع ان يدير الانسان شيئا فوق رأسه و رقبته (بمعجر) ما تديره المرئة حول رأسها و رقبتها (اسحم) اى اسود (إلاّ انّه يخيّل لكثرة مائه) اى ماء ذلك اللون الأسود ، و المراد بريقه الشبيه ببريق الماء ، و لذا فسره عليه السلام بقوله : (و شدّة بريقه) اى لمعانه (انّ الخضرة النّاضرة) اى الزاهية (ممتزجة به) اى بذلك السواد ، فليس السواد قاتما و انما ناضرا ظريفا ، ثم اخذ الامام عليه السلام فى وصف الخط الأبيض عند محل سمع الطّاووس (و مع فتق) اى شق (سمعه) اى اذنه (خط) ابيض (كمستدق القلم) اى القلم الدقيق الذى يخط خطا دقيقا (فى

لَوْنِ ٱلْأُقْحُوَانِ . أَبْيَضُ يَقَقٌ ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ . وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ ،وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ ٱلْمَبْثُوثَةِ ،لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ ، وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ .

لون الاقحوان) هو البابونج ، ابيض يشبه به الثغر لبياضه .

(ابيض يقق) اى شديد البياض (فهو) اى ذلك الخط (ب) سبب (بياضه فى) اثناء (سواد ما هنا لك) حول رقبة الطاووس (يأتلق) اى يلمع (وقل صبغ) اى لون (إلاّ وقد اخذ منه) اى من الطاووس (بقسط) اى بنصيب وهذا كناية عن اشتمال لون الطاووس على معظم الاشكال المتمارفقالا ولوية لا كلها ، كما هو واضح ، فقد احصوا ان الألوان تنوف على ثلثمائة الف لون .

(وعلاه) اى ارتفع لون الطاووس تلك الاصباغ فى الكيفية ، فلونه ازهى من الألوان الموجودة فى غيره وذلك (بكثرة صقاله) اى جلاء الوانه (وبريقه) اى لمعانه (وبصيص ديباجه) اى ضياء ريشه فقد استعير البصيص ـ وهو اول النور الذى يبتدء ضئيلا ـ لبريقه ، واستعير الديباج ـ وهو الحرير ـ لريشه (ورونقه) اى رونق لون الطّاووس .

(فهو) اى لون ريشه (كالأزاهير) جمع ازهار ، جمع زهر (المبثوثة) اى المنتشرة فى الصحراء فلكل زهر لون وكيفية ، وهكذا لكل جزء من اجزاء الطّاووس لون وكيفية (لم تربها) اى ما ربّت تلك الألوان الموجودة فى الطّاووس (امطار ربيع) بخلاف الأزهار فانها تربية امطار الربيع (ولا شموس قيظ) اى الحرّ ، والاتيان بشموس ـ جمع شمس ـ باعتبار ان لكل يوم شمسا ،

وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِنْ رِيشِهِ، وَيَعْرَىٰ مِنْ لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرَىٰ، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ أَنْحِنَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ، ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّىٰ يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ، لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ ! وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً ، وَ تَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً ،

او المراد بها اشراقات الشمس ، فان الأزهار تنظر و تزدهر بسبب الحر المعتدل لألوانها .

(وقد يتحسر) الطاووس (من ريشه) اى يتكشف بسقوط جميع ريشه (و يعرى من لباسه) الجميل (فيسقط) الريش من بدن الطاووس (تترى) اى تباعا ، بعض الريش يسقط عقب بعض .

(و ينبت) الريش بعد سقوطه (تباعا) اى متتالما ، بل فصل زمان كثير (فينحت) اى يسقط الريش (من قصبه) هى الأعدة الريشية التى تربط الريش بجسم الطاووس (انحتات) اى مثل سقوط (اوراق الأغصان) حيث يبقى الغصن و يسقط الورق (ثم يتلاحق نامما) ينمو الريش فى مكان الذى سقط بتلاحق و توالى (حتى يعود كهيئته قبل سقوطه) بلا زيادة او نقصان او تخالف فى الألوان .

(لا يخالف) اللون الجديد (سالف الوانه) اى الوانه السالفة (ولا يقع لون) من الألوان الجديدة (فى غير مكانه) السابق .

(واذا تصفحت) اى نظرت بدقة (شعرة من شعرات قصبه) اى النابتة على قصب جسمه (ارتك) تلك الشعرة (حمرة وردية) اى كالورد (و تارة) اى مرة تريك (خضرة زبرجدية) اى كالزبرجد فى الصفاء .

وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَىٰ صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ !

وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ ، وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ ! فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ ، فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً ، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً ؛ وَأَعْجَزَ

(واحيانا) اى فى بعض الاحيان (صفرة عسجديّة) اى ذهبية (فكيف تصل الى صفة هذا) الطائر الجميل (عمائق الفطن) جمع عميقة ، و فطن جمع فطنة ، بمعنى الادراك الحاد (او تبلغه قرائح العقول) جمع قريحة بمعنى العقل المقترح الذى ينبع منه الفكر (او تستنظم وصفه) اى تتمكن من نظم وصفه (اقوال الواصفين) فان الامام عليه السلام لم يصف منه الاّ شيئا قليلا كما لا يخفى .

(واقل اجزائه) اى اجزاء هذا الطائر (قد اعجز الأوهام ان تدركه) ادراكا عميقا (والألسنة ان تصفه) اى اعجز الألسنة ، فمم خلق الشعرة ؟ وكيف جاء اللون ؟ وما هو اللون ؟ الى الف سؤال وسؤال .

(فسبحان الذى بهر العقول) اى قهرها فردها عن المعرفة والادراك (عن وصف خلق) اى ان تتمكن من ان تصف مخلوقا ــ هو الطّاووس ــ (جلاّه للعيون) اى كشفه لها ، فالانسان مع ادراكه لهذا الحيوان لا يتمكن ان يصفه حق وصفه .

(فأدركته) اى ادركت العقول هذا المخلوق (محدودا) بحدود الكيف والكم (مكوّنا) مخلوقا (ومؤلّفا) من اجزاء (ملوّنا) بألوان مختلفة (واعجز

اَلْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ !

وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمَجَةِ إِلَىٰ مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَالْفِيَلَةِ ! وَوَأَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ ، إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ .

الألسن عن تلخيص صفته) اى تلخص وصفه فى العبارة و لعل ذكر ((التلخيص)) لأن الوصف ايجاز للوجود الخارجى (وقعد بها) اى بالألسن (عن تأدية) اى اداء ، وذكر ، (نعته) اى وصف هذا المخلوق ، فاذا كان الانسان لا يدرك حقيقة حيوان ، ولا يتمكن ان يصف حتى الوصف ما يشاهده ؟ كيف يطمع ان يدرك الخالق ، او ان يتمكن من وصفه حق نعته .

ثم اخذ الامام فى وصف ما هو اصغر من الطاووس (وسبحان من ادمج قوائم الذّرة) القوائم : الأرجل ، والادماج جعلها فى جسدها ، والذرة ، النمل (و) ادمج قوائم (الهمجة) جمع همج ذباب صغير ، ومنه ((همج رعاع اتباع كل ناعق)) (الى ما فوقهما) اى خذ هذين الحيوانين الصغيرين ثم تدرج الى الاكبر والاكبر من الحيوانات ففى الكل آيات ودلالات واعاجيب (من خلق الحيتان) جمع حوت (والفيلة) جمع فيل ، وهما حيوانان كبيران احدهما برى والأخرى بحرى (ووأى) أى الزم سبحانه (على نفسه) بان قدر تعالى (ان لا يضطرب) اى يتحرك (شبح) اى جسم من الأجسام الحية (مما اولج فيه الروح) اى ادخل فيه الروح (إلاّ وجعل الحمام) اى الموت (موعده و الفناء) بتفرق الاجزاء (غايته) اى آخر أمره .

منها في صفة الجنة

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا ، وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا ، وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ

(منها في صفة الجنّـــة)

ثم اخذ الامام عليه السلام في وصف الجنّة بقوله : (فلو رميت ببصر قلبـــك) بأن فكرت و امعنت (نحو) اى الى طرف (ما يوصف لك منها) اى من الجنة (لعزفت) اى كرهت و اعرضت (نفسك عن بدائع ما اخرج الى الدنيا مـــن شهواتها ولذّاتها) فان الانسان اذا رأى الشئ الأحسن كره الشئ الحسن و اعرض عنه ، طلبا لذلك الأحسن ، وهذا هو نسبة لذّات الدنيا الى لذّات الآخرة (وزخارف مناظرها) جمع زخرف بمعنى الزينة (و لذهلت) اى اندهشت (بالفكر فـــي اصطفاق اشجـــار) اى تضارب اوراقها بسبب النسيم ، فان الانسان اذا تصور ذلك النسيم الذى يهب فى الجنة الذى يصفق الأشجار ، لذهل و تحير مـــن شدة اشتياق النفس الى التملى من ذلك النعيم الجميل .

(غيبت عروقها) اى عروق تلك الأشجار (فى كثبان المسك) جمع كثيب و هو التل ، فان طين الجنة ، هو المسك (على سواحل انهارها) اى انهار الجنة (و) لذهلت بالفكر (فى تعليق كبائس) جمع كباسة (اللؤلؤ) اى الخصل

الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا ، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا ، تُجْنَىٰ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَىٰ مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا ، وَيُطَافُ عَلَىٰ نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ . قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَىٰ بِهِمْ

المكبوسة من اللؤلؤ (الرطب) وهو اجود انواع اللؤلؤ : وسمى رطبا لبقايا الماء فيه ، الموجبة للنظارة والبهجة (فى عساليجها) جمع عسلوج ، بمعنى الغصن (وافنانها) جمع فنن وهو الغصن ايضا ، او نوع آخر منه (وطلوع تلك الثمار) اى ظهور اللؤلؤ كالثمرة (مختلفة) كبرا وصغرا ، او المراد بتلك الثمار ، الثمار المعهودة ، اى الفواكه المختلفة (فى غلف) جمع غلاف (اكمامها) جمع كم ، وهو وعاء الطلع والنور ، مما يستر الثمر به ، حفظا له .

(تجنى) اى تعطف وتنحنى تلك الأغصان ـ لمن اراد تناول تلك الثمار ـ (من غير تكلف) وصعوبة ، فقد ورد ان الانسان اذا اشتهى شيئا من الثمار انحنت الأغصان نحوه ليقطفها (فتأتى) تلك الأغصان ، او الثمار (على منية مجتنيها) اى من يريد اقتطافها واخذها (ويطاف) نائب الفاعل له قوله عليه السلام الآتى ((قوم)) وفاعله الله سبحانه الذى يأمرهم بالطواف على المؤمنين (على نزّالها) اى نزال الجنة الذين جائوا اليها ونزلوا فيها (فى افنية قصورها) جمع ((فناء)) بمعنى الساحة الواسعة امام القصر ، او داخله (بالأعسال) جمع عسل (المصفقة) اى المصفات (والخمور المروّقة) اى المجعولة فى ((الراووق)) وهو اناء خاص يزيد الخمر صفاءا واجتذابا لشاربيها .

(قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم) ((قوم)) نائب فاعل لقوله : ((يطاف))

حَتّىٰ حَلُّوا دَارَ ٱلْقَرَارِ ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ ٱلْأَسْفَارِ . فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ بِٱلْوُصُولِ إِلَىٰ مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَنَاظِرِ ٱلْمُونِقَةِ ، لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا ، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَىٰ مُجَاوَرَةِ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ ٱسْتِعْجَالاً بِهَا . جَعَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَىٰ بِقَلْبِهِ

و المراد بهم الولدان المخلدون .

(حتّى حلّوا دار القرار) اى الجنّة الّتى يستقرّ فيها الانسان ، و تسادى الكرامة ، كناية عن أهليتهم لكونهم ((ولدانا)) هناك ، فان الله اكرمهم بجعلهم هناك (و أمنوا) اولئك القوم (نقلة الأسفار) اى الانتقال من محل الى محل فانهم لم ينتقلوا من الأرض الى البشرية ، ومن هذه الحياة ، الى البرزخ ، ومن هناك الى المحشر ، ومن هناك الى الجنّة — كما ينتقل الانسان — (فلوشغلت قلبك — ايها المستمع — بالوصول الى ما يهجم عليك) اى يأتى نحوك ،والتعبير بالمهجوم ، لأنه شبيه به ، فاذا بالانسان يرى جيشا كثيفا من النعم المختلفة ،و السعادات المتنوعة التى لازوال لها ولا اضمحلال .

(من تلك المناظر) جمع منظر (المونقة) المعجبة (لزهقت نفسك) اى طارت وخرجت من البدن (شوقا إليها) اى الى تلك المناظر (و لتحملت) اى حملت نفسك (من مجلسى هذا) وانت تسمع الى هذه الأوصاف و تفكر فيها (الى مجاورة اهل القبور) وهذا كناية عن الموت (استعجالا بها) اى طلبا لسرعة الوصول الى تلك النعم العجيبة ، فان شدة الشوق توجب موت الانسان.

(جعلنا الله و إياكم ممّن سعى بقلبه) فان القلب اذا درك سعى ،وسعيه

إلىٰ مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

(تفسير بعض ما فى هذه الخطبة من الغريب)

قال السيد الشريف رضى الله عنه : قوله عليه السلام ((ويؤر بملاقحة)) الآر كناية عن النكاح ، يقال ان المرئة يؤرها ، اى نكحها ، وقوله : ((كأنه قلع دارى عنجه نوتيه)) القلع شراع السفينة ، ودارى ، منسوب الى دارين ، و هى بلدة على البحر ، يجلب منها الطيب ، وعنجه اى عطفه ، يقال عنجت الناقة ، كنصرت ، اعنجها عنجا ، اذا عطفتها ، والنوتى ، الملاح ،وقوله : ((ضفتى جفونه)) اراد جانبى جفونه ، والضفتان الجانبان ، وقوله : (وفلذ الزبرجد) الفلذ جمع فلذة ، وهى القطعة ، وقوله : ((كبائس اللؤلؤ الرطب)) الكباسة العذق ، و ((العساليج)) الغصون ، واحدها عسلوج .

تسعى الجوارح (الى منازل الابرار ، برحمته) متعلق بـ ((جعلنا)) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ ، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ ؛ وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ : لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا عَنِ اللهِ يَعْقِلُونَ ؛ كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى الحث على التألف ، ثم فى زوال ملك بنى امية ، وارشاد النـــاس للتمسك بالحق .

(ليتأسّ) اى ليقتدى (صغيركم بكبيركم) فان الكبراء اكثر حكمة و دراية و تجربة ، فاذا تأس بهم الصغراء ، كان اسهل ليسر فى مرافق الحياة ، و آمن من الخطر (و ليرأف كبيركم بصغيركم) ليأخذ بيده حتى يرد مورد الرجال ، و يستغنى عن المعاون و المرشد (و لا تكونوا كجفاة الجاهلية) جمع جاف ، من جفى يجفو ، و هو الغليظ الظالم ، فان النفوس اذا لم ترفق بالدين و الفضيلة جفت وغلظت (لا فى الدين يتفقهون) حتى يعلوا الأحكام (و لا عن اللـــه يعقلون) اى يأخذون الشريعة و المنهج ، انهم .

(كقيض بيض) القيض ، هى : القشرة العليا اليابسة على البيضة (فـى

أَدَاحٍ يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً ، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرًّا .

منها : اَفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ . فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ .

أداح) جمع ادحيّ ـ كلجّى ـ و هو مبيض النعام فى الرمل ، تدحوه برجلها لتبيض فيه ، فان الانسان المحرم اذا مر فى الاداحى فراى فيها بيضا احتمل امرين :

الأول : ان تكون تلك البيوض للقطاء فلا يجوز كسرها ، للمحرم ، و اذا ابقى عليها يحتمل ان تكون للثعابين فيخرج منها الثعبان الذى يلدغه(يكون كسرها وزرا) و اثما ، او المراد كسر بيض القطا مطلقا وزر ، و ان لم يك الانسان محرما لأنه اذية للحيوان و هو مكروه فى الشريعة .

(و يخرج حضانها) اى تحضن البيض و ابقائها (شرّا) و هذا مثال للانسان الذى له صورة انسانية ، و باطن ملئ بالشرور ، فان فى كل من ابقائه و اهلاكه احتمال الخطئ فاذا أهلكه الوالى احتمل الاثم ، بسبب عدم كونه ذا شر ـ و ان ابقاه احتمل ان يخرج منه شرور و اثام توجب افساد الناس و اهلاكهم .

(منها) : فى احوال بنى امية (افترقوا) اى المسلمون (بعد الفتهم) فى ظاهر الاسلام (و تشتتوا عن اصلهم) اى القاعدة الأولية فى الاسلام ، من الائتلاف ،حيث قال سبحانه : ((ولا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم)) وقال : ((و اعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرّقوا)) (فمنهم) اى بعض المسلمين (آخذ بغصن) من اغصان الايمان ، والمراد به الموالى لهم (اينما مال) ذلك الغصن (مال معه) و هم شيعة الامام التابعون له حيث سار ساروا ، وفى الكلام

عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ ! يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ ؛ ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً. يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ ،

تقدير : اى و منهم من ليس كذلك . لكنه اكتفى عن ذكره بقرينة السابق .

(على) ان هذا التفرق لا يبقى الى الأبد بل (أنّ اللّه تعالى سيجمعهم) اى المسلمين (لشر يوم لبنى امية) قيل ذلك اشارة الى اجتماع المسلمين لمحاربة بنى امية ، فى زمن ((مروان الحمار)) حيث نزعوا الملك عنهم ثم استبد به بنو العباس (كما تجتمع قزع الخريف) هى القطع المتفرقة من السحاب، واحدتها قزعة بالتحريك ، و تخصيص الأمر بالخريف ، لأن التراكم فى سحاب الخريف اكثر (يؤلف اللّه بينهم) اى بين المسلمين ، ولا يخفى ان الاسناد اليه سبحانه لا يدلّ على حسن الفعل ، فقد قال سبحانه فى احوال ((بخت النصر)) الكافر ، و جنوده : ((بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد)) و يحتمل ان يكون للعمل وجهان ، الخير فى انقضاضهم على بنى امية ، و الشر فى كونه بدون امام معصوم .

(ثم يجعلهم ركاما) هو المتراكم بعضه على بعض (كركام السّحاب) الذى يجتمع بعضه على بعض (ثم يفتح لهم) اى للمسلمين (ابوابا) اى يهيّئ لهم وسائل الانقضاض على دولة بنى امية (يسيلون من مستثارهم) اى موضع انبعاثهم ثائرين ، و لعل المراد بذلك الموضع ((خراسان)) حيث ثارت الثائرة من هناك بقيادة ابى مسلم الخراسانى (كسيل الجنّتين) و هو سيل العرم ،المذكور فى القرآن الحكيم ، بقوله : ((جنّتان عن يمين و شمال)) ثم قال : ((فأرسلنا

حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصٌّ طَوْدٍ ، وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ. يُزْعِزعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ،

عليهم سيل العرم)) وقد كان سيلا شديدا لم يبق لهم شيئا الا القليل القليل (حيث لم تسلم عليه) اى على السيل ، والاتيان بـ ((على)) للاشارة الى انه لا يقف امام السيل ، بأن يكون صامدا ضررا على السيل (قارة) اى المستقر من الأرض المنبسطة ، او المراد عين قارة ، ذات قرار ، فان السيل يكتسح كل شئ امامه .

(ولم تثبت عليه) اى على السيل (اكمة) هى المرتفع من الأرض (ولم يرد سننه) اى جرى السيل (رص طود) الطود الجبل ، والرص تلاصق بعض الاطواد ببعض (ولا حداب ارض) جمع حدب بالتحريك ، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع ، فاذا جاء سيل الثائرين لاكتساح بنى امية (يزعزعهم الله) اى يقلعهم ويفرقهم ـ وضمير المفعول لبنى اميه ـ (فى بطون اوديته) اى مسالك الاختفاء فى الأرض ، فكل واحد منهم يفر الى مجهلة من الأرض (ثم يسلكهم ينابيع فى الأرض) يتسربون فى باطن الأرض اختفاء من سلطات آل عباس ، كما يختفى الماء ويتسرب فى باطن الأرض ، ويحتمل ان يكون الضمير فى ((يزعزهم)) و ((يسلكهم)) الى مناوئ آل امية ، اى انهم يختفون فى اول امرهم ، ويجرون من هنا وهناك باختفاء كالينابيع ، حتى يظهروا ويثوروا ضد الأمويين .

(يأخذ بهم) اى بسبب هؤلاء الثائرين (من قوم) وهم بنو امية (حقوق قوم) وهم الهاشميون فقد اكثروا فى آل امية من القتل واراقة الدماء فى قضايا

وَيُمَكَّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ. وَأَيْمُ اللهِ، لَيَنُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ، كَمَا تَنُوبُ الْأَلِيَّةُ عَلَى النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ. لٰكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلَعَمْرِي، لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي

معروفة (ويمكن لقوم) وهم آل عباس (فى ديار قوم) وهم آل امية (وأيم اللّه) حلف به سبحانه (ليذوبن) اى يضمحلن ، كما يذوب الجليد (ما فى ايديهم) اى ايدى الأمويين من الملك والسلطة (بعد العلوّ) لهم (والتمكين) على السلطة (كما تذوب الالية) هى الشحمة التى فى ذيل الغنم (على النّار) حتى لا يبقى منها شئ يذكر ــ وقد كان كما أخبر الامام عليه السلام ــ .

(ايها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحقّ) التخاذل ، هو ان يتحرك بعضهم بعضا ، فلا يجتمعون لنصرة الحق (ولم تهنوا) من الوهن بمعنى الضعف (عن توهين الباطل) اى تضعيفه وتحطيمه (لم يطمع فيكم من ليس مثلكم) فى الدين والايمان ، اى الكفّار والمنافقين (ولم يقومن قوى) الآن (عليكم) اى لم يتمكن من ان ينشر قوته عليكم (لكنكم تهتم) اى تحيرتم فى الأمر لا تسيرون فى الطريق الصحيح (متاه بنى اسرائيل) اى مثل تيه بنى اسرائيل الذين ضلوا فى الصحراء ، فبقوا اربعين سنة فى التيه ، لأنهم خالفوا امر اللّه سبحانه فى دخول الأرض المقدسة ، واخراج الكفار منها .

(ولعمرى) قسم بنفسه الشريفة (ليضعفن لكم التّيه من بعدى) اى يتضاعف

أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَىٰ ، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ . وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الِاعْتِسَافِ ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ .

الحيرة فى الأمر ، وعدم معرفة الطريق المنجح (اضعافا) اى اضعاف تيهكم فى زمانى .

وذلك (بـ) سبب (ما خلفتم الحق وراء ظهوركم) اى لم تعتنوا به (و قطعتم الادنى) الى الله والرسول والأحكام — وهو الامام عليه السلام — حيث خالفوه (ووصلتم الأبعد) وهو الشيطان او قرناء السوء .

(واعلموا انكم إن اتبعتم الداعى لكم) يعنى : نفسه الكريمة ، حيث كان يدعوهم الى الرشاد (سلك بكم منهاج الرسول) صلى الله عليه وآله وسلم (و كفيتم مؤونة الاعتساف) الشدة والصعوبة ، فى الأمور الدنيوية والأخروية ، اى لا تلحقكم ما تلحقكم الآن من المصاعب والمتاعب (ونبذتم) اى طرحتم (الثقل الفادح) اى الثقيل (عن الأعناق) والمراد به ، المشاكل التى تتأبهم ، فان المنهاج الاسلامى كفيل بحل جميع مشاكل الانسان .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في أوائل خلافته

إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا ، وَاصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا . الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ ! أَدُّوهَا إِلَى اللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ . إِنَّ اللهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ ، وَأَحَلَّ حَلَالاً

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فی اوائل خلافته ، وفيها النصح والارشاد ، والتحذير من الموت بلا عدة

(ان الله تعالى انزل كتابا هاديا) يهدى الناس الى سبل الحق و السعادة ، والمراد به القرآن الحكيم (بين فيه الخير والشر فخذوا نهج الخير) اى طريقه (تهتدوا) اى تصلوا الى المطلوب ، فان الهداية قد تأتى بهذا المعنى ، كما تأتى بمعنى ارائة الطريق (واصدفوا) اى اعرضوا (عن سمت الشر) اى جهته (تقصدوا) اى تستقيموا ، ادوا (الفرائض الفرائض) التكرار للتأكيد وللتركيز فى الذهن (ادّوها الى الله) كان العمل بها اداء اليه سبحانه تشبيها بالمحسوسات (تؤدكم الى الجنة) اى توصلكم اليها (ان الله حرم حراما) المراد به الجنس (غير مجهول) اذ قد بين فى الكتاب والسنة (واحل حلالا)

غَيْرَ مَدْخُولٍ ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْحُرَمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا ، « فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَحِلُّ أَذَىٰ الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ .

بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ

اى جنس المحللات (غير مدخول) اى ليس بمعيب ، بخلاف المحرمات التى هى عيوب و نقائص (و فضّل حرمة المسلم) اى احترامه (على الحرم كلّها) فلا حرمة اعظم من حرمة المسلم .

(و شدّ بالاخلاص و التوحيد حقوق المسلمين) اى جعل حقوق المسلمين مرتبطة باخلاصهم لله و توحيدهم له ، حتى ان منهم من اذا كان لم يخلص او لم يوحد — فرضا — لم يكن له حقوق (فى معاقدها) اى مواضعها من الذمم فذمة الناس رهينة بحق مسلم اخلص لله وحده (فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه) فلا يسب ولا يغتاب ولا يفترى و هكذا (و يده) فلا يبسطها الى احد بسوء (الا بالحق) كلعن يستحق اللعن ، و قتل من يستحق القتل ، و هكذا .

(ولا يحلّ اذى المسلم الا بما يجب) فى الشريعة ، كاجراء الحدودعليه ، فانه و انكان موجبا لأذاه ، الا انه غير محظور لأن اجراء الحدود واجب ، و اذا جمعت هذه الجمل كانت هكذا ((المسلم المخلص الموحد محترم ، لا يجوز تناوله بيد او لسان ، الا بالحق)) ، و هذا من مصاديق الحرام غير المدخول ، فكأنه مثال له .

(بادروا) اى اسرعوا فى (امر العامّة) اى عامة ذوات الأرواح ، و المراد بالمبادرة لذلك الأمر الاستعداد له (و خاصّة احدكم) اى ان ذلك الأمر العام

وَهُوَ ٱلْمَوْتُ ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ . تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا ، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ . ٱتَّقُوا ٱللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّىٰ عَنِ ٱلْبِقَاعِ وَٱلْبَهَائِمِ . أَطِيعُوا ٱللهَ وَلَا تَعْصُوهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ ٱلْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ ،

يخص كل واحد منكم (و هو الموت) فانه عام لكل ذى روح ، وخاص لكل انسان ، فاعملوا له ـ وهو معنى المبادرة ـ (فان النّاس) الذين ذهبوا الى الآخرة (امامكم) ساروا فى هذا المسير (و ان السّاعة تحدوكم من خلفكم) اى تزجركم للاسراع نحوها ، و المراد بالساعة يوم القيامة ، و تحدوكم ، كناية عن سرعة فناء الدنيا .

(تخفّفوا) عن الآثام ، ولا تثقلوا كواهلكم بالمعاصى (تلحقوا) بالرجال الصالحين الذين سبقوا الى الجنّات كما ان المسافر اذا تخفف ، لحق بالقافلة ، و وصل الى المنزل .

(فإنّما ينتظر بأولكم) الذى مات (آخركم) الذى لم يمت بعد ، يعنى ان النّاس انّما ينتقلون الى المحشر ، اذا مات الكل ، فمنع من تقدم عن الحضور فى المحشر انّما هو لأجل ان يلحق بهم الباقون ، فيحشر جميعهم فى وقت واحد (إتّقوا اللّه) اى خافوه (فى عباده) فلا تفعلوا بهم شرّا ممّا نهى اللّه عنه (و بلاده) فلا تفسدوا فيها (فإنكم مسئولون حتّى عن البقاع) جمع بقعة ، كيف كنتم بها هل عمرتموها ام خربتموها (و البهائم) ، هل قمتم بواجبهم من النفقة و السكن و كفّ الأذى عنهم ، ام بالعكس من ذلك ؟ (أطيعوا اللّه ولا تعصوه) فان فى الأطاعة السّعادة و فى العصيان الشّقاوة (و اذا رايتم الخير فخذوا بـه)

وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

بعدما بويع بالخلافة ، وقد قال له قوم من الصحابة : لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان ؟ فقال عليه السلام:

يَا إِخْوَتَاهُ ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ

اى اعملوه (واذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه) اى اتركوه ، والمراد بالرؤية العلم.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

بعد ما بويع بالخلافة ، وقد قال له قوم من الصحابة ، لوعاقبت قوما ممن اجلب على عثمان ، اى جمع الأنصار والأعوان لقتل عثمان ؟ فقال عليه السلام:

(يا اخوتاه انّى لست أجهل ما تعلمون) بمن اجلب ، وماذا يستحقون، وقد كان الامام عليه السلام يعلم عدم استحقاقهم للقتل ، اذ كان هذا هو الجزاء الطبيعى لبدع عثمان ، التى ملأت الآفاق ، كما انّ هذا الطلب كان سخيفا ، اذ لو اراد الامام قتل مائة الف ثائر و تأديبهم وفيهم عائشة وطلحة والزبير و من اليهم ، لم يكن له من يعينه فى هذا الأمر ، وانحلت عرى الاسلام لكنّ الامام اكتفى فى جوابهم ، بالأمر الثانى ، دون الأول ، لأنه لم يرد ان يزيد الفتنة وقودا ، بتقرير انه كان ايضا يرى انحراف عثمان وبدعه (ولكن كيف لى بقوّة)

وَٱلْقَوْمُ ٱلْمُجْلِبُونَ عَلَىٰ حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ! وهَا هُمْ هٰؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ، وَٱلْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاؤُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَىٰ شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ! إِنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ، وَإِنَّ لِهٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ مَادَّةً. إِنَّ ٱلنَّاسَ مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ

التأديب للثائرين ؟ (والقوم المجلبون) الذين اجلبوا على عثمان (على حدّ شوكتهم) اى قوّتهم السّابقة .

(يملكوننا ولا نملكهم) فانّ ازمة الأمور بأيديهم ، وهم مرموقون عند المسلمين مما لا يمكن التّعرض لهم بأذى (وها هم هؤلاء) طلحة والزبير وعائشة وعبد اللّه ومحمّد (قد ثارت معهم) ضدّى (عبدانكم) جمع عبد ، فان كثرة من عبيد المسلمين اخذوا ينصرون الجمل تخلصا من مواليهم (والتفت اليهم اعرابكم) اهل البوادى طمعا فى الغزو والغنيمة (وهم خلالكم) اى فى ثناياكم وما بينكم (يسومونكم ما شاؤوا) من العذاب ، من سامه خسفا اذا اذلّه واذاه (وهل ترون موضعا لقدرة) منّى (على شئ تريدونه) ؟ وهو معاقبة المجلبين على عثمان ، والاستفهام للانكار .

(ان هذا الأمر) اى تحرك الثائرين ضدّى (امر جاهلية) فكما انّ الجهل والطّمع كانا يقودان النّاس فى زمن الجاهلية الى الحركة والغزو ، كذلك حركا هؤلاء العصات ضدّى ، مما لا اقدر معه من التأديب ـ لو كان اللازم التأديب فرضا ـ .

(وانّ لهؤلاء القوم) العصات (مادّة) اى عونا ومددا من طلاّب الرّياسة كمعاوية ومن اليه (انّ النّاس من هذا الأمر) اى امر العاقبة لقتلة

ـ إِذَا حُرِّكَ ـ عَلَىٰ أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَىٰ مَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ تَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَىٰ هٰذَا وَلَا ذَاكَ، فَٱصْبِرُوا حَتَّىٰ يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ ٱلْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ ٱلْحُقُوقُ مُسْمَحَةً؛ فَٱهْدَوُّوا عَنِّي، وَٱنْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً. وَسَأُمْسِكُ ٱلْأَمْرَ مَا ٱسْتَمْسَكَ.

عثمان (اذا حرّك) بأن اردنا الشّروع فيه (على امور) اى اقسام (فرقة ترى ما ترون) من لزوم معاقبة قتلة عثمان (و فرقة ترى ما لا ترون) و هم النّائرون ومن اليهم ممّن كان يرى عثمان واجب القتل ، لبدعه و ضلالاته (و فرقة لا ترى هذا و لا ذاك) و إنّما هو حياد فى الأمر ، لا يخصه امر الفتنة اطلاقا (فاصبروا حتّى يهدأ النّاس) اى يسكنوا من فورتهم (و تقع القلوب مواقعها) الصّحيحة بأن تأخذ التروى و التدبر ، لا العواطف الجائشة و الميول الوقتية التى ترافق الثورات دائما .

(و تؤخذ الحقوق مسمحة) فكان الحقوق جادت بنفسها عليهم ، فأخذوها من اسمح اذا جاد (فاهدؤوا عنّى) ولا تكلفونى ما ليس لى ، ولاظرف يقتضيه (و انظروا ماذا ياتيكم به امرى) اى بماذا يأتى اليكم من اوامرى .

(ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة) اى تحركها و تضعفها ، بانشقاق جديد و اختلاف بين النّاس (و تسقط منّة) المنة بمعنى القدرة (و تورث وهنا) اى ضعفا (و ذلّة) لكم ، لأنّ الضعيف لابد و ان يذل (و سأمسك الأمر) اى اخذه على علاته (ما استمسك) بنفسه ، اى لا اشتت المسلمين ، ما دام هم متماسكون ، لا فرقة بينهم .

وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَآخِرُ الدَّواءِ الْكَيُّ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

إِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ . وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ

(واذا لم اجد بدّا) اى علاجا ، للطامعين كطلحة و الزبير (فآخر الدّواء الكى) اى اقاتلهم ، ان بقوا يفسدون و يحرضون و يفرقون . و هذا مثال يضرب للمريض الذى لا يبرء ، فانّ آخر العلاج الكى بالنّار ـ ممّا هو معروف ـ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

عند مسير اصحاب الجمل الى البصرة

(إنّ اللّه بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق) اى مع كتاب ينطق بما هوالحق (و امر قائم) اى منهاج لجوانب الحياة ، قائم فى الناس ، لصلاح ، و كونه قائما ، اما بالمجاز المشارفى ، و اما المراد قائم فى زمان تكلمه عليه السلام و إلاّ فالمنهاج لم يكن قائما حين البعث (لا يهلك عنه) اى بعد الرسول و الكتاب (الا هالك) اى من فى طبعه اعوجاج و تسميته هالكا مجاز بالمشارفة ، نحو من قتل قتيلا (و ان المبتدعات) اى الأشياء الجديدة التى نهى عنها الاسلام ثم

ٱلْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ ٱلْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ ٱللهُ مِنْهَا . وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ ٱللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ . فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا . وَٱللهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ ٱللهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ ٱلْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّىٰ يَأْرِزَ ٱلْأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِكُمْ .

إِنَّ هٰؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَؤُوا

عمل بها النّاس (المشبهات) بالدين ، وليست منه (هنّ المهلكات) اى الموجبات للهلكة (الا ما حفظ الله منها) استثناء منقطع ، الا ما حفظ اللّه الانسان منها ، فلا تكون سببا لهلاك الانسان المحفوظ (وانّ فى سلطان الله) اى فى منهاجه ، او فى السلطة التى جعلها للأئمة و نوابهم (عصمة لأمركم) فانها تحفظكم من الزّلة و الانحراف .

(فاعطوه) اى اللّه سبحانه (طاعتكم) اى اطيعوه (غير ملومة) اى طاعة لا تلام ، بسبب كونها مشوبة بالنفاق ، وما اشبه (ولا مستكره بها) بأن تكون الطاعة عن خوف و رجاء ، لا عن كره و اجبار من النّاس و ملاحظة لهم (و اللّه لتفعلنّ) الذى قلت من الطاعة الخالصة النابعة من الايمان (او لينقلنّ اللّه عنكم سلطان الاسلام) الى الأجانب ، كما نرى الآن ، ان لا سلطة للمسلمين ، وانّما السّلطة للكفّار (ثم لا ينقله) اى السلطان ـ وهوجائز الأمرين فى التذكير والتأنيث ـ (اليكم ابدا) فلا ترجع السلطة اليكم (حتّى يأرز الأمر) اى يرجع الأمر (الى غيركم) ((حتى)) غاية لقوله : ((لينقلن)) و ((ثم)) تأكيد لذلك ، ولذا جئ مقدما على ((حتى)) ولا يخفى ان المراد عدم الرجوع ما دام هم تاركين للاسلام .

(انّ هؤلاء) يريد عليه السلام : اصحاب الجمل (قد تمالؤوا) اى اتّفقوا

عَلَىٰ سَخْطَةِ إِمَارَتِي ، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَىٰ جَمَاعَتِكُمْ : فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَىٰ فَيَالَةِ هٰذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَىٰ أَدْبَارِهَا . وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ .

و تعاونوا (على سخطة إمارتى) اى كراهتها ، وعدم الرضا بها (وسأصبر ما لم اخف على جماعتكم) اى جماعة المسلمين ان يتفرق بسبب فسادهم و افسادهم .

(فانّهم ان تمّموا على فيالة هذا الرّاى) اى على ضعفه ، والمراد بهذا الرأى ، رايهم حول الامام عليه السّلام (انقطع نظام المسلمين) مما يوجب التّفرقة ، وهى منهية ، بالاضافة الى ان ذلك دفع لحق ذى الحق ، الذى هو الخلافة الالهية المقررة للامام عليه السلام (وانما طلبوا) هؤلاء طلحة و الزبير وعائشة و اتباعهم (هذه الدنيا حسدا لمن افاءها اللّه) اى ارجعها اللّه (عليه) وهو الامام عليه السّلام ، فانّ الدنيا كانت له ـ حسب الخلافة الرعية ، و سلبها عنه الثلاثة ، ثم رجعت اليه (فأرادوا ردّ الأمور على أدبارها) اى ارجاع امر الاسلام جاهلية تتحكم فيه الكبرياء و الحسد و طمع السلطة مما كانت قبل الاسلام ، و نهى عنها القرآن و الدين .

(ولكم) ايها المسلمون (علينا) يقصد عليه السلام الخليفة (العمل بكتاب اللّه تعالى و سيرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله) و سلّم اى سنته التى هى فعله و قوله و تقريره (والقيام بحقّه) اى حقّ الرسول صلى الله عليه و آله و سلّم وهو الجد لترويج الاسلام ، و تركيز دعائمه (والنّعش) اى الرفع ، من نعشه اذا رفعه (لسنته) اى سنة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ، وقد فعل الامام

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

في وجوب اتباع الحق عند قيام الحجة

كلّم به بعض العرب وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب عليه السلام منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم ، فبين له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنه على الحق ، ثم قال له : بايع ، فقال : إني رسول قوم ، ولا أحدث حدثاً حتى أرجع إليهم . فقال عليه السلام :

كما قال ، فانه فى زمن الرسول كان السبب الثانى لرفع راية الاسلام بجهاده و فتوحاته ، التى لو ها لم يكن من الاسلام اثر و فى زمن الخلفاء كان الرقيب الناظر على تحريفاتهم ، ولما انتهى الأمر اليه حارب المنحرفين داخل الاسلام و اوضح منهاج الاسلام حتّى انّه لو لم يكن ، لكان للاسلام اليوم وجه غير وجهه الواقعى الذى اراده اللّه و الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم .

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

كلّم به بعض العرب — و هو كليب الجرمى — وقد ارسله قوم من اهل البصرة لما قرب عليه السلام ، منها ، ليعلم لهم منه عليه السلام حقيقة حاله مع اصحاب الجمل ، لتزول الشبهة من نفوسهم ، فبين عليه السلام له ، من امره معهم ماعلم به انه على الحق ، ثم قال له بايع ! فقال انى رسول قوم ولا احدث حدثا حتّى ارجع اليهم . فقال عليه السلام :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَإِ وَالْمَاءِ ، فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَ الْمَجَادِبِ ، مَا كُنْتَ صَانِعاً ؟ قَالَ : كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى الْكَلَإِ وَالْمَاءِ . فَقَالَ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ : فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : فَوَاللهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ

(أرأيت) اى اخبرنى (لو ان الذين وراءك بعثوك رائدا) الرائد هو الذى يتقدم القافلة ليرتاد لهم المكان ذا العشب والماء والقابل للسكنى (تبتغى لهم مساقط الغيث) جمع مسقط ، اى محل سقوط الأمطار وهو كناية عن المحل الموجود فيه الماء (فرجعت اليهم واخبرتهم عن الكلاء) اى العشب (و الماء) وانها فى المكان الكذائى (فخالفوا) اولئك القوم معك ولم يذهبوا الى المحل الذى رأيت بل ذهبوا (إلى المعاطش) المحلات الخالية عن الماء الموجبة للعطش ، جمع معطش ، وهو محل العطش (والمجادب) جمع مجدب ، هو محل الجدب ، مقابل الخصب ، الذى لا كلاء فيه (ما كنت صانعا) ؟ هل توافقهم حتى تهلك او تتركهم ؟ .

(قال) كليب (كنت تاركهم ومخالفهم) فاذهب (الى الكلاء والماء) فان الانسان العاقل يطلب حياة نفسه ، ويخالف من يطلب الهلاك (فقال عليه السلام : فامدد إذا يدك) لتبايعنى لأنك عرفت ان الحق معى ، وحال قومك لا يخلو اما من قبول امرى فنعم الوفاق ، واما من رفضى ، فانت قلت انّما تتبع موضع الماء لا موضع الهلاك ، وفى مخالفتى هلكة ، بعد ما تبين الحق لك .

(فقال الرجل فو الله ما استطعت ان امتنع) عن بيعته عليه السلام (عند

قِيَامِ ٱلْحُجَّةِ عَلَيَّ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ ..

وَالرَّجلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ الجَرْمِيّ .

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

لما عزم على لقاء القوم بصفين

ٱللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ، وَٱلْجَوِّ ٱلْمَكْفُوفِ ، الَّـذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ ؛

قيام الحجّة علىّ) بأنه على الحق ، و اعدائه على الباطل (فبايعته عليه السلام) .

(و الرّجل يعرف بكليب الجرمى) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلام

(لمّا عزم على لقاء القوم بصفّين) و هو دعاء ، و دعوة لأصحابه على القتال .

(اللّهمّ ربّ السّقف المرفوع) المراد به السّماء (و الجوّ المكفوف) الّـذى كفّ عن الأرض فلا يسقط عليها ، و المراد عدم سقوط اجرام الجو (الّذى جعلته مغيضا لليل و النهار) الجو منبع الضياء و الظلام و المغيض ، مشتق من غـاض الماء اذا ذهب فى الأرض و اختفى ، فكان النّور و الظلمة ، يتسربان فى الجو ، فى كل ليل و نهار (و مجرى للشّمس و القمر) فانّ الفضاء محل لجريان الشّمس و القمر و سيرهما (و مختلفا) اى محل اختلاف ، و الاختلاف بمعنى التـردد ذهابا و ايابا (للنّجوم السّيارة) التى تسير فى الفلك ، كزحل و المشترى و

وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ ، لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ ؛ وَرَبَّ هٰذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ ، وَمَا لَا يُحْصَىٰ مِمَّا يُرَىٰ وَمِمَّا لَا يُرَىٰ ؛ وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً ، وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً ، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَىٰ عَدُوِّنَا ، فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ وَ سَدِّدْنَا لِلْحَقِّ ؛ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ ،

عطارد (وجعلت سكّانه) اى سكّان الجو (سبطا) اى جماعة ، فان السّبط بمعنى الأمة (من ملائكتك لا يسأمون من عبادتك) سأم بمعنى مل ،فان الملائكة لا تمل من العبادة .

(وربّ هذه الأرض التى جعلتها قرارا للأنام) اى مقرّا لهم ، فانه لو لا الجاذبية لم تستقر الأشياء على الأرض (ومدرجا) اى محل درج وحركة (للهوامّ) جمع هامة وهى الحيوانات الصّغيرة كالفارة والحيّة وما اشبه (والأنعام) جمع نعم ، وهى الابل والبقر والغنم (و) لـ (ما لا يحصى) اى لا يتمكن الانسان من احصائه (ممّا يرى وممّا لا يرى) من الأشياء الموجودة فى الأرض ، او هو عطف على ((هذه)) اى ((رب ما لا يحصى)) .

(وربّ الجبال الرّواسى) جمع راسية ، وهى الثابتة على الأرض (الّتى جعلتها للأرض اوتادا) اى كالوتد الذى يحفظ الألواح بعضها ببعض ، فانّ الجبال تحفظ الأرض عن الاضطراب والتفكك (وللخلق اعتمادا) فان الانسان يعتمد بالجبل لدى الخوف من العدو او السيل او ما اشبه (ان اظهرتنا على عدوّنا) اى جعلت النّصر لنا (فجنّبنا البغى) اى الظّلم ، فان العسكر الظافر غالبا يظلم المغلوبين (وسدّدنا للحقّ) اى لأن نعمل به (وإن اظهرتهم علينا) بأن غلبنا ، وكان النّصر لهم (فارزقنا الشّهادة) اى الموت فى سبيلك

وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ .

الدعوة للقتال

أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ ، وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ ! الْعَارُ وَرَاءَكُمْ وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ !

(واعصمنا) اى احفظنا (من الفتنة) بمعنى الانحراف عن سنن الاسلام ،فانّ الأمة المغلوبة غالبا تتّبع الأمة الغالبة فى آدابها و ملوكها ، بل و دينها .

ثمّ توجّه الامام عليه السّلام ، الى اصحابه يحرضهم على القتال بقوله :

(اين المانع للذّمار) الذمار ما يلزم على الانسان حفظه من اهل و عشيرة وما اشبه ، و هذا استفهام بمعنى التحريض ، فانهم ان انهزموا صارت عشيرتهم و اهلهم مطمعا للأعداء (والغائر) من غار على زوجته او اهله ان يمسهم احد بسوء (عند نزول الحقائق) اى النوازل الثابتة ، فانها حقيقة لا مجاز ، و تطلق على الحرب كما قال على الأكبر عليه السلام : ((الحرب قد بانت لها حقائق)) .

(من اهل الحفاظ) بيان للمانع و الغائر ، اى الذين لهم حفظ لأهلهم و كرامتهم (العار ورائكم) ان تقاعستم حتى هزمتم ، فان عار الهزيمة يبقى على الانسان الى الأبد (و الجنّة امامكم) فان قتلتم كان مصيركم الجنّة ، فلا تشتروا العار ، ولا تبيعوا الجنة ، بالضعف و الانهزام .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً ، وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً .

منها : وَ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَىٰ هٰذَا الْأَمْرِ يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ ؛ فَقُلْتُ : بَلْ أَنْتُمْ وَاللّٰهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ ، وَأَنَا أَخَصُّ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يذكر فيها قصة الشورى ، واصحاب الجمل

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(الحمد للّه الذی لا توارى عنه سماء سماء) ای لا تسبب الأجرام السماویة عدم مشاهدته سبحانه لأجرام اخر ، فانه لا یحجب حاجب شیئا ، کما یحجب عندنا (ولا ارض ارضا) فالأرض الوسط لا تحجب الأرض البعیدة ، فان رویته سبحانه عامة لکل شئ .

(منها) : فی قصّة الشّوری (وقال قائل : انك علی هذا الأمر یابن ابی طالب لحریص) ای امر الخلافة ، و قد کان القائل سعد بن ابی وقاص ، و لقد کان هذا الکلام منه ، لرغبته عنه علیه السلام ، والاّ فعثمان کان اکثر حرصا ، اذ قبل الشّرط ، والامام لم یقبل الشّرط (فقلت بل انتم واللّه لأحرص) منّی (و ابعد) عن هذا الأمر (و انا اخصّ) بهذا الأمر لأنه لی بنص الرسول صلّی اللّه

وَأَقْرَبُ ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ . فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَإِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ !

الاستنصار على قريش

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي .

عليه وآله وسلّم (واقرب) الى الرّسول منكم ، او اقرب الى هذا الأمر (وانّما طلبت حقّا لى) فانّ الخلافة كانت حقّ الامام بنصّ الله والرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم (وانتم تحولون بينى وبينه ، وتضربون وجهى دونه) كناية عن منعهم له عليه السلام من الوصول الى حقّه ، بالألاعيب التى لعبوها عند الشورى، كما هو مشهور فى التواريخ .

(فلمّا قرعته) اى قرعت القائل ، واصل القرع الضرب بالعصى للتأديب (بالحجّة فى الملأ) اى الجماعة (الحاضرين هبّ) اى انتبه او بهت (لا يدرى ما يجيبنى به) لأنه افحم .

ثم توجه الامام الى الله سبحانه ، شاكيا له حاله ، وهضم هؤلاء له ، حسدا وبغيا ، فقال : (اللّهمّ انّى استعينك) اى اطلب عونك ونصرتك (على قريش ومن اعانهم) فى غصب حقّى (فانّهم قطعوا رحمى) فانّ من مصاديق قطع الرّحم الحيلولة بين الانسان وبين حقّه الشّرعى (وصغّروا عظيم منزلتى) فان منزلة الخلافة الموهوبة للامام من الله ، لم يأبهوا بها ، بل جعلوا الامام كأحدهم (واجمعوا على منازعتى امرا) اى المنازعة معى فى امر (هو لى) والمراد

ثُمَّ قَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ .

منها في ذكر اصحاب الجمل

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا ، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا ، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -

---

بذلك الأمر الخلافة (ثم قالوا إلا ان فى الحق ان تاخذه) اى هذا الأمر،فانهم كانوا معترفين بفضل الامام (وفى الحق ان تتركه) قالوا هذا بعد ان اتفقوا على عثمان ، وقالوا ذلك قبل الاتفاق على عثمان ، فقد ارادوا بيعة الامام بشرط ان يقبل العمل بسيرة الشيخين ، لكن الامام لمّا ابى ردوه على عثمان ، وقالوا مقالتهم الثانية ، وفى بعض النسخ ((ناخذه)) بالنون ، فالجملتان فى مفاد واحد ، اى ان الحق اخذنا للخلافة ، وتركك لها ، وعلى اىّ فكلامهم اعظم من علمهم اجراما .

(منها فى ذكر اصحاب الجمل) طلحة والزبير وابناهما محمد وعبد الله .

(فخرجوا) من المدينة (يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله) وسلّم اى عائشة (كما تجرّ الأمة عند شرائها) فان الامة تجر بلا احترام ، وهكذا فعلوا بعائشة (متوجهين بها الى البصرة) وقد ارادوا بذلك قطع سلطة الامام من العراق فاذا انضم الى ذلك قطع سلطته من الشام ، سهل امره ، وتمكن العاصيان من الوثوب على الحكم ، وتنحية الامام الى جانب الانزواء (فحبسا) اى طلحة والزبير (نسائهما فى بيوتهما) احتراما منهما لنسائهما (وابرزا) اى اظهرا فى الملأ (حبيس رسول الله صلّى الله عليه وآله) وسلّم اى عائشة التى كانت محبوسة ، لا يجوز لأحد ان يقتربها احتراما للرّسول ، كما قال سبحانه :

لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا ، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ ، فَقَدِمُوا عَلَىٰ عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً ، وَطَائِفَةً غَدْراً. فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذٰلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا ،

((ولا تنكحوا نسائه من بعده)) و هذا التعبير للدلالة على كثرة احترامها قبل الحركة ، ومع ذلك انهما لم يحترما الرسول فى امرها (لهما و لغيرهما) متعلق بابرزا .

(فى جيش ما منهم رجل الا و قد اعطانى الطاعة) فهم قد خانوا البيعة (و سمح لى بالبيعة) السماح هو الاعطاء عن نية صادقة (طائعا غير مكره) فلم يكن اكراه ، حتى يعتذروا بأن البيعة لم تكن شرعية (فقدموا) اى الجيش (على عاملى بها) اى بالبصرة و هو عثمان بن حنيف (و خزان بيت مال المسلمين) اى الحفظة لبيت المال ، فان بيت المال كان فى محل وكان فى حواله حفظة يحفظونه عن الصراق و من اليهم (وغيرهم من اهلها) اى اهل البصرة (فقتلوا طائفة) منهم (صبرا) هو القتل فى غير ميدان القتال ، بأن يحبس الشخص ثم يجرح فى دفعات حتى يقتل ، وقد يطلق على مطلق من يجرح دفعات لأنه ليس قتلا دفعيا (و طائفة غدرا) بأن اعطوهم الأمان ثم قتلوهم .

(فو الله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلا واحدا متعمدين لقتله) اى قاصدين قتله ، بأن لم يكن خطاءا او شبه خطاء (بلا جرم جرّه) ممّا يستحقّ به القتل (لحل لى قتل ذلك الجيش كلّه اذ حضروه فلم ينكروا) فانهم داخلون فى عموم

وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يد . دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ٱلْعِدَّةِ ٱلَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ !

قوله : ((انما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون فى الأرض فسادا ان يقتلوا)) و قد قال الرسول صلى الله عليه و آله و سلم للامام عليه السلام : ((حربك حربى)) فى حديث مشهور عند الفريقين .

و من المعلوم ان الراضى بفعل احد شريك له ، فالجيش بقتلهم واحدا فى مقابل الامام عليه السلام كانوا محاربين للامام (و لم يدفعوا عنه بلسان و لا يد) مما يخرجهم عن المحاربين للامام ، فان المدافع ليس محاربا (دع ما انهم)((ما)) زائدة لتزيين الكلام (قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التى دخلوا بها) اى بتلك العدة (عليهم) اى ان قتلهم مسلما واحدا يبيح لى قتل جميعهم ، فكيف اذا قتلوا كثيرا بقدر الجيش الذى جائوا لقتلهم ؟ فان ذلك مما يجعل قتل جميعهم اهون فى نظر الشريعة .

وَمِنْ خُطبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَمِينُ وَحْيِهِ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ .
أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهٰذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللهِ فِيهِ . فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ

وَمِنْ خُطبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وفيها ذكر المستحق للخلافة ، وبيان هوان الدنيا

ابتدء عليه السلام بذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : (امين وحيه) فلا يزيد ولا ينقص مما يوحى اليه (وخاتم رسله) فلا رسول بعده (و بشير رحمته) اى انه صلى الله عليه وآله وسلم يبشر برحمة الله لمن آمن واطاع (و نذير نقمته) اى انه صلى الله عليه وآله وسلم ينذر بالنقمة والعذاب لمن كفر او عصى .

(ايها الناس ان احق النّاس بهذا الأمر) اى الخلافة (اقواهم عليه) اى اقوى الناس فى ادارة الشئون الاسلامية (واعلمهم بأمر اللّه فيه) اى ان يكون اعلم الناس بأوامر الله ونواهيه فى باب هذا الأمر الذى هو ادارة شئون المسلمين (فان شغب شاغب) بعد ذلك ، بأن كان الوالى متصفا بما يلزم فيه ، ثم يهج

اسْتُعْتِبَ، فَإِنْ أَبَىٰ قُوتِلَ . وَلَعَمْرِي، لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّىٰ يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، فَمَا إِلَىٰ ذٰلِكَ سَبِيلٌ ، وَلٰكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَىٰ مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ. أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ :رَجُلًا ادَّعَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ . أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا

الفساد احد (استعتب) اى طلب منه الرضا بالحق (فان ابى) من الرضوخ والخضوع (قوتل) حتى يفئ الى امر الله سبحانه ، ثم بين الامام عليه السلام خطل ما كان معاوية يعتذر به من ان الامام عليه السلام لم ينصبه جميع المسلمين و انما نصبه اهل المدينة و من اليهم فقط ، فليست خلافته بالاجماع ، بقوله :

(ولعمرى) اى اقسم بنفسى (لئن كانت الامامة لا تنعقد حتى يحضرها عامّة الناس) اى جميع المسلمين (فما الى ذلك سبيل) اذ كيف يمكن حضور عامة المسلمين ، والادلاء بآرائهم (ولكن) على مبنى كون الامامة بالاجماع — على فرض التسليم ، لا بالنص ، كما هو الواقع — (اهلها) اى اهل الامام ، و هم الذين بيدهم الحلّ والعقد ، من المسلمين المحتفين بالخليفة (يحكمون على من غاب عنها) بمعنى انهم اذا حكموا ثبت حكمهم على الغائبين (ثم) بعد الحكم (ليس للشاهد) الحاضر (ان يرجع) عما اختاره (ولا للغائب ان يختار) غير من اختارته اهل الحل و العقد .

(الا) فلينتبه السامع (و انى اقاتل رجلين) اى احد طائفتين (رجلا ادعى ما ليس له) كمعاوية الذى يدعى الخلافة (و آخر منع الذى عليه) كطلحة والزبير الذين منعا الطاعة التى هى عليهما ، بعد مبايعتهما للامام .

(اوصيكم بتقوى الله) اى الخوف منه فى جميع الأمور (فانها خير ما

تَوَاصَى ٱلْعِبَادُ بِهِ ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ ٱلْأُمُورِ عِنْدَ ٱللهِ وَقَدْ فُتِحَ بَابُ ٱلْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ ، وَلَا يَحْمِلُ هٰذَا ٱلْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ ٱلْبَصَرِ وَٱلصَّبْرِ وَٱلْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ ٱلْحَقِّ ، فَٱمْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّىٰ تَتَبَيَّنُوا ، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً.

تواصى العباد به) اى اوصى بعضهم بعضا ، اذ هو سبب سعادة الدنيا و الآخرة (وخير عواقب الأمور عند الله) اى ان اواخر الأمور ، خيرها التقوى ، لكن ذلك عند الله سبحانه ، اذ خير اواخر الأمور عند النّاس المنصب الرفيع و المال الكثير وما اشبه .

(وقد فتح باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة) اى المسلمين الذين يصلون الى القبلة ، وهم اصحاب الجمل وصفين والنهروان (ولا يحمل هذا العلم) اى علم الحرب مع هؤلاء المنحرفين (الاّ اهل البصر) بالدين حتى لا يغره كونهم اهل قبلة فى ترك قتالهم (والصّبر) بأن يصبر ((بالاضافة على الصبر على الحراب)) على كلام الناس ولومهم .

(والعلم بمواضع الحقّ) حتى يعلم انه يجب جهاد المخالف للحق ، و انكان فى الظاهر لابسا ثوب الحق (فامضوا لما تؤمرون به) من جهاد هؤلاء (وقفوا عند ما تنهون عنه) من الكف عن الحرب وما اشبه ، حينما تقتضى المصلحة ذلك وينهاكم الامام (ولا تعجلوا فى امر) من الاقدام او الأحجام (حتى تتبينوا) اى تحصلوا العلم بصواب ذلك الأمر (فانّ لنا مع كلّ امر تنكرونه) وترون لزوم حربه (غيرا) اى تغييرا ، فلربما اقتضت المصلحة عدم قتاله اوعدم قتله ، كما لم يقتل الامام مروان ومن اليه ممن اثاروا الفتن واستحقوا القتل لمصالح كان هو عليه السلام اعلم بها ، وقوله : ((فان)) لبيان علة لزوم

هوان الدنيا

أَلَا وَإِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا ، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَلَا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ. أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا ؛ وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا . فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا ، وَأَطْمَاعَهَا

اطاعتهم للامام فی کل صغیر او کبیر .

ثم عطف الامام سوق الکلام ، لبیان حقارة الدنیا ، و لزوم الزّهد فیها (الا و انّ هذه الدنیا التی اصبحتم تتمنونها و ترغبون فیها) بان تبقون و تتمتعون بزخارفها و لذائذها (و اصبحت تغضبکم) مرة لعدم حصول حاجاتکم و رغباتکم (و ترضیکم) مرة باعطائکم ما تحتاجون (لیست بدارکم) التی تبقون فیها (و لا منزلکم الذی خلقتم له و لا الذی دعیتم الیه) دعوة بقاء و اقامة (الا و إنّها لیست بباقیة لکم) الی الأبد (و لا تبقون علیها) فان کلا الطرفین یفترق عن الآخر ، و کانّه لو حظ سیر کل واحد فی اتجاه معاکس لاتجاه الآخر کالسائرین الذین یأخذ احدهما الیمین و الآخر الشّمال ، لا مثل الّذی یسیر عن داره الذی یخص السیر به ، دون الدار ، و ذلك لأن الانسان یفنی و الدّنیا تفنی ، و قد أخذ الشّاعر هذا المعنی من الامام علیه السّلام بقوله :

فلا الدّنیا بباقیة لحـی ولا حیّ علی الدّنیا بباق

(و هی) ای الدّنیا (وان غرّتکم منها) ای من نفسها ، باظهارها الزّینة وتحبیّبها نفسها الیکم (فقد حذرتکم شرّها) بارائتکم مصارع الناس و مختلف صنوف البلاء فیها (فدعوا غرورها لتحذیرها) ای لا تغتروا بزخارفها ، لما تشاهدون من اهوالها و مصائبها (و) دعوا (اطماعها) ای الاطماع فیها

لِتَخْوِيفِهَا ، وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَىٰ الدَّارِ الَّتِي دعِيتُمْ إِلَيْهَا ، وَ انْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا ؛ وَلَا يَخِنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِ عَلَىٰ مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا ، وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَ الْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ .أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ .

(لتخويفها) اى تخويف الدنيا لكم عن البلايا (وسابقوا فيها) بالأعمال الصّالحة (الى الدّار الّتى دعيتم اليها) وهى الآخرة (وانصرفوا بقلوبكم عنها) اى اخرجوا قلوبكم عن الدّنيا ، حتّى لا تحبّوها ولا تتعلّقوا بها (ولا يخنن) الخنين ضرب من البكاء يردد به الصّوت فى الأنف (احدكم) لفقد الدّنيا (خنين الأمة) ذكر الأمة لأنّ خنينها اكثر واشدّ توجعا ، حيث اجتمعت فيها انواع المذلة (على ما زوى) اى بعد (عنه) الضمير عائد الى ((احدكم)) (منها) اى من الدّنيا .

(واستتموا نعمة اللّه عليكم) اى اطلبوا تمام النعم ، بان يتفضّل سبحانه بأنعم زائدة (بالصّبر على طاعة اللّه) فانّ من صبر اعطاه سبحانه كلّ خير ووفقه لكلّ سعادة (والمحافظة على ما استحفظكم) اى طلب منكم حفظه (من كتابه) فانّه امر بحفظ احكام الكتاب واقامة حدوده .

(الا وانّه لا يضركم تضييع شئ من دنياكم) بان لم تبالوا بما ضاع منها من مال أو جاه أو ما أشبه (بعد حفظكم قائمة دينكم) اى الأحكام القائمة الّتى يجب العمل بها ، فانّ الضّرر البالغ هو ضرر الآخرة ، لا ضرر الدّنيا ، اذ انها الى نفاد ، فمهما كان الانسان واجدا فيها ، ياتى يوم ينفك عن ما يوجد لديه .

أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ . أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في معنى طلحة بن عبيد الله

وقد قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة لقتاله

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا

(الا و انه لا ينفعكم ـ بعد تضييع دينكم ـ شئ حافظتم عليه من امر دنياكم) فما فائدة ما يزول ؟

(اخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم الى الحق) دعاء في صورة خبر ، اى اللّهمّ وجّه قلوبنا جميعا الى الحق ، لكى نطبق اعمالنا عليه (و الهمنا و اياكم الصّبر) بان يقوى فينا عزيمة الصبر لكى نصبر على ترك الدنيا ، و على صعوبة العمل للآخرة لنكون من الفائزين .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

(فى معنى طلحة بن عبيد اللّه) اى مقصده من اثارة حرب الجمل ، و قد قاله عليه السلام حين بلغه انّ طلحة و الزبير خرجا الى البصرة ، و هدد الامام بالقتال .

(قد كنت وما اهدّد بالحرب) لما يعلمه النّاس من شجاعتى و قوتى (و لا

أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ ، وَأَنَا عَلَىٰ مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ . وَاللهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ ، لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ

ارهب بالضرب) اذ علم النّاس عدم خوفى من الضّرب (وانا على ما قد وعدنى ربّى من النّصر) فكما وعدنى سابقا ، كذلك وعدنى حالا ، يعنى انّ الشجاعة الجسمية والنفسية ، والنّصرة المعنويّة كلتاهما معى ، ومثلى لا يخاف من القتال حتّى يهدّد به .

(والله ما استعجل) طلحة (متجرّدا للطّلب بدم عثمان) كانه سيف تجرد عن غمده ، وذلك لأنه اظهر ما فى قلبه ، كما يظهر الغمد ما فى جوفه من السّيف .

(الا خوفا من ان يطالب بدمه) اى يطلبه النّاس بدم عثمان ، وانّه لم قتله ؟ (لأنّه) اى طلحة (مظنته) اى محل ظن بان يطالب (ولم يكن فى القوم) الذين قتلوا عثمان (احرص عليه) اى على دم عثمان واراقته (منه) اى من طلحة فانه جمع الناس فى داره يحرضهم على قتل عثمان ، ثم لما قتل منع من دفنه ثلاثة ايام ، ثم امر برمى الحاملين لجنازته بالحجارة ، حتّى هموا بطرح الجنازة ، فرارا من اصابتهم بالحجارة ، وجادل فى دفنه بمقابر المسلمين ، بل كان يقول انه يلزم ان يدفن بمقابر اليهود ، واخيرا دفنوا بحش كوكب ، وكان محلاً للقاذورات ومحلاً للتّخلّى ، وبعد ذلك كلّه ، لما رأى عدم اصابته بغيته من الخلافة والامارة جاء يطالب الامام بدم عثمان ، واخيرا خسر دنياه ، ولعقبى الآخرة عذاب النّار .

(فاراد ان يغالط) اى يوقع الناس فى الغلط ، حتّى يظنّوا انه برئ من

بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْبِسَ ٱلْأَمْرُ وَيَقَعَ الشَّكُّ . وَوَٱللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : لَئِنْ كَانَ ٱبْنُ عَفَّانَ ظَالِماً ـ كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ـ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ ، أَوْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ . وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ ، وَٱلْمُعَذِّرِينَ فِيهِ .

دم عثمان (بما اجلب فيه) اى بسبب جلبه للجيوش و العساكر لمحاربة الامام ((فيه)) اى فى الأمر (ليلبس الأمر) على النّاس ، فيشكّوا فى انه من القتلة (ويقع الشّك) فى جرمه .

(و واللّه ما صنع) طلحة (فى امر عثمان واحدة من ثلاث) كان من اللازم ان يصنع واحدة منها ، اى لم يصنع احد الأشياء الثلاثة ، و ذلك لأنه اما كان عالما بان عثمان ظالم ، و اما كان عالما بان عثمان مظلوم ، و اما كان شاكا فى امر عثمان ، فان كان الأول ، كان اللازم ان يحاربه ، و ان كان الثانى كان اللازم ان ينصره ، و انكان الثالث كان اللازم ان يتجنب المعركة الدّائرة بين عثمان و بين الثّوار ، و لكنّه لم يفعل اى واحد من الثلاثة ، مما يدل على انه كان كاذبا فى اقواله مراوغا لا يبتغى من وراء حركاته الا الرئاسة و طلب الجاه .

(لئن كان ابن عفان ظالما ـ كما كان يزعم ـ) ابان الثورة (لقد كان ينبغى له ان يوازر) اى يساعد (قاتليه) اى الثوار (او ينابذ ناصريه) اى يعادى و يعارض من ينصر عثمان .

(و لئن كان مظلوما) كما يدعى الآن و يطالب بدم عثمان (لقد كان ينبغى له ان يكون من المنهنهين) اى الناهين (عنه) يقال نهنه عن الأمر اى زجر و منع (و المعذرين فيه) اى الذين يعذرون عثمان و يبررون اعالم ليخمدوا الثورة عليه .

وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً ، وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ . وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ .

(ولئن كان فى شك من الخصلتين) فلا علم اظالم هو او مظلوم ؟ (لقد كان ينبغى له ان يعتزله و يركد جانبا) اى يسكن فى جانب ، لا له ، ولا عليه ، (و يدع الناس معه) لا ان يحرضهم عليه (فما فعل) طلحة ، اى لم يفعل (واحدة من) الخصال (الثلاث) بل حرض على قتله و لم يشارك ، ثم جاء يطلب بدمه (و جاء بامر لم يعرف بابه) و هو التحريض ، والاجتناب عن المداخلة مباشرة ، او المراد ، نكثه للبيعه (و لم تسلم معاذيره) اى كانت اعذاره واهية ، غير سالمة عن الخطل و الخلل .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَيُّهَا ٱلْغَافِلُونَ غَيْرُ ٱلْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ ٱلْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ. مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ ٱللهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَىٰ غَيْرِهِ رَاغِبِينَ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَىٰ مَرْعًى وَبِيٍّ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ، إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ

وَمِنْ خُطبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فی الوعظ و الارشاد

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(ایّها الغافلون غیر المغفول عنهم) فان اللّه سبحانه یعلم جمیع حرکات الانسان و سکناته ، (و التارکون) الّذی یجب علیهم (المأخوذ منهم) الدنیا و ما فیها ، فلا یبقی لهم ـ بعد الأخذ ـ مجال للعمل و تدارك ما فات (ما لی اراکم عن اللّه ذاهبین) ای مخالفین لأوامره (و الی غیره راغبین) فان رغبة الناس الی الدنیا و ملذاتها (کأنکم نعم) هی الابل و البقر و الغنم ، و الجمع ((انعام)) (اراح بها) ای ذهب بها (سائم) ای راع (الی مرعی) ای محل الرعی ، الذی نبت فیه المعشب (و بی) الرّدی الّذی یجلب الوباء و المرض (و مشرب) ای محل شرب فیه الماء (دوی) ای وبیل مفسد للصحة ، و وجه الشبه ان الشیطان سبب اقتراف الناس للآثام مما یجلب الاخطار و العقاب (انّما هی) ای تلك النعم (کالمعلوفة) ای البهیمة التی تأکل العلف

لِلْمُدَىٰ لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا ! إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا ، وَ شِبَعَهَا أَمْرَهَا . وَاللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ ، وَلٰكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ

(للمدى) جمع مدية ، وهى : السكين ، اى ان مصيركم الى الموت كما ان مصير الحيوان الى الذّبح (لا تعرف) تلك البهيمة (ماذا يراد بهـا) اى الذبح ، وكذلك انتم لا تعرفون مصيركم وعاقبة امركم .

(اذا احسن اليها) بتهيئة العلف والماء ووسائل راحتها (تحسب يومها دهرها) بلاتفكر فى العواقب ،فانها متى شبعت ظنت ان لاشئ بعد ذلك ، وكذلك الناس الغافلون يهمهم امر يومهم ، اما المستقبل فلا يفكر فيه (و) تحسب (شبعها امرها) اى انّ الأمر المهم فقط ، هو ان تشبع .

(والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه و مولجه) اى من اين يخرج ، وفى اىّ مكان يدخل (وجميع شأنه) فى اموره (لفعلت) فانّكم كتلك البهائم ، وهذا الكلام منه عليه السّلام لبيان انه انما يشبههم بالأنعام بعدعرفانه حقائقهم ، لا انه رمى للقول على عواهنه (ولكن اخاف) ان لو اخبرتكم بالمغيبات (ان تكفروا فى برسول اللّه صلّى الله عليه وآله) وسلّم فتجعلونى افضل منه ، كما كفر النّصارى ، فى عيسى ، باللّه سبحانه ، حيث جعلوه الها، لما اخبرهم بما ياكلون وما يدخرون فى بيوتهم .

(الا وانّى مفضيه) اى موصل الاخبار المغيبة (الى الخاصة) وهم خاصة الرجل الذين لهم من العلم والمعرفة قدر كاف (ممن يؤمن ذلك) الانحراف

مِنْهُ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَآلِ هٰذَا الْأَمْرِ. وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي، وَاللهِ، مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

(منه) فلا يفضل الامام على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اذا سمع منه اخبارا مغيبة (والذى بعثه) اى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (بالحق واصطفاه على الخلق) بان فضله عليهم (ما انطق الا صادقا) فى كل ما اخبر من الأمور المستقبلة (وقد عهد) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (الىّ بذلك الذى اخبركم (كله) فالفضل فى ذلك للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يظن ظان انى افضل منه (وبمهلك من يهلك) فى الفتن والاضطرابات والمراد اما الهلاك بمعنى الموت او بمعنى الضلال (ومنجى من ينجو) ((منجى)) مصدر ميمى اى نجاته (ومآل هذا الأمر) اى الى من يكون امر الخلافة .

(وما ابقى) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (شيئا يمر على رأسى) اى يجول فى خاطرى ، من الأسئلة والمجهولات (الا افرغه فى اذنى) اى قال جوابه وحله لى (وافضى به) اى بذلك الشئ ، والافضاء الايصال (الىّ) اما على نحو الكلية او على نحو الجزئية .

(ايها النّاس انّى واللّه ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها) لا كسائر الزعماء الذين يقولون ما لا يفعلون ويامرون بما يخالفونه فى خاصة انفسهم (ولا انهاكم عن معصية الآ واتناهى قبلكم عنها) اى عن تلك المعصية ، وبيان هذا

وَمِنْ خُطبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اَنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللهِ ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللهِ ، وَاَقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ اَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا ، لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ ، وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ ، فَإِنَّ

المطلب مما يزيد الناس تقربا الى الخير ، وابتعادا عن الشر ، اذ النّاس على دين ملوكهم ، وعادة امرائهم ، وليس الكلام تبجحا بل ارشادا .

وَمِنْ خُطبَة لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وفيها الوعظ والارشاد ، وبيان فضل القرآن

(انتفعوا ببيان الله) الذى بينه فى القرآن الحكيم (واتّعظوا بمواعظ الله) فى الاتيان بالأوامر والانتهاء عن النواهى (واقبلوا نصيحة الله) فى ترك الدّنيا ، والاقبال على الآخرة .

(فانّ الله قد اعذر اليكم بـ) الاعذار (الجلية) الواضحة (واتخذ عليكم الحجّة) بما بين لكم على لسان انبيائه ، حتى ان من خالف لا عذر له (و بين لكم محابّه) اى ما يحبه (من الأعمال) الصالحة (ومكارهه منها) اى من الأعمال (لتتبعوا هذه) اى المحاب (وتجتنبوا هذه) اى المكاره (فإنّ

رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَانَ يَقُولُ : «إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ» .

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ . فَرَحِمَ اللهُ رَجُلًا نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هٰذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً ، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى .

رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم (كان يقول : ((ان الجنة حفّت بالمكاره))) فان الطاعة ثقيلة على النفس ، ومكروهة لديها ، و هى طريق الجنة فكان الجنّة محفوفة بها (و ان النار حفت بالشهوات) فان ترك الانسان للواجب مشتهى للنفس كما ان فعله للمحرمات كذلك ، و هى سبيل النار ، فكانها حفّت و احيطت بالشهوات .

(و اعلموا انّه ما من طاعة الله شئ الا ياتى فى كره) لأنها مخالفة لهوى النفس ، مثلا الانسان يريد عدم القيام للصلاة ، وعدم الامساك للصيام ، وعدم تجشم الالقاب للحج ، و هكذا .

(وما من معصية الله شئ الا ياتى فى شهوة) فالخمر و القمار و الزنا وما اشبه تشتهيها النفس البهيمية الامارة بالسوء ، ولا يخفى ان الحصر اضافى لاحقيقى ، و الا فالاجتماع بالليلة طاعة تؤتى بشهوة ، و اكل القاذورات معصية يؤتى باكراه .

(فرحم اللّه رجلا نزع عن شهوته) اى انتهى و اقلع (و قمع هوى نفسه) اى قلع هواها واشتهاءها للمحرمات (فان هذه النفس ابعد شئ منزعا) اى انتزاعا من المحرمات و المعاصى ، اذ النفس ميّالة الى الشهوات دائما فنزعها عنها فى كمال الصعوبة (و انها لا تزال تنزع) اى تميل (الى معصية فى هوى)

وَاعْلَمُوا ـ عِبَادَ اللهِ ـ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ ، فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا . فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ ، وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ . قَوِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ ، وَاطْوُوهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ

النفس وميولها ، و ((فى)) متعلق بـ ((تزال)) .

(واعلموا) يا (عباد الله ان المؤمن) الكامل (لا يصبح ولا يمسى الا ونفسه ظنون) اى ضعيف قليل الحيلة (عنده) لا تتمكن نفسه من السيطرة عليه بسوقه نحو الشهوات ، بل هو يسيطر على نفسه ليسوقها نحو الخيرات (فلا يزال) المؤمن (زاريا) اى عائبا (عليها) اى على نفسه ، ينظر اليها بنظر الازدراء والاهانة (ومستزيدا لها) اى طالبا منها ان تزاد فى الطاعة ، لأن المؤمن يرى عمله قليلا مهما كان كثيرا (فكونوا) انتم (كالسابقين قبلكم) من اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين كانوا يعملون ليل نهار فى طاعة الله سبحانه .

(والماضين امامكم) ممن باعوا لله سبحانه دنياهم ليحرزوا آخرتهم (قوّضوا) اى اولئك السابقون ، والتقويض نزع اعمدة الخيمة واطنابها للرحيل ، والمراد منه هنا ارتحالهم عن الدنيا (من الدنيا تقويض الراحل) فلا يهتموا بالدنيا ولم يتّخذوها مسكنا ، كما لا يتخذ المسافر البيداء والمنازل فى الوسط محلا ومسكنا (واطووها طيّ المنازل) كما يطوى الراحل المنازل فى الطريق ليصل الى مقصده .

ثم شرع عليه السلام فى بيان فضل القرآن بقوله : (واعلموا ان هذا القرآن

هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ . وَمَا جَالَسَ هٰذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ : زِيَادَةٍ فِي هُدًى ، أَوْ نُقْصَانٍ فِي عَمًى . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى ؛ فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ ، فَإِنَّ فِيهِ

هو الناصح الذى لا يغش) فاذا قال : ((لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء)) مثلا : لم يكن ذلك غشا منه ، بل كان فى الاتخاذ ضررا ارشد اليه . وهكذا سائر احكامه وارشاداته (والهادى) الى سبيل الخير (الذى لا يضل) من اهتدى به (والمحدّث الذى لا يكذب) فاذا اخبر عن الأمم السابقة لم يكن كلامه كذبا (وما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان) المراد بمجالسة القرآن تذكره وفهمه (زيادة فى هدى) ان قرء ما يدل على الاتيان بالأعمال الصالحة (او نقصان فى عمى) ان قرء ما يدل على الترك للأعمال القبيحة ــ و ((او)) على سبيل منع الخلو .

(واعلموا انّه ليس على احد بعد القرآن من فاقة) اى فقر وحاجة الى هاد غيره فانه يرشد الى الأصول والفروع ، والأحكام والأخلاق ، والمراد بيان الخطوط العريضة لتلك الأمور (ولا لأحد قبل القرآن) اى قبل تعلمه (من غنى) فانّ الأديان السابقة التى حرفت والعقول ، لا تبين الأمور المذكورة بما يسبب سعادة الانسان كاملة غير منقوصة (فاستشفوه) اى اطلبوا من القرآن الشفاء (من ادوائكم) اى امراضكم الاجتماعية والفردية ، الاخلاقية والعاطفية وما اليها ، فان انحرافات الفرد او المجتمع ، امراض ، كما ان الاسقام امراض .

(واستعينوا به) اى بالقرآن (على لاوائكم) اى شدائدكم (فان فيه)

شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ : وَهُوَ ٱلْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ، وَٱلْغَيُّ وَالضَّلَالُ، فَاسْأَلُوا ٱللهَ بِهِ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ ٱلْعِبَادُ إِلَىٰ ٱللهِ تَعَالَىٰ بِمِثْلِهِ . وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ ٱلْقُرْآنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ ٱلْقُرْآنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ ،

اى فى القرآن (شفاء من اكبر الدّاء) اى اكبر اقسام امراض النفس (وهو الكفر والنفاق والغىّ) وهو الانحراف فى العقيدة وان لم يصل الى رتبة الكفر و النفاق (والضّلال) وهو يشمل ما لا يشمله الغى ، كالضّلال فى الأحكام ، او تأكيد .

(فاسألوا الله به) حوائجكم اى بسبب القرآن بان يجعل وسيلة لانجاح مطالبكم لديه سبحانه (وتوجّهوا اليه) تعالى (بحبّه) اى بحبكم للقرآن ، فان الانسان اذا احب القرآن ، اقبل الله عليه بلطفه وعطفه (ولا تسألوا به) اى بالقرآن (خلقه) كالذين يجعلون القرآن وسيلة للكسب والمعيشة (انّه ماتوجّه العباد الى الله بمثله) اى بمثل القرآن ، هذا علة ، لقوله : ((فاسئلوا)) لا لقوله : ((ولا تسئلوا)) .

(واعلموا انّه) اى القرآن (شافع) للانسان (مشفع) يقبل الله شفاعته (وقائل) يحكى الأخبار ، ويبين الأحكام (مصدّق) يصدقه الناس فى قوله ، لأنه لا يحكى الا الصدق والحق .

(وانّه من شفع له القرآن يوم القيامة شفّع فيه) فقد ورد فى الأحاديث ان القرآن يأتى يوم القيامة فى صورة جميلة فيشفع للعاملين به .

(ومن محل به القرآن يوم القيامة) يقال محل زيد بفلان اذا كاده بنقل سيّئاته عند السلطان (صدق عليه) ومن المعلوم ان ذلك موجب للعقاب و

فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ ، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ» . فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ ، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ .

الْعَمَلَ الْعَمَلَ ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ ، وَالِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ ،

النكال (فانّه ينادى منـاد يوم القيامة : الا ان كل حارث) اى عامل عمـلا . تشبيها بالحارث الذى يحرث الزرع ، ويأخذ الثمر (مبتلى فى حرثه وعاقبـة عمله) والمراد حرثة امور الدنيا والسيئات ، كما لا يخفى . (غير حرثـة القرآن) جمع حارث ، والمراد بهم العالمون به ، فانهم رابحون غير مبتلين .

(فكونوا) ايها الناس (من حرثته واتباعه) باتباء اوامره والانتهاء عن نواهيه (واستدلوه على ربكم) اى اطلبوا منه ان يدلكم على اللّه ، والمـراد التدبر والامعان فى آياته حتى يكون كاشفا عن صفاته سبحانه ، وتستفيدوا منه المعارف (واستنصحوه) اى اطلبوا نصحه وارشاده (على انفسكم) لترشدوا به (واتّهموا عليه آراءكم) فاذا خالفت آرائكم مع القرآن ، فاتهموا آرائكم بأنها خطأ ، وان الصحيح هو القرآن (واستغشوا فيه اهواءكم) اى قولوا ان فـى اهوائنا المخالفة للقرآن غش وخداع ، فاتركوها ، وخذوا بالقرآن .

ثم اخذ الامام فى حثّ النّاس على العمل بقوله : اعملوا (العمل العمـل) ادئبوا عليه ليلا ونهارا (ثم) لاحظوا (النّهاية النّهاية) فربّ عامل لا يصل الى النهاية الحسنة ، لأنه يترك العمل فى منتصف الطريق (و) راقبـوا (الاستقامة الاستقامة) فى الأعمال ، فان الأعمال المنحرفة لا تنفع ولا تعطى الثمن الحسن (ثم) واظبوا (الصّبر الصّبر) فانّ العمل المستمر المستقيـم

وَٱلْوَرَعَ ٱلْوَرَعَ! «إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَٱنْتَهُوا إِلَىٰ نِهَايَتِكُمْ»، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَٱهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَٱنْتَهُوا إِلَىٰ غَايَتِهِ. وَٱخْرُجُوا إِلَىٰ ٱللهِ بِمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَبَيِّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ. أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ، وَحَجِيجٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

أَلَا وَإِنَّ ٱلْقَدَرَ ٱلسَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَٱلْقَضَاءَ ٱلْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ؛

يحتاج الى اكبر قدر من الصبر (و) لازموا ـ فى اعمالكم ـ (الورع الورع) بأن اجتنبوا المحرمات ، فان العمل المستمر المستقيم ، لا ينفع اذا لم يتورع الانسان عن المحرمات ، قال سبحانه : ((انّما يتقبّل اللّه من المتّقين)) .

(انّ لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم) اى انتهوا نهاية حسنة ، والا فكل احد ينتهى الى نهايته (وانّ لكم علما) يدلكم على طريق الحق وهو الرسول ، او الامام ، او القرآن او المجموع ـ (فاهتدوا بعلمكم) لئلا تضلّوا فتشقوا .

(وانّ للاسلام غاية فانتهوا الى غايته) غاية الاسلام ايصال العاملين به الى خير الدنيا ، وسعادة الآخرة ، والمراد من الانتهاء الى غايته العمل المؤدى الى تلك الغاية (واخرجوا الى اللّه بما افترض عليكم من حقّه) يقال خرج الى فلان من حقه ! بمعنى اداه ، وحق الله هو الواجبات والمحرمات بأن يعمل الانسان حسب احكامه (وبين لكم من وظائفه) الوظيفة ، الخصلة التى امر الانسان بها او نهى عنها (انا شاهد لكم) بما علمتم (وحجيج يوم القيامة عنكم) اى اقوم بالحجة عن قبلكم اذا احسنتم فى الدنيا ، كالمحامى الذى يدافع عن موكّله .

(الا وان القدر السابق قد وقع) اى الذى قدره الله سبحانه من انتهاء الخلافة الىّ (والقضاء الماضى) فى علم الله سبحانه (قد تورّد) اى ورد شيئا فشيئا ، والقدر بمعنى التقدير للأشياء ، كالمهندس الذى يقدر ويخطط للبناء

وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللهِ وَحُجَّتِهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا ، وَلَا

والقضاء ، بمعنى الحكم على اجراء شئ ، كالحاكم الذى يقضى فى الأمور ، و كالمهندس اذا حكم بلزوم البناء على كيفية تقديره و تخطيطه ، والله سبحانه قدّر العالم ، وحكم بجرى الأمور على طبق ذلك التقدير ، لكنه اراد ان يكون ذلك بارادة الناس ـ فيما للارادة فيه مدخل ـ فالمعنى من القدر و القضاء ، علمه سبحانه بما يكون و تهيئة الأسباب فقط ، اما التنفيذ فانه يقع بارادة الناس .كما انك لوعلمت ان زيدا ينفق و هيئت له المال للانفاق ، فان انفاقه بقدرك وقضائك ولكن الانفاق صدر منه ، لا منك .

(وانّى متكلّم بعدة الله) اى بما وعده (وحجته) اى بما احتج ، و المعنى : انه لما وقع امر الخلافة بيدى ـ بقضائه و قدره ـ فانى ابين مواعيد الله سبحانه ، و ابين حججه تعالى فى الأمور الأصولية و الفرعية ، ثم بين الامام عليه السلام وعدا من وعوده سبحانه فى القرآن الحكيم ، و هو ان المستقيم له الجنة (قال الله تعالى : ((ان الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا))) فى اعمالهم ، بان عملوا بمقتضى العبودية ، و متطلبات الربوبية (تتنزل عليهم الملائكة) اى يستمر نزول الملائكة عليهم ، اما فى الدنيا ، وانهم يرونهم ـ كالزهاد و الأخيار ـ اولا يرونهم ، وانما يثبتونهم ، بالقاء الثبات فى قلوبهم كما قال سبحانه : ((اذ يوحى ربك الى الملائكة ان ثبتوا الذين آمنوا)) و هذا شئ حسّى فان ضمير الانسان المتدين يلقى اليه بالثبات و الاستقامة ، فمن ابين هذا الالقاء ؟ انه من الملائكة ، كما ورد فى الأحاديث .. واما ان ذلك عند الموت ، وحين مشاهدة الآخرة .

و تقول الملائكة لهم : (الاّ تخافوا) من الاهوال ، فان الله معكم (و لا

تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » ، وَقَدْ قُلْتُمْ : «رَبُّنَا اللهُ» ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَىٰ كِتَابِهِ ، وَعَلَىٰ مِنْهَاجِ أَمْرِهِ ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا ، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا ، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا. فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا ، وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً ،

تحزنوا) على الشدائد ، فانها توجب ارتفاع درجتكم (وأبشروا بالجنّة التى كنتم توعدون) بها ، ولا يخفى ان لفظة ((كنتم)) تؤيد الاحتمال الثانى وهو ان نزول الملائكة حالة الموت (وقد قلتم) ايها الناس (ربّنا اللّه) بما آمنتم بالله و الرسول (فاستقيموا على كتابه) ولا تخالفوا القرآن (وعلى منهاج امره) الذى جاء به القرآن و الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (وعلى الطّريقة الصّالحة من عبادته) سبحانه .

(ثم لا تمرقوا) اى لا تخرجوا (منها) اى من الاستقامة ، اومن العبادة (ولا تبتدعوا فيها) بالزيادة و النقصان (ولا تخالفوا عنها) بالانحراف الى صوب آخر ، وجادة اخرى .

(فان اهل المروق) اى الذين خرجوا عن الدين ـ بالأعمال السيئة ـ بعد ورودهم فيه (منقطع بهم ، عند الله ، يوم القيامة) اى انهم لا حجة لهم ، فينقطع عذرهم ، ولا يتمكنون ان يأتوا بما يسبب خلاصهم و نجاتهم كالذى ينقطع به الطريق ، فلا ينجو بالوصول الى محل الأمن و السلامة .

(ثم اياكم و تهزيع الاخلاق) تهزيع الشئ تكسيره (و تصريفها) اى تقليبها ، كان تكسروا الصدق ، بأن تقولوا الكذب ، او تكسروا الشجاعة ، بالاتصاف بالجبن ، او تصرفوا وجه العدل بارتكاب الظلم ، و هكذا (واجعلوا اللسان واحدا) فلا يكن احدكم ذا لسانين يطرى اخاه شاهدا و يغتابه غائبا .

وَلْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ ، فَإِنَّ هٰذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ . وَاللهِ مَا أَرَىٰ عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَىٰ تَنْفَعُهُ حَتَّىٰ يَخْتْزُنَ لِسَانَهُ . وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ : لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ . وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَىٰ عَلَىٰ لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ ، وَمَاذَا عَلَيْهِ .

(ولیخزن الرّجل لسانه) ای یحفظه (فان هذا اللسان جموح بصاحبه) یقال فرس جموح ، اذا کان لا یهدء فی السیر ، بل یضطرب ، حتی یخشی علی راکبه من التردی و السقوط ، وهکذا اللسان ، فان الانسان اذا اطلقه ، خشی من تردی صاحبه فی مهالك الدنیا و الآخرة ، فانه یأتی من اللسان ، الظلم ، والکذب ، والسب ، والاستهزاء ، والنمیمة والغش ، والتهمة ، والغیبة ، ومدح من لا یستحق المدح ، وذم من لا یستحق الذم ، و الأمر اللغو ، الی غیرها من آفات اللسان .

(واللّه ما اری عبدا یتّقی تقوی تنفعه) تلك التقوی (حتّی یختزن لسانه) أی یحفظه من الموبقات والآثام (وانّ لسان المؤمن من وراء قلبه) فانّ قلبه یفکر ، ثمّ یتکلم (وانّ قلب المنافق من وراء لسانه) یتکلم بکلام اعتباطا ، ثم یفکر فیما قال هل هو صحیح ام لا ؟ اذ المنافق لا یحجزه الورع عن ارسال الکلام کیفما کان .

ثم بین الامام علیه السلام ذلك بقوله : (لأنّ المؤمن اذا اراد ان یتکلم بکلام تدبره فی نفسه) حتی لا یکون کلامه محرما یوجب عقابه ، او هدرا ینقص ثوابه (فان کان خیرا ابداه) واظهره ، بأن تکلم به (وان کان شرّا واراه) ای اخفاه بمعنی انه لا یظهره (وانّ المنافق یتکلّم بما اتی علی لسانه لا یدری ما ذاله) ای یوجب خیره (وما ذا علیه) ای یوجب سوق شر الیه ، لأنه لا یؤمن باللّه ، حتی

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ : «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ . وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ». فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَ أَمْوَالِهِمْ ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ ، فَلْيَفْعَلْ

يعتقد بأن لكلامه ثوابا اوعقابا (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله) فى باب لزوم حفظ اللسان (لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه) اذ منبع الايمان القلب ، والأعضاء انما هى ادلة عليه غالبا ، فاذا كان الانسان منحرف القلب لم ينفعه التحفظ الظاهرى لجوارحه واعضائه .

(ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه) اما المراد ان استقامة اللسان دليل استقامة القلب ، لأنه ما نوى احد شيئا الا ظهر فى فلتات لسانه ، واما المراد ان بحفظ اللسان يستقيم القلب ، اذ اللسان ان كف عن الكذب والغيبة و النميمة والسب وما اشبه ، تولد فى الانسان ملكة حسنة توجب استقامة قلبه ـ كما هو محسوس لمن تدبر ـ .

(فمن استطاع منكم ان يلقى الله تعالى وهو نقى الرّاحة) لقاء الله كناية عن الموت ، ونقاء الراحة كناية عن عدم التلوث ، والراحة بمعنى الكف (من دماء المسلمين) بعدم اراقتها (واموالهم) بعدم النيل منها (سليم اللّسان من اعراضهم) بأن لم يثلبهم بلسان سوء (فليفعل) والشرط للتأكيد فى الأمر ، و الالماع الى صعوبة ذلك ، مما يحتاج الى عزم قوى ، وارادة اكيدة .

ثم عطف الامام نحو لزوم اتقاء البدع ، حيث قد خطب الامام بهذه الخطبة فى اوائل خلافته ، وقد اعتاد الناس بدع عثمان ، والمتقدمين عليه ، الذين زادوا فى الدين ونقصوا حسب شهواتهم .

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ ؛ وَأَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، وَلٰكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ اللهُ ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللهُ . فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا ، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَضُرِبَتِ الْأَمْثَالُ لَكُمْ ، وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ ؛

(واعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام) اى فى هذا العام (ما استحلّ عاما اوّل) اى فى السنة السابقة (ويحرّم العام ما حرّم عاما اوّل) فلا يبدع ، بل ما احله وحرمه ، بمقتضى ايمانه وارشاد الدين له ، فى السابق يبقى عليه الى الآخر ، فاذا احل المتعة حسب ما ارشده الدين يبقى على حليته الى الآخر ، واذا حرم صلاة النافلة فى جماعة حسب امر الاسلام يبقى على تحريمه الى الآخر ، لا ان يحرم المتعة بعد حليتها ، ويحل صلاة التراويح بعد تحريمها .

(وانّ ما احدث الناس) من الأمور المخالفة للشرع ، (لا يحلّ لكم شيئا مما حرّم عليكم) فى الشّريعة ، فانّ البدع لا تغير احكام الله تعالى .

(ولكنّ الحلال ما احل الله) سبحانه (والحرام ما حرّم اللّه) تعالى سواء بقوا الناس على ذلك ام انحرفوا .

(فقد جرّبتم الأمور) فرأيتم الحق من الباطل (وضرّستموها) اصل ذلك ان يعض الانسان على الشئ ليعلم انه قوى او ركيك ، وهذا كناية عن التجربة ، وقد المع الامام عليه السلام بذلك الى صنائع الخلفاء ضد الاسلام ودساتير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن ، فلا ينساقوا الى حيث الهلكة باتباع البدع وترك السنن (ووعظتم بمن كان قبلكم) من الذين اهلكوا حيث خالفوا اوامر اللّه (وضربت الأمثال لكم) المثل هو الشئ المؤثر فى النفس ، الذى يتخذ منهاجا ، ليحتذى على مثاله (ودعيتم الى الأمر الواضح) ، وهو الكتاب

فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَصَمُّ ، وَلَا يَعْمَىٰ عَنْ ذٰلِكَ إِلَّا أَعْمَىٰ. وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللّٰهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ ، حَتَّىٰ يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ . وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ : مُتَّبِعٌ شِرْعَةً ، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ

والسنة ، فانهما لا لبس فيهما ولا غموض .

(فلا يصمّ عن ذلك الاّ اصمّ) فان الصوت لا نقص فيه ، فاذا لم يسمعه احد ـ وذلك كناية عن عدم العمل ـ فانه اصم فيه النقص (و لا يعمى عن ذلك الاّ اعمى) فان الشئ ظاهر يراه كل احد،فاذا لم يره احد كان لكونه اعمى لا يبصر الحق (ومن لم ينفعه اللّه بالبلاء) اى الابتلاء بمعنى الاختبار (والتّجارب) التى تمر به ، فيرى نتائج الأعمال للسابقين ، من عمل منهم حسنا ، ومن عمل منهم سيئا (لم ينتفع بشئ من العظة) مصدر وعظ ، نحو عدة مصدر ((وعد)) اذا الوعظ كلام ، والتجارب امور خارجة ، وتلك اقوى من الكلام فى الالفات والارشاد (واتاه التّقصير من امامه) كان التقصير عدو مجاهر ، يأتى من امام الانسان لمحاربته ، وذلك بخلاف الانسان غير المجرب فانه اذا اتاه التقصير ، فكأنه اتاه العدو على حين غفلة وغره ، اذ لم يعرف الأمور ولم ير التجارب،حتى يكون مقصرا اذا وقع فى الهلكة .

(حتّى يعرف ما انكر) اى جعله فى السابق منكرا (وينكر ما عرف) اى ما كان جعله فى السابق معروفا ، او المراد انه لا ينتفع بالوعظ حتى يعرف ما انكره ، بأن يتبين لديه اشتباهه ، وان ما ظنه منكرا ، يعرفه معروفا و بالعكس (وانّما النّاس رجلان :) أحدهما (متّبع شرعة) أى شرعية الحق (و) الثانى (مبتدع بدعة) على خلاف الشرع (ليس معه) اى مع المبتدع (من اللّه سبحانه

بُرْهَانُ سُنَّةٍ ، وَلَا ضِيـاءُ حُجَّةٍ .

وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ « حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ » ، وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ ،

برهان سنّة) اى دليل على ان ما يعمله سنة سنها الله سبحانه (ولا ضيـاء حجة) فان للحجّة ضياءا يوجب كشف الحقيقة ، وتميزها عن الأباطيل والأوهام

(وان اللّه سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القرآن) اذ جمع فيه سبحانـه جميع انواع المواعظ (فانه حبل اللّه المتين) اى المحكم فكما ان الحبل المحكم اذا شدّ به الانسان الذى يراد جره الى فوق لا يخشى عليه من السقوط بانقطـاع الحبل ، كذلك الانسان المريد للرقى اذا تمسك بالقرآن ، لا يخاف السقوط و الخسران .

(وسببه الأمين) فكما ان السبب للشئ اذا كان امينا ، لا يخشى من عدم الوصول الى المسبّب كذلك من تمسك بالقرآن لا يخشى عدم الوصول الى مطلبه الذى هو خير الدنيا والآخرة (وفيه ربيع القلب) فكما ان الربيع سبب لخروج الأزهار ، كذلك القرآن يسبب ازدهار القلب وتحليه بانواع الفضيله والكمال .

(وينابيع العلم) جمع ينبوع ، فان علم الأصول والفروع ، و العبـر و الأحكام وما اشبه ينبع من القرآن (وما للقلب جلاء غيره) فان الجلاء الحقيقـى الذى لا يكدره الآلام انما هو فى القرآن اذ يهدء قلب الانسان و يطمئن حتى انه اذا نزلت به اعظم الكوارث ، كان واثقا من رحمة الله وحسن جزائه (مع انه قـد ذهب المتذكرون) الذين كانوا يتذكرون بسبب القرآن ، اى اقول هذا الكـلام وانا متأسف من ذهابهم ، فان ((مع)) يفيد ذلك ، والمراد بالمتذكريـن اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأخيار ، كأبى ذر و سلمان واضرابهما.

وَبَقِيَ النَّاسُونَ وِ الْمُتَنَاسُونَ . فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَاذْهَبُوا عَنْهُ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ كَانَ يَقُولُ : «يَابْنَ آدَمَ ،اعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ» .

لنواع الظلم

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ : فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ .

(وبقى النّاسون والمتناسون) المتناسى هو الذى لم ينس ، لكنه يظهر نفسه كأنه ناس (فاذا رأيتم خيرا فاعينوا عليه) كما قال سبحانه : ((تعاونوا على البرّ والتقوى)) (واذا رأيتم شرّا فاذهبوا عنه) ولا تعينوه حتى بالاجتماع حوله ، كما قال سبحانه : ((ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)) (فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول : ((يابن آدم اعمل الخير ودع الشّر فاذا))) فعلت ذلك فـ ((انت جواد قاصد))) الجواد هو الفرس ، والقاصد هو الذى يتوسط فى الجادة فلا يأخذ يمينا وشمالا ، وهذا تشبيه للانسان بالفرس الذى لا ينحرف ، فانه يصل الى مقصده بدون عطب وتعطيل ، وكذلك الانسان العامل بالخير ، التارك للشر ، وليس فى التشبيه بالفرس حزازة ،فانه لشرافته ، كان موردا للتشبيه كثيرا :

ثم اخذ الامام عليه السلام فى بيان انواع الظلم ، والتنفير منه ، بقوله : (الا وإنّ الظلم ثلاثة) اقسام (فظلم لا يغفر) اى من طبيعة ان لا يغفره الله سبحانه (وظلم لا يترك) فى الدنيا بل يرى الظالم جزاء ظلمه قبل الآخرة (وظلم مغفور لا يطلب) يعنى انه هو الغالب فى الغفران ، لا انه مغفور البتة ، والا نافى كونه ظلما كما لا يخفى ، والحاصل ان الظلم قد يكون له تبعة اخروية ، وقد يكون له تبعة دنيوية ،وقد يكون الغالب فيه عدم التبعتين .

فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : «إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» . وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ. وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً. الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَىٰ وَلَا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ، وَلٰكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ. فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ ،

(فاما الظّلم الّذى لا يغفر فالشّرك بالله) كما قال لقمان : ((إنّ الشرك لظلم عظيم)) (قال الله تعالى : ((ان الله لا يغفر ان يشرك به))) والمراد بالشرك هنا اعم من الكفر .

(واما الظّلم الذى يغفر) وهو ثالث الأقسام (فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات) جمع هنة ، وهى : المعاصى التى ترجع ضررها الى الانسان نفسه ، ممّا لا ترجع الى انكار اصول الدّين ، والى ظلم النّاس .

(واما الظلم الذى لا يترك) بل يرى الانسان تبعته فى الدنيا (فظلم العباد بعضهم بعضا) كقتل الانسان او سرقة ماله او هتك عرضه او ما اشبه ذلك .

(القصاص هناك شديد) اى فى الآخرة ، وهذا تحذير لأن يعمل الانسان عملا يوجب القصاص فى الآخرة ، وهو بيان ان ظلم العباد كما لا يترك فى الدّنيا ، لا يترك فى الآخرة ايضا (ليس هو) اى القصاص الأخروى (جرحا بالمدى) جمع مدية ، وهى السكين (ولا ضربا بالسياط) جمع سوط ، اى ليس الم كآلام السكين والسياط ، حتى يستسهله الانسان (ولكنه ما) اى القصاص ، عذاب شديد (يستصغر ذلك) الجرح والألم الدّنيوى ، بالسكين والسوط (معه) اى مع القياس بذلك القصاص ، اى بالنسبة اليه .

(فاياكم والتلون فى دين الله) بان تأخذوا كل يوم لونا ، وذلك بمعنى الابتداع (فانّ جماعة فيما تكرهون من الحقّ) اى تكونون جماعة مجتمعين فى

خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ . وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى ، وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ « طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ » ، وَطُوبَىٰ لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ ، وَأَكَلَ قُوتَهُ ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ ، « وَبَكَىٰ عَلَىٰ خَطِيئَتِهِ » فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ !

الحق ، وان كرهتم ذلك الحق (خير من فرقة فيماتحبون من الباطل) بان يتبع كل واحد ما يحبّه ، فيفترق عن اخوانه ، والحق حيث انه واحد يجمع الناس اما الباطل حيث انه متعدد فانه يفرقهم دائما ، وهذا هو شأن البدعة (وانّ الله سبحانه لم يعط احدا بفرقة خيرا) اذ السعادة والقوة فى الاجتماع لا فى التفرق (ممّن مضى ولا ممّن بقى) بيان ((احد)) اى من الأمم الماضية ، والأمم الباقية .

(يا ايها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن) الاشتغال بـ (عيوب النّاس) ومعنى ذلك ان يشتغل بالعلم ليرفع عيبه الذى هو الجهل ، وبالعمل ليرفع عيبه الذى هو البطالة ، وهكذا ، لا ان يشتغل بذكر معائب الناس (وطوبى لمن لزم بيته) لا يدخل فى الفتن بلا هدى وحجّة (واكل قوته) لا يطمع فى اموال النّاس (واشتغل بطاعة ربّه) فلا يصرف وقته فى البطالة ، فكيف بما اذا اشتغل بالمعاصى ؟ (وبكى على خطيئته) الّتى صدرت منه ليغفرها الله سبحانه له (فكان من نفسه) اى من ناحية نفسه التى تامره بالعمل (فى شغل) لاصلاح دينه ودنياه (والنّاس منه فى راحة) لأنه لا يثير الفتن ، ولا يتعرض للناس بسوء .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في معنى الحكمين

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَىٰ أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْمِعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ ، فَتَاهَا عَنْهُ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى معنى الحكمين

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أى فى الأمر المرتبط بها ، وقد تكلّم عليه السلام بهذا الكلام ، بعد ما بلغه امر الحكمين .

(فاجمع رأى ملئكم) اى وجوهكم و اشرافكم ، فان الملاء هم الأشراف ، لأنهم يملئون الصدر هيبة ، و العين جلالا (على ان اختاروا رجلين) عمر بن العاص و ابا موسى (فاخذ نا عليهما ان يجمعجما عند القرآن) من جعجع البعير اذا برك ، و المراد ان لا يتعديا حكم القرآن (و لا يجاوزاه)بأن يحكما بالأهواء(و تكون السنتهما معه) اى مع القرآن (و قلوبهما تبعه) بان يكون اعتقادهما كما قال القرآن ، لا ان يوجّها القرآن حسب آرائهما (فتاها) اى ضلاّ (عنه) اى عن القرآن اذ القرآن يقول{((و السابقون الأولون من المهاجرين))} و على عليه السلام سابق و معاوية لم يكن سابقا ، و يقول :{((يا ايها الذين آمنوا اتّقوا اللّه }

وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا ، وَالِاعْوِجَاجُ دَأْبَهُمَا . وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ ذَأْبِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا . وَالثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا ، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ .

وكونوا مع الصادقين)) وعلىّ كان صادقا دون معاوية ، وهكذا سائر الآيات النازلة بشأن على عليه السلام او المنطبقة عليه عليه السلام ، دون معاوية .

(وتركا الحق وهما يبصرانه) لعرفانهما اخلاق على عليه السلام ومعاوية ، وان الأول متعين للخلافة (وكان الجور) والعدول عن الحق (هواهما) فانّ هوا ابن عامر كان مع معاوية حيث وعده ملك مصر ، وكان هوى ابى موسى مخالفا لعلىّ عليه السلام حيث كان على عزله عن الامارة فى الكوفة ونصب غيره مكانه .

(والاعوجاج دأبهما) اى عادتهما .

(وقد سبق) عند تخويلهما الحكم (استثناؤنا عليهما — فى الحكم بالعدل والعمل بالحق — سوء رأيهما) اى كان المقرّر ان يحكما بالعدل لا ان يسيئا الرأى فيحكما حسب شهواتهما واهوائهما (وجور حكمهما) عطف على سوء رأيهما ، وعلى هذا فحكمهما باطل اذ لم نحكمهما ، مطلقا وبلا شرط .

(و) عليه فـ (الثقة فى ايدينا لأنفسنا) اى الحجة فى ايدينا لنحكّم اناسا آخرين ، ولم نعط الثقة لهما مطلقا حتّى يقال : انكم اعطيتم ثقتكم بايديهما فلا ثقة لكم بعده حتّى تعطياها لشخص آخر ، والعبارة كالاستعارة لتمكن ، فكانه اذا اعطى الاختيار مطلقا ، فحكم الطرف ماض بخلاف ما اذا شرط (حين خالفا سبيل الحقّ) فى كيفية التحكيم (واتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم) اى الحكم المعكوس من عزل احدهما علىّا عليه السلام ، ونصب احدهما معاوية .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ ، وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ ، وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا ، وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى وصفه سبحانه ، وبيان رسالة الرسول ، والانذار والوعظ

(لا يشغله شأن) فانه سبحانه ليس كالبشر ، اذا توجه لأمر ذهل عن الأمور الآخر ، بل هو يتوجه نحو الف امر بلا ان يشغله احدهما عن الباقى (ولا يغيره زمان) بان ينقص من عمره ، كما فى الانسان ، او يبليه ، كما فى العمارة والثياب وما اشبه .

(ولا يحويه) ان يشتمل عليه (مكان) كما يشتمل المكان على الانسان و سائر الأجسام (ولا يصفه لسان) حق وصفه لأن الانسان لا يدركه سبحانه كنهه حتى يتمكن من وصفه حق الوصف (ولا يعزب عنه) اى يغيب عنه بمعنى يجهل (عدد قطر الماء) الموجود فى الكون او المراد قطر المطر (ولا) عدد (نجوم السّماء) فانه يعلم عددها التى لا تحصى (ولا سوافى الرّيح فى الهواء) جمع سافية ، وهى التى تهب ، فانه يعلم اعدادها وكيفيّاتها (ولا دبيب النّمل على الصّفا) جمع صفاة هى الصّخرة الملساء ودبيبها حركتها (ولا مقيل الذّر)

فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاء. يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَىٰ مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَالْمُخْتَصُّ

الذر النمل ، و مقيلها محل استراحتها و نومها (فى اللّيلة الظّلماء) التى لا يرى فيها الأشياء فكيف بالصغيرة ؟ .

(يعلم) سبحانه (مساقط الأوراق) جمع مسقط ، بمعنى السقوط ، او محل السقوط ، و المراد اوراق الأشجار ، كما قال سبحانه : ((و ما تسقط من ورقة الا يعلمها)) (و خفى طرف الأحداق) جمع حدقة ، و هى العين ، و طرفها تحريك جفنها ، و خفى التحريك هو الذى يخفيه الانسان عن الحاضر ، لئلا يعلم اين نظر ، كالذين يسرقون النظرة .

(واشهد ان لا اله الاّ اللّه غير معدول به) اى لا اجعل لله سبحانه عدلا و شريكا (و لا مشكوك فيه) اى لا اشك فى وجوده (و لا مكفور دينه) اى لا أنكر دينه ،حتى اكون أنا منكرا لدينه ، ودينه مكفورا (ولا مجحود تكوينه) أى لا أجحد خلقه للخلق (شهادة من صدقت نيّته) اى شهد بصدق نية ، لا كالمنافقين الذين يشهدون لسانا و ينكرون جنانا (وصفت دخلته) اى باطنه و لم يلوث بالنفاق (و خلص) عن شوائب الشك (يقينه) فله يقين كامل (و ثقلت موازينه) كناية عن قوة اليقين .

(واشهد انّ محمّدا عبده و رسوله المجتبى) اى المختار (من خلائقه) فهو افضل من جميعهم (و المعتام) اى المختار ، من العتمية بمعنى المختار من المال (لشرح حقائقه) اى حقائق دين اللّه من الأصول و الفروع (و المختص

بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ ، وَالْمُصْطَفَىٰ لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ ، وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَىٰ ، وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غَرِيبُ الْعَمَىٰ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا ، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا ، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَايْمُ اللهِ ، لَئِنْ كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ

بعقائل) اى الكرائم (كراماته) اى افضل كرامات اللّه تعالى .

(و المصطفى) اى المختار (لكرائم رسالاته) اى الرسالة التى هى اكرم الرسالات ، و هى نهاية الأحكام و الأخلاق و ما اشبه ، مما اتى بها الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم دون سائر الأنبياء (و الموضحة به) اى بسبب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم (اشراط الهدى) اى علاماته و دلائله (و المجلوّ به) اى المنكشف بسبب الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم (غريب العمى) اى اشد انواع العمى ضلالة ، فان غريب ، بمعنى السواد القائم ، فانه صلى اللّه عليه و آله و سلم يزيل اشد انواع الضلالة ، و يهدى النّاس الى الحق و الى صراط مستقيم .

(ايها النّاس انّ الدّنيا تغر المؤمّل لها) اى تخدعه بارائتها له انها توصله الى آماله (و المخلد اليها) من اخلد بمعنى ركن و مال (و لا تنفس) الدنيا، اى لا تبخل (بمن نافس فيها) اى بمن يباهى غيره بان له الدنيا فانت تعظم الدنيا و تباهى بها ، و الدنيا لا تهتم بشأنك و لا تبخل بك ، بل تسلمك للآفات بدون مبالاة (و تغلب) الدّنيا (من غلب عليها) فانّ الانسان يظنّ انّه غلب على الدّنيا حيث حصّل بعض جاهها او مالها ، لكنه ظن مكذوب بل الدنيا غلبت على هذا الشخص ، حيث خدعته و بعدته عن دار كرامة اللّه سبحانه .

(و ايم اللّه) قسم باللّه سبحانه (ما كان قوم ـ قط ـ فى غضّ نعمة) اى

مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ «بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» . وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ ، وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ ، فَزِعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ ، وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ . وَإِنِّي لَأَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ . وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً ،

حسن نعمة ، فانّ الغض الجديد الناضر (من عيش) هنئ (فزال عنهم إلاّ بذنوب اجترحوها) اى عملوا بها و اقترفوها فانّ الذنوب سبب زوال النّعمة .

قال الشّاعر :

اذا كنت فى نعمة فارعها ... فانّ المعاصى تزيل النعم

وحافظ عليها بشكر الاله ... فانّ الاله شديد النقم

(لانّ اللّه ليس بظلاّم للعبيد) يزيل نعمتهم اعتباطا بدون ذنب منهم ، و ((ظلاّم)) صيغة نسبة ، اى بذى ظلم (و لو انّ الناس حين تنزل بهم النّقم) جمع نقمة ، مقابل نعمة (و تزول عنهم النّعم) جمع نعمة (فزعوا) اى التجأوا (الى ربّهم بصدق من نياتهم) بأن يكونوا مستجيرين حقيقة ، عازمين على طاعته ، نادمين عما سلف منهم من الذنوب (و وله) اى تحير (من قلوبهم) بأن كانت قلوبهم والهة فى حبّ اللّه و طاعته (لردّ عليهم كلّ شارد) اى كل ما شرد منهم من النعم (و أصلح لهم كلّ فاسد) من امورهم .

(و انّى لأخشى عليكم ان تكونوا فى فترة) اى فى فترة من المهلة الالهية ، التى يمهل بها كل مجرم ليستكمل اجرامه ، ثم يؤخذ على حين غفلة بل ما تمت عليه الحجة ، و اشتدت عليه العقوبة ، كما قال سبحانه : ((انما نملى لهم ليزدادوا اثما)) .

(و قد كانت امور مضت ملتم فيها ميلة) عن جادة الهدى ، ولعل المراد

كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ . وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ : عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ !

بذلك ميلهم الى وقف القتال فى صفين ، و انخداعهم بمكر معاوية ، و اختيارهم ابا موسى الاشعرى ، و ما اشبه ذلك .

(كنتم فيها عندى غير محمودين) حيث خالفتم الأوامر ، و بذلك انشقت صفوف المسلمين ، و تجرء الأعداء (و لئن ردّ عليكم امركم) كما كان فى زمن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم حيث الوحدة و الايمان و الاطاعة (انكم لسعداء) لأنه موجب لخير الدنيا و الآخرة (و ما علىّ إلا الجهد) بأن اتعب و اجتهد للارشاد و الهداية (و لو اشاء ان اقول ــ لقلت : عفا الله عما سلف) اى سامحتكم لما سلف من اعمالكم ، فلا تعودوا لمثلها .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وقد سأله ذعلب اليماني فقال : هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟
فقال عليه السلام : أفأعبد ما لا أرى ؟ فقال : وكيف تراه ؟ فقال :

لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ ، وَلٰكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ . قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَامِسٍ ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى التوحيد

(وقد سأله ذعلب اليمانى ، فقال : هل رأيت ربّك يا امير المؤمنين ؟
فقال عليه السلام : افاعبد ما لا ارى ؟ ! فقال : وكيف تراه ؟ فقال :

(لا تراه) سبحانه (العيون بمشاهدة العيان) كما ترى العين سائر الأشياء ، لأنّ اللّه سبحانه مستحيل عليه الرؤية (ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان) اى بسبب احتواء القلب على حقيقة الايمان باللّه سبحانه ، فان الايمان الحقيقى يوجب المعرفة الكاملة للّه تعالى ، اذ كل مصنوع يدل على الصانع ، وهو سبحانه .

(قريب من الأشياء) باحاطة علمه وقدرته عليها (غير ملامس) اى ليس قربه مثل قرب الأجسام بعضها ببعض ، مما يوجب الملامسة ، واللمس لدى الالتصاق (بعيد منها) اى من الأشياء ، بعدا بمعنى عدم المجانسة و المشاهدة ، لا البعد الزمانى والمكانى (غير مباين) اى ليس المبعد من قبيل

مَتكلم لَا بِرَوِيَّة مُرِيد لَا بِهِمَّةٍ ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ . لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ . تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ .

بعد النار عن الماء ، او ما اشبه ، مما يباين احدهما الآخر (متكلم لا بروّية) اى ان تكلمه لا يصدر عن فكر ، و انما يخلق الكلام بدون فكر (مريد لا بهمّة) فانّه لا يهتم نفسا ثم يريد ، اذ لا نفس له سبحانه .

(صانع) للأشياء (لا بجارحة) اى بيد و رجل و نحوهما ، و انما يأمر بـ ((كن)) فيكون ما اراد (لطيف) بمعنى نفوذ قدرته و علمه فى كلشئ (لا يوصف بالخفاء) و الرقة ، بخلاف اللطيف من الأشياء كما يقال الهواء لطيف ، اذا لم تر .

(كبير) اى عظيم (لا يوصف بالجفاء) اى الخشونة و عدم المبالاة ، كالبشر الذين اذا علت منزلتهم جفوا الناس و لم يهتموا بهم (بصير) لا يرى الأشياء (لا يوصف بالحاسّة) اى بالعين ، فانه سبحانه لا عين من لحم و دم له .

(رحيم لا يوصف بالرّقة) اى رقّة القلب ، اذ لا قلب له سبحانه ، و لا تبدل فى حالاته (تعنو) اى تذل و تخضع (الوجوه لعظمته) فكل شريف خاضع له (و تجب) اى تضطرب ، من وجب بمعنى خفق و اضطرب (القلوب من مخافته) اى خوفا منه سبحانه ، بأن كانت قصرت فى الأعمال ، فتبتلى بالعقاب

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في ذم العاصين من أصحابه

أَحْمَدُ اللهَ عَلَىٰ مَا قَضَىٰ مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَىٰ ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ. إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى ذم العاصين من اصحابه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(احمد اللّه على ما قضى من امر) كما قال سبحانه : ((وقضى ربّك الاّ تعبدوا الاّ اياه)) (وقدّر من فعل) كما قال سبحانه : ((وقدّر فيها اقواتها)) فانّ القضاء و القدر يستعملان بمعان . و الظاهر ارادة ما ذكرنا ، فى هذا الكلام بقرينة ((امر)) و ((فعل)) .

(و) احمد الله (على ابتلائى بكم ايّها الفرقة) اى الجماعة (التى اذا امرت لم تطع) و المراد جميع اوامره عليه السلام ، لا مطلقا كما لا يخفى .

(و اذا دعوت) الى الجهاد و ما اشبه (لم تجب) جبنا او تكاسلا (ان امهلتم) فلم اطلبكم للجهاد و العمل (خضتم) فى الباطل ، دون ان تعملوا لسعادتكم (و ان حوربتم) اى حضرتم ميادين الحرب (خرتم) اى صحتم ، من خار بمعنى صاح ، فان المحارب يجب ان يلزم الصمت و السكينة لا الصياح و العجيج ، فانّ ذلك مما يوهن الانسان .

وَإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَىٰ إِمَامٍ طَعَنْتُمْ ، وَإِنْ أُجِبْتُمْ إِلَىٰ مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ . لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَىٰ حَقِّكُمْ ؟ الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ ؟ فَوَاللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي - وَلَيَأْتِيَنِّي - لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ . لِلهِ أَنْتُمْ! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ !

(و ان اجتمع الناس على امام) يريد نفسه الكريمة (طعنتم) فى ذلك الامام ، بان تنحتوا له معائب و منقصات (و ان اجبتم الى مشاقة) المراد بها الحرب (نكصتم) اى رجعتم القهقرى و فررتم عن الحرب (لا ابا لغيركم) ((لا ابالك)) جملة تستعمل للذم بمعنى فقدت الاب حتى تكون من دون والى ، و تستعمل للدعاء بمعنى تملك امرك . وقد تلطف الامام بتوجيه الجملة للغير ، اما احتراما لهم ان اريد بها الذم ، او اهانة لهم ان اريد بها الدّعاء .

(ما تنتظرون بنصركم و الجهاد على حقكم) ؟ استفهام انكارى ، اى هل بعد موقع للانتظار ، ان حقكم قد غصب ، و النصر قد فاتكم باستيلاء معاوية على بعض بلادكم ، فما وجه الانتظار بعد ذلك ؟ اتريدون فى انتظاركم (الموت او الذلّ لكم) فانكم ان بقيتم بلا محاربة ، اما متّم ، او سيطر معاوية حتى تذلوا .

(فو الله لئن جاء يومى) اى وقت موتى (و لياتينى) اخبار بأنه سيأتى يومى (ليفرقن بينى و بينكم) بالموت (و انا لصحبتكم) اى مصاحبتكم (قال) اى كاره ، من ((قلى)) ، بمعنى كره وغضب يعنى افرح بموتى و تخلّصى من اصطحابكم (و بكم غير كثير) فان الكثرة انما تراد للمنفعة ، فاذا انتفت كان وجودها كعدمها ، يعنى لست كثيرا بسببكم لعدم نفعكم .

(لله انتم) هذه جملة تستعمل فى الذم ، بمعنى ان الله يقدر ان يعالجهم و ينتقم منهم ، و تستعمل فى المدح ، اى انهم لله سبحانه ، مخلصين له فى اعمالهم و اقوالهم (اما دين يجمعكم) ؟ ففيم هذا التفرق فى آرائكم و اهوائكم

وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ ! أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ - وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ - إِلَى الْمَعُونَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ ، فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ ؟ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضىً فَتَرْضَوْنَهُ ، وَلَا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ؛

(ولا حميّة) اى انفة وكبر فى نفوسكم عن تسلّط الأعداء عليكم (تشحذكم) اى تفيظكم لتقوموا بالجهاد ، من شحذ السكين ، بمعنى حددها ، والانسان اذا شحذ صار كالسكين يقطع و ينفذ .

(اولیس عجبا انّ معاوية يدعو الجفاة) جمع جافى و هو الغليظ الخشن فى اعماله و نواياه (الطّغام) بمعنى اراذل الناس (فيتّبعونه على غير معونة) اى اعانة منه لهم (ولا عطاء) لهم ، والسبب ان معاوية كان يألف الرؤساء بالمال رشوة ، جورا وظلما ، والأراذل تبع لكبرائهم ، والامام كان يقسم بالسوية فالكبراء كانوا غير راضين عنه ، ولذا لا يحركون اتباعهم لنصرة الامام عليه السلام (وانا ادعوكم - وانتم تريكة الاسلام) اى البقية الباقية من المسلمين الذين يعتز بهم الاسلام (وبقيّة الناس) الصالحين ، خلف عن سلف صالح (الى المعونة) متعلق بـ ((ادعوكم)) (و) الى (طائفة من العطاء) اى اعين جماعة ، واعطى جماعة ، والاعانة : الاعطاء تبرعا ، بخلاف العطاء فانه العطاء من بيت المال حسب الاستحقاق .

(فتفرّقون عنّى) بأن يستجيب بعض للجهاد ، ولا يستجيب بعض (و تختلفون علىّ) هذا يريد ، وذاك يردّ (انّه لا يخرج اليكم من امرى) اى من اوامرى التى آمركم بها (رضى) للجميع (فترضونه) كلكم (ولا سخط فتجتمعون عليه) بأن تسخطون جميعا ، وهذا بيان انهم لا يجتمعون لا على

وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ ! قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ ، وَفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ ، لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ ! وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ ! وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ !

رضى ولا على سخط ، بل متفرقون دائما يرضى بعضهم ، ويسخط بعض ، كيفما امر الامام عليه السلام (وانّ احبّ ما انا لاق) اى احب شئ القاه (الى الموت) بان اموت فاستريح منكم ، ثم بين عليه السلام انه اتمهم بكل ارشاد ونصيحة ، لكنهم بقوا على ضلالهم وجهالتهم (قد دارستكم الكتاب) اى قرأت عليكم القرآن تدريسا وتعليما (وفاتحتكم الحجاج) اى عرفتكم وجوه الاحتجاج ، بعد ان لم تكونوا تعرفونها ، فهى مفاتحة منى (وعرّفتكم ما انكرتم) اى ما جهلتم (وسوّغتكم) اى جعلت سائغا هنيئا عندكم (ما مججتم) اى ما كنتم تمجّونه وتطرحونه ، وكأنّ المراد الأخلاق الفاضلة (لو كان الأعمى يلحظ) اى يبصر ، و ((لو)) لبيان احوالهم ، وانهم كالأعمى لا يبصرون شيئا ، وان بصّروا (والنائم يستيقظ) اى يتنبّه ويقوم من النوم (واقرب بقوم من الجهل) صيغة تعجب اى ما اقرب قوم الى الجهل (بالله) سبحانه وبأحكامه (قائدهم معاوية ، ومؤدّبهم ابن النّابغة) اى عمرو بن العاص ، والمراد بهم اصحاب الشّام ، وهذه الجملة لبيان الفرق بين اهل العراق ، وبين اهل الشام ، وللتأنف من عدم اطاعة هؤلاء مع ان قائدهم مثل الامام العالم الورع ، واطاعة اولئك مع ان قائدهم مثل معاوية ، ومرشدهم مثل ابن العاص ! !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد أرسل رجلاً من أصحابه ، يعلم له أحوال قوم من جند الكوفة ، قد هموا باللحاق بالخوارج ، وكانوا على خوف منه عليه السلام ، فلما عاد إليه الرجل قال له : «أأمِنُوا فنقطنُوا ، أم جبنوا فظعنُوا ؟» فقال الرجل : بل ظعنُوا يا أمير المؤمنين . فقال عليه السلام :

«بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ» ! أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ ، وَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(وقد ارسل) عليه السلام (رجلا من اصحابه ، يعلم له احوال قوم من جنـد الكوفة ، قد همّوا باللحاق بالخوارج ، وكانوا على خوف منه عليه السّلام ، فلمّا عاد اليه الرجل قال له : ((امنوا فقطنوا ام جبنوا فظعنوا ؟)) اى هل آمنـوا جانبى فبقوا ، ام خافوا نكالى فسافروا و ذهبوا الى الخوارج ؟ ـ (فقال الرجل : بل ظعنوا يا امير المؤمنين ، فقال عليه السلام) :

(بعدا لهم كما بعدت ثمود) دعاء عليهم بان يبعدهم الله عن رحمته ، كما ابعد اللّه قوم صالح النبى ـ و هم قبيلة ثمود ـ عن رحمته ، حيث انزل عليهـم العذاب ، لما خالفوا امر اللّه ، وعقروا الناقة ، و ((بعدا)) منصوب بفعـل مقدّر ، اى اللّهم ابعدهم بعدا (اما لو اشرعت الأسنّة) جمع سنان ، و هو الرمح (اليهم) عند المحاربة مع الخوارج ، و اشرعت بمعنى صوبت نحوهم (و

صُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَىٰ هَامَاتِهِمْ ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ ، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ. فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَىٰ ، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَىٰ ، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ .

صبّت السيوف على هاماتهم) اى رؤسهم ، و هذا كناية عن تكاثر الضرب بالسيوف عليهم .

(لقد ندموا على ما كان منهم) من الظعن و الالتحاق بالخوارج ، لأنهم لا يتمكنون من المقاومة (انّ الشيطان اليوم قد استفلّهم) اى دعاهم للتفلل ، و هو الانهزام عن الجماعة (و هوغدا متبرّئ منهم) و المراد اما فى يوم القيامة ، اذ يتبرّء الشيطان من اتباعه ، قال سبحانه : ((اذ تبرّء الذين اتبعوا من الذين اتبعوا)) او المراد عند الحرب ، و تبرئه كناية عن عدم نصرته لهم ؛ كما صار فى حرب الكفّار مع الرّسول ، قال سبحانه : ((فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه و قال انّى برئ منكم انّى ارى ما لا ترون)) .

(و متخلّ عنهم) التّخلى عن فلان بمعنى الابتعاد عنه و عدم نصرته فحسبهم) ضلالا و جهالة (بخروجهم من الهدى) الباء زائدة ، اذ الأصل فيه ((هم يكتفون بذلك)) .

(و ارتكاسهم) اى انقلابهم ، و اصل الارتكاس : ان يقع الانسان من رأسه فى وحل او ما اشبه (فى الضلال و العمى) اى عدم تبصّر السّبيل ،كالأعمى الذى لا يبصر الطريق (و صدّهم عن الحقّ) اى منعهم للنّاس عن اتباع الامام (و جماحهم) اى عصيانهم (فى التّيه) اى فى الضّلال ، فان التائه يلزم ان يطيع من يرشده ، لا ان يعصى حتى يهلك فى المهالك .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

روي عن نوف البكالي قال: خطبنا هذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة، نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مِدْرَعَةٌ من صُوف وحمائلُ سيفه لِيفٌ، وفي رجليه نعلان من لِيفٍ، وكأنّ جبينه ثَفِنَةُ بعير. فقال عليه السلام :

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وفيها حمد الله ، وبيان صفاته ، والارشاد والنصح ، (روى عن نوف البكالى) منسوب الى ((بكال)) قبيلة من قبائل العرب (قال خطبنا هذه الخطبة امير المؤمنين عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة ،نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومى) وهو ابن اخت الامام عليه السلام ، وامهامهانى اخت الامام ، بنت ابى طالب ، وكأنه وضع تلك الحجارة كمصعد يصعدعليها الامام ليرتفع على الناس عند الخطبة ، شبه المنبر (وعليه مدرعة) اى قميص ضيق الاكمام (من صوف) وهذا اقرب الى الزهد لخشونة الصوف ، بخلاف القطن ونحوه (وحمائل سيفه) وهو الخيط الذى يشد به السيف ليحمل فيتوشح به من (ليف) النخل (وفى رجليه نعلان من ليف) الظاهر كون كل النعل من ليف لا ان شراكها منه (وكان جبينه) من كثرة السجود (ثفنة بعير) وهو المحل الذى يمس الأرض ، عند بروك الابل ، فانه يغلظ ويخشن من مباشرة الأرض ، والدلوك بها (فقال عليه السلام) :

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَىٰ عَظِيمِ إِحْسَانِهِ ، وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً ، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً ، وَإِلَىٰ ثَوَابِهِ مُقَرِّباً ، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً . وَنَسْتَعِينُهُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً ،

(الحمد للّه الذی الیه مصائر الخلق) جمع مصیر ، بمعنی الصیرورة ، ای ان الخلق ینتهون الی ثوابه وعقابه ، و دار کرامته و محل سخطه (و عواقب الأمر) فان عاقبة امر کل انسان الیه سبحانه .

(نحمده علی عظیم احسانه) ای احسانه العظیم الینا بالخلق و الرزق و غیرهما (و نیّر برهانه) ای دلیله الواضح الذی نصبه دلیلا علی وجوده و سائر صفاته (و نوامی فضله و امتنانه) نوامی جمع نام ، بمعنی : الزائد ، ای فضله الزائد علی قدر الاستحقاق ، او فضله الذی ینمو و یزید (حمدا یکون لحقّه) سبحانه (قضاء) ای اداءا لبعض ما یستحق (و لشکره اداء) ای یکون مؤدّیا لشکره الواجب علی النّاس (و الی ثوابه مقرّبا) فانّ الحمد یقرب الانسان الی ثواب اللّه تعالی (و لحسن مزیده موجبا) ای موجبا لمزید نعمه ، و اضافة حسن الیه ، من باب اضافة الصفة الی الموصوف .

(و نستعین به استعانة راج لفضله) لا استعانة آیس ، فان الانسان قد یطلب العون من احد و هو آیس من اجابته ، و قد یستعین و هو راج للاجابة (مؤمل لنفعه) سبحانه ، بأن ینفعنا (واثق بدفعه) المکاره عنّا (معترف له) تعالی (بالطّول) ای الانعام و الفضل (مذعن له) ای خاضع للّه سبحانه (بالعمل و القول) نحمده لسانا ، و نعمل له بجوارحنا و اعضائنا (و نؤمن به) سبحانه (ایمان من رجاه موقنا) فان یقین الانسان فی رجائه ، دلیل علی قوّة

وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً ، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، وَلَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً .

لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً. وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلَا زَمَانٌ ، وَلَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ .

ايمانه (و اناب اليه) اى رجع اليه تعالى بالتّوبة (مؤمنا) بوجوده و سائر صفاته (و خنع) اى خضع (له مذعنا) فضله لا مثل ذل الانسان للجبابرة ، فانه يخضع لهم كارها (و اخلص له) اى جعل اعماله و عقيدته له سبحانه بلا مشاركة احد معه (موحّدا) فى مقابل الاشراك (و عظّمه ممجّدا) اى اعترف بعظمته فى تمجيد و ثناء عليه (و لاذ به) اى التجأ اليه عن الأهوال و النوائب (راغبا) فضله (مجتهدا) يقال اجتهد اذا اتعب نفسه .

(لم يولد سبحانه) بأن يكون له اب او ام (فيكون فى العز مشاركا) لأنّ الأبوين شريكان مع الولد فى العز ، بل اعز لأنهما علة وجوده (و لم يلد) سبحانه ولدا (فيكون موروثا) لأن الولد يرث ابويه (هالكا) اذ كل شئ يلد يكون ممكنا و كل ممكن هالك ، فانه كماله تغير بالولادة ، كذلك له تغير بالحياة و الموت .

(و لم يتقدّمه وقت و لا زمان) بأن يكون الزمان و لا يكون اللّه سبحانه ــ كما هو شأن الممكنات (و لم يتعاوره) اى يتداوله و يتبادل عليه (زيادة و لا نقصان) بان يزيد مرة و ينقص اخرى (بل ظهر) سبحانه (للعقول بما ارانا من علامات التدبير) اى من الأدلة الموجودة فى المخلوقات الدالة على التدبير (المتقن) اذ وضع كل شئ موضعه ، كالبناء الفخم الذى يدل على مهارة بانيه (و القضاء المبرم) اى المحكم ، فانّ حكمه سبحانه بالخلق و الرزق و الحياة و الموت و غيرها مبرم لا ينقض .

فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ . دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلَا مُبْطِئَاتٍ ؛ وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ ، وَلَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ، وَلَا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ.

(فمن شواهد خلقه) على وجوده تعالى و سائر صفاته (خلق السماوات) اى الأجرام و مجاريها (موطّدات) اى مثبتات فى مداراتها على ثقلها (بلا عمد) جمع عماد ، فانها لا عمد لها ، كما للبناء المرتفع من عمد تحفظه من السقوط (قائمات) فى محالها (بلا سند) يستند و يتكئ عليها (دعاهنّ) سبحانه ، و ذلك كناية عن جعل نظام لهن (فاجبن) دعوته تعالى (طائعات مذعنات) كما قال سبحانه : ((فقال لها و للأرض ائتيا طوعا او كرها ، قالتا اتينا طائعين)) (غير متلكّئات) التلكؤ التوقف فى الأمر (و لا مبطئات) من ابطأ بمعنى : عدم الاستعجال فى الأمر ، نعم انها اطاعت فورا .

(و لولا اقرارهنّ له) تعالى (بالرّبوبيّة) او انه الٰههنّ (و اذعانهنّ بالطّواعية) اى الاطاعة بالرغبة (لما جعلهنّ موضعا لعرشه) العرش : محل تشريف له فى السماء ، كما ان الكعبة موضع تشريف له سبحانه فى الأرض (و لا مسكنا لملائكته) المقربين ، الذين هم اطهار ، فيلزم ان يكون محلهم طاهرا (و لا مصعدا) اى محلّ الصعود (للكلم الطيب و العمل الصّالح) فان الأعمال الصالحة ، و الكلمات الطّيبة ، من العباد ، تصعد نحو السماء ، و ذلك ليس لأنها مكان اللّه سبحانه ، فانه لا مكان له ، و انما لأجل انه تعالى جعل السّماء محلا شريفا ، و مأوى للأشياء الحسنة ، و هذا اشارة الى قوله سبحانه : ((اليه يصعد الكلم الطيب ، و العمل الصّالح يرفعه)) (من خلقه) اى الكلم و العمل ، الصادرة من الخلق .

جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً يَسْتَدِلُّ بِهَا ٱلْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ ٱلْأَقْطَارِ . لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا أَدْلِهْمَامُ سُجُفِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ ، وَلَا ٱسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ ٱلْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَأْلُؤِ نُورِ ٱلْقَمَرِ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ ، وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ ، فِي بِقَاعِ ٱلْأَرَضِينَ ٱلْمُتَطَأْطِئَاتِ ، وَلَا فِي يَفَاعِ ٱلسَّفْعِ

(جعل) سبحانه (نجومها) اى كواكب السّماوات (اعلاما) اى ادلّة (يستدلّ بها الحيران) اى الشخص المتحيّر (فى مختلف فجاج) جمع فج بمعنى الطريق (الأقطار) جمع قطر ، بمعنى القطعة من الأرض ، اى مختلف الصحارى .

(لم يمنع ضوء نورها) اى نور الكواكب (ادلهمام سجف اللّيل المظلم) الادلهمام : شدّة الظلمة ، وسجف : الستر (ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس) جلابيب جمع جلباب ، وهو ثوب واسع يلبس فوق الملابس، والمراد هنا ظلمة اللّيل الشاملة لكل شئ ، وحنادس جمع حندس ، بمعنى الليل المظلم (ان تردّ) حتى لا يصل الى الأرض (ما شاع) وانتشر (فى السّماوات من تلألؤ نور القمر) بل نور القمر ، كنور النّجوم ، يصلان الى الأرض فى ظلمة الليل ، فيهدى بهما الناس فى الصّحارى و القفار

(فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج) الغسق الظلمة ،وداج بمعنى المظلم (ولا) سواد (ليل ساج) الساجى بمعنى الساكن ، ووصف الليل به ، لأنه يسكن فيه كل ذى روح ، فهو وصف باعتبار ما فيه ، من باب علاقة الحال و المحل (فى بقاع الأرضين المتطأطئات) اى المنخفضات ، فانه سبحانه يرى كل ما فى منخفضات الأرض ، ولو تحت الليل المظلم (ولا فى يفاع) بمعنى التل و المكان المرتفع (السفع) جمع سفعاء ، وهو السواد

ٱلْمُتَجَاوِرَاتِ ؛ وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ ٱلْغَمَامِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ ٱلْأَنْوَاءِ وَٱنْهِطَالُ السَّمَاءِ ! وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ ٱلْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا ، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا ، وَمَا يَكْفِي ٱلْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ ٱلْأُنْثَىٰ فِي بَطْنِهَا .

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ ،

يضرب الى الحمرة ، و المراد بها الجبال ، فان الجبال هكذا تظهر من بعد (المتجاورات) اى المجاورة بعضها لبعض .

(و) سبحان من لا يخفى عليه (ما يتجلجل به الرّعد) الجلجلة صوت الرعد (فى افق السّماء) اى اطرافها (و ما تلاشت عنه بروق الغمام) فان البرق يتلاشئ و يضمحل ، والظاهر ان المراد مصدر البرق ، الذى يظهر منه البرق ، ثم يتلاشى من القوّة الكهربائية الموجودة فى السحاب (و ما تسقط من ورقة تزيلها) اى تزيل تلك الورقة (عن مسقطها) اى محل سقوطها ، و هو محل اتصال الورقة بالشجرة (عواصف الانواء) جمع نوء ، و هو احد منازل القمر اذا كان القمر فيه او نحو ذلك تهب الرياح ، و لذا اضيفت اليه ، بمناسبة ان الاضافة يكفى فيها أدنى مناسبة (و انهطال السّماء) اى امطار السماء ، بالمطر ، و المعنى لا يخفى عليه انهطال السماء .

(و يعلم) سبحانه (مسقط القطرة) اى محل سقوط كل قطرة من اقطار المطر (و مقرّها) اى محل استقرار القطرة ، اذ يمكن ان يكون المسقط غير المقرّ (و مسحب الذّرة) اى المحل الذى تمشى فيه النملة (و مجرّها) اى المحل الذى يجره نفسه اليه (و ما يكفى البعوضة) البق (من قوتها) و رزقها (و) يعلم تعالى (ما تحمل الانثى فى بطنها) من ذكر او انثى .

(الحمد للّه الكائن قبل ان يكون كرسى او عرش) اذ لا يحتاج سبحانه الى

أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ . لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ ، وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ ، وَلَا يُبْصِرُ بِعَيْنٍ ، وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ ، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ ، وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ ، وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ . الَّذِي كَلَّمَ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ،

شئ منهما ، وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ، فان الملك يجلس على الكرسى ، فى عرشه ، وقد خلق سبحانه محلاً يسمى العرش ، لتوجّه الملائكة اليه ، كما يتوجّه البشر الى الكعبة ، فى الأرض (او سماء او ارض اوجان او انس) والجن قسم من المخلوق مخفى عن الأبصار (لا يدرك) سبحانه (بوهم) اى بفكر وتعقل اذ كنهه مستحيل الادراك (ولا يقدّر) اى لا يعرف حدوده (بفهم) الانسان .

(ولا يشغله سائل) بأن يغفل عن سائر الأشياء ، كما هو شأن البشر (ولا ينقصه نائل) اى العطاء ، فانه سبحانه يعطى ولا ينقص ما عنده ، اذ لا يفوته شئ ، وانما كلشئ فى ملكه ، اعطى ام لم يعط (ولا يبصر) اما على المجهول اوعلى المعلوم (بعين) فعلى الأول معناه انه سبحانه لا يرى ، وعلى الثانى معناه انه تعالى لا عين له ـ كعين الانسان ـ وانّما يبصر الأشياء بذاته (ولا يحد باين) اى بالمكان ، فانه لا مكان له ، حتى يكون مشمولا لذلك المكان (ولا يوصف بالأزواج) اى بالأمثال ، لأنه لا مثل له ، فلا شريك له (ولايخلق) الأشياء (بعلاج) بأن يمتنع عليه الشئ فينفذ امره بالعلاج (ولا يدرك بالحواسّ) الخمس ، فلا يبصر ، ولا يشم ، ولا يذاق ، ولا يلمس ، ولا يسمع حسن منه ، لا ستحالة كل ذلك فى حقّه .

(ولا يقاس بالنّاس) كما يقاس النّاس بعضهم ببعض (الّذى كلّم موسى) عليه السّلام (تكليما) وكلامه انما هو بخلق الصوت الذى يسمعه الطرف المقابل

وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً، بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ. بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، فِي حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ. فَلَا

(واراه من آياته) اى ادلته (عظيما) كالعصا واليد البيضاء ، والضفادع ، والقمل والدم ، وغيرها ، كلّم .

(بلا جوارح) اى بغير اعضاء للتكلم (ولا ادوات) كالفم والأسنان واللسان (ولا نطق) كنطق الانسان (ولا لهوات) جمع لهات ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى اقصى الفم (بل ان كنت صادقا ، ايّها المتكلف لوصف ربّك) اى ان كنت صادقا انك تتمكن ان تصفه سبحانه حق وصفه ، ومعنى المتكلف الذى يوقع نفسه فى الكلفة والمشقة .

(فصف جبرائيل وميكائيل) الذين هما مخلوقان للّه سبحانه ، فاذا لم نتمكن من وصفهما فعدم امكانك لوصفه سبحانه ، اظهر (وجنود الملائكة المقرّبين) اليه سبحانه ، اقرب شرف وطاعة ، لا قرب مكان ـ اذ لا مكان له تعالى ـ (فى حجرات القدس) اى النزاهة والطهارة ، والمراد بالحجرات اماكنهم (مرجحنّين) اى مقشعرّين ، خوفا وجلا منه تعالى ، من ارجحن ، بمعنى مال يمينا وشمالا (متولّهة) اى متحيّرة (عقولهم ان يحدّوا احسن الخالقين) فانّ عقولهم تتحيّر فى وصفه سبحانه ، ولا تجد لذلك سبيلا .

(فانّما يدرك) كنه الشئ (بالصّفات ذوو الهيئات) اى الأشكال (و الأدوات) اى الآلات (و من ينقضى) اى يهلك (اذا بلغ امد حدّه بالفناء) اى اذا وصل الى منتهى العمر المقدّر له ، و بالفناء متعلق بـ ((ينقضى)) (فلا

إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ ؛ وَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً ، أَلَى دفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا ، لَكَانَ ذٰلِكَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ. فَلَمَّا اسْتَوْفَىٰ طُعْمَتَهُ، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ،

إله الاّ هو اضاء بنوره كلّ ظلام) من ظلمات العدم بأن اوجد المعدومات وظلمات الجهل ، وظلمات الليل وما اشبه (واظلم بظلمته) اى بالنسبة الى نوره (كلّ نور) فان كل نور فى قبال نوره مظلم .

(اوصيكم) يا (عباد اللّه بتقوى اللّه) اى الخوف منه ، والعمل بما امر (الذى البسكم الرياش) اى اللباس الفاخر ، الانسانى ، او الأعم من ذلك و من سائر الألبسة الحسنة ، والظواهر الجميلة (واسبغ) اى اكثر (عليكم المعاش) بما هيّ لكم ما تعيشون فيه .

(ولو انّ احداً يجد الى البقاء سلّما) شبّه البقاء بشئ رفيع ، لا يتناوله احد ، حتى اذا نصب السلم ــ وهو المعراج ــ (او الى دفع الموت سبيلا) اى وسيلة يتمكن بها من دفع الموت (لكان ذلك) العارف بطريق البقاء الأبدى (سليمان بن داوود عليه السلام الّذى سخّر له ملك الجنّ والانس) فكان الجن يطيعه كالانس (مع النبوة) فقد كان عليه السلام نبيّا للّه سبحانه (وعظيم الزّلفة) اى القرب من اللّه سبحانه ، لأن النبوة مقام عظيم ، وبكلمة جامعة ، قد جمع له السعادتان الدينية والدنيوية .

(فلما استوفى طعمته) اى ماكله المقدر له ، اذ اللّه سبحانه قدر لكل انسان قدرا خاصا من الرزق (واستكمل مدّته) بان اكمل مدة بقائه فى الدنيا

رَمَتْهُ قِسِيُّ ٱلْفَنَاءِ بِنِبَالِ ٱلْمَوْتِ ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَٱلْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً ، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ . وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً ! أَيْنَ ٱلْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْعَمَالِقَةِ ! أَيْنَ ٱلْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْفَرَاعِنَةِ !

المقدّرة له (رمته قسى الفناء) جمع قوس (بنبال الموت) جمع نبل ، و هو السهم ، قسى الفناء المقدرات التى تفنى الانسان ، و نبال الموت اسبابه ، من هموم و مرض ، و ما اشبه .

(و اصبحت الدّيار منه خالية) اذ انتقل الى قبره (و المساكن معطّلة) اذ لم يسكن بعد فى مسكن (و ورثها) اى تلك الديار و المساكن (قوم آخرون) من ورثته و المستولين للسلطة بعده .

(و ان لكم فى القرون السّالفة) جمع قرن ، و هو مائة سنة ، او مدة عمر جيل من البشر ، يقال لها قرن لاقتران اعمار بعضهم مع بعض ، و السالفة بمعنى السابقة (لعبرة) تكفى لأن تعتبروا بفناء الدّنيا ، و عدم بقاء سلطتها و زينتها (اين العمالقة) جمع عملاق ، و هو : الرجل القوى الكثير العمل ، و قد كانوا ملوكا يملكون اليمن و الحجاز ، و قد عاثوا فى الأرض فسادا حتّى ان الملك منهم امر بان العروس ليلة عرسها لا تذهب الى زوجها الا و قد زارها الملك و افتضّها ثم تذهب الى زوجها ، ثم هجم الناس عليه و قتلوه و اراحوا الناس من شره فى قصة طويلة مذكورة فى التواريخ (و ابناء العمالقة) ؟ استفهام على نحو التنبيه ، بمعنى ان دولتهم قد ابيدت و ملكهم قد ذهب ، و هم قد ماتوا فلا اثر لهم .

(اين الفراعنة) جمع فرعون (و ابناء الفراعنة) ؟ و هم ملوك مصر ، منهم فرعون موسى الذين كان يدعى الربوبية ، و يقتل الناس ، و يبقر بطون الحبال .

أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ ، أَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ ! وَأَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ ، وَهَزَمُوا أَلْأُلُوفَ ، وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ !

منها : قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا ، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا ،

(اين اصحاب مدائن الرس) كانوا يعبدون الشجر ، فاتاهم نبى ينهاهم عن ذلك لكنهم عتوا و قتلوا النبى اشنع قتله ، فأهلكهم الله سبحانه بعذاب شنيع (الذين قتلوا النبيين و اطفأوا سنن المرسلين) فان سنن المرسلين مصابيح تنير دروب الحياة ، ليرى الانسان المنهاج المسعد له فى دنياه و آخرته ، و اطفائها اخمادها ، و ترك العمل حتى تنسى ، كما فى زماننا الذى اطفئ الكفّار و المنافقون ـ عملائهم ـ منهاج القرآن ، و اتوا مكانه بمناهج اليهود و النّصارى (و أحيوا سنن الجبّارين) الذين مسلكهم جبر النّاس على الباطل ، و ظلم العباد بأنواع الظلم .

(و اين الّذين ساروا) الى اعدائهم (بالجيوش) الكثيرة ؟ معتزين بها (و هزموا الألوف) من جيش الأعداء ، لقوتهم و شدّة بطشهم .

(و عسكروا العساكر) اى جمعوها لحفظهم و حفظ رعاياهم (و مدّنوا المدائن) اى صنعوها و بنوها ؟ فقدمات كلهم ، و فنوا ، و بعد ذلك ينبغى للعاقل ان لا يغتر بالدنيا ، و لايعمل فيها ما يوجب عقابه و نكاله الأبدى .

(منها) : فى ذكر المتّقين و اصحاب العقل (قد لبس للحكمة) هى وضع الأشياء مواضعها (جنّتها) و هى ما يحفظ الانسان من الهذر و اللغو و العصيان ، كما تحفظ الجنّة صاحبها من الضرب و الطعن (و اخذها) اى الحكمة (بجميع ادبها) اى كل آدابها ، فلم يترك من الحكمة فى الأكل و اللبس

مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا ، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا ، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا ؛ وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا ، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا . فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ ، وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ ،

و التكلم ، و التعلم ، وما اشبه ، شيئا (من الاقبال عليها) اى على الحكمة (و المعرفة بها) فانه يعرف الحكمة وانها ما هى (والتفرغ لها) لا يشغل نفسه بضدها .

(و هى) اى الحكمة (عند نفسه ضالّته التى يطلبها) تشبيه لبيان شدّة طلبه لها ، كما يطلب الانسان بكل جد ما ضل من اثاثه و نقوده (و حاجته الّتى يسأل عنها) ليجدها و يعرفها ، كما يسئل الانسان عن حوائجه المادية (فهو) مع الاسلام يدور ، و منه لا ينفك (مغترب) اى يذهب الى الغربة (اذا اغترب الاسلام) بأن تركه اهله ، فكأنه سافر عنهم ، فانه ايضا يترك الناس و يكون مع الاسلام غريبا عندهم (وضرب) الاسلام (بعسيب ذنبه) اى اصل ذنبه (و الصق) الاسلام (الأرض) اى بالأرض (بجرانه) مقدم عنق البعير ، وهذان كنايتان عن ضعف الاسلام ، فان البعير اذا ضعف نام و الصق عنقه ، و آخر ذنبه على الأرض ، لا يقدر على القيام ، فمثل هذا الشخص ، و قيل المراد به الامام الحجة المهدى عليه السلام .

(بقية من بقايا حجته) اى حجج الله على الناس (خليفة من خلائف) جمع خليفة (انبيائه) فهو يمثّل الأنبياء فى التزامهم بالدين .

ثم قال عليه السلام : (ايها الناس انى قد بثثت) اى نشرت و اظهرت (لكم المواعظ التى وعظ الأنبياء بها) اى بتلك المواعظ (امتهم) من الأمر بالتقوى ، و الزهد فى الدنيا ، و الخوف من النار ، و الشوق الى الجنة .

وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَىٰ مَنْ بَعْدَهُمْ ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا ، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا . لِلّٰهِ أَنْتُمْ ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ ؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا ، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً ، وَأَزْمَعَ

(و اديت اليكم) اى اوصلت اليكم (ما ادّت الأوصياء) للأنبياء (الى من بعدهم) من النّاس ، الذين لم يدركوا الأنبياء .

(و ادّبتكم بسوطى فلم تستقيموا) بأن تتركوا كافة المعاصى ، و تنتهجوا نهج الاسلام سويا (وحد وتكم) اى سقتكم ، والحداء رفع الصوت للابل ليسير سيرا مطمئنا (بالزّواجر) جمع زاجرة ، و هى النصيحة التى تزجر الانسان عن المعصية (فلم تستوثقوا) يقال استوثقت الابل ، بمعنى اجتمعت ، و المراد انهم بقوا متفرقين لا تجتمع آرائهم على الحق .

(للّه انتم) كلمة تقال للذم ، و للمدح ، بمعنى ان اللّه يقدر على تقويمكم ، او ان امركم للّه سبحانه لا لغيره ـ كما تقدم ـ .

(اتتوقعون اماما غيرى يطأ بكم الطريق) اى يسير بكم فى الطريق السوى (و يرشدكم السبيل) الراشد ؟ ثم اخذ فى نصحهم ، و بيان ضجره من الدنيا بعد ان ذهب اصحابه الى الآخرة .

(الا انّه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلا) فان الانسان فى حالة طفولته ، يكون عمره مقبلا ، اذا يأتى نموه ، فاذ شاخ ، كان عمره مدبرا ، و هكذا (و اقبل منها) اى من الدنيا (ما كان مدبرا) من الشرور و الآثام التى ادبرت بمقدم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ، و لعل ادبار المقبل ـ ايضا ـ يراد به الخير ، الذى اقبل بمقدم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم (و ازمع) اى

التَّرْحَالَ عِبَادُ اللهِ الْأَخْيَارُ ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى ، بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى. مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ - وَهُمْ بِصِفِّينَ - أَنْ لَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً ؟ يُسِيغُونَ الْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ ! قَدْ - وَاللهِ - لَقُوا اللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ .

أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ ،

اظهر عزما (الترحال) اى الرحيل الى الآخرة (عباد الله الأخيار) فانهم حيث علموا فناء الدنيا يقصدون السير منها ، وقصدهم كناية عن تهيئة زاد الآخرة .

(و باعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى) فان الانسان اذا صرف عمره و ماله فى الخير ، كان بائعا لهما بالجنة التى لا تفنى ، قال سبحانه : ((ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم ، و اموالهم ، بان لهم الجنة)) ثم بين عليه السلام ان الذين استشهدوا فى سبيل الله لم يتضرروا بشئ ، بل العكس ربحوا الخلاص من الدنيا الكدرة .

(ما ضرّ اخواننا) ((ما)) استفهامية (الذين سفكت دماؤهم - و هم بصفّين -) موقعة الحرب مع معاوية (ان لا يكونوا اليوم احياء) ؟ اى ايّ شئ ضرهم فى عدم حياتهم (يسيغون الغصص) اساغه بمعنى بلعه ، و الغصص جمع غصة ، و هى ما يؤخذ فى الحلق ، فلا ينزل الى الجوف (و يشربون الرّنق) اى الماء الكدر كناية عن المتاعب و الآلام التى كان الامام يواجهها من جراء المنافقين .

(قد - و الله - لقوا الله) كناية عن موتهم (فوّاهم اجورهم) اى اعطاهم اجورهم كاملة (و احلّهم) اى اسكنهم (دار الأمن) اى الجنة (بعد خوفهم) فى الدنيا من الأعداء .

(اين اخوانى الذين ركبوا الطريق) اى استقاموا فيه ، لم ينحرفوا الى هنا

وَمَضَوْا عَلَىٰ ٱلْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ٱبْنُ ٱلتَّيِّهَانِ ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى ٱلْمَنِيَّةِ ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَىٰ ٱلْفَجَرَةِ!

قال : ثم ضرب بيده الشريفة على لحيته الكريمة، فأطال البكاء ، ثم قال عليه السلام :

أَوِّهِ عَلَىٰ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوُا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَتَدَبَّرُوا ٱلْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ

و هناك (و مضوا على الحقّ) ؟ لا يبتغون عنه بدلا (اين عمّار) بن ياسر ، من اصحاب الرّسول عليهم السلام الأولين ، و قد قال فيه صلى الله عليه و آله وسلم ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه ؟ (و اين ابن التيهان) ؟ هو ابو الهيثم مالك من اكابر الصحابة ؟ (و اين ذو الشهادتين) ؟ خزيمة بن ثابت الأنصارى ، الذى جعل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم شهادته منفردا قائمة مقام شهادة رجلين ، (و اين نظراؤهم) اى امثال هؤلاء الذين قتلوا بصفّين (من اخوانهم الّذين تعاقدوا على المنيّة) اى على الموت ، فان بعضهم عاهد الآخر ، على ان يقتلوا فى سبيل اللّه (و ابرد برؤوسهم الى الفجرة) اى قطعت رؤسهم ، وارسلت بواسطة البريد ، الى اصحاب الفجور ، و هم معاوية و جاشيته . فقد قطع اصحاب معاوية بصفين رؤس جماعة من اصحاب الامام ، عند الحرب ، و ارسلوا بها الى معاوية .

(قال : ثم ضرب) الامام عليه السلام (بيده الشريفة على لحيته الكريمة فأطال البكاء ، ثم قال عليه السلام :)

(اوه) كلمة ترجّع (على اخوانى الّذين تلوا القرآن فاحكموه) قرائة و علما و عملا (و تدبّروا الفرض) بان فكروا فيما هو مفروض عليهم من احكام اللّه سبحانه (فاقاموه) بان واظبوا عليه ادا ، و امرا للناس باتيانه (احيوا السّنة) الواردة

أَمَاتُوا ٱلْبِدْعَةَ . دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا ، وَوَثِقُوا بِٱلْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ .

ثم نادى بأعلى صوته :

ٱلْجِهَادَ ٱلْجِهَادَ عِبَادَ ٱللهِ ! أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هٰذَا ، فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَىٰ ٱللهِ فَلْيَخْرُجْ !

قال نوفٌ : وعقد للحسين – عليه السلام – في عشرة آلاف ، ولقيس بن سعد – رحمه الله – في عشرة آلاف ، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف ، ولغيرهم على أعداد أخر ، وهو يريد الرجعة إلى صفين ، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله ، فتراجعت العساكر ، فكنا كأغنام فقدت راعيها ، تخطفها الذئاب من كل مكان !

عن الرسول (و اماتوا البدعة) التى جاء بها الخلفاء ، كصلاة التراويح ،واسقاط ((حيّ على خير العمل)) من الأذان ، و ما اشبه ذلك (دعوا للجهاد فأجابوا) بان جاهدوا فى سبيل اللّه (و وثقوا بالقائد) يعنى نفسه الشريفة (فاتبعوه) فيما يأمر و ينهى .

(ثم نادى) الامام عليه السلام (بأعلى صوته) الزمو (الجهاد الجهاد) يا (عباد اللّه ، الا و انّى معسكر فى يومى هذا) لفتح الشام ، و خلاص المسلمين من معاوية و زمرته الطاغية (فمن اراد الرّواح الى اللّه) اى الى الآخرة ، دار ثواب اللّه سبحانه (فليخرج) معى (قال نوف) البكال ، راوى الخطبة (وعقد للحسين عليه السلام فى عشرة آلاف) بأن جعل له جيشا مكوّنا من عشرة آلاف شخص ، و الامام الحسين قائده (و لقيس بن سعد رحمه الله فى عشرة آلاف ، و لأبى ايّوب الأنصارىّ) الذى نزل عليه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم حين قدم المدينة (فى عشرة آلاف ، و لغيرهم على اعداد آخر و هو) عليه السلام (يريد الرجعة الى صفّين) اى قتال معاوية (فما دارت الجمعة) اى ما مضى اسبوع (حتّى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه اللّه ، فتراجعت العساكر فكنّا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَاَلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ . خَلَقَ اَلْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَاَسْتَعْبَدَ اَلْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ ، وَسَادَ اَلْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ ؛ وَهُوَ اَلَّذِي أَسْكَنَ اَلدُّنْيَا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى اَلْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ ، لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى وصفه تعالى ، وفضل القرآن ، ووعظ النّاس

(الحمد للّه المعروف من غير رؤية) اى لا يراه احد ، ومع ذلك يعرفونه بآثاره وصنائعه (والخالق من غير منصبة) اى تعب ونصب .

(خلق الخلائق بقدرته) لا بآلة ، اومشارك اوما اشبه (واستعبد الأرباب) اى جعل ارباب العبيد ، عبيدا له (بعزّته) لأنه اعز من الجميع (و ساد العظماء بجوده) فانه من جاء ساد ، ولا يخفى ان مثل تعليل ثانوى ، للاشارة الى هذا الوصف ، والا فالاستبعاد والسيادة ، بخلقه سبحانه لهم — اولا وبالذات — كما لا يخفى .

(وهو الّذى اسكن الدّنيا خلقه ، وبعث الى الجنّ والانس رسله) و البعثة الى الجن اما بان يعملوا كما يعمل الانس او بتكاليف أخر ، وانكان ظاهر الآيات انهم مكلفون بمثل ما كلف به الانس (ليكشفوا لهم عن غطائها) اى

وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا ، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا ، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا ، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا ، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ ، وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ . أَحْمَدُهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَىٰ خَلْقِهِ ، جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا ،

غطاء الدنيا ، فان الدنيا دار آلام و أتعاب ، لكنها مغطّات بغطاء مبهـــرج يوجب الخدعة و الغرور ، فاذا كشف للانسان عن غطاء الدنيا لم يغترر بها (و ليحذّروهم من ضرائها) اى ضر الدنيا الموجب للشقاء دنيا و آخرة (و ليضربـــوا لهم امثالها) اى الأمثال المرتبطة بالدنيا ، مما توجب عبرة و زيادة بصيرة (و ليبصروهم عيوبها) ككونها موجبة للغرور و مفوتة للآخرة لمن ركن اليها (و ليهجموا عليهم) الهجوم الدخول غفلة ، كان الناس كانوا غافلين ، فاذا بهم يـــــرون الأنبياء يقولون لهم ما يوجب اعتبارهم (بمعتبر) مصدر ميمى بمعنى الاعتبـار و الاتّعاظ (من تصرف مصاحّها) جمع مصحة بمعنى الصحة و العافية (واسقامها) اى ليقولوا لهم ما يوجب اعتبار الناس من ان الدنيا دار تتغير وتتبدل فيها الصحة و السقم ، فاللازم ان لا يغتر الانسان بالصحة ، ولا ييأس عند السّقم .

(و) من (حلالها و حرامها و) من (ما اعدّ الله للمطيعين منهم و العصاة من جنّة و نار) بيان ((ما)) (و كرامة و هوان) اى ذلّة (احمد مالى نفسه) اى حمدا ينتهى الى ساحة قدسه سبحانه : (كما استحمد الى خلقـه) اى طلب من خلقه ان يحمدوه ، فالطلب كان منه اليهم ، و الحمد منّى اليه (جعل) سبحانه (لكلّ شئ قدرا) فليس شئ اعتباطا عنده بلا تقدير ، مثلا جعـــــل للانسان عمرا محدودا (و لكل قدر اجلا) ينتهى ذلك القدر باتيان ذلك الوقت و الفرق بين القدر و الأجل ان الأول باعتبار تمام المدة ، و الثانى باعتبار آخرهـا

وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً .

منها : فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ . حُجَّةُ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ . أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُ ، وَارْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ . أَتَمَّ نُورَهُ ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَقَدْ فَرَغَ إِلَىٰ الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَىٰ بِهِ . فَعَظِّمُوا

(ولكل اجل كتابا) اذ كتب سبحانه فى اللّوح المحفوظ الآجال .

(منها) : فى فضل القرآن (فالقرآن آمر زاجر) آمر بالواجبات ، زاجر ، اى ناهى عن المحرمات (وصامت) لا يتكلّم بلفظ (ناطق) ببيان الأحكام (حجّة اللّه على خلقه) فان اللّه يحتجّ على الخلق بالقرآن يقول لهم ، هلا عملتم بعد ما بيّنت لكم فى القرآن .

(اخذ عليهم ميثاقه) اى العهد الأكيد بالايمان و العمل الصّالح ، و ذلك بواسطة الأنبياء .

(و ارتهن عليه انفسهم) اى على القرآن ، و معنى الجملة انه سبحانه جعل نفوسهم رهنا فى مقابل العمل بالقرآن ، فمن عمل فك رهنه ، و اخلص نفسه ، و من لم يعمل اخذ نفسه ، و القى فى جهنّم ، كما قال سبحانه : ((كلّ نفس بما كسبت رهينة)) .

(اتمّ نوره) اى نور القرآن فيكفى لاضائة الطريق ، بدون ان يبقى بعض الطريق مظلما .

(و اكمل به) اى بالقرآن (دينه) فان دين اللّه الذى كان بين النّاس كمّل بالقرآن (و قبض نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) بان اماته (و قد فرغ الى الخلق من احكام الهدى به) اى بسبب القرآن ، اى فرغ من بيان احكام الهدى و كان ذلك منتهيا الى الخلق ، بمعنى ان فائدته انتهت الى الناس (فعظّموا)

مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ ، فَإِنَّـهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً ، وَآيَةً مُحْكَمَةً ، تَزْجُرُ عَنْهُ ، أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ ،

ايّها النّاس (منه سبحانه ما عظّم من نفسه) اى ليكن تعظيمكم لما من طرفه سبحانه ، كما انه عظم لما كان من طرفه ، و المراد به القرآن .

(فانّه) تعالى (لم يخف عنكم شيئا من دينه) بل بين كله فى الكتاب و السّنة .

(و لم يترك شيئا رضيه) ممّا فيه مصلحة (او كرهه) مما فيه مفسدة (إلا و جعل له علما باديا) اى علامة ظاهرة (و آية محكمة) غير متشابهة (تزجر عنه) اى تنهى من ذلك الشئ ، كالخمر (او تدعو اليه) كالصلاة .

(فرضاه) سبحانه (فيما بقى واحد) اذ لا يقبل الرضا ، فيوما يرضى بالصلاة ، و يوما لا يرضى (و سخطه فيما بقى واحد) كما كان فيما مضى ، وهذا مضمون الحديث : ((حلال محمّد حلال الى يوم القيامة ، و حرام محمّد حرام الى يوم القيامة)) .

و قد فسر الجملتين بقوله عليه السلام : (و اعلموا انّه لن يرضى عنكم بشئ سخطه على من كان قبلكم) فانه لن يرضى بالشرك ـ مثلا ـ الذى سخطه على الأمم السابقة (و لن يسخط عليكم بشئ رضيه ممّن كان قبلكم) فلن يغضب بسبب الصلاة ، مما رضيه عن الأمم السّابقة ، و لا يخفى ان المراد اصول الدين و جوهر الشريعة ، اما مثل صوم الوصال ، و ما اشبه فلا مانع من الاختلاف حوله فى الأديان (و انّما تسيرون فى اثر بيّن) اى واضح ، لا يخشى عليكم منه الضلال ،

وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ . قَدْ كَفَاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ ، وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ .

وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى ، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ. فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ ، وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ. وَإِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ ، قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً

و الأثر موضع الأقدام فى التراب ، و كنى به هنا عن الأحكام الباقية من الأنبياء و المرسلين (و تتكلّمون برجع قول) هو ما يرجع من الصوت اذا اصطدم بجبل و نحوه (قد قاله الرّجال من قبلكم) و المراد بالرجال الأنبياء و الصلحاء ، اى ان كلامكم حول الأصول و الفروع هو استفادة من كلام الأنبياء و الأوصياء .

(قد كفاكم) سبحانه (مؤنة دنياكم) فانّ الشئ الأكبر من الدنيا مكفى ، و انّما يكسب الانسان لتحصيل ذلك المودوع فى الأرض من زرع وضرع و معدن و بناء ، و ما اشبه (و حثّكم على الشكر) على نعمائه (و افترض من السنتكم الذّكر) اى اراد من السنتكم ارادة مفترضة واجبة ، ان تذكروه تعالى .

(و اوصاكم بالتّقوى) بأن تخافوه فلا تخالفوه (و جعلها منتهى رضاه) فان منتهى رضاه سبحانه ان يتقيه الانسان ، فلا يعصيه (و) منتهى (حاجته من خلقه) و هذا كناية عن طلبه لا انه تعالى محتاج الى شئ من خلقه .

(فاتّقوا اللّه الّذى انتم بعينه) اى بحيث لا تخفون عليه ، فهو يراكم (و نواصيكم) جمع ناصية ، مقدم الرأس طرف الجبهة (بيده) كناية عن تسلّطه سبحانه عليهم (و تقلّبكم فى قبضته) اى ان حركاتكم كلها تحت قدرته ، لا يتمكن احد من الافلات عنه (و ان اسررتم) اى اتيتم بشئ سرا (علمه) تعالى (وان اعلنتم كتبه) و اثبته .

(قد وكّل بذلك) اى بان يكتب عنكم كل شئ (حفظة) جمع حافظ

كِرَاماً، لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا ، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا . وَاعْلَمُوا « أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً » مِنَ الْفِتَنِ ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ ، فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ؛ ظِلُّهَا عَرْشُهُ ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ ، وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ ؛ فَبَادِرُوا الْمَعَادَ ،

(كراما) جمع كريم ، و هم الملائكة ، و كونهم كراما ، لأنهم (لا يسقطون حقّا) ثبت عليكم (و لا يثبتون باطلا) ليس من اعمالكم ، بل يكتبون الأعمال بقدر ما عملتم .

(و اعلموا انّه من يتق الله يجعل له مخرجا من الفتن) فانّ الانسان كثيرا ما يعصي الله سبحانه ، بظنّ ان ذلك سنح له ، و الحال ان المتقي يخرج من الفتنة سليما ، و العاصي ان خرج فلا يخرج الاّ ملوّثا (و نورا من الظّلم) فانّه يبصر موضع الظلمة من المناهج الموجبة للضلال و الشقاء ، فيتجنبها (و يخلّده) في الآخرة (فيما اشتهت نفسه) من انواع الملذّات (و ينزله منزل الكرامة عنده) فيكون محترما مكرما لديه سبحانه .

(في دار اصطنعها لنفسه) و المراد بها الجنّة ، و معنى لنفسه انها خاصة بأوليائه .

(ظلّها عرشه) اى انهم هناك تحت سلطان الله فقط ، لا تحكمهم سلطات بشرية ، كما في الدّنيا (و نورها بهجته) فان الفرح الذى يغمر النّاس هناك يوجب انبساطهم ، كما يوجب النور في الدنيا انبساط الذين يعيشون فيه (و زوّارها ملائكته) فانهم يزورون الناس هناك ، كما قال سبحانه : ((و الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم)) .

(و رفقاؤها رسله) فان هناك مرافقة الرسل ، و صحبتهم (فبادروا المعاد

وَسَابِقُوا ٱلْآجَالَ ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ ٱلْأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ ٱلْأَجَلُ ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ . فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ ، عَلَىٰ سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالِارْتِحَالِ ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهٰذَا ٱلْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ ، فَٱرْحَمُوا نُفُوسَكُمْ ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ ٱلدُّنْيَا .

اى العمل للقيامة (وسابقوا الآجال) كان الأجل يريد اختطاف الانسان ، و الانسان يريد ان يعمل قبل ان يختطفه الأجل فهما يتسابقان .

(فان النّاس يوشك) اى يقرب (أن ينقطع بهم الأمل) بأن يموتوا فلا يبقى لهم املهم الذى كانوا يأملونه فى المستقبل (و يرهقهم الأجل) اى يغشاهم و يتبعهم (و يسد عنهم باب التوبة) فان الانسان اذا مات لم يقبل توبته .

(فقد اصبحتم فى مثل ما سأل اليه الرّجعة من كان قبلكم) اى انكم فى حالة يمكنكم فيها العمل لآخرتكم ، ممّا سئل الأموات الرجوع الى مثل حالتكم ، بقولهم : ((ربّ ارجعونى لعلّى اعمل صالحا فيما تركت)) (و انتم بنو سبيل) اى اناس فى الطريق ، لا فى المنزل ، فان الدنيا طريق ، وليس بمنزل .

(على سفر من دار) هى الدنيا (ليست بداركم) التى تبقون فيها ، وانما الآخرة دار الانسان (وقد اوذنتم منها بالارتحال) اى اعلمكم اللّه سبحانه انّكم سوف ترتحلون عنها (و امرتم فيها بالزاد) اى باخذ الزاد ، و هو الأعمال الصالحة .

(و اعلموا انه ليس لهذا الجلد الرقيق) و المراد : الأبدان البشرية (صبر على النّار) فى جهنّم (فارحموا نفوسكم) ولا تعملوا بالمعاصى ، حتّى تستحقّوا بها النّار فى الآخرة (فانكم قد جربتموها) اى نفوسكم (فى مصائب الدنيا) و

أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ ! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ ! أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ ،

آلامها ، وعرفتم مقدار تحمّلها .

(افرايتم جزع احدكم من الشّوكة تصيبه) مع صغرها وقلة وخزها (و العثرة) اى الوقعة على الأرض (تدميه) اى توجب خروج الدم من جسمه (و الرّمضاء) الأرض الحارّة (تحرقه) ؟ وهذه استفهامات للتقرير و الالفات (فكيف) حالكم (اذاكان) الجلد الرقيق (بين طابقين من نار) طابق فوقه و طابق تحته .

(ضجيع حجر) يكون منه ليزيد فى احراقه ، كما قال سبحانه : ((وقودها النّاس و الحجارة)) (و قرين شيطان) يوذيه ؟ (اعلمتم ان مالكا اذا غضب على النار) المالك ، هو الخازن للنار ، ومعنى غضبه على النار ارادته شدتها (حطم بعضها بعضا لغضبه) بمعنى حطم الحطب ، او هو كناية عن الزفير و الصياح المتداخل بعضه فى بعض (و اذا زجرها) و صاح عليها (توثبت) النار اى تحرك امواج من النار تحركا عنيفا كالمتوثب (بين ابوابها) اى ابواب النّار، وذكر الأبواب لأنها منتهى محل التوثب (جزعا من زجرته) اى خوفا منها ، و هذا كناية عن تلك الحركة المشابهة لحركة الجزع .

(ايها اليفن) اى الشيخ (الكبير) المسنّ (الذى قد لهزه) اى خالطه (القتير) اى الشيب ، كأنه صار جزءا منه (كيف انت اذا التحمت اطواق النّار بعظام الأعناق !) فصار الطوق النارى ، كاللحم فى اتصاله بعظم الفسق

وَنَشِبَتِ ٱلْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ. فَاللهَ اللهَ مَعْشَرَ ٱلْعِبَادِ ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ ، وَفِي ٱلْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ . فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا . أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ وَجُودُوا بِهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : «إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ »

حيث قد شويت اللحوم من تحته (و نشبت) اى علت (الجوامع) جمع جامعة و هى الغل يجمع اليدين الى العنق (حتّى اكلت لحوم السّواعد) ؟ جمع ساعد و هى اليد .

(فا) اتّقوا (الله الله) يا (معشر العباد) المعشر بمعنى الجماعة (وانتم سالمون فى الصّحة قبل السقم) فان السقيم لايتمكن من العمل، والمراد السقم فى الآخرة (و فى الفسحة قبل الضيق) فان الانسان فى الدنيا ، فى سعة يتمكن من العمل ، اما فى الآخرة فلا يتمكن من العمل الصالح كانه فى ضيق .

(فاسعوا فى فكاك رقابكم) بان تعملوا صالحا حتى تنجو من اسار العذاب (من قبل ان تغلق رهائنها) غلق الرهن ـ كذح ـ اذا استحق صاحب الحق و لم يفك حتى ينجى ماله (اسهروا عيونكم) اى اقلوا النوم بالليل ، للعبادة (و اضمروا بطونكم) ، بطول الجوع (و استعملوا اقدامكم) بالوقوف عليها فى الطاعة و الصلاة (و انفقوا اموالكم) فى سبيل الله (و خذوا من اجسادكم) باتعابها فى ترك الملذات ، و القيام بالفضائل (وجودوا بها على انفسكم) فان الانسان اذا اتعب جسمه فى العمل الصالح كملت نفسه و ترقت و ارتفعت (و لا تبخلوا بها) اى بالأجساد (عنها) اى عن النفوس (فقد قال الله سبحانه : ((ان تنصروا اللّه ينصركم ويثبّت اقدامكم))) فاذا نصر الانسان دين الله سبحانه

وَقَالَ تَعَالَىٰ: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ». فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ؛ اسْتَنْصَرَكُمْ «وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»، وَاسْتَقْرَضَكُمْ «وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»، أَرَادَ أَنْ «يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا». فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللهِ فِي دَارِهِ.

بجسمه ، نصره سبحانه بترفيعه فى الدّنيا و الآخرة ·

(و قال تعالى : ((من ذا الذى يقرض اللّه قرضا حسنا)))يقصد الاخلاص (فيضاعفه له) فيرده عليه مضاعفا (و له اجر كريم) مع اكرام و احترام ·

(فلم يستنصركم) الله ، اى يطلب نصركم (من ذلّ) له تعالى (و لم يستقرضكم من قل) اى من جهة قلة فى ماله سبحانه (استنصركم و له جنود السماوات و الأرض) كل شئ فى السماوات و الأرض مسخر بأمره تعالى يفعل ما يأمر (و هو العزيز الحكيم) الذى يقدر على كل شئ بعزته و قدرته ، و يفعل كل شئ حسب الصلاح بحكمته ·

(و استقرضكم و له خزائن السماوات و الأرض) الخزينة محل الثروة ، و الثروة انما تتولد من الشمس و البحر ، و الأرض ، و الفضاء ، فكلها خزائن الله سبحانه (و هو الغنى) عن كل احد (الحميد) المحمود فى غناه ، لا كالاغنياء البخلاء او المسرفين منهم ·

(اراد) سبحانه بالاستنصار و الاستقراض (ان يبلوكم) اى يختبركم (ايكم احسن عملا) ليجازى كل حسب عمله ·

(فبادروا باعمالكم تكونوا مع جيران اللّه فى داره) و المراد بجيران اللّه اهل كرامته الذين هم تحت لطفه ، كما ان الجار تحت لطف الجار ــ تشبيها

رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً ، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَىٰ لُغُوباً وَنَصَباً: «ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » . أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ ، وَهُوَ الْحُسْنَىٰ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ !

المعقول بالمحسوس ـ (رافق بهم رسله) اى جعل الله سبحانه هؤلاء الجيران مرافقين لرسله (و ازارهم ملائكته) اى امر الملائكة بزيارتهم اكراما لهم (و اكرم اسماعهم ان تسمع حسيس) اى الصوت الخفى (نارا ابدا) كما قال سبحانه ((لا يسمعون حسيسها و هم فيما اشتهت انفسهم خالدون)) (وصان) اى حفظ (اجسادهم ان تلقى لغوبا ونصبا) اللغوب الاعياء الشديد ، والنصب التعب كما قال سبحانه عن اهل الجنة : ((لا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب)) (ذلك) الذى قسم الله سبحانه لعباده الأخيار (فضل الله يؤتيه من يشاء) ممن امن وعمل صالحا (والله ذو الفضل العظيم) على عباده (اقول ما تسمعون) هذا كلام يقوله الانسان عند ما يريد الفات السامع ، الى انه قد اتم الحجة ، وبقى على السامع ان يعمل او لا يعمل (والله المستعان على نفسى و انفسكم) بأن يعيننا حتى نتمكن من كبح جماح انفسنا (وهو حسبى) اى كافى (ونعم الوكيل) فانّ الانسان اذا وكل الله سبحانه فى امره كفاه احسن كفاية ، بفضله ولطفه .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله للبرج بن مسهر الطائي ، وقد قال له بحيث يسمعه :
«لا حكم إلا لله» ، وكان من الخوارج

أَسْكَتَ قَبَحَكَ اللهُ يَا أَثْرَمُ ، فَوَاللهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلًا شَخْصُكَ ، خَفِيًّا صَوْتُكَ ؛ حَتَّىٰ إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(قاله للبرج بن مسهر الطائى و قد قال) برج (له) اى للامام (بحيث يسمعه : لا حكم الاّ للّه وكان) برج (من الخوارج) و هم يريدون بهذه الجملة انه لا حاجة الى الدولة و الرئيس ، و انما كل انسان يعمل بنفسه فيما فهم انه حكم اللّه .

(اسكت قبحك اللّه) اى جعلك قبيحا فى الدنيا و الآخرة (يا اثرم) وهو من سقط ثنايا اسنانه ، فصار مشوها عند التكلم و الضحك (فو اللّه لقد ظهر الحقّ فكنت فيه ضئيلا شخصك ، خفيّا صوتك) كناية على انه لم يكن يعمل لاعلاء الحق ، بل كان فى معزل عن الحق ، يوم اعتلى و ارتفع فى زمن الرسول ،اوزمن الامام حين حارب الجمل و معاوية (حتى اذا نعر الباطل) اى صاح ، حين خروج الخوارج (نجمت) اى ظهرت (نجوم قرن الماعز) اى مثل ظهور قرن المعز ، فانه يظهر ناتيا فى محل معتدل لا يلائمه ، و هذا التشبيه لتحقيره .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

حمد الله تعالى

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ، الدَّالُّ عَلَىٰ قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَىٰ وُجُودِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَىٰ أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ . الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى حمد اللّه ، وذكر الرّسول ، والالفات الى خلق الحيـــوان

(الحمد للّه الذى لا تدركه الشّواهد) جمع شاهدة ، اى لا تدرك الأدلّة كنهه تعالى (ولا تحويه) اى لاتشتمل عليه (المشاهد) جمع مشهد بمعنى : المحضر ، فانه سبحانه لا يحويه مكان ، اذ ليس بجسم ، (ولا تراه النّواظر) جمع ناظرة ، بمعنى : العين (ولا تحجبه السّواتر) فانّ الأستار لا تمنع اللّه سبحانه عن النّظر الى خلقه (الدّال على قدمه) اى كونه قديما لا حدوث لـــه (بحدوث خلقه) فان الحادث ــ كما نشاهد فى الخلق ــ ما له اول ، واللّه ليس له اول ، اذ لو كان له حدوث لكان محتاجا ، فلم يكن الها (وبحدوث خلقه على وجوده) اذ لو لم يكن له وجود لم يكن خلق حادث فان الأثر يدلّ على المؤثّر (وباشتباههم على ان لا شبه له) فان الأشباه فى الحكم سواء ، واذ كانت الأشباه مخلوقات لدلّت على انّ الخالق ليس له شبيه (الّذى صدق فى ميعاده)

وَٱرْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِٱلْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ . مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ ٱلْأَشْيَاءِ عَلَىٰ أَزَلِيَّتِهِ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ ٱلْعَجْزِ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا ٱضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ ٱلْفَنَاءِ عَلَىٰ دَوَامِهِ . وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ، وَدَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ، وَقَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ . تَتَلَقَّاهُ ٱلْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ ، وَتَشْهَدُ لَهُ ٱلْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ .

فوعده صادق لا خلف فيه (و ارتفع عن ظلم عباده) اى تنزه و تعالى ،فلا يظلم احدا .

(و قام بالقسط) اى العدل (فى خلقه) و القيام كناية عن استمراره سبحانه لذلك (و عدل عليهم فى حكمه) فحكمه عدل لا جور فيه .

(مستشهد بحدوث الأشياء على ازليته) يعنى أنه تعالى استشهد ـ تكوينا ـ و ذلك لأنّ الحادث يدلّ على ان باريه قديم ، والاّ لاحتاج الى آخر (وبما وسمها) اى جعل على الأشياء علامة (به) يعود الى ((ما)) (من العجز) بيان ((ما)) (على قدرته) اى ان عجز الأشياء دالّ على قدرته تعالى ، اذلو كان عاجزا كان كاحدها فلم يقدر على الخلق (و بما اضطرها اليه من الفناء) اى استشهد سبحانه بفناء الأشياء الّتى اضطرها اليه (على دوامه) اذ لو كان فانيا كأحد الأشياء فلم يكن الها (واحد لا بعدد) اى ليست الوحدة العددية ـ التى بعدها الاثنان و الثلاثة و هكذا ـ شاملة له تعالى (و دائم لا بأمد) اى لا غاية و امد له (و قائم لا بعمد) اى ليس له عماد ، كما للانسان القائم عماد من عظامه و رجليه و ما اشبه (تتلقاه الأذهان) اى تعرفه سبحانه (ولا بمشاعرة) اى بتأثر المشاعر منه ، كما يتاثر الحواس من المحسوسات ـ اذ ليس سبحانه محسوسا ـ .

(و تشهد له المرائى) جمع مرات ، بمعنى المنظر (لا بمحاضرة) اى

لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ ، بَلْ تَجَلَّىٰ لَهَا بِهَا ، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا . لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً ، وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً ؛ بَلْ كَبُرَ شَأْناً ، وَعَظُمَ سُلْطَاناً .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ ، وَ

بكونه سبحانه منظورا فيها ، بل ان خلقها دال على وجود خالق له (لم تحط به الأوهام) بان تعرف الأذهان حقيقته تعالى (بل تجلّى) سبحانه (لها) اى للأوهام (بها) اى بسبب الأوهام فانّ الذهن لما عرف انه مخلوق عرف انّ له خالقا ، اذ كل اثر يدلّ على المؤثر (وبها) اى بدلالة الأوهام على انّه سبحانه لا يمكن درك كنهه (امتنع منها) اى امتنع تعالى من ان تناله الأوهام .

والحاصل : ان امتناع ادراك كنهه يدل عليه الذهن (واليها) اى الى الأوهام (حاكمها) اى حاكم اللّه الأوهام ، بان قال للأذهان تفكرى هل يمكن ادراك كنه اللّه ؟ فتفكرت فى الأدلة ، واجابت بالنفى ، لأنّ المحدود لا يمكن ان يشمل على غير المحدود (ليس) اللّه سبحانه (بذى كبر) جسمى (امتدّت به النّهايات) اى الطول والعرض والعمق (فكبّرته تجسيما) اى جعلته النهايات جسما كبيرا (ولا بذى عظم تناهت به الغايات) اى انتهت الى غاية فى اطرافه ، كما ينتهى كل جسم الى غاية فى جوانبه الست (فعظّمته الغايات (تجسيدا) له بان صار سبحانه جسدا (بل كبر) اى اذا قيل ((كبر)) كان المراد (شأنا) فهو معنوى لا مادّى (وعظم سلطانا) لا عظمة جسمية .

(واشهد انّ محمّدا عبده ورسوله الصّفى) اى الذى اصطفاه واختاره (و

أَمِينُهُ الرَّضِيُّ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ ،وَإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا ، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالاًّ عَلَيْهَا،وَأَقَامَ أَعْلَامَ الاهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الإِسْلَامِ مَتِينَةً ، وَعُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً .

امينه الرّضى) اى المرضى عنده تعالى (صلى الله عليه وآله) جملة خبرية فى معنى الدّعاء ، اى اللّهم صلّ عليه ، و الصلاة من الله انزال الرحمة .

(ارسله) تعالى (بوجوب الحجج) اى الأدلة الواجبة الثابتة (وظهور الفلج) اى الظفر على الأعداء (وايضاح المنهج) اى الطريق ، والمراد هنا الطريق الى رضوان الله تعالى (فبلغ الرّسالة صادعا بها) اى معلنا لها (و حمل) النّاس (على المحجّة) اى الطّريق السّوى (دالاّ عليها) وذلك ببيان الأحكام الموجب لنجاة العامل بها (واقام اعلام الاهتداء) جمع علم وهو ما ينصب فى الطّريق لهداية السّائر الى الطريق (ومنار الضياء) المنار: المحل المرتفع الذى يوضع عليه النور ، لهداية السائر ليلا على الطريق .

(وجعل امراس الاسلام) جمع مرس ، وهو جمع مرسة ، بمعنى الحبل (متينة) اى قويّة ، والمراد بامراس الاسلام ، احكامه واصوله واخلاقه وكونها متينة ، بمعنى كونها مطابقة للواقع موجبة للسعادة ، فمن تمسّك بها رفعته الى الجنّة والسّعادة (و) حبل (عرى الايمان) جمع عروة ، وهى : ما يلزم من الابريق والكوز وما اشبه (وثيقة) اى قوية لا تنفصم ، كما قال سبحانه : ((فقد استمسك بالعروة الوثقى)) وهذان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس.

منها في صفة خلق اصناف من الحيوان

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ ٱلْقُدْرَةِ ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ ، لَرَجَعُوا إِلَىٰ الطَّرِيقِ ، وَخَافُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ، وَلٰكِنِ ٱلْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ ، وَٱلْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ ! أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَىٰ صَغِيرِ مَا خَلَقَ ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ ، وَسَوَّىٰ لَهُ ٱلْعَظْمَ وَٱلْبَشَرَ ! ٱنْظُرُوا إِلَىٰ النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا ، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ ٱلْبَصَرِ ،

(منها) : (فى صفة خلق اصناف من الحيوان) .

(ولو فكّروا) اى النّاس (فى عظيم القدرة) اى قدرة اللّه سبحانه العظيمة (وجسيم النّعمة) اى النّعمة الكبيرة الّتى انعم سبحانه بها على النّاس (لرجعوا الى الطّريق) اى طريقه سبحانه فى الايمان و الطاعة (و خافوا عذاب الحريق) اضيف ((عذاب)) الى ((الحريق)) لأنّ المراد به جهنّم (و لكنّ القلوب عليلة) لم تمتلأ بالايمان حتى تعمل بمقتضاه (و البصائر) جمع بصيرة (مدخولة) ليست على صفائها حتى ترى الحق ، بل دخلتها وسواس الشياطين ، و هوى النّفس الأمارة .

(الا تنظرون الى صغير ما خلق) سبحانه (كيف احكم خلقه) ؟ فليس اهمل فيه بعض النواحي الصغيرة كما هو عادة الانسان لا يهتم بالأمور الصغيرة و انما يصب اهتمامه على الأمور الكبيرة (و اتقن تركيبه) فى جعل الأدوات والأجهزة له (و فلق) اى خلق (له السّمع و البصر) شق فى رأسه موضعها .

(و سوّى له العظم) اى جعله سويا صحيحا (و البشر) جمع بشرة و المراد بها مقابل العظم (انظروا الى النّملة فى صغر جثّتها) اى جسمها (و لطافة هيئتها) فانها فى شكل لطيف دقيق (لا تكاد تنال بلحظ البصر) اى

وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ ٱلْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَىٰ أَرْضِهَا ، وَصُبَّتْ عَلَىٰ رِزْقِهَا، تَنْقُلُ ٱلْحَبَّةَ إِلَىٰ جُحْرِهَا، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا. تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا ،وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا ؛ مَكْفُولَةٍ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا؛ لَا يُغْفِلُهَا ٱلْمَنَّانُ ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، وَلَوْ فِي الصَّفَا ٱلْيَابِسِ ، وَٱلْحَجَرِ ٱلْجَامِسِ! وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا ، فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا ، وَمَا فِي

برؤية العين ، لصغرها (و لا بمستدرك الفكر) اى بالفكر الّذى استدرك ،ونبّه الانسان اليه بعد الغفلة (كيف دبّت) و تحركت النملة (على ارضها) اى الأرض المعدة لها (و صبت على رزقها) فانّ النّمل تجتمع على الأرزاق المقدرة لها ، فى شبه الانصباب (تنقل الحبّة الى جحرها) آية حبة كانت و الجحر المنزل (و تعدها) اى تجعلها مستعدة للبقاء و الأكل (فى مستقرّها) اى محل استقرارها (تجمع فى حرّها) اى الصيف و ما اشبه (لبردها) اى الشتاء ، حيث لا تتمكن من الخروج للمطر و الثلج (و فى وردها لصدرها) اى تجمع فى حال ما ترد الى الخارج ، لحالها اذا رجعت الى جحرها ، فان الصدر ـ محركا ـ الرجوع بعد الورود (مكفولة برزقها) فانّ اللّه سبحانه كفل لها رزقها (مرزوقة بوفقها) اى انها رزقت رزقا موافقا لها (لا يغفلها المنّان) اى لا يجعله اللّه سبحانه غافلة حتى لا تكد لرزقها (و لا يحرمها الدّيان) سبحانه ، بأن يمنعها من الرزق فقد اعطاها الفطنة لجمع الرزق و اعطاها الرزق ، و المنّان : كثير المن و العطاء ، و الديان : كثير الحكم على الخلائق (و لو فى الصّفا) هى الصّخرة الصلبة الملساء (اليابس) اى لا يحرمها ، و لو كانت على مثل هذه الصّخرة التى لا تنبت العشب (و الحجر الجامس) اى الجامد .

(و لو فكرت فى مجارى اكلها) اى اكل النّملة ، و المراد بالمجارى الأمعاء (فى علوها و سفلها) اذ الغذاء يصعد و ينزل فى الامعاء الملتوية (و ما فى

ٱلْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا ، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا ، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبـاً ، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً ! فَتَعَالَىٰ الَّذِي أَقَامَهَا عَلَىٰ قَوَائِمِهَا ، وَبَنَاهَا عَلَىٰ دَعَائِمِهَا ! لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ ، وَلَمْ يُعِنْهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ . وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُـغَ غَايَاتِهِ ، مَا دَلَّتْكَ ٱلدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَىٰ أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَغَامِضِ ٱخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ . وَمَا ٱلْجَلِيلُ وَ

الجوف من شراسيف) و هى : اطراف البطن الداخلة التى تشرف على البطن . (بطنها و ما فى الرأس من عينها و اذنها) بكل نظام و دقّة (لقضيت من خلقها عجبا) اى تعجبت تعجّبا كاملا (و لقيت من وصفها تعبا) فانّ الانسان اذا اراد وصفها وصفا دقيقا تعب و نصب ، وقد كتب علماء الحيوان فى العصر الحديث كتبا متعددة حول النمل (فتعالى) الله (الذى اقامها على قوائمها) جمع قائمة ، و هى الأيدى و الأرجل (و بناها) اى بنى جسمها (على دعائمها) جمع دعامة اى الأعضاء و الآلات (لم يشركه) سبحانه (فى فطرتها) اى خلقتها (فاطر) شريك غيره (و لم يعنه فى خلقها قادر) فانه سبحانه لا يستعين بشئ فى خلقه للأشياء .

(و لو ضربت فى مذاهب فكرك) اى صرفت الفكر هنا و هناك ، تشبيها بالضرب فى الأرض (لتبلغ غاياته) اى غاية الفكر (ما دلتك الدّلالة) اى الأدلة و البراهين (الاّ على انّ فاطر النّملة هو فاطر النخلة) فهو سبحانه الخالق للكبير ، كما انه خالق للصغير (لدقيق تفصيل كلّ شئ) اى ان الدقة فى كل شئ يدل على ان الخالق واحد ، من غير فرق بين ان يكون ذلك الشئ صغيرا ، او كان كبيرا (و غامض اختلاف كلّ حىّ) اى ان كل حىّ مع اختلافه مع سائر الأحياء ، غامض فى التركيب و الأجهزة (و ما الجليل) اى العظيم (و

اللَّطِيفُ ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً.

وَكَذٰلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ ، وَالرِّيَاحُ وَالْمَاءُ . فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ ، وَاخْتِلَافِ هٰذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَفَجُّرِ هٰذِهِ الْبِحَارِ ، وَكَثْرَةِ هٰذِهِ الْجِبَالِ ، وَطُولِ هٰذِهِ الْقِلَالِ وَتَفَرُّقِ هٰذِهِ اللُّغَاتِ ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ. فَالْوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ الْمُقَدِّرَ ، وَأَنْكَرَ الْمُدَبِّرَ !

اللّطيف) اى الدّقيق (و الثّقيل و الخفيف و القوىّ و الضّعيف فى خلقه) سبحانه (الاّ سواء) من جهة الدقة و الاتقان .

ثم صرف عليه السلام مساق الكلام الى خلق السماء و الكون بقوله : (و كذلك) تدل على اله قدير حكيم (السّماء و الهواء و الرّياح) هى الهواء التى تهب و الهواء التى لا تهب (و الماء) كلها فى غاية الدقة و الاتقان ، مما تدل على حكيم عليم .

(فانظر الى الشمس و القمر و النّبات و الشجر و الماء و الحجر) امثلة لمختلف اصناف المخلوقات العلوية و السفلية ، النامية وغير النامية ،والسائلة و الجامدة الالفات الى مختلف اصناف الأشكال و الحقائق فى الخلق .

(و اختلاف هذا الليل و النهار) كون كل واحد منهما خلفة للآخر ، و آتيا مكانه (و تفجّر هذه البحار) فانّ الأمواج و التيارات توجب ظهور التفجّر فى البحار (و كثرة هذه الجبال) فى كل مكان من اماكن الأرض (و طول هذه القلال) جمع قلة ، و هى رأس الجبل (و تفرّق هذه اللّغات) فلكل قوم لغة خاصة كالعربية و الفارسية و التركية (و الألسن المختلفات) فلكل انسان لهجة خاصة و نبرة مخصوصة بها يميز صوته عن اصوات اشباهه .

(فالويل لمن جحد المقدّر) اى اللّه سبحانه الذى قدر هذه الأشياء و خلقها (و انكر المدبر) الذى دبّر ، و كان الفرق بينهما ، ان التقدير

زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ ؛ وَلَمْ يَلْجَؤُوا إِلَىٰ حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا ، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا ، وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ !

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ ، وَ

التخطيط ، و التدبير جعل طريق الوصول الى النتيجة (زعموا انهم كالنّبات) الذى يخرج فى البرية بلا زارع انسانى (ما لهم زارع) خلقهم و كونهم (و لا لاختلاف صورهم صانع) اى صانع جعلهم مختلفين فى الصورة ، و هولاء هم الطّبيعيّون ، و كلامهم هراء و سخف اذ احتياج المعلول الى العلة ضرورى لا يخفى على ذى عقل (و لم يلجأوا) اى لم يستندوا (الى حجّة) و برهان (فيما ادّعوا) من انه لا صانع للكون (و لا تحقيق لما اوعوا) بمعنى ((وعوا)) اى بما حفظوا و جعلوا صدورهم خزانة له ، فان الجهال يعون بلا تدبّر و ادلّة بخلاف العلماء الذين لا يحفظون الا ما قامت عليه البراهين (و هل يكون بناء من غير بان) ؟ يبينه (او جناية من غير جان) ؟ استفهام انكارى ، اى لا يكون ذلك ، فاذا لم يكن بناء صغير بدون بناء ، او اثر صغير لجناية بدون فاعل فكيف يمكن بناء الكون الكبير و هذه الآثار العظيمة بلا خالق ؟ .

(و ان شئت قلت فى الجرادة) اى تكلمت حول خلق الجرادة ، مما يدل على انه لا بد لها من صانع مع صغرها فكيف بالكون الكبير الذى تكون الجرادة جزءا ضئيلا من اجزائه ؟ (اذ خلق) اللّه سبحانه (لها عينين حمراوين) فانّ عينها حمراء (و اسرج لها) الاسراج اضائة السراج ، اى المصباح (حدقتين) الحدقة : محل الرؤية فى العين ، و (قمراوين) اى مضيئين ، كان كلا منهما ليلة قمراء اضائها القمر (و جعل لها السّمع الخفىّ) غير الظاهر فى جسمه (و

فَتَحَ لَهَا ٱلْفَمَ السَّوِيَّ ، وَجَعَلَ لَهَا ٱلْحِسَّ ٱلْقَوِيَّ ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ ، وَ مِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ . يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا ، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّىٰ تَرِدَ ٱلْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا وَ تَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا . وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يُكَوِّنُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً .

فَتَبَارَكَ ٱللهُ الَّذِي ﴿ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

فتح لها الفم السّوى) اى المستوى الذى لا انحراف فيه (وجعل لها الحسّ القوى) فانّه يحس بالأشياء ، ولذا يفرّ طائرا اذا علم بالخطر (و) جعل لها (نابين) هى السن (بهما تقرض) الأشياء ، كالمقراض (ومنجلين) المنجل الة عوجاء من حديد يقطع بها الزرع (بهما تقبض) والظاهر ان المراد بهما رجلاها ، فانهما ، خشنتان عوجاوتان ، كالمنجل .

(يرهبها) اى يخاف من الجرادة (الزرّاع) جمع زارع (فى زرعهم) لأنها تاكل الزرع (ولا يستطيعون ذبّها) اى دفعها (ولو اجلبوا بجمعهم) اى تهيّئوا جميعا (حتّى ترد) الجرادة (الحرث) اى الزرع (فى نزواتها) يقال نزا عليه اذا وثب اى فى وثباتها (وتقضى منه فى شهواتها) اى شهوتها الاكل ، حتى تشبع .

(وخلقها كلّه لا يكون اصبعا) اى بمقدار اصبع (مستدقّة) اى دقيقة صغيرة .

(فتبارك) بمعنى الثبات والبقاء ، اصله من برك الابل ، اذا نام على الأرض ، ومنه البركة ، بمعنى : الزيادة ، لأنها توجب دوام النعمة ، اذ النعمة القليلة تفنى بسرعة .

(اللّه الّذى يسجد له من فى السّماوات والأرض) سجودا تكوينيا ، بمعنى الخضوع ، او ان لكل شئ سجود واقعى ، فان من المحتمل تزود كل شئ بنوع

طَوْعاً وَكَرْهاً » ، وَيُعَنُو لَهُ خَدًّا وَوَجْهاً ، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً ، وَيُعْطِي لَهُ ٱلْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً ! فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ ؛ أَحْصَىٰ عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفَسَ ، وَأَرْسَىٰ قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَىٰ وَٱلْيَبَسِ ؛ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا ، وَأَحْصَىٰ أَجْنَاسَهَا . فَهٰذَا غُرَابٌ وَهٰذَا عُقَابٌ . وَهٰذَا حَمَامٌ وَهٰذَا نَعَامٌ . دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِٱسْمِهِ ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ .

من المعرفة و الادراك ، و ان كنّا لا ندرك كيفيّة ذلك (طوعا و كرها)هذا كناية عن قطعية السجود ، لا لبيان ان بعض الأشياء تسجد كرها (و يعنو) اى يخضع (له) تعالى (خدّا و وجها) اى اتجاها ، فان الوجه سمى بذلك لاتجاهه نحو المطلوب ، و اتجاه الأشياء اليه فيما اذا اريد التوجه نحوه (و يلقى اليه) تعالى (بالطاعة سلما وضعفا) فكل شئ سلم للّه سبحانه ، وضعيف فى قبال قدرته عزّ اسمه (و يعطى له القياد) حتى يقوده تعالى كيف شاء (رهبة و خوفا) منه تعالى .

(فالطّير) و المراد بها : الجنس ، ولذا جئ لها بوصف مؤنث (مسخّرة لأمره) تعالى ، لا تتمكن ان تزول عن الخطة التى جعلها لها (احصى) تعالى (عدد الرّيش منها و النّفس) اى عدد انفاسها التى يتنفّس بها (و ارسى قوائمها) اى جعل ارجلها (على النّدى) اى الماء (و اليبس) اى الأرض ، فمن الطير ما يسكن الماء ، و منه ما يسكن فى الأرض (و قدّر اقواتها) فلكلّ واحد من اقسام الطير ، قوت خاص قدّر له (و احصى) اى حسب (اجناسها) بمعنى انه علم عدد اجناس الطيور ، كالبلبل ، و الحمام ، و الدراج ، و ما اشبه (فهذا غراب ، و هذا عقاب ، و هذا حمام ، و هذا نعام) اى نعامة (دعا كل طائر باسمه) اى سمى كل طائر باسمه الّذى هو علامة خاصة له ، و ليس المراد اللّفظ ، بل المراد جعل الحقيقة لكل طائر (و كفل له برزقه) فلكلّ طير ياكل

وَأَنْشَأَ « السَّحَابَ الثِّقَالَ » فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا ، وَعَدَّدَ قِسَمَهَا . فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا ، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

تجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا تجمعه خطبة

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ ،

رزق اللّه المقدّر له .

(و انشأ) اى خلق (السّحاب الثّقال) اى الثّقيلة بالماء (فاهطل ديمها) اى مطرها فان ديم ـ على وزن همم ـ جمع ديمة ، و هو مطر يدوم فى سكون و اهطال ، جعلها بحيث تتتابع بالمطر (وعدّد قسمها) بمعنى احصى ما قدر من تلك الأمطار لكل بقعة من بقاع الأرض (فبلّ الأرض) اى جعلها مرطوبة ، بماء المطر (بعد جفوفها) اى يبسها (و اخرج نبتها بعد جدوبها) اى ان اجدبت ـ ضد اخصبت ـ لانقطاع المطر عنها .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

و تجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا تجمعه خطبة

(ما وحده من كيفيّة) اى لم يجعل اللّه سبحانه واحدا ، من جعل له كيفا ، اى حالة ، اذ الحالة غير الذّات ، فيوجب ذلك الاثنينية مثلا ((زيد)) شئ ، و ((المرض)) شئ ، وكذلك ((العلم)) و ((القوة)) و ((الكرم)) و غيرها ، و انّما اللّه سبحانه صفاته عين ذاته (ولا حقيقته اصاب من مثله) اى جعل له

وَلَا إِيَّاهُ عَنَىٰ مَنْ شَبَّهَهُ ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ . كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ . فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ ، مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ ،

سبحانه مثالا ، اذ المثال لما كان ممكنا لزم ان يكون المثّل ايضا ممكنا ، و من وصفه سبحانه بصفات الممكنات لم يصب حقيقية اللّه تعالى ـ الّتى هى واجب وجوده غير مماثل للممكنات .

(ولا ايّاه عنى) اى قصد (من شبّهه) اى جعل له شبيها ـ لما تقدم فى دليل نفى المثال ـ .

(ولا صمده) اى قصده (من اشار اليه) لأن الاشارة تستلزم الجسمية و الجهة ، و اللّه ليس بجسم ولا له جهة (و توهّمه) اى تصوّره فان كنهه سبحانه مخفى ، فمن تصوّر كنهه فانما المتصوّر غير اللّه سبحانه .

(كل معروف بنفسه) اى كل ما كان ذاته معروفة ، و نفسه واضحة لدى الانسان (مصنوع) اى مخلوق ، اذ ذات الخالق لا تعرف ، فانّها غير محدودة ، و الذهن المحدود لا يمكن ان يحتوى على ما ليس بمحدود .

(و كلّ قائم فى سواه) اى ما كان قيامه و وجوده بسبب غير نفسه (معلول) اى له علة ، بخلاف ما كان قيامه بذاته ـ و هو اللّه سبحانه ـ فانه علّة و ليس بمعلول لشئ .

(فاعل لا باضطراب آلة) اى لم يضطرب سبحانه فى خلق الأشياء ، كما يتحرك و يضطرب آلات الانسان ـ اى جوارحه ـ لدى ارادته ان يعمل عملا ما (مقدّر) للأشياء (لا بجول فكرة) فانّ الانسان اذا اراد ان يقدر شيئا و يخطّطه لابد و ان يحرّك فكره اولا ، و ذلك ليس فى اللّه سبحانه ، اذ لا فكر له و انما علم و ارادة .

غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ. لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ ، وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ ، سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ ، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ ، وَالِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ. بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ ، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ .

(غنى لا باستفادة) الثروة والقدرة من غيره ، و انما هو سبحانه غنيّ بذاته .

(لا تصحبه الأوقات) فانّ الوقت حادث ، و القديم يستحيل عليه مقارنة الحادثات (ولا ترفده) اى تعينه (الأدوات) اى الآلات كما تعين الانسان فى حوائجه (سبق الأوقات كونه) اى وجوده سبحانه اذ الوقت حادث وهوقديم .

(و) سبق (العدم وجوده) و ليس كالممكنات التى يسبقّ على وجودها العدم ، اذ انها معدومة ثم توجد (و) سبق (الابتداء ازله) فهو اول و لا ابتداء له (بتشعيره المشاعر) جمع مشعر ، بمعنى آلة الشعور و الادراك ، كالعين ، و الاذن ، اى بجعله سبحانه لهذه المشاعر (عرف ان لا مشعر له) اى لا حاسة له ، اذ هو سبحانه لا يشابه خلقه ، فاذا جعل شيئا فى الخلق دلّ ذلك على نفيه عن وجوده سبحانه (و بمضادّته بين الأمور) اى جعل بعضها ضدّ بعض ، كالحرارة ضد البرودة ، و السواد ضد البياض (عرف ان لا ضدّ له) اذ الضدّان امران وجوديان يخلف احدهما الآخر ، و اللّه سبحانه لا يخلف مكانه شئ ، كما انه لا يخلف شيئا ..

(و بمقارنته بين الأشياء) بان جعل بعضها قرين بعض ، كجعل اللحم قرين الدم فى جسم الانسان (عرف ان لا قرين له) فانّ الاقتران حدوث حالة للشئ بعد عدمها ، و اللّه سبحانه لا تتبدّل عليه الأحوال و الا لزم ان يكون ممكنا. و من المحتمل ان يراد من ((المقارنة)) المماثلة ، و المعنى انه لا مثل لمتعالى ــ و انكان الظاهر هو المعنى الأول ــ .

ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ ، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ ، وَالْحَرُورَ بِالصَّرَدِ . مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا ، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا ، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا ، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا . لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ ، وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ الْآلَةُ إِلَىٰ نَظَائِرِهَا .

(ضاد النّور بالظّلمة) اى جعل بينهما تضادّا (و الوضوح بالبهمة) فان الظهور ضد الخفاء ــ فى كل شئ ــ و البهمة بمعنى الخفا ، من الابهام (و الجمود بالبلل) فان البلة سيالة ، و الجمود ثابت ، كالماء ، و الحجر (و الحرور) اشدة الحر (بالصّرد) اى شدة البرد .

(مؤلّف بين متعادياتها) فانه سبحانه جمع فى جسم الانسان بين الحرارة و البرودة ، و الرطوبة و اليبوسة ، كما ثبت فى الطب (مقارن بين متباياتها) (و المباين يراد به الضاد (مقرّب بين متباعداتها) مما يبعد بعضها عن بعض فى الطبيعة ، كالماء و النار (مفرّق بين متدانياتها) اى ما كان دانيا لآخر كجزئين من عنصر واحد فى جسمين مختلفى المزاج مثلا السكر الأبيض و الشير خشت مختلفان من حيث الحرارة و البرودة ، و كلاهما ابيض ، ففرق سبحانه بين البياضين المتدانين بجعل كل فى شئ يخالف الآخر و يتباينه (لا يشمل) سبحانه (بحد) بان يمكن تحديده ، اذ هو تعالى غير محدود ، فان الحد زمان او مكان اوكيف اوما اشبه ، وكلها من لوازم الامكان .

(ولا يحسب بعد) اى انه واحد ، لكن ليس بالعدد الذى هو من جنس الثانى و الثالث ، مما يطرء على الممكنات المعدودة (و انّما تحدّ الأدوات انفسها) اى الأدات التى تحدد الأشياء ، كالزمان و المكان انما تحدد ما من قبيلها فى الامكان ، ولا يمكن ان تحد ((اللّه)) سبحانه الذى ليس من قبيل هذه الأشياء (و تشير الآلة إلى نظائرها) اذ الاشارة من صفات الجسم ،مشيرا،

مَنَعَتْهَا «مُنْذُ» الْقِدْمَةَ، وَحَمَتْهَا قَدُ الْأَزَلِيَّةَ، وَجَنَّبَتْهَا «لَوْلَا» التَّكْمِلَةَ ! بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ، لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ،

ومشارا اليه (منعتها ((منذ)) القدميّة) اى كونه سبحانه قديما ، مانع من اطلاق ((منذ)) عليه ، اذ ((منذ)) دالة على الزمان ، و القدم قبل الزمان ، و الضمير فى ((منعتها)) راجع الى ذاته سبحانه و ((القدمية)) فاعل ((منعتها)) و المفعول له ((منذ)) (و حمتها) اى منعت عن ذاته سبحانه (قد) اى من اطلاق لفظة ((قد)) عليه (الأزليّة) اى كونه ازليا ، و هذا فاعل ((حمتها)) فان كونه تعالى ازليا ، يمنع من ان يقال بالنسبة اليه ((قد يكون)) و ((قد لا يكون))

(و جنّبتها ((لولا)) التكملة) فان المخلوق يقال فيه ((لولا فاعله ما وجد)) فهى تكملة للمهية و اللّه سبحانه حيث لا علّة له يمتنع فى حقه ((لولا)) و لا يخفى ان فى هذه الجمل الثلاث يحتمل احتمالات اخر ايضا (بها) اى بتلك الصفات التى ذكرت له سبحانه (تجلى صانعها) اى صانع الأشياء (للعقول) او المراد به ((منذ)) و ((قد)) و ((لولا)) تجلى صانع هذه الثلاثة ، و المعنى انه حيث نرى ان الأشياء لها ((زمان)) و ((عدم)) و ((وجود)) و ((علة)) نعرف ان الخالق ليس له شئ منها ، فضمير ((بها)) و ((صانعها)) يرجع الى ((قد)) و ((منذ)) و ((لولا)) ـ و هذا اظهر ـ .

(و بها امتنع عن نظر العيون) اى بسبب احتفاء هذه الأشياء ((قد)) و ((منذ)) و ((لولا)) بالممكنات ، امتنع تعالى عن الرؤية ، فان العين تحتف به هذه الثلاثة ، و ما يكون كذلك لا يشاهد ، ما هو منزّه عن هذه الثلاثة ، اذ الرؤية تحتاج الى المجانسة و لا مجانسة بين اللّه و بين العين .

(لا يجرى عليه) سبحانه (السّكون و الحركة) اذ هما من اوصاف الجسم ،

وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ ! إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ ، وَلَامْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ ، وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ ، وَلَالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ . وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولًا عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ

وليس سبحانه جسما (وكيف يجرى عليه ما هو) سبحانه (اجراه) فانهما مخلوقان له ، وكيف يصدق المخلوق على خالقه ؟ (و) كيف (يعود فيه) اى يكون عود هذين فى اللّه تعالى ـ بان يصدق عليه ـ (ما هو ابداه) اى الشئ الذى الله تعالى ابداه واظهره ؟ (و) كيف (يحدث فيه) تعالى (ما هو احدثه) فان اللّه احدث واوجد الحركة والسكون ، فلا يحدثان فيه (اذا) اى اذا كان تعالى محل للحركة والسكون (لتفاوتت ذاته) اى لاختلفت باختلاف الاعراض عليه (ولتجزا كنهه) اى صار صفتها وذو اجزاء ، اذ الحركة والسكون من خواص الجسم ، والجسم مجزّء منقسم (ولا متنع من الأزل معناه) لأن الذى يطرء عليه الأحوال ليس الا ممكنا ، والممكن حادث لا ازل .

(ولكان له وراء) وخلف (اذ وجد له امام) فان الحركة والسكون من اثار الجسم ، والحركة لا بد فيها ان يكون المتحرك بها ذا خلف معرض عنه ، و امام مقبل اليه ، والا لم تتحقق مفهوم الحركة (ولالتمس التّمام اذ لزمه النقصان) اذ الحركة لا تكون الا لدرك الناقص ، فيلزم ان يكون سبحانه ناقصا يلتمس ان يتم نفسه بالحركة (واذا) اى اذا كانت هذه صفاته (لقامت آية المصنوع فيه) اى علامة كونه مصنوعا ومخلوقا (ولتحوّل دليلا) على اله آخر (بعد ان كان مدلولا عليه) بالآثار ، فان الاله يستدل عليه بآثاره .

(وخرج) عطف على قوله : لا يجرى عليه السكون ، اى انه سبحانه

بِسُلْطَانِ ٱلِامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ . ٱلَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْـهِ ٱلْأُفُولُ . لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً . جَلَّ عَنِ ٱتِّخَاذِ ٱلْأَبْنَاءِ ، وَطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ ٱلنِّسَاءِ . لَا تَنَالُهُ ٱلْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ ٱلْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ ، وَلَا تُدْرِكُهُ ٱلْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ ،

خرج (بـ) سبب (سلطان الامتناع) اى كونه ممتنعا عليه صفات المخلوقين (من ان يؤثر فيه ما يؤثر فى غيره) فالأشياء التى توثر فى المخلوقات ، لا تؤثر فيـــه سبحانه ، مثلا النار و الجمد يوثران فى الأشياء ، بالحرارة و البرودة ، ولا يؤثران فيه تعالى ، و هكذا .

هو الله سبحانه (الذي لا يحول) من حال الى حال (و لا يزول) بالفناء كما يزول سائر الأشياء (و لا يجوز عليه الافول) اى الغياب . فانه حاضر عنـد كل شئ ، و فى كل زمان و مكان لا غيبة له (و لم يلد فيكون مولودا) اذ يتـلازم المولودية و الولادة ، فكل شئ يلد ، لا بد و ان يكون هو مولودا (و لم يولد) اى لم يلد الله شئ (فيصير محدودا) لأنه يكون له بدء ، و يكون مشمولا لغيره ، و كلاهما حد (جلّ) اى ارتفع (عن اتّخاذ الأبناء) فليس المسيح و عزيـر و الملائكة عليهم السلام ابناء له ، كما زعم النصارى و اليهود و المشركون (و طهر) اى تنزّه (عن ملامسة النّساء) بان تكون له زوجة ، كما زعم الكفار ، قال سبحانه : ((و جعلوا بينه و بين الجنة نسبا)) .

(لا تناله الأوهام) اى لا تصل الى كنه معرفته العقول (فتقدّره) بـــان تجعل له تقديرا (و لا تتوهمه الفطن) جمع فطنة ، بمعنى الادراك (فتصوره) بان تجعل له صورة (و لا تدركه الحواس) الخمسة الباصرة ، و الذائقة ، والشامة و السامعه و اللامسة (فتحسّه) اى يكون سبحانه محسوسا لها .

وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ. لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ. وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ. وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ. وَلَا يُقَالُ: لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ، وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ

(ولا تلمسه الأيدى فتمسّه) والمسّ غير الحس ، اذ يمكن المسّ بلاحس، كما فى الاشل (لا يتغير) سبحانه (بحال) بان ينتقل من حال الى حال (ولا يتبدّل) ذاته (بالأحوال) كان يكون شابا و هرما و ما اشبه (ولا تبليه اللّيالى و الأيام) كما تبلى سائر المخلوقات ، كالثوب ، و الجلد ، و ما اشبه (ولا يغيّره الضّياء و الظّلام) كان يقع عليه النور ، عند شروق الشمس ، و يحويه الظلام اذا جاء الليل .

(ولا يوصف بشئ من الأجزاء) فلا يقال ان له جزءا ماديا كاللحم و الدم او جزءا عقليا ، كالجنس و الفعل (ولا) يوصف (بالجوارح و الأعضاء) كان يقال له يد او رجل او عين او ما اشبه .

(ولا) يوصف (بعرض من الأعراض) كالأحمر ، و الأبيض ، و الطّويل ، و القصير ، (ولا بالغيرية) كان يقال انه تعالى ((غير الشئ الفلانى)) كما يوصف الممكن بذلك ، فيقال زيد غير عمرو ، فان الغير يطلق على الأشياء المتشابهة ، ولا شبه له تعالى (و الأبعاض) فلا يقال ان بعضه سبحانه كذا و بعضه كذا ، كما يقال بعض الانسان يد و بعضه دم ، و بعضه روح .

(ولا يقال له حدّ) اى مقدار محدود (ولا نهاية) اى آخر ، فهو غير محدود الصفات و باق الى الأبد (ولا انقطاع ولا غاية) فلا ينقطع ذاته او صفاته ، ولا امد لوجوده سبحانه (ولا انّ الأشياء تحويه) فليس محويا للسماء

فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ ، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ . لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ . يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ. يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ. يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ ، وَيُبْغِضُ وَ

او الأرض او ما اشبه (فتقلّه) اى ترفعه ، كالأرض التى تقل الانسان (او تهويه) اى تخفضه ، كالسماء التى تظل الانسان (او انّ شيئا يحمله) كان يكون فرق العرش (فيميله) الى جانب من الجوانب ، كما يميل الحامل حمله (أو يعدّله) بان يكون مستويا عليه لا ميل له الى جانب (ليس) سبحانه (فى الاشياء بوالج) اى داخل ، كدخول الماء فى الاناء (ولا عنها بخارج) بان يكون غير مسلط عليها بالعلم والقدرة .

(يخبر) سبحانه (لا بلسان ولهوات) جمع لهات ، وهى : اللحمة المتدلية فى اقصى الفم ، اذ ليس سبحانه جسما (ويسمع لا بخروق) جمع خرق ، كخرق اذن الانسان (وادوات) اى ادات الاستماع ، كما فى الانسان من الطبلة الأذنية ، والعظم وما اشبه (يقول) الكلام بخلق الصوت (ولا يلفظ بلسان (ويحفظ) الأشياء عن الفساد والزوال ــ حسب ما قدر لها ــ (ولا يتحفظ) اى لا يكلف نفسه الحفظ ، كما يتكلف الانسان في حفظ الأشياء ،قال سبحانه : ((ولا يؤده حفظهما)) .

(ويريد) سبحانه الأشياء (ولا يضمر) كما يضمر الانسان ، لأنه تعالى ليس ضمير و باطن ــ كما للانسان ــ .

(يحب) الأشياء (ويرضى) بالأعمال الصالحة (من غير رقة) قلبية ،كما فى الانسان ، فان حب الانسان و رضاه ، يلازم رقة فى قلبه ، وذلك لأنه تعالى لا قلب له ، ولا تطرأ عليه الأحوال (ويبغض) الأشياء الفاسد (و

يَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّة . يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ : كُنْ فَيَكُونُ ، لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ ، وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ ، وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ كَائِناً ، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلٰهاً ثَانِياً لَا يُقَالُ : كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ ، فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ ،

يغضب) على من يخالف اوامره (من غير مشقّة) وعناء ، كما تعرض المشقة النفسية للانسان حينما يبغض و يغضب ، اذ انه تعالى لا نفس له (يقول لمن اراد كونه) اى ايجاده (كن فـ) بمجرد صدور هذا الأمر (يكون) ذلك الشخص (لا بصوت يقرع) الأسماع و يصطك بها (ولا بنداء يسمع) كما يسمع نداء الانسان (و انّما كلامه سبحانه فعل منه) فارادة ، وفعل بلا تكلم بلفظة ((كن)) و انّما هذا اشارة الى الفعل الصّادر منه تعالى (انشاه) اى ابدع و اوجد ذلك الفعل المراد .

(و مثله) اى مثل هذا الانشاء لم يكن (من قبل ذلك كائنا) اذ الايجاد اثر حادث (و لو كان قديما لكان الها ثانيا) اذ القديم الذى لا اول له ((اله)) لعدم الخالق له ، حتى يكون مخلوقا فالقول بقديم الكلام يستلزم القول بتعدد الآلهة ، ثم لا يخفى ان كون كلامه تعالى فعله ، لا يستلزم ان لا يكون له كلام بمعنى ايجاد الأصوات فى الهواء و نحوه ، كما قال سبحانه : ((و كلّم اللّه موسى تكليما)) (لا يقال) للّه سبحانه (كان) بمعنى وجد (بعد ان لم يكن) له وجود ــ كما يقال ذلك بالنسبة الى المخلوقات ــ (فتجرى عليه الصّفات المحدثات) اذ الوجود بعد العدم من صفات الحادث ، لا من صفات القديم تعالى .

(و لا يكون بينها) اى بين الصّفات (و بينه) تعالى (فصل) بان تكون

وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ ، وَيَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَئُ وَالْبَدِيعُ . خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَىٰ خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ. وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ ، وَأَرْسَاهَا عَلَىٰ غَيْرِ قَرَارٍ ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ ،

الصفة شيئا و الموصوف شيئا آخر ـ كما يكون فى الانسان كذلك ـ اذ لو كان كذلك لزم الاثنينية ، و تعدد الالهة ، بل صفاته سبحانه عين ذاته (ولا له) اى للّه تعالى (عليها) اى على الصفات (فضل) و زيادة ، بان تكون ذاته قديما ، و الصفات حادثة ـ اذ للقديم فضل على الحادث ـ لأن ذلك يستلزم كونه سبحانه محلا للحوادث ، و معرضا للتغير و التبدل (فيستوى الصّانع و المصنوع) اذ المصنوع صفاته غير ذاته ، و لذاته فضل التقدم على صفاته (ويتكافا المبتدى) اى يتماثل اللّه الذى كان بدء الأشياء وقبلها (و البديع) اى المصنوع الذى خلق و ابتدع .

(خلق) سبحانه (الخلائق على غير مثال خلا) اى بقى ذلك المثال (من غيره) تعالى بان يكون خلقه للخلق بتعلّم من اله سابق كما يتعلّم التلميذ من استاذه (و لم يستعن على خلقها) اى خلق الخلائق (باحد من خلقه) بان يتخذه معينا و ظهيرا (و انشا الأرض فامسكها) من الانفراط عن فلكها (من غير اشتغال) فان انشائه سبحانه بالارادة لا بالشغل و العمل ـ كما فى احدنا حيث نشتغل بما نريد ايجاده ـ .

(و ارساها) اى جعلها راسية لا تضطرب و لا تزلزل (على غير قرار) اذ لا موضع وضعت فيه الأرض ، و انما هى كرة معلقة فى الفراغ (و اقامها) اى جعلها قائمة غير زائلة (بغير قوائم) جمع قائمة ، بمعنى العمود .

(و رفعها) فى الفضاء ، ليس تحتها مقر و محل (بغير دعائم) جمع

وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوَدِ وَالِاعْوِجَاجِ ، وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالِانْفِرَاجِ . أَرْسَىٰ أَوْتَادَهَا ، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا ، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا ، وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا ؛ فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ . هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَالْعَالِي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ . لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ

دعامة ، بمعنى العمود (وحصنها) اى حفظها (من الاود) اى الانحراف (والاعوجاج) اى الزيغ والميل ، الى جانب ..

(ومنعها من التهافت) اى التساقط قطعة قطعة (والانفراج) اى الانشقاق بان تنشق فتكون بين ابعاضها فواصل من الفضاء ، كانها اجسام متعددة (ارسى) اى اثبت واحكم (اوتادها) جمع وتد ، والمراد بها الجبال التى هى كالمسامير الثابتة فى اللوح (وضرب اسدادها) اى جعل الفواصل الجبلية بين قطعات الأرض ، فان الجبال كالسدود بين طرفيها (واستفاض عيونها) اى جعل العيون تفيض بالماء ، فان الماء الفائر يعلو اطراف العين (وخد) اى شق (اوديتها) جمع وادى ، بمعنى : النهر (فلم يهن) اى لم يضعف (ما بناه) تعالى بمعنى انه خلق كلشئ من خلقه ببناء محكم مستحكم (ولا ضعف ما قوّاه) اى ما جعله قويا .

(هو) تعالى (الظاهر عليها) اى المسلط على المخلوقات (بسلطانه وعظمته) فان سلطته تعالى مستولية على كل شئ (وهو الباطن لها) اى العالم ببواطن الأشياء (بعلمه ومعرفته) من البواطن والمخفيات (والعالى على كلّ شئ منها) اى انه اعلى من كل شئ من المخلوقات (بجلاله وعزته) اى لأنه جليل وعزيز .

(لا يعجزه شئ منها طلبه) فمطلوبه لا يتمكن من الامتناع منه (ولا يمتنع)

عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ .خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ ، لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ،وَلَا كُفْءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ . هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا ،حَتَّىٰ يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا .

ذلك المطلوب له سبحانه (عليه) تعالى (فيغلبه) اذ لو تمكن من الامتناع عنه سبحانه ، لكان غالبا عليه (ولا يفوته السّريع) السير (منها) اى من الأشياء (فيسبقه) كما قد يفوت السائر سريعا عمن يطلبه و يريد اخذه (ولا يحتاج) تعالى (الى ذى مال فيرزقه) تعالى .

(خضعت الأشياء له) فكل شئ طوع ارادته (و ذلّت مستكينة) اى متضرعة (لعظمته) تعالى (لا تستطيع) الأشياء (الهرب) اى الفرار(من سلطانه) تعالى (الى غيره) كما قد يهرب الانسان من سلطان الى سلطان (فتمتنع) تلك الأشياء ، بسبب هى بها منه (من نفعه وضرّه) بان لا تكون مشمولة لنفع انه لها ، ولا لضده عليها (ولا كفوء له) اى لا مثل له تعالى (فيكافئه) اى يماثله (ولا نظير له فيساويه) فى الذات و الصفات (هو المفنى لها) اى للأشياء (بعد وجودها) فانه تعالى يعدم الموجودات (حتى يصير موجودها كمفقودها) عدما بعد ان كان .

(وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها) اى خلقها و ايجادها (باعجب من انشائها و اختراعها) فان كلا منهما ، لغير القادر محال و للقادر ممكن ، فمن قال كيف لا تكون بعد ان كانت ؟ يقال له : كيف كانت بعد ان لم تكن ؟ .

وَكَيْفَ وَلَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا ، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا ، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا ، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا ، عَلَىٰ إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ ، مَا قَدَرَتْ عَلَىٰ إِحْدَاثِهَا ، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَىٰ إِيجَادِهَا ،

(وكيف) يتمكن احد من انكار وجود الصّانع ، والحال انه لا يتمكن المخلوق باجمعه من خلق بقة واحدة ؟ فاذا لم يكن صانع فمن الخالق لهذه الكثرة المدهشة من الخلق ؟ فـ (لو اجتمع جميع حيوانها) اى اقسام حيوانات الدنيا (من طيرها و بهائمها) جمع بهيمة ، هى الحيوانات ، سميت بها لأنها لا تقدر على النطق ، من بهم بمعنى اختفى (و ما كان من مراحها وسائمها) اى ما كان من الحيوان فى ماواه و ما كان فى مرعاه ، فان السائم الحيوان حال الرعى ، من سام اذا رعى ، و المراح اسم مفعول من اراح الابل اذا ردّه الى مكانه (و اصناف اسناخها) اى اصولها ، فان السنخ بمعنى : الأصل ، والمراد الأجناس العالية ، كالطير ، والوحش ، والسّمك (و اجناسها) اى الأنواع كالحمامة ، و البلبل ، و الدراج ـ فى الطير ـ و الأسد ، و النمر ، والثعلب ـ فى الوحوش ، و هكذا .

(و متبلّدة امهها) جمع امة ، بمعنى : الطائفة ، فان كل حيوان امة قال سبحانه : ((و ما من دابّة فى الأرض و لا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم)) و المراد بالمتبلدة : الغبية من الحيوانات (و اكياسها) جمع كيس ، بمعنى : الفطن الجاذق (على احداث) اى ايجاد (بعوضة) اى بقة ـ و ((على)) متعلق بقوله : ((لو اجتمع)) (ما قدرت على احداثها و لا عرفت كيف السبيل الى ايجادها) فان الشخص قد يعرف الطريق ، لكنه لا يتمكن من المسير ، و لا قد يتمكن من المسير و لا يعرف الطريق .

وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذٰلِكَ وَتَاهَتْ ، وَعَجِزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً ، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ ، مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا !

وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ . كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا ، كَذٰلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا ، بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ . عُدِمَتْ عِنْدَ ذٰلِكَ الْآجَالُ وَالْأَوْقَاتُ ،

(ولتحيّرت عقولها فى علم ذلك) الطريق الى ايجادها (وتاهت) اى ضلت (وعجزت) عن ايجادها (قواها) جمع قوة (وتناهت) اى وصلت الى النهاية بدون ان تقدر على الايجاد .

(ورجعت) قواها (خاسئة) اى ذليلة (حسيرة) اى كليلة (عارفة بانّها مقهورة) قد قهرت وردّت (مقرّة بالعجز عن انشائها) اى ايجادها (مذعنة بالضعف عن افنائها) اى لا تقدر افنائها . وانما تقدر على ازهاق روحها ، وسحقها ، اما الافناء فهو خاص بالله سبحانه .

(وان الله سبحانه يعود) تعبير مجازى (بعد فناء الدنيا وحده لا شئ معه ، كما كان قبل ابتدائها) اى ايجاد الدنيا (كذلك يكون) الله (بعد فنائها) واعدامها .

(بلا وقت ولا مكان) اى يفنى حتى الوقت والمكان (ولا حين ولا زمان) ولا يخفى ان هذا الكلام صريح فى انعدام الكون ، لا فى تفرق اجزائه ، كما هو المسلك الآخر فى المسألة ، واما شبهة لزوم ذلك واعادة المعدوم ، عند الحشر ، فهى مدخولة .

(عدمت عند ذلك) اى عند فناء الدنيا (الآجال) جمع اجل ، اى مدة الأشياء (والأوقات) اى الازمنة .

وَزَالَتِ السُّنُونَ وَالسَّاعَاتُ . فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ . بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا ، وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا ، وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الِامْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا . لَمْ يَتَكَاءَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ ، وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ ، وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا خَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ، وَلَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ ، وَلَا لِلِاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ ،

(و زالت السنون و الساعات) فلا سنة ، و لا ساعة ، كما لا مكان ولا يكن .

(فلا شئ الا الواحد القهّار) الذى يقهر كل شئ حسب ارادته (الّذى اليه مصير جميع الأمور) فان كل الأشياء ترجع الى قدرته سبحانه .

(بلا قدرة منها) اى من الأمور (كان ابتداء خلقها) فانها لم تكن قادرة عند خلقها (و بغير امتناع منها كان فناؤها) فان الله اذا اراد فناء الأشياء لم تقدر الأشياء من الامتناع ، فلا قدرة لها عند الايجاد ، ولا امتناع لها عند الاعدام

(و لو قدرت على الامتناع) بان تمتنع عن اعدام الله لها (دام بقائها) الى الأبد (لم يتكاده) تعالى ، اى لم يشق عليه (صنع شئ منها اذ صنعه) و اوجده ، لا مثل الانسان الذى يثقل عليه صنع شئ .

(و لم يؤده) اى لم يثقله (منها) اى من الكائنات (خلق ما خلقه وبرأه) اى اوجده (و لم يكوّنها لتشديد سلطان) اى لتقوية سلطانه و ملكه (و لا خوف من زوال و نقصان) فاراد بذلك ان يصنع ما يعينه حتى لا يزول ، اولا ينقص عديده ، كما يكوّن السلطان الجيش ، حتى لا يزول ملكه ، ولا ينقص عديده فى مقابل خصمه (و لا للاستعانة بها) اى بالأشياء المخلوقة (على ند) اى مثل للاله (مكاثر) يباهى بكثرته ـ اذ لا مثل له سبحانه ـ (و لا للاحتراز) و التجنب (بها) اى بسبب الأشياء المخلوقة (من ضد مثاور) يريد الثورة و

وَلَا لِلازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِه ، وَلَا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ ، وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا .

ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا ، لَا لِسَأْمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا ، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ ، وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ . لَا يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا

الهجوم على الله سبحانه ــ فانه لا اله الا هو سبحانه ــ .

(ولا للازدياد بها) اى بتلك المخلوقات (فى ملكه) تعالى (ولا لمكاثرة شريك فى شركه) بان يريد ان يبين لشريكه ، انا اكثر منك خلقا ــ اذ لا شريك له تعالى ــ .

(ولا لوحشة كانت منه) تعالى ، عند وحدته قبل خلق الخلق ، والوحشة حالة رعب تلزم النفس عند الوحدة ، وان لم يخف من شئ (فاراد ان يستأنس اليها) اى الى المخلوقات .

(ثم هو) سبحانه (يفنيها بعد تكوينها) وايجادها (لا لسأم) وملل (دخل عليه) سبحانه (فى تصريفها وتدبيرها) كما يسام الانسان اذا طال عنده تصريف ما تحت يده لا فائدة كانت منه اليه (ولا) لأجل (راحة واصلة اليه) تعالى ، كما قد يريد الانسان الراحة من عمله المتعب فيترك عمله (ولا لثقل شئ منها عليه) سبحانه اذ لا تثقله الأشياء .

(لم يملّه طول بقائها فيدعوه) الملل (الى سرعة افنائها) وانما الافناء لما جعل لكل شئ من امد حسب حكمته البالغة ــ الا الجنة والنار ، فلا امد لهما ، ولا انتهاء للنعيم والعذاب فيهما ــ .

(لكنه سبحانه دبّرها بلطفه) وفضله على الخلق (وامسكها) اى حفظها

بِأَمْرِهِ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ ٱلْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، وَلَا ٱسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا ، وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ وَحْشَةٍ إِلَىٰ حَالِ ٱسْتِئْنَاسٍ ، وَلَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمًى إِلَىٰ حَالِ عِلْمٍ وَٱلْتِمَاسٍ ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنًى وَكَثْرَةٍ ، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ .

(بأمره) لتلك الأشياء بان تبقى (واتقنها بقدرته) فكل شئ منها فى غاية الاتقان و الدقة فى الصنع و الخلق (ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه) تعالى (اليها) فان الاعادة للحشر ، ليست من جهة الحاجة ، بل من باب الصلاح و الحكمة ، كما ان الابتداء كان كذلك (ولا استعانة بشئ منها عليها) اى ان اعادة الكل بلا حاجة ، لا ان اعادة البعض للاستعانة به على ايجاد البعض الآخر ، كما يستعين الانسان بالمنشار لقطع الخشب .

(ولا لانصراف من حال وحشة الى حال استيناس) بان يكون عدم الأشياء ، موجبا لوحشته تعالى ، ولذا يعيدها ، حتى ليستأنس بها (ولا من حال جهل وعمى) اى ضلالة (الى حال علم و التماس) بان يكون عدمها سببا لجهله و لضلالته سبحانه ، فليتمس بالاعادة رجوع العلم و الهداية اليه ، كالانسان اذا فقد كتابه ، جهل وعمى (ولا من فقر وحاجة) يعتريه تعالى عند الفناء (الى غنى وكثرة) يتطلبهما بالاعادة و الايجاد (ولا من ذل وضعة) من ـ وضع يضع ، على وزن : عدة ـ (الى عزّ وقدرة) بان يكون قادرا عزيزا لدى الاعادة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وهي في ذكر الملاحم

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي، هُمْ مِنْ عِدَّةٍ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ. أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَانْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ. ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فی ذکر الملاحم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(الا بأبی وامّی) الباء للتفدية ، اى افديهم بالأب و الأم ، ولا يخفى ان تفدية المفضول للفاضل جائز عقلا و شرعا عند دوران الأمر بينهما ، هـذا بالاضافة الى ان الجملة للكفاية من مقام المذكورين فى نفس المفدّى ، و انكسان اصلها للتفدية (هم) اشارة الى الأئمة عليهم السلام من ولده (من عدّة) اى جماعة و ((من)) لبيان (اسمائهم فى السّماء معروفة) حيث يعرفهم الملائكة (و فى الأرض مجهولة) عند معظم الناس (الا فتوقّعوا) ايها الناس المؤمنون (ما يكون) بعدى (من ادبار اموركم) فان الأمور تدبر عند حكم الظلمة (و انقطاع وصلكم) اى صلة بعضكم ببعض ، اذ الظلمة يوجبون تفرق الكلمة (و استعمال صغاركم) فان كبار النفوس العقلاء لا يعملون مع الظلمة المنحرفين ، و لـذا تستعمل الظلمة ــ دائما ــ الصغار و الارادل (ذاك) الذى من ادبار الأمور و اخواته (حيث تكون ضربة السّيف على المؤمن اهون) اى اقل تعبا (من

الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ. ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ ٱلْمُعْطَىٰ أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ ٱلْمُعْطِي . ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ ، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ ،وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ ٱضْطِرَارٍ ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ . ذَاكَ إِذَا عَضَّكُمُ ٱلْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ ٱلْقَتَبُ غَارِبَ ٱلْبَعِيرِ. مَا أَطْوَلَ هٰذَا ٱلْعَنَاءَ ،وَأَبْعَدَ هٰذَا الرَّجَاءَ !

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلْقُوا هٰذِهِ ٱلْأَزِمَّةَ الَّتِي تَحْمِلُ

الدّرهم من حلّه) فان الظلمة يفسدون المكاسب و يخلطون الحلال بالحرام ، مما يوجب تعسر تحصيل الرزق الحلال .

(ذاك حيث يكون المعطى) اى آخذ العطاء ، و هو الفقير (اعظم اجرا من المعطى) الذى هو الغنى ، اذ الأغنياء يتلوثون بالمحرمات ، حيث ان اموالهم لا تحصل الا من الحرام ، فيكون لهم فى الاعطاء اجر الظاهر فقط (ذاك حيث تسكرون من غيرشراب) سكر الغنى ، فان الشراب كما يغطى على عقل الانسان كذلك الغنى يغطى على عقل الانسان (بل من النّعمة و النّعيم) و كانّ الفرق بينهما انّ النّعمة الذات ،و النعيم الوصف (و تحلفون من غير اضطرار) اى بدون حاجة الى الحلف (و تكذبون من غير احراج) اى بدون تضييق ، فان الدين اذا زال عن القلب ، لا يهتم الانسان بهذه الأمور (ذلك اذا عضّكم البلاء كما يعض القتب) هو الاكاف الذى يوضع على الابل (غارب البعير) ما بين عنقه و سنامه ، فان فى دولة الظلمة تكون كلّ هذه الأمور .

(ما طول هذا العناء) الذى يلاقيه الناس فى دول الظّلمة (و ابعد هذا الرجاء) الذى يرجو كل واحد ان يصل اليه ، من الخلاص منهم — وقيل : ان هذا الكلام منقطع عما قبله ، كما هو عادة الشريف فى اختياره جملا من كل خطبة — .

(ايّها النّاس القوا هذه الأزمّة) جمع زمام ، كائنة جمع امام (الّتى تحمل

ظُهُورُهَا ٱلْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ ، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَىٰ سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ . وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ ٱلْفِتْنَةِ ، وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا ، وَخَلُّوا قَصْدَ ٱلسَّبِيلِ لَهَا : فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا ٱلْمُؤْمِنُ ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ ٱلْمُسْلِمِ .

ظهره ـ ا) اى ظهور الدواب ذوات الزمام (الأثقال) اى الأحمال ، جمع ثقل (من ايديكم) و المراد ترك البدع و الخطايا ، فكان الانسان العاصى يقود دوابا محمولة من الأثقال ، مما يوجب قودها بالزمام تعبا على القائد ، و القاء الازمة كناية عن ترك الآثام حتى لا يكون ثقلها على الانسان (و لا تصدّعوا) اى لا تفرقوا (على سلطانكم) و المراد به نفسه الكريمة ، اى لا تختلفوا علىّ (فتذمّوا) انفسكم (غبّ) اى بعد (فعالكم) فان الانسان انما يعرف قبح عمله ،بعدان ركبه ، فيذم نفسه : لم فعلت كذا ؟

(و لا تقتحموا) اى لا تدخلوا (ما استقبلتم) اى الذى تستقبلونه (من فور) اى ارتفاع (نار الفتنة) و لهبها اى لا تدخلوا فى الفتن (و اميطوا) اى تنحوا (عن سننها) اى طرق الفتنة (و خلّوا قصد السّبيل) اى وسط الطريق (لها) اى للفتنة ، فكانّ الفتنة سائر ذو شر ، يسير فى وسط الطريق فاذا لم يتنكب الانسان عن وسط الطريق شمله وضره ، و لذا من الأفضل ان يتجنب الانسان وسط الطريق لئلا يصطدم بالفتنة .

(فقد لعمرى يهلك فى لهبها) اى اشتعال الفتنة (المؤمن) بان يلقى نفسه فيها بظن حسن فينحرف عن الطريق ، و ذلك يوجب هلاكه فى الدنيا و الآخرة (و يسلم فيها غير مسلم) لأنه لم يصطدم بها ، فيبقى على حياته ـ على الأقل ـ .

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ ، يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا . فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا ، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا .

(و انّما مثلى بينكم مثل السّراج فى الظّلمة) اى المصباح فى اللّيلة الظلماء (يستضئ به من ولجها) اى ولج الظلمة ، بمعنى دخل فيها ، فالمسلمون فى عصر الامام عليه السلام الداخلون فى ليل الفتنة التى قامت منذ ما بعد الرسالة اذ اتبعوا الامام كانوا فى نور ، لا ينحرفون عن الطريق ، ولا ينجرفون مع التيارات الباطلة .

(فاسمعوا) كلامى (ايّها النّاس وعوا) اى ادركوا معناه و حقيقته (و احضروا اذان قلوبكم) استعارة لطيفة ، فان الانسان كما يسمع الكلام باذن الراس ، يفهم مغزى الكلام باذن القلب ـ اذ اراد القلب التفهم و الادراك ـ (تفهموا) حقيقة ما ذكرت لكم و ذلك ما يوجب نجاتكم .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أُوصِيكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، بِتَقْوَى اللهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَىٰ آلَائِهِ إِلَيْكُمْ ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ . فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ ! أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ !

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى الوصية بالتقوى ، و ذكر الموت ، و الاستعداد له

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(اوصيكم ايها النّاس بتقوى الله) اى الخوف منه سبحانه ، بعمل الصالحات ، و ترك السيئات (و كثرة حمده) سبحانه (على آلائه) جمع ((الى)) بمعنى النعمة (اليكم) اى النعم التى ساقها اليكم (و نعمائه عليكم) بان انعم عليكم بها (و بلائه) اى احسانه (لديكم) فان البلاء يستعمل للخير و الشر ، او المراد المصائب ، فان المصائب المساقة من جانبه سبحانه تستحق الحمد ، لأنها ترفع الدرجات و تحط السيئات (فكم خصكم) سبحانه (بنعمة) لم يعطيها لغيركم (و تداركم برحمة) اى ارسل الرحمة فى عقبكم (اعورتم له) اى اظهرتم له تعالى عوراتكم و عيوبكم ـ بالمعاصى ـ (فستركم) و لم يفضحكم (و تعرضتم لأخذه) اى بطشه و عذابه ، و التعرض لذلك ، بالمعاصى ، فان العاصى فى معرض نكال الله تعالى (فامهلكم) ولم يعاجلكم بالعقوبة .

وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ . وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ ! فَكَفَىٰ وَاعِظاً بِمَوْتَىٰ عَايَنْتُمُوهُمْ ، حُمِلُوا إِلَىٰ قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً ، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً . أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ ،

(و اوصيكم بذكر الموت) بان تذكرون دائما (و اقلال الغفلة عنه) اى اقلوا من الغفلة ، بان يكون اكثر اوقاتكم مصروفا فى ذكره (و كيف غفلتكم عمّا) اى عن الموت الّذى (ليس يغفلكم) ؟ يقال اغفله اذا سها عنه ، اى لا يسهو الموت عنكم ، بل ياتيكم و ان كنتم عنه غافلين (و) كيف (طمعكم فيمن ليس يمهلكم) فان الانسان يطمع فى ابتعاد الموت عنه ، و الحال ان الموت اذا جائه لايمهله ولو لحظة واحدة .

(فكفى واعظا) لكم (بموتى) جمع ميت (عاينتموهم) اى رايتموهم (حملوا الى قبورهم غير راكبين) اى لم يركبوا اكتاف الناس باختيارهم ، و انما قهرا عليهم ، ودون ارادتهم (و انزلوا فيها) اى فى القبور (غير نازلين) باختيارهم ، بل جبرا و كرها .

(فكانّهم لم يكونوا للدّنيا عمّارا) جمع عامر ، فقد انقطع اثرهم (و كانّ الآخرة لم تزل لهم دارا) اى كانّهم من القديم فى الآخرة ، اذ قد محت آثارهم عن الدنيا (اوحشوا ما كانوا يوطنون) اى الأمكنة التى اتخذوها اوطانا لهم فى حياتهم ، اوحشوها ، اى جعلوها موحشة فيهم ، لا انس لهم بها ، ولا انس لها بهم ، اذ تركوها و هجروها (و اوطنوا ما كانوا يوحشون) اى القبور التى كانت موحشة منهم ، لا تألفهم ، ولا يالفونها ، صارت اوطانهم ـ من اوحشه اذا هجره ـ .

وَٱشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا ، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ ٱنْتَقَلُوا. لَاعَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱنْتِقَالًا ، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱزْدِيَاداً. أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ . فَسَابِقُوا - رَحِمَكُمُ ٱللهُ - إِلَىٰ مَنَازِلِكُمُ ٱلَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، وَٱلَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا ، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا . وَٱسْتَتِمُّوا نِعَمَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ ، وَٱلْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ ،

(و اشتغلوا بما فارقوا) اى بحساب الدنيا التى فارقوها (و اضاعوا ما اليه انتقلوا) اى الى الآخرة ، و معنى الاضاعة عدم امكان عملهم لها بعد الموت ، كالذى يضيع شيئا فلا يعمل له ، او المراد حكاية حالهم فى الدنيا : اى اشتغلوا فى الدنيا بما فارقوها الآن ، وهكذا الجملة الثانية .

(لا عن قبيح يستطيعون انتقالا) اذ لا توبة بعد الموت (ولا فى حسن يستطيعون ازديادا) اذ الآخرة دار حساب ، لا دار عمل (انسوا بالدنيا) حين كانوا فيها (فغرّتهم) وخدعتهم (و وثقوا بها) اى بالدنيا ، ظانين انها تنفعهم (فصرعتهم) اى اهلكتهم ، خلاف ثقتهم بها (فسابقوا - رحمكم الله - الى منازلكم) فى الآخرة ، و المسابقة بالتكثير من العمل الصالح ، فمن كان اكثر عملا كان اسبق احتلال الآخرة و حيازتها (التى امرتم ان تعمروها) فان الانسان امر بالعمل الصالح ليتعمر منزله فى الآخرة (و التى رغبتم فيها) اى رغبكم الله سبحانه و شوقكم الى تلك المنازل (و دعيتم اليها) فانه سبحانه دعا الناس و طلبهم الى تلك المنازل .

(و استتموا نعم الله عليكم) اى اطلبوا تمام النعمة (بالصبر على طاعته) فان من اطاع و صبر على مشاق الطاعة ، زادت نعمته (و المجانبة لمعصيته) قال الشاعر :

اذا كنت فى نعمة فارعها ... فانّ المعاصى تزيل النّعم

فَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ . مَـا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي ٱلْيَوْمِ ، وَأَسْرَعَ ٱلْأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي ٱلْعُمُرِ !

(فانّ غدا من اليوم قريب) المراد بالغد الآخرة ، وباليوم الدنيا (ما اسرع السّاعات فى) افناء (اليوم) وابادته (واسرع الأيام فى) ابادة (الشهر واسرع الشهور فى) افناء (السنة) واعدامها (واسرع السّنين فى) افناء (العمر) فالساعات التى ندرك سرعتها وانقضائها ، انما هى وحدات العمر ، فاذا اسرعت الوحدات فى الفناء والانقضاء ، اسرع المؤلّف منها فى ذلك — و هذا تعليل لقوله : ((فان غدا من اليوم قريب)) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَمِنَ ٱلْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي ٱلْقُلُوبِ ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ وَٱلصُّدُورِ، إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُومٍ. فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّىٰ يَحْضُرَهُ ٱلْمَوْتُ ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَقَعُ حَدُّ ٱلْبَرَاءَةِ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى الايمان ، و معنى الهجرة ، و تحمل امر الامامة ، و بيان علمه عليه السلام .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(فمن الايمان ما يكون ثابتا) لا يزول (مستقرّا فى القلوب) بحيث لايتزحزح منها (و منه ما يكون عوارى) جمع عارية (بين القلوب و الصّدور) تارة يخرج من القلب ياتى الى الصدر ، ليخرج من الفم ، فيكفى الشخص ، و تارة يرجع الى القلب ، كما قال سبحانه : ((كلما اضاء لهم مشوا فيه ، و اذا اظلم عليهم قاموا)) (الى اجل معلوم) اى وقت معلوم ، قدّر لخروج الايمان من الانسان ، لأنه لم يأخذه اخذا قويا ، ولم يقوّه بالأعمال الصالحة (فاذا كانت لكم براءة من احد) اى اردتم ان تتبرئوا من شخص ، لما ترون من سوء اعماله (فقفوه) اى التبرى (حتّى يحضره الموت) اى يموت (فعند ذلك) الموت (يقع حدّ البرائة) فان بقى على ايمانه و لم يظهر منه انحراف و زيغ فلا تتبرئوا منه و ان ظهر منه الكفر و الزيغ فتبرئوا منه .

وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَىٰ حَدِّهَا الْأَوَّلِ. مَا كَانَ لِلّٰهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الْأُمَّةِ وَمُعْلِنِهَا. لَا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ. فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ. وَلَا يَقَعُ اسْمُ الِاسْتِضْعَافِ

(والهجرة قائمة على حدّها الأول) اى لم يزل ان حكمها الوجوب ، فقد كان فى اول الاسلام ـ حين هاجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من مكة الى المدينة ـ تجب هجرة سائر المسلمين من مكة ، وذلك قبل فتح مكة ، والسبب انهم لم يكونوا يتمكنون من اقامة شعائر الاسلام وهم فى مكة ، ولذا وجب الهجرة (ما كان لله فى اهل الأرض حاجة) ((ما)) نافية ، اى ليست الهجرة لأجل حاجة الله الى اهل الأرض ، وانما هى لمصلحتهم (من مستسرّ الأمة ومعلنها) اى من يضمر اسلامه ، من الأمة فى بلاد الكفر ، ومن يعلن اسلامه فى بلاد الايمان ، و ((من)) لبيان ((اهل الأرض)) وانما تجب الهجرة من بلاد الكفر الى بلاد الاسلام لمن لا يتمكن من معرفة الأصول والفروع ، الاّ بالهجرة .

(لا يقع اسم الهجرة على احد بمعرفة الحجة فى الأرض) يعنى انه اذا كان مسلم فى بلاد الكفّار ، وعرف الحجة ، اى الأصول والفروع ، فلا تجب عليه الهجرة الى بلاد الاسلام ، وقد قيد جمع من العلماء ، بامكانه اقامة شعائر دينه هناك ، والا لزم ان يهاجر (فمن عرفها) اى الحجة (واقرّ بها) بان اسلم واعتقد بما جاء به الاسلام (فهو مهاجر) هذا تنزيل لتحقق الغاية من الهجرة عند ذلك ، وهى العرفان (ولا يقع اسم الاستضعاف) اى لا يقال ((مستضعف)) وقد اعفى عن المستضعفين من وجوب الهجرة ، كما قال سبحانه : ((الاّ المستضعفين من النّساء والولدان الّذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا)) وسمى مستضعفا ، لعده الكفّار ضعيفا ، ولأنه غير قادر على الهجرة .

عَلَىٰ مَنْ بَلَغَتْهُ ٱلْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ . إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ٱمْتَحَنَ ٱللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ ، وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ.

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلَأَنَا بِطُرُقِ ٱلسَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ ٱلْأَرْضِ،

فان اسم المستضعف لا يقع (على من بلغته الحجّة) على الاسلام(فسمعتها اذنه و وعاها قلبه) بمعنى انه قبل الحجة ، و اقبل على الاسلام بكله اذنا وقلبا، ثم بين عليه السلام اذ امر الرسالة و الامامة صعب ، فان ملازمة الانسان للدساتير الواردة عن طريق الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و الأئمة عليهم السلام من اصعب الأمور ، بقوله : (ان امرنا صعب مستصعب) اى انه صعب بذاته، و يستصعبه النّاس ، فى قبال الصّعب الّذى لا يستصعبه الانسان ، لما يرى له من النّتائج ، فانّ النّفس مجبولة على استسهال ما يرى الانسان نتائجه الرابحة ، و انكان صعبا بذاته (لا يحمله) اى ذلك الأمر (الّا عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للايمان) بمعنى انّ الايمان بالغ من قلبه مركزه فيه ، فانّ الايمان اذا صار ملكة للانسان يستسهل الصعاب فى سبيله (و لا يعى حديثنا) اى لا يشتمل عليه اشتمال وعى و دراية ، للتعلم و العمل (الّا صدور امينة) فيها امانة الحفظ ، لمالها من ملكات الايمان ، مقابل الصدور الخائنة التى تمجّها و لا تقبلها (و احلام) اى عقول (رزينة) وقرة ناضجة عارفة .

(ايّها النّاس سلونى) اى اسئلونى (قبل ان تفقدونى) بان اموت وانتقل من بين ظهرانيكم (فلأنا بطرق السّماء اعلم منّى بطرق الأرض) ((اللام)) للتأكيد و المراد بطرق السماء ، التى ينزل منها الملائكة ، و تصعد فيها اعمال العباد ، و يمكن للانسان ان يصعد منها الى السّماء ، او يسير فيها من مكان الى مكان كما

قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا

اكتشف اخيرا ، ان هناك فى السماء تيارات هوائية و فراغات ممتدة ،اذا سارت الطائرة فى بعضها اصابها عطب ، و بالعكس اذا سارت فى بعضها الآخر و هكذا ، و قوله عليه السلام : ((اعلم)) من باب التاكيد ، لا الأعلمية الحقيقية و المراد انه مع بعد السماء ، وعدم علم الناس بطرقها ، يعلمها جيدا ، فكيف الأرض ، و هذه الجملة كالتعليل ، كقوله : سلونى ، فان العالم بطرق السماء، لابد و ان يعلم كلشئ (قبل ان تشغر برجلها فتنة) يقال شغر برجله اذا رفعها، كانّ الفتنة اذا كانت ساكنةكانت شبيهة بالابل الواقفة ،بخلاف ما اذا تحركت ، فانها كالابل المتحركة التى ترفع رجلها للمشى (تطأ فى خطامها) الخطام الحبل الذى يجعل فى انف البعير كالزمام ، وطى البعير فى خطامها كناية عن تخطيبها اذ ذلك لا يكون الآ اذا استقلت فى الحركة بدون قيادة و صاحب (و تذهب) تلك الفتنة (باحلام قومها) اى عقول القوم الداخلين فى تلك الفتنة ، و المراد انه اذا قامت الفتنة ، لا يبقى مجال لسؤالهم عن الامام عليه السلام و جوابه لهم ، اذ الفتن توجب تشتت الأفكار ، فالمقصود السئوال قبل ان يفقدوا الامام و قبل ان يقعوا فى فتن تذهلهم عن مثل تلك الأسئلة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإِنْعَامِهِ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ وَظَائِفِ حُقُوقِهِ ، عَزِيزَ الْجُنْدِ ، عَظِيمَ الْمَجْدِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَنْ دِينِهِ ؛ لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذٰلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَىٰ تَكْذِيبِهِ ، وَالْتِمَاسٌ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فيها حمد الله ، والثناء على نبيّه ، والوصيّة بالتّقـــوى

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(احمده) تعالى (شكرا لانعامه) اى ان الحمد لأجل شكره سبحانه على ما انعم علينا (واستعينه) سبحانه (على) اداء (وظائف حقوقه) اى اتمكن من القيام باداء حقّه تعالى من الطاعة والعبادة ، فانه لو لا اعانته سبحانه لايتمكن الانسان من الطاعة ، هو سبحانه (عزيز الجند) لا يغلبون ، وانما يغلب كل من حاربهم (عظيم المجد) اى الرفعة ، فان عظمته سبحانه و رفعته اعظم من كل شئ (واشهد انّ محمّدا عبده) ليس باله او ولد للاله ، كما ادعى اليهود و النّصارى بالنّسبة الى انبيائهم (ورسوله) الذى ارسله رحمة للعالمين ، (دعا) صلى الله عليه وآله وسلم (الى طاعته) اى طاعة الله تعالى (وقاهر) اى غالب وحارب (اعداءه جهادا على دينه) اى لأجل المجاهدة لاعلاء كلمة الاسلام (لا يثنيه) اى لا يسبب انسحاب الرسول عن ميدان الدعوة (عن ذلك) الدعـاء (اجتماع) من الكفّار (على تكذيبه) صلى الله عليه وآله (والتماس) اى طلب

لإِطْفَاءِ نُورِهِ .

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَىٰ اللهِ ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ . وَبَادِرُوا الْمَوْتَ فِي غَمَرَاتِهِ ، وَامْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ : فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ ؛ وَكَفَىٰ بِذٰلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ ، وَ مُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ !

من الكفار (لاطفاء نوره) فقد كان صلى الله عليه وآله ثابتا لا يحركه شئ ولا يزيله عن دعوته تجمّع القوى ضده .

ثم شرع عليه السلام فى الوصية بالتقوى : (فاعتصموا) اى تمسكوا ايها الناس (بتقوى الله فانّ لنها) اى للتقوى (حبلا وثيقا) اى محكما (عروته) هى المحل الذى يتمسك به الانسان ، كعروة الابريق (و معقلا) اى ملجاءا و ملاذا (منيعا ذروته) اى اعلاه ، يعنى ان الانسان اذا اتقى كان كالذى هو فوق جبل ، لا يتمكن ان يصل الأعداء اليه .

(و بادروا الموت) بالأعمال الصالحة ، كانّ الموت يريد اختطاف الانسان قبل ان يعمل ، و الانسان يريد ان يعمل قبل ان يموت ، فهما يتبادران (فى غمراته) اى قبل ان يلقيكم فى اهواله ، جمع غمرة ، و هى المحل المخوف من الماء الذى يوجب الغرق (و امهدوا له) اى هيئوا مكانكم للموت (قبل حلوله) بالأعمال الصالحة (و اعدوا له) اى خذوا استعدادكم لمواجهة الموت (قبل نزوله) بكم (فان الغاية) التى يصل الانسان اليها فى سيره (القيامة) حيث العرض على الله سبحانه (و كفى بذلك) اى بالموت ، او بالشئ الذى يستقبل الانسان ــ و هو القيامة ــ (واعظا) فانّ الانسان اذا علم بالموت و القيامة لابد و ان يهيّئ لهما بالأعمال الصالحة و ترك الأعمال القبيحة (لمن عقل) و علم (و معتبرا) اى يعتبر بالموت الانسان (لمن جهل) الأمر بذاته ، فاذا

وَقَبْلَ بُلُوغِ ٱلْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ ٱلْأَرْمَاسِ ، وَشِدَّةِ ٱلْإِبْلَاسِ ، وَهَوْلِ ٱلْمُطَّلَعِ ، وَرَوْعَاتِ ٱلْفَزَعِ ، وَٱخْتِلَافِ ٱلْأَضْلَاعِ ، وَٱسْتِكَاكِ ٱلْأَسْمَاعِ ، وَظُلْمَةِ ٱللَّحْدِ ، وَخِيفَةِ ٱلْوَعْدِ ، وَغَمِّ ٱلضَّرِيحِ ، وَرَدْمِ ٱلصَّفِيحِ .

رای الموت ، ادرك انه صائر اليه ، فلابد ان يتهيأ له .

(و قبل بلوغ الغاية) اى قبل ان تبلغوا القيامة (ما تعلمون) اى يكون الشئ الذى تعلمونه (من ضيق الارماس) اى القبور ، جمع رمس ، بمعنى القبر (و شدة الابلاس) حزن فى خذلان و يأس ، كما قال سبحانه : ((يبلس المجرمون)) .

(و هول المطلع) المطلع هو المنزل الذى يطلع الانسان منه على امور الآخرة ، و المراد البرزخ ، او المراد الموت ، و هوله لأنه عالم آخر لم يألفه الانسان ، فلا يدرى ماذا يصنع به (و روعات الفزع) اى نوبات الخوف التى تاخذ الانسان عند انتقاله من هذا العالم الى العالم الآخر .

(و اختلاف الأضلاع) جمع ضلع ، اى دخول بعضها فى بعض من شدة الضغط فى القبر (و استكاك الأسماع) اى صم الاذان من الأصوات الهائلة التى تسمعها عند الموت ، او من التراب .

(و ظلمة اللحد) و هو الشق الذى يعمل فى القبر فى جانبه الامام لمن توجه الى القبلة ، لوضع الميت فيه (و خيفة الوعد) الذى وعد الانسان به من المحاكمة على اعماله السابقة (و غمّ الضريح) اى الجزن الذى ياخذ الميت عند وضعه فى ضريحه ، و المراد به اللحد (و ردم الصفيح) هو الحجر العريض ، و ردمه سد القبر به ، اذ يوضع فى ظهر الميت ــ اذا وضع فى اللحد ــ صفائح من اللبن .

فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَىٰ سَنَنٍ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ. وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَىٰ صِرَاطِهَا، وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا، وَانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ

(ف) اذكروا (الله الله) يا (عباد الله) فى انفسكم . لا تعملوا ما يوجب العقاب و العذاب (فانّ الدّنيا ماضية بكم على سنن) اى تمضى بكم فى طريق من كان قبلكم من امانتهم و اهلاكهم .

(و انتم و الساعة) اى الموت ، او يوم القيامة و هو الأظهر (فى قرن) هو الحبل الذى يقرن به بعيران ، و المراد اقتران الانسان بالقيامة ، لا ينفك احدهما عن الآخر ، و ذلك كناية عن وصول الانسان اليه قطعا (و كانّها) اى الساعة (قد جائت باشراطها) اى مع علائمها (و ازفت) اى قربت(بافراطها) جمع فرط ، و هو العلم الذى يتقدم فى الطريق دالا عليه ، و المراد بدلائلها الدالة على القيامة (و وقفت) الساعة (بكم على صراطها) اى صرتم الى الصراط الذى هو جسر بين المحشر و بين الجنة ممدودا على جهنّم فمن عبره بسلام دخل الجنّة ، و الاّ وقع فى النّار .

(و كأنها) اى الساعة (قد اشرفت بزلازلها) اذ قبل القيامة تكون زلازل ، كما قال سبحانه : ((ان زلزلة الساعة شئ عظيم)) .

(و اناخت) اى الساعة ، و الأصل فى الاناخة نوم البعير (بكلاكلها) جمع كلكل ، بمعنى الصدر ، و هى كناية عن الاثقال التى ترد على الانسان فى يوم القيامة ، كما يلقى البعير بثقله على الأرض اذا اناخت و نامت .

(و انصرمت) اى انقضت و ذهبت (الدنيا بأهلها) اى مع اهلها ، اذ تتم الدنيا اذا جاء المحشر ، و ينتقل اهلها الى دار الآخرة (و اخرجتهم) اى

مِنْ حِضْنِهَا ، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَىٰ ، أَوْ شَهْرٍ انْقَضَىٰ ، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا ، وَسَمِينُهَا غَثًّا . فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا ، عَالٍ لَجَبُهَا ، سَاطِعٍ لَهَبُهَا ، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا ، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا ، بَعِيدٍ خُمُودُهَا ، ذَاكٍ وُقُودُهَا ، مَخِيفٍ وَعِيدُهَا ، غَمٍّ قَرَارُهَا ، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا ، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا ،

اخرجت الدنيا ، الناس (من حضنها) كما تخرج المرأة الولد من حضنها (فكانت) الدنيا ـ اذا فكر فيها المفكر ـ (كيوم مضى) اذ لا اثر له (او شهر انقضى) اذ تم وانصرم ، فيقول الانسان في الآخرة ، مضت الدنيا وتمت . (وصار جديدها) اى ما كان جديدا فيها (رثا) اى باليا قديما (و سمينها) اى ما عد ثمينا نافعا في الدنيا (غثا) اى مهزولا تافها .

حيث يصل الانسان (في موقف ضنك المقام) اى ضيّق محلّه ، ضيقا حسيا ، اوضيّقا معنويا لما ينال الانسان من الضيق بسبب المخاوف والأهوال (و امور مشتبهة) لايعرف الانسان ايها تصل اليه (عظام) جمع عظيم (و نار شديد كلبها) الكلب اكل بغير شبع ، كانّ النار تاكل بلا شبع كلما يلقى فيها (عال لجبها) اى صياحها واضطرابها (ساطع لهبها) اى شعلتها (متغيظ زفيرها) التغيظ الهيجان ، والزفير صوت رفد النار (متأجج) اى مشتعلة (سعيرها) اى لهبها (بعيد خمودها) كنّى بذلك عن عدم خمودها ، اذ هى دائمة ابدية (ذاك) من زكت النار اذا اشتد لهبها (وقودها) اى ما يوقد به النار ، فانه ملتهب مشتعل (مخيف وعيدها) اى يخيف الانسان الوعيد بالنار .

(غمّ) صفة من غمّه اذا غطّاه (قرارها) اى محل الاستقرار فيها ، اى مستو ، او مغطى آخر النار الذى يسكن فيه المجرمون (مظلمة اقطارها) اى اطرافها ، فلا يرى الانسان فيها شيئا (حامية قدورها) المنصوبة لأجل ارواء الظمآن من اهل النار

فَظِيعَةَ أُمُورُهَا . «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَراً». قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ ؛ وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَىٰ وَالْقَرَارَ . الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً ، وَ أَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً ، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً ، تَخَشُّعاً وَاسْتِغْفَاراً ؛ وَ كَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا ، تَوَحُّشاً وَانْقِطَاعاً .

بماء تقطع منه احشائهم ، والحامية بمعنى الحارة (فظيعة) أى مهولة (امورها) كلا من الأمور المرتبطة بالنار ، هذا لمن كفر وعصى (وسيق الذين اتقوربّهم) بالايمان والأعمال الصالحة (الى الجنة زمرا) جمع زمرة ، بمعنى جماعات جماعات وذلك الفئ لأن الانسان يتهنأ بالاجتماع اكثر من الانفراد (قد امن) الذى يساق الي الجنة (العذاب وانقطع) عنه (العتاب) فلا يقال له : لم فعلت كذا ؟ .

(وزحزحوا) اى بعّدوا (عن النّار) كما قال سبحانه : ((فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز)) (واطمأنّت بهم الدّار) اى صارت مقرّا لهم بكل اطمينان واستقرار ، وذلك حيث لا منغصّ فيها (ورضوا المثوى) اى محل السكونة (والقرار) اى المحل الذى استقروا (الذين كانت اعمالهم فى الدنيا زاكية) اى نامية مباركة توجب الثمرة الطيبة (واعينهم باكية) من خوف اللّه .

(وكان ليلهم فى دنياهم) اى حين كانوا فى الدنيا (نهارا) اى كالنهار فى كونهم يقظين ، لا نائمين (تخشّعا واستغفارا) فقد كانوا فى حال خشوع واستغفار خوفا من الله سبحانه .

(وكان نهارهم ليلا) اى كالليل (توحّشا) من النّاس (وانقطاعا) عن ملذّات الدنيا ، فكما يتوحّش الانسان باللّيل وينقطع عن مباهج الحياة ، كان اولئك هكذا فى النّهار ، خوفا من ان يصيبهم الاثم .

فَجَعَلَ اللهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَآباً ، وَالْجَزَاءَ ثَوَاباً ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ .

فَارْعَوْا عِبَادَ اللهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ . وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ . وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْمَخُوفُ ، فَلَا رَجْعَةً تَنَالُونَ ،

(فجعل اللّه لهم الجنّة مآبا) اى من اب ، بمعنى رجع ، اى مرجعا لهم و انما سمى بالمرجع ، لأن ((آدم)) عليه السلام جاء الى الدنيا من الجنة (و الجزاء ثوابا) اى الخير الواصل اليهم مع الاكرام ــ و هذا هو معنى الثواب ــ (و كانوا) هؤلاء (احق بها) اى بالجنّة من سائر النّاس (و) كانوا (اهلها) اى اهل الجنّة فانّ الجنّة بنيت لهم (فى ملك دائم) لا زوال له (و نعيم قائم) اى ثابت مستقر .

(فارعوا) يا (عباد اللّه ما) اى الشئ الذى (برعايته يفوز فائزكم) من الايمان و العمل الصّالح ، فانّ الانسان بهما ينال الدّرجات الرّفيعة .

(و باضاعته يخسر مبطلكم) فان العامل بالباطل انّما يخسر لعدم رعايته الايمان و العمل الصّالح .

(وبادروا) اى سابقوا (آجالكم) جمع اجل . و هو الموت (باعمالكم) بان تعملوا قبل ان يخطفكم الموت (فانكم مرتهنون بما اسلفتم) اى عملتم فى الدنيا (و مدينون بما قدتم) اى ماخوذون باعمالكم التى قدمتموها الى الآخرة قبل ان تموتوا .

(و كان قد نزل بكم المخوف) اى الموت (فلا رجعة) الى الدنيا (تنالون) فان الانسان يريد الرجعة الى الدنيا ، لكن لا يستجاب طلبه .

وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ . اَسْتَعْمَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ .

اَلْزَمُوا الْأَرْضَ، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ. وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللهُ لَكُمْ . فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً ، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ ، وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ ؛ وَإِنَّ لِكُلِّ

(ولا عثرة تقالون) اى لا تقال عثرتكم ، بمعنى لا يغفر ذنبكم ـ و المراد ما ليس قابلا للمغفرة ـ (استعملنا الله وايّاكم بطاعته) بمعنى ان يوفّقنا حتّى نطيع (و طاعة رسوله) صلى الله عليه و آله (وعفا عنّا وعنكم بفضل رحمته) فان العفو ليس بالاستحقاق و انما بالفضل .

(الزموا الأرض) اى كونوا ساكنين غير محاربين فيما اذا لم تتوفر فيكم شروط المحاربة مع اهل الباطل (و اصبروا على البلاء) الذى ينزل بكم ، فان الصبر مفتاح الفرج (ولا تحرّكوا بايديكم) ضربا (و سيوفكم) قتلا و جرحا (فى هوى السنتكم) فان الانسان قد يهوى ان يتكلم كلاما، ومن كلامه تتحرك الفتنة و تقع المحاربة (ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم) من ملك السلطة ، و السيادة الشرعية .

(فانه من مات منكم على فراشه و هو على معرفة حقّ ربّه) بالايمان (و حقّ رسوله) بالاطاعة (و) حق (اهل بيته) بالولاية (مات شهيدا و وقع اجره على الله) فى صبره وعدم قيامه بالحرب فى غير اوانها (و استوجب ثواب ما نوى) اى قصد (من صالح عمله) بانه انكان الأمر جامعا للشرائط قام بالجهاد .

(و قامت النية مقام اصلاته لسيفه) اصلت سيفه اذا جرده للحرب (وان لكلّ

شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلًا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلْفَاشِي حَمْدُهُ ، وَاَلْغَالِبِ جُنْدُهُ ، وَاَلْمُتَعَالِي جَدُّهُ . أَحْمَدُهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ التُّؤَامِ ، وَآلَائِهِ اَلْعِظَامِ . اَلَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا ،

شئ مدّة و اجلا) فالسيادة اهل الحق وقت خاص ، لا تكون الا اذا جاء وقتها كما ان لسيادة اهل الباطل مدة ، لا تنقضى الا بانتهاء تلك المدة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى حمد اللّه ، و الثّناء على نبيّه ، و الوصيّة بالتّقوى

(الحمد للّه الفاشى) اى الشائع بين الناس (حمده) فان المؤمنين به تعالى يحمدونه فى كل مكان ، و ان كفر به اقوام منحرفون (و الغالب جنده) كما قال سبحانه : ((و ان جندنا لهم الغالبون)) فاذا اراد الله شيئا كان ، وليس لأية قوة ان تقف امام ارادته سبحانه (و المتعالى) اى العالى (جدّه) اى عظمته ، كما قال سبحانه : ((و ان تعالى جد ربنا)) .

(احمده على نعمه التوأم) اى المتواصل ، كالمولودين من بطن واحد ، حين ياتى احدهما بعقب الآخر ـ و اصله على وزن جعفر ، ثم خفف ـ (وآلائه) جمع الى ، بمعنى : النعمة (العظام) جمع عظيم (الذى عظم حلمه فعفا)

وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَىٰ ، وَعَلِـمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَىٰ ، مُبْتَدِعِ ٱلْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ ، بِلَا ٱقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ ، وَلَا ٱحْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِـعٍ حَكِيمٍ ، وَلَا إِصَابَةِ خَطَأٍ ، وَلَا حَضْرَةِ مَلَإٍ .

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، ٱبْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ ، وَ يَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ . قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ ٱلْحَيْنِ ،

عن المجرمين (وعدل فى كلّ ما قضى) اى حكم (وعلم ما يمضى) اى ما يأتى فى المستقبل (وما مضى) فى السّابق .

(مبتدع الخلائق بعلمه) اذ الجاهل لا يتمكن من الابتداء (ومنشئهم بحكمه) جمع حكمته ، وهى بمعنى : وضع الأشياء مواضعها (بلا اقتداء ولا تعليم) من احد ، بل هو المنشى المبدع (ولا احتذاء) اى اقتداء (لمثال صانع حكيم) قبله بان كان هناك صانع فصنع الاله مثله (ولا اصابة خطأ) فانه سبحانه لم يخطأ فى عمله ولو خطاءا واحدا (ولا حضرة ملاء) اى لم يحتج الى ان يحضر جماعة حتى يتمكن من انجاز الأمر ـ بعكس عادة السلاطين ومن اليهم حيث اذا ارادوا امرا مهما ، احضروا اولى الراى والحكمة .

(واشهد ان محمّدا عبده ورسوله) اى العبد الحقيقى ، وقدّم لأنه اعظم مرتبة من الرسالة ، او فى مقابل زعم النصارى واليهود، ان ابنائهم شركاء لله فى الالوهية ، وابناء له تعالى .

(ابتعثه) اى بعثه (والنّاس يضربون فى غمرة) اى فى الجهالة التى كانت تغمرهم الى رؤسهم كما يغمر الماء الغريق .

(ويموجون) اى يضطربون (فى حيرة) من امرهم ، لا يعرفون كيف يسعدون (قد قادتهم ازمة الحين) ـ بالفتح ـ بمعنى : الهلاك ، فان الأهواء والشهوات التى تقود الانسان تورث هلاكه فى الدنيا والآخرة ، والازمة

وَٱسْتَغْلَقَتْ عَلَىٰ أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ ! بِتَقْوَىٰ ٱللهِ فَإِنَّهَا حَقُّ ٱللهِ عَلَيْكُمْ ، وَٱلْمُوجِبَةُ عَلَى ٱللهِ حَقَّكُمْ ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَىٰ ٱللهِ : فَإِنَّ ٱلتَّقْوَىٰ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْحِرْزُ وَٱلْجُنَّةُ ، وَفِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ . مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ ، وَسَالِكُهَا

جمع زمام (و استغلقت) اى اغلقت (على افئدتهم) اى قلوبهم ـ عن معرفة الحق ـ (اقفال الرّين) اى الطبع ، فانها طبعت عليها بالضلال و الجهل ، فلا يتمكنون من ازالته ، كما لا يتمكن الانسان من فتح الباب المغلق بالقفل .

(اوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه) الخوف منه (فانّها) اى التّقوى (حقّ اللّه عليكم) اراد ها منكم فى مقابل خلقه لكم ، و رزقه اياكم (و الموجبة على اللّه حقكم) اى انكم بالتقوى تصيرون ذوى حقوق على اللّه سبحانه ـ و هو حق جعله على نفسه ، لا الحق الحقيقى كما لا يخفى ـ قال تعالى : ((وكان حقّا علينا نصر المؤمنين)) .

(و ان تستعينوا عليها) اى على التّقوى (باللّه) فان اللّه عون للمتّقى (و تستعينوا بها) اى بالتّقوى (على اللّه) اى فى النجاة من عذابه ، فان هناك مخوفين : الأول : الخوف من الناس ، و الثانى : الخوف من الله ، و التقوى توجب حفظ الانسان من وصول اى المكروهين اليه (فانّ التّقوى) قائدتها (فى اليوم) و نحن فى الدنيا (الحرز) اى حفظ الانسان (و الجنّة) الواقية عن المكاره (و فى غد) فى الآخرة (الطريق الى الجنّة) و النجاة ـ من النّار ـ و هذا على ترتيب اللف و النشر المرتب ـ .

(مسلكها) اى طريق التقوى (واضح) لا خفاء فيه (و سالكها) اى الذى

رَابِـحٌ ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ . لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ ، لِحَاجَتِـهِمْ إِلَيْهَا غَداً ، إِذَا أَعَادَ اللهُ مَا أَبْدَىٰ ، وَأَخَذَ مَا أَعْطَىٰ ، وَسَأَلَ عَمَّا أَسْدَىٰ . فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا ، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا ! أُولٰئِكَ الْأَقَلُّونَ عَدَداً ، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ : «وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» . فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا ، وَكَظُّوا

يمشي في طريق التقوى (رابح) قد ربح سعادة الدنيا و الآخرة .

(و مستودعها حافظ) اى الذى تكون التقوى وديعة عنده ـ و هواللمسبحانه ـ حافظ لا يخون ، بل يعطى جزائها للانسان (لم تبرح) اى لم تزل التقوى (عارضة نفسها على الأمم الماضين) و ذلك ببيان انبيائهم لهم كيفية التقوى (و الغابرين) اى الباقين ـ فان غابر يستعمل بمعنى : الماضى و الباقى ـ و انما كانت التقوى عارضة نفسها على الكل (لحاجتهم اليها غدا) اى فى الآخرة (اذا عاد الله ما ابدى) اى اعاد الله الناس الذين خلقهم اولا ،فى دار الدنيا (و اخذ ما اعطى) كانّ خلق البشر فى الدنيا اعطاء ، ثم اعادتهم للحساب اخذ (وسأل ما اسدى) اى ما اعطاه من النعم ، فانه يسئل عن نعمه كيف صرفوها العباد، و هل ادوا حق الله سبحانه فيها ؟ .

(فما اقل من قبلها و حملها) صيغة تعجب ، لقلة من قبل التقوى و عمل بها (حق حملها) و ذلك بالمواظبة الكاملة عليها (اولئك الأقلون عددا) من الذين لم يقبلوها اوقبلوها،لكنهم لم يعملوا بها حق العمل (وهم اهل صفةالله) اى مصداق لوصفه (سبحانه اذ يقول) فى القرآن الحكيم :((و قليل من عبـــادى الشكور)) اى الشاكرون حق الشكر ، قلبا و لسانا و عملا .

(فاهطعوا) الاهطاع : الاسراع (باسماعكم اليها) بان تعجلوا فى الاستماع الى موازين التقوى و كيفيتها (و كظّوا) الكظاظ ـ لكتاب ـ المعارسة

بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا ، وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً ، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً. أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ ، وَاقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ ، وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ ، وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ ، وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا ،

و طول الملازمة (بجدّكم) اى باجتهادكم (عليها) اى على التقوى فان ملازمة التقوى فى جميع الأمور تحتاج الى جدّ و اجتهاد .

(و اعتاضوها من كلّ سلف خلفا) اى اجعلوا التقوى عوض كل شئ فان منكم سابقا ، فان من عنده التقوى لم يفته شئ .

(و من كلّ مخالف موافقا) فان الذى يوافق التقوى لا يهتم بمن خالفه ، لأنه يوافق اعظم الأشياء و اربحها .

(ايقظوا بها) اى بالتقوى (نومكم) فان من يريد التقوى لا بد و ان يستيقظ وقت المنام لأداء الصلاة و العبادة (و اقطعوا بها يومكم) اى سيروا من اول النهار الى الليل مصاحبين لتقوى .

(و اشعروها قلوبكم) حتى يكون قلبكم متقيا ، لا ان تعمل جوارحكم حسب التّقوى ، بدون ان يكون ذلك نابعا من القلب (و ارحضوا) اى اغسلوا (بها) اى بالتقوى (ذنوبكم) فان الحسنات يذهبن السّيئات (و داوا بها الاسقام) الأمراض النفسية ،فانّ المتقى لا يبخل ولا يجبن ولا ينافق ، وما اشبه من امراض القلب ، و الأمراض البدنية ، فانّ النّفس المعلقة باللّه سبحانه تؤثر فى البدن ، فتشفيه من امراضه ــ كما ثبت فى علم النفس ــ .

(و بادروا بها الجمام) اى الموت ، اى اتقوا قبل ان ياخذكم الموت (و اعتبروا بمن اضاعها) انظروا الى من ضيع التقوى ، لتروا كيف شقى ،فيكون ذلك عبرة لكم ، حتى تلازموا التقوى .

وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا . أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهاً ،وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلَّاهاً . وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْــهُ التَّقْوَىٰ ، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا . وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا، وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا ، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا ، وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ، وَنُطْقَهَا

(ولا يعتبرن بكم من اطاعها) اى لا تكونوا ممن ضيّع التقوى حتى تكونواعبرة للمطيعين ، فان الشقى عبرة للسعيد ، و العاصى عبرة للمطيع (الا فصونوها) اى احفظوا التقوى ، بمعنى اعملوا بها (و تصوّنوا بها) اى تحفظوا على انفسكم من الشقاء ، بسبب التّقوى (و كونوا عن الدّنيا نزّاها) جمع نازه ،وهو العفيف (و الى الآخرة ولّاها) جمع واله ، و هو المشتاق .

(ولا تضعوا من رفعته التقوى) اى لا تفعلوا فعلا يوجب خفة المتقــى و اسقاطه عن الرفعة و السمو (ولا ترفعوا من رفعته الدّنيا) اى لا تفعلوا فعــلا يوجب رفعة غير المتقى من اهل الدّنيا (ولا تشيموا) اى لا تنظروا (بارقهــا) اى سحاب الدنيا ، و المعنى لا تنظروا لما يغركم من مطامع الدنيا ، من شام البرق ،اذا نظر اليه اين يمطر(ولا تستمعوا ناطقها) اى من ينطق نطق الدنيا ، فان اللازم ان يستمع الانسان الى من ينطق حول الآخرة (ولا تجيبوا ناعقها) اى من يتكلم و يصيح لأجل الدنيا ، و انما اللازم ان يجيب الانسان داعى من يدعــوا الى الآخرة (ولا تستضيئوا باشراقها) اى لا تذهبوا حيث تضئ الدنيا ، كناية عن موقع ملذاتها و شهواتها (ولا تفتنوا باعلاقها) جمع علق بالكسر بمعنى : النفيس ، اى لا تخدعوا بنفائس الدّنيا .

(فانّ برقها خالب) الخالب من السحاب ما لا مطر فيه ، اى المكان الذى تــرى الدنيا نفسها منه خدعة و غرور ، لا يعطى للانسان ما يأمل (و نطقها) اى

كَاذِبٌ ، وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ ، وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ . أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّيَةُ الْعَنُونُ ، وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونُ ، وَالْمَائِنَةُ الْخَؤُونُ ، وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ ، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ . حَالُهَا انْتِقَالٌ ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ ،

كلامها حول نفسها (كاذب) لا اصل له (و اموالها محروبة) اى منهوبة فانها لا تعطى للانسان مالا ، الا و تنهبه منه (و اعلاقها) اى نفائسها (مسلوبة) تسلبها من الانسان بعد اعطائها .

(الا و هى) اى الدنيا (المتصدّية) هى المرأة التى ترى نفسها للرجال تميلهم الى نفسها (العنون) مبالغة ، من ((عنّ)) اذا ظهر ، فانها ترى كل يوم لرجل ، و لا تفى لأى شخص منهم (و الجامحة الحرون) من جمحت الدابة اذا صعب ركوبها ، و الحرون التى اذا طلب منها السير وقفت (والمائنة) اى الكاذبة (الخئون) اى كثيرة الخيانة ، فانها لا تفى لأحد .

(و الجحود) التى تجحد خدمات الانسان لها (الكنود) من كند، بمعنى كفر النّعمة ، فان الانسان مهما خدم الدنيا وجد فى عمرانها ، فانها لابد و ان تصرع الانسان و تهلكه (و العنود) كثير العناد و المخالفة (الصّدود) كثيرة الصد و الهجران (و الحيود) مبالغة فى الحيد بمعنى الميل ، اى كثيرة الميل و الانحراف عن الانسان (الميود) من ماد بمعنى اضطرب اى تضطرب بالانسان من رفعة الى ضعة و من ضعة الى رفعة ، و هكذا .

(حالها انتقال) من حال الى حال فمن الفقر الى الغنى ، و بالعكس ومن الصحة الى المرض و بالعكس ، و هكذا (و وطاتها زلزال) فانها لا تستقر باحد فمن وطئها و اراد الاستقرار فيها زلزلت به و حركته من حال الى حال (و عزّها ذلّ) اى ينتهى الى الذلة ، او انه ذلة واقعية ، اذ العزة الواقعية لأهل

وَجِدُّهَا هَزْلٌ ، وَعُلْوُهَا سُفْلٌ . دَارُ حَرَبٍ وَسَلَبٍ ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ . أَهْلُهَا عَلَىٰ سَاقٍ وَسِيَاقٍ ، وَلَحَاقٍ وَفِرَاقٍ . قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا ، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا ، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا ، فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ ، وَلَفَظَتْهُمُ الْمَنَازِلُ ، وَأَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ : فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ ،

الآخرة .

(وجدّها هزل) اذ هو فى النتيجة كالهزل ، لا حقيقة باقية له (وعلوّها سفل) فان الدنيا سافلة ، حتى اذا كان الانسان فى اعالى مراتبها (دار حرب) الحرب سلب كل مال الانسان (وسلب) هو اعم من الحرب (ونهب) للأموال (وعطب) اى هلاك للانسان ، لأن الدنيا تهلك مال الانسان وبدنه .

(اهلها على ساق) اى قائمون على ساق استعدادا لما يأتى من اجالهم (و سياق) اى يساقون الى الآخرة ، (ولحاق) فيلتحق الباقى بالماضى ، اذا مات (وفراق) لمن يموت عن اهله واصدقائه (قد تحيرت مذاهبها) اى تحير الناس فى طرقهم ، لا يدرون كيف يعملون لينالوا السعادة ، ونسبة التحيّر الى المذاهب بعلاقة الحال والمحل (واعجزت مهاربها) اى عجز النّاس عن الهرب من الاتعاب التى تصل اليهم (وخابت) اى خسرت (مطالبها) اى طلب الانسان فيها يبوء بالخيبة والفشل .

(فاسلمتهم المعاقل) جمع معقل ، بمعنى الملجأ كناية عن عدم وجود ملجأ امين فى الدنيا يقى الانسان شر المهالك والنوازل (ولفظتهم) اى طرحتهم بشدة ، كما يطرح الفم النوات (المنازل) بان اخرجتهم الى القبور (واعيتهم) اى اعجزتهم (المحاول) جمع محال ــ بفتح الميم ــ بمعنى الحذق وجودة النظر اى ان فكرهم وفطنتهم لم يفدهم فى الخلاص ، ودرك السعادة .

(فمن ناج) من الموت ، لم يمت بعد (معقور) اى مجروح من عقره

وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ، وَعَاضٌّ عَلَىٰ يَدَيْهِ ، وَصَافِقٍ بِكَفَّيْهِ ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ ، وَزَارٍ عَلَىٰ رَأْيِهِ ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ ؛ وَقَدْ أَدْبَرَتِ ٱلْحِيلَةُ ، وَأَقْبَلَتِ ٱلْغِيلَةُ ، ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا ،

بمعنى جرحه(و لحم مجزور) اى مسلوخ اخذ عنه جلده ، كناية عن شدة بلائه حتى لم يبق منه الا اللحم بلا جلد (و شلو مذبوح) الشلو البدن ، اى هو كالمذبوح فى كثرة البلايا عليه .

(و دم مسفوح) قد اريق ، بان قتل الانسان فاريق دمه (و عاضّ على يديه) ندما ، فان الانسان اذا ندم على ما فات عض على اصبعه ، فى اليدين ، اذا كان الندم شديدا (و صافق بكفيه) فان المتحسّر يصفق كفّا على كف (و مرتفق بخدّيه) اى وضع طرفى وجهه على مرفقيه ، كما يفعل المتحير ، يرفع ساقيه ، و يضع يديه عليهما ، ثم يضع وجهه على يديه (و زار) من زرى ، بمعنى : قبّح (على رايه) اى يقبّح رايه السابق حينما يرى ما جرّ عليه من الندم (و راجع عن عزمه) فيما اذا عزم شيئا ، ثم تبين له انه باطل .

(و قد ادبرت الحيلة) اى طريق العلاج ، فلا يتمكن من علاج ما فات من منافعه (و اقبلت الغيلة) اى الشر الذى اضمرته الدنيا له خفية و غيلة .

(ولات حين مناص) ((لات)) اصلها ((لا)) النافية ، زيدت عليها ((التاء)) لتانيث الكلمة ، و ((المناص)) بمعنى الخلاص ، و اسم ((لات)) محذوف ، اى ليس الوقت وقت الخلاص من المشكلة التى وقع الانسان فيها .

(و هيهات هيهات) اشارة الى تبعيد الأمر فى الخلاص من الشقاء الذى هيئه الانسان لنفسه (قد فات ما فات) اى مضى فلا يمكن تداركه (و ذهب ما ذهب) فلا يمكن الابقاء عليه (و مضت الدّنيا لحال بالها) اى للحالة التى

«فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ».

توید هی لا التی یرید ها النّاس ، فان البال بمعنی الخاطر (فما بکت علیهم السماء و الأرض و ما کانوا منظرین) ای لم یاسف لموتهم شئ لا سماء و لا ارض ،و لا امهلهم اللّه سبحانه حتی یتدارکوا الأمر ·

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

تسمى القاصعة

وهي تتضمن ذم إبليس على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام ، وأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية ، وتحذير الناس من سلوك طريقته .

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَبِسَ اَلْعِزَّ وَاَلْكِبْرِيَاءَ ، وَاَخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

((تسمى القاصعة)) من قصعه بمعنى حقّره لأنه عليه السلام حقّر فيها حالة المتكبرين (و هى تتضمن ذمّ ابليس على استكباره و تركه السّجود لآدم عليه السلا م و انه اوّل من اظهر العصبية و تبع الحميّة و تحذير النّاس من سلوك طريقتـــــه) العصبية الاعتزاز بالعصبة و هى قوم الرجل ، فى حق او باطـــل ، و الحميـــة حفظ الحمى حقّا كان ام باطلا ، و كلاهما باطل .

(الحمد للّه الذى لبس العزّ و الكبرياء) اى انهما كاللباس له سبحانـــه ، ملاصقان به (و اختارهما لنفسه دون خلقه) فلم يرد لهما التكبر و الاعتـــزاز ، بخلاف بعض صفاته الآخر ، حيث اختارها لخلقه ايضا ، كالعلم و الحلم و ما اشبه (و جعلهما حمى) هو ما حميته عن وصول الغير اليه و التصرف فيه (و

حَرَماً عَلَىٰ غَيْرِهِ ، وَٱصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ . وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَىٰ مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ. ثُمَّ ٱخْتَبَرَ بِذٰلِكَ مَلَائِكَتَهُ ٱلْمُقَرَّبِينَ ، لِيَمِيزَ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ ٱلْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ ٱلْقُلُوبِ ، وَمَحْجُوبَاتِ ٱلْغُيُوبِ : « إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّا إِبْلِيسَ »

حرما) المحل المحترم الذى لا يدخله الا من شاء الانسان (على غيره) فلا يجوز لأحد ان يتكبر (واصطفاهما) اى اختارهما (لجلاله) اى لذاته الجليلة (و جعل اللّعنة) اللعن الطرد عن الخير (على من نازعه فيهما من عباده) اى من اراد ان ياخذ بهما ، كانّه منازع لله سبحانه ، حيث يريد سلب ما يخصه تعالى (ثم اختبر) اى امتحن (بذلك) الاختصاص (ملائكته المقرّبين) فى درجات الطاعة و العبادة (ليميز المتواضعين منهم) الذين لا يغترون و لا يتكبرون (من المستكبرين) الذين يلصقون الكبرياء بانفسهم .

(فقال سبحانه : و هو العالم بمضمرات القلوب) اى ما تضمره و تخفيه قلوب النّاس (و محجوبات الغيوب) اى ما هو مستور فى الغيب ، مما هو غائب من الحواس ، و بيان هذه الجملة لدفع توهم انه سبحانه انّما يمتحن حتّى يعلم المخفيات ، اذ اللّه تعالى يعلم كلشئ و انما يمتحن ليظهر ما خفى ، لا ليعلم ما اختفى ــ و ذلك اتماما للحجّة على العباد (انّى خالق بشرا من طين فاذا سوّيته) اى صنعته و اكملته (و نفخت فيه من روحى) بان اعطيته الرّوح المضافة الى تشريفا ، كما يضاف البيت الحرام اليه سبحانه ، فيقال : بيت اللّه تشريفا (فقعوا له ساجدين) امر من ((وقع)) ((يقع)) و المخاطب الملائكة (فسجد الملائكة كلّهم اجمعون الاّ ابليس) الشّيطان ، و سمّى ابليسا ، لأنه ابلس من

اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَىٰ آدَمَ بِخَلْقِهِ ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ. فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ ، وَنَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ .

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللهُ بِتَكَبُّرِهِ ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً ، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيراً ؟!

رحمة اللّه .

(اعترضته الحميّة) اى عرضت له الكبرياء (فافتخر على آدم بخلقه) اذ خلق الشّيطان من جنس النّار ، وخلق آدم من جنس الطّين ، فزعم الشّيطان انّ النّار افضل من الطّين ، ولذا لا ينبغى لمثله ان يسجد لمثل آدم (وتعصّب عليه) اى على آدم (لأصله) المخلوق منه ، وقد كان القياس باطلا ، اذ لا دليل على اشرفيّة النّار ، وعلى تقدير ان تكون اشرف فالاطاعة تشريف للآمر لا للمأمور به (فعدوّ اللّه) ابليس (امام المتعصّبين) اى مقتداهم ، والسّالك لهذا الطّريق قبلهم (وسلف المستكبرين) اى السّابق عليهم .

(الّذى وضع اساس العصبية) حيث اظهرها (ونازع اللّه رداء الجبريّة) اى فى جبروته وكبريائه ، فانه كالرداء له سبحانه خاص به (وادّرع) اى لبس الدّرع ، وهو قسم من الثّياب (لباس التعزّز بذاته) ، بان يعد نفسه عزيزا (وخلع قناع التّذلّل) امام اللّه سبحانه ، كانّ الذّلّة قناع فى وجه الانسان يمنعه عن ادعاء ما ليس له .

(الا ترون كيف صغّره اللّه بتكبّره) فطرده من الجنّة وجعله لعينا (ووضعه بترفّعه) اى بسبب ان عد نفسه رفيعا (فجعله فى الدّنيا مدحورا) اى مطرودا يلعنه كلّ احد (واعدّ له فى الآخرة سعيرا) اى نارا ملتهبة .

وَلَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ ، لَفَعَلَ. وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، وَلَخَفَّتِ الْبَلْوَىٰ فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ. وَلٰكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ ، تَمْيِيزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ ، وَنَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ مِنْهُمْ .

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ ، وَجَهْدَهُ

(و لو اراد اللّه ان يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه) خطف البصر كناية عن عدم تمكنه من الرؤية ، كانّها مخطوفة فى عدم انتفاع صاحبها بها (ويبهر) اى يورث تعجّب (العقول) و حيرتها (رواؤه) اى حسن منظره (و) من (طيب ياخذ الأنفاس عرفه) اى رائحته ، اذا كانت شديدة الطيب اخذت بالنّفس ، فلا يتمكن الانسان الشام لها ان يتنفس بسهولة ، لأنّ الهواء النّقى النّافعة للرئة يخلطها العصر الّذى لا تهضمه الرّئة (لفعل) جواب ((لو)) .

(ولوفعل) سبحانه ذلك (لضلّت له الأعناق خاضعة) اى خاضعة لآدم عليه السلام طبيعة لاحسب امر مسبحانه ، وبذلك لم يكن امتحان فى خضوعهم لآدم (ولخفت البلوى) اى الابتلاء (فيه) اى فى آدم عليه السلام (على الملائكة) فلم يكونوا يترفعون عن السجد لآدم (و لكنّ اللّه سبحانه يبتلى خلقه ببعض ما يجهلون اصله) حتى يتبيّن المطيع منهم من العاصى .

(تمييزا) اى لأجل التّمييز بينهم (بالاختبار لهم) اى بالامتحان لهم (و نفيا للاستكبار عنهم) فانّ الانسان اذا اعتاد اطاعة الأوامر ، ذابت فى نفسه ملكة التّكبّر (و ابعادا للخيلاء) هو الكبر و الاختيال (منهم) اى من الخلق .

(فاعتبروا) ايّها النّاس (بما كان من فعل اللّه بابليس اذ أحبط عمله الطّويل) و معنى الاحباط محو الحسنات ، لما فعل من السّيئة (و جهده

ٱلْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ ٱللهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ ، لَا يُدْرَىٰ أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ سِنِي ٱلْآخِرَةِ ، عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ . فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَىٰ ٱللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ ؟ كَلَّا ، مَا كَانَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً . إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ ٱلْأَرْضِ لَوَاحِدٌ . وَمَا بَيْنَ ٱللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَىٰ ٱلْعَالَمِينَ .

الجهيد) توصيف للجهد بيانا لكثرته ، مثل ليلة ليلاء (وكان) ابليس (قد عبد الله ستة آلاف سنة) قبل امره بالسجود لآدم عليه السلام (لا يدرى) في العرف (امن سنى الدنيا) كانت تلك السنوات الستة الآلاف (ام سنى الآخرة) انما احبط عمله (عن) جهة (كبر ساعة واحدة) اذ تكبر في لحظة ، فلم يسجد لآدم .

(فمن ذا بعد ابليس) بتلك العبادة الطويلة (يسلم على الله) من عقابه والاتيان به ((على)) لأنه يشبه الضرر في ان الله يريد شيئا ، ويريد العاصي شيئا آخر خلاف ارادته سبحانه (بمثل معصية) اى في حال كونه آتيا بمثل معصية الشيطان ، وهو الكبر (كلا) ليس كما زعم المتكبر ، انه يتكبر ، ثم يدخل الجنة (ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشرا) اذا كان عاملا (بأمر) هو الكبر (اخرج به) اى بسببه (منها) اى من الجنة (ملكا) وهو ابليس، وسمى ملكا ، للتغليب ، والا فهو من الجن كما نص القرآن الحكيم ، والملك من نور ، والجن من نار (ان حكمه) سبحانه (في اهل السماء) من الملائكة (واهل الأرض) من البشر (لواحد) فالكبر مذموم عنده في الطائفتين (وما بين الله وبين احد من خلقه هوادة) اى لين ورخصة (في اباحة حمى حرمه على العالمين) فالمعاصي حمى الله سبحانه ، حرمها على العالمين اجمعين ، لا

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ . فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، وَقَالَ: «رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

يقتحمها احد الآ عاقبه و نكل به ·

(فاحذروا) يا (عباد الله ان يعديكم) اى يصيبكم الشيطان (بدائه) و هو الكبر و العصيان (و ان يستفزكم) اى يحرككم لاطاعة اوامره (بندائه) اى دعوته لكم الى المحرمات (و ان يجلب عليكم) اى يغلب عليكم (بخيله) اى ركبانه (و رجله) اى مشاته ، كما يجلب قائد الجيش على العدو ، بالركبان و الراجلين من اصحابه ، و المراد بهم هنا النّاس الأشرارا ، فقويهم كالراكب و ضعيفهم كالراجل ·

(فلعمرى) قسم بنفسه الكريمة (لقد فوق لكم) اى هيّ لكم (سهم الوعيد) فانّ الشيطان يوسوس الى الانسان انه لو لم يفعل المحرم الفلانى يقع فى محذور كذا ، مثلا لو لم يسرق افتقر ، و لو لم يقتل ذهبت هيبته و هكذا ·

(و اغرق لكم بالنزع الشّديد) الرامى اذا اراد ان يرمى بكلّ قوّة ، نزع وتر القوس بكلّ شدّة ، و يسمى ذلك بالاغراق فى النزع (و رماكم من مكان قريب) لأن موضع الشيطان فى نفس الانسان ، و لذا يوسوس اليه من اقرب الأماكن الى الانسان ·

(و قال) الشيطان لله سبحانه ، حين طرده عن الجنّة : يا (ربّ بما اغويتنى) اى من اجل اغوائك لى ــ بان امرتنى بالسجود لآدم الذى صار سببا لضلالى ــ (لأزينّ لهم) اى للبشر (فى الأرض) و المراد تزيين المحرّمات

وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » ، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْماً بِظَنٍّ مُصِيبٍ ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ ، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ . حَتَّىٰ إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ ،

فى اعينهم (ولأغوينهم اجمعين) اى اضلّنهم (قذفا بغيب بعيد) اى كان الشيطان فى كلامه هذا ، يقول رميا بالغيب اذ من اين علم انه يتمكن من اضلال النّاس (و رجما بظنّ مصيب) الرجم رمى الحجر ، اى انه كان يرمى ظنّه الى الانسان وقد اصاب ظنه ، كما قال سبحانه : ((و لقد صدق عليهم ابليس ظنّه فاتّبعوه الاّ فريقا من المؤمنين)) (صدّقه به) اى بظنّه (ابناء الحميّة) الّذين لهم عصبيّة الجاهليّة ، كما قال سبحانه : ((اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحميّة حميّة الجاهليّة)) .

(و اخوان العصبيّة) اى الّذين لهم عصبيّة و كبر (و فرسان الكبر والجاهليّة) كانّهم فى شدّتهم و قوّتهم فى التّكبر ، كالفرسان ، اى راكبو الأفراس ، فى الحرب لا كالمشاة .

(حتّى اذا انقادت له الجامحة منكم) اى النّفوس الّتى تمّت ، فانّ الجموح عتق الفرس وعدم انقيادها للرّكوب (و استحكمت الطماعية منه) اى الطمع من الشيطان (فيكم) ولا يخفى انّ قوله : ((حتّى)) للغاية ، اى انّهم صدقوه حتى اذا وصل الأمر الى الانقياد و الاستحكام و ياتى جواب قوله ((اذا)) (فنجمت) اى ظهرت (الحال) اى حال العصيان (من السّر الخفىّ) الذى كان وسوسة فى الصّدور ، و ميلا فى القلوب (الى الأمر الجلىّ) بان جاهروا بالعصيان و اطاعة الشّيطان .

(استفحل سلطانه عليكم) استفحل الأمر اذا اشتدّ ، اى قوى سلطة

وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَؤُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ ، طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ ، وَحَزّاً فِي حُلُوقِكُمْ ، وَدَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ ، وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحاً ، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ

الشّيطان على النّاس (و دلف) اى اقترب (بجنوده نحوكم) اى مع جنـــوده من الشّياطين و اتباعه من افراد الانسان (فاقحموكم) اى ادخلوكم (ولجات الذلّ) جمع وليجة ، و هى المحل الّذى يدخل فيه الانسان ، فانّ الأمور الّتى يأمر بها الشّيطان ، توجب الذلّة فى الدّنيا و الآخرة (و احلّوكم ورطات القتيل) جمـع ورطة ، و هى الشّدّة التى يتورط فيها الانسان ، اى ادخلوكم الشيطان وجنوده فى موجبات قتل بعضكم بعضا ، من الشّقاق و التّشتّت و ما اشبه (وأوطؤوكم اثخان الجراحة) يقال اثخنه الجرح ، اذا اضعفه ، اى ان الشيطان و جنده اوطئوكم وطئا مثل وطى ضعف الجراحة ، فقد اجرحوا النّاس بجراحات المعاصى و الآثام حتى ضعف (طعنا فى عيونكم) فلا تبصر الحق ، كالذى طعن فى عينه (وحزّا فى حلوقكم) حتى لا تذوق مذاق الايمان ، كالذى حزّ ـ اى قطع حلقه ـ .

(و دقّا لمناخركم) جمع منخر ، بمعنى : الأنف ، فقد اوغم الشيطـــان الانسان و اذله ، كما يدق انف الذليل (وقصد لمقاتلكم) جمع مقتل ، بمعنى موضع القتل ـ و هى الحنجرة ـ اى قصد الشيطان اهلاككم ، كما يقصد القاتل حنجرة القتيل (و سوقا) اى يسوقكم سوقا (بخزائم القهر) جمع خزامة ، وهى حلقة تدخل فى انف البعير ليشدّ بها الحبل الّذى يجر به ، و اضافتها الـــى القهر ، لأن الشيطان يقهر الانسان و يجبره سوقا (الى النّار المعدة)للعاصين

(فاصبح) الشيطان (اعظم فى دينكم جرحا) كان الدين ـ عند المتدين ـ جسد صحيح ، فاذا عصى جرح فى دينه بمقدار تلك المعصية (و اورى فى دنياكم

قَدْحاً، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ . فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ، وَلَهُ جَدَّكُمْ، فَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَىٰ أَصْلِكُمْ ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ ، وَقَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِيلَكُمْ ، يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ . لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ،

قدحا) اى اشد قدحا ــ واخراجا ــ للنّار المحرقة لدنياكم (من الذين اصبحتم لهم مناصبين) اى انّ الشيطان اشد عداوة لكم من سائر اعدائكم الذين تناصبونهم ــ اى تحاربونهم ــ (وعليهم متألبين) التألب التجمع لأجل المحاربة .

(فاجعلوا) ايّها النّاس (عليه) اى على الشّيطان (حدّكم) اى غضبكم وحدتكم (وله) اى للشيطان (جدّكم) واجتهادكم ، اوقطعكم ، فان ((جد)) بالفتح ، بمعنى : القطع (فلعمر الله) قسم بالله سبحانه (لقد فخر على اصلكم) اى افتخر الشيطان على اصلكم الذى هو آدم عليه السلام حيث قال : انا خير منه (ووقع فى حسبكم) اى فى شرفكم ، اذا ذهب شرفكم بايجابه المعاصى عليكم ، فان شرف الانسان فى الطاعة (ودفع فى نسبكم) فان انتساب الانسان بالأنبياء يوجب رفعته فاذا اطاع الشيطان ابتعدعن نسبه الرفيع وصار وضيعا بسبب العصيان ، وهذا دفع لشرافة النسب (واجلب بخيله عليكم) اى احضر لكم اتباعه الأقوياء ــ كانهم راكبو الخيل ــ لاضلالكم واغوائكم .

(وقصد برجله) اى اعوانه الضعفاء ، الذين هم كالجند الراجلين ،لاخيل لهم (سبيلكم) ليحرّفكم عن الطريق (يقتنصونكم) الاقتناص اخذ الصياد للصيد دفعة (بكلّ مكان) لاضلالكم (ويضربون منكم كلّ بنان) اى الأصابع ، فانه اذ ضربت اصابع الانسان لم يقدر على اخذ السّيف والمجاهدة ، وهذا كناية عن تضعيف الشيطان لقوى الانسان الايمانية (لا تمتنعون) عنه (بحيلة)

وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ ، فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ ، وَحَلْقَةِ ضِيقٍ وَعَرْصَةِ مَوْتٍ ، وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ. فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ، وَ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ . وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَىٰ رُؤُوسِكُمْ ،

تخلصكم من يده (ولا تدفعون) الشيطان عن انفسكم (بعزيمة) اى بـارادة قوية ، فانتم (فى حومة ذل) اى محل ذلة ، اذ المعصية توجب الذلة (و حلقة ضيق) فان اتباع الشيطان يوجب ضيق الدنيا وضيق الآخرة ، قـال سبحانه : ((و من اعرس عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكا)) .

(وعرصة موت) العرصة الساحة ، اى انتم فى ساحة الموت ، وهى الدنيا (و جولة بلاء) يجول عليكم البلاء ، اى كيف تتبعونه و انتم هكذا لا تـدرون مصيركم ؟ .

(فاطفئوا ما كمن فى قلوبكم من نيران العصبيّة) فانّ الصّفات الرذيلة ملكات فى قلب الانسان ، اذا فكر الانسان فى رذالتها وعالجها ، اطفئت وخمدت (و احقاد الجاهلية) فانّ اهل الجاهليّة كان يحقد بعضهم على بعض بمناسبات الانتساب الى القبائل المختلفة (فانّما تلك) الأحقاد و (الحميّة) التى يتّبعها فى حق و باطل من غير مراعاة موازين الحق (تكون فى المسلم من خطرات الشيطان) اى ما يوجب الشيطان ان يخطر بذهن المسلم (و نخواته) جمع نخوة ، بمعنى التكبر و التعاظم (و نزغاته) جمع نزغة ، بمعنى الافساد (و نفثاته) جمـع نفثة ، بمعنى النفخة ، كانه ينفخ فى الانسان بوساوسه ، و تلك النفخة توجب تلك العصبيّات .

(و اعتمدوا) اى اطلبوا (وضع التذلّل على رؤوسكم) بان تكونوا متواضعين

وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ ؛ وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ ؛ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً ، وَرَجِلًا وَفُرْسَاناً ، وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ

(والقاء التعزّز تحت اقدامكم) بان لا تظهروا العزّة والعصبيّة (وخلع التكبر من اعناقكم) فان التكبر يظهر فى العنق كانه طوق فيه .

(واتخذوا التواضع مسلحة) الثغر ، او محل السلاح الذى يؤخذ منه السلاح لمحاربة العدو (بينكم وبين عدوكم ابليس وجنوده) كانه الحدّ الفاصل بين بلاد الايمان وبلاد الشيطان ، فان تواضع الانسان لم يتمكن ابليس من السيطرة عليه . اما اذا تكبر كان الشيطان مسيطرا عليه (فانّ له) اى للشيطان (من كلّ امة جنودا واعوانا) يتخذهم لمحاربة المؤمنين (ورجلا وفرسانا) اى جنودا راجلين ، وجنودا راكبين .

(ولا تكونوا كالمتكبّر على ابن امّه) اى اخيه ، والمراد به قابيل الذى حسد اخاه هابيل عليه السلام (من غير ما فضل جعله اللّه فيه) اى بدون ان يكون له فضل عليه ، و ((ما)) زائدة .

(سوى ما الحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد) اى لا فضل له سوى الحسد الذى يوجب الحاق العظمة بنفس هذا الانسان المتكبر ، فان الانسان اذا حسد اخاه ، زعم ان نفسه عظيمة (و) سوى ما (قدحت الحمية فى قلبه نار الغضب) فانّ الحمية الجاهلية تورث اشتعال نار الغضب فى قلب الانسان على اخيه (ونفخ الشيطان فى انفه من ريح الكبر) حتى تكبر وتعاظم (الذى اعقبه

اللّٰهُ بِهِ النَّدَامَةَ ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ ، مُصَارَحَةً لِلّٰهِ بِالْمُنَاصَبَةِ ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ. فَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ! فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَآنِ ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ ، الَّتِي خَدَعَ

اللّٰه به النّدامة) فانّ اللّٰه سبحانه يعقب المتكبر الندامة (و الزمه آثام القاتلين) اى خطاياهم (الى يوم القيامة) فان قابيل شريك فى قتل كل مقتول بغير حق ،، لأنه اول من علم الناس القتل حسدا و بغيا ، و الانسان المتكبر يكون حاله حال قابيل حيث حسد اخاه بلا سبب و لا مبرر .

(الا و قد امعنتم) ايها الناس (فى البغى) اى الظلم فقد كان عمر وضع اسس الحمية العربية ، حيث قال : ((ان قريش تابى ذلك)) و ((انّ العرب لا ترضى بذلك)) و اشباه هذا ، و امتدت هذه الحمية ـ بعد ان زادت فى زمن عثمان ـ الى ايام الأيام ، و لذا عنفهم عليه السلام بهذا الخطاب

(و افسدتم فى الأرض مصارحة للّٰه بالمناصبة) اى صارحتم و اظهرتم المحاربة للّٰه سبحانه حيث انه سبحانه جعل الميزان التقوى ، وانتم جعلتم الميزان العصبيات و مبارزة للمؤمنين بالمحاربة) فقد كان العرب فى زمن الامام وما قبله لا يهتمّون بالمسلمين الذين ليسوا من هذا العنصر ، ويقولون لهم ـ الموالى ـ لا يزوجونهم ولا يرون انهم فى الكفائة ، اما حين جائت نوبة دولة معاوية وبنى امية ، فقد اشتد الأمر اشتد اد اهائلا كما هو مذكور فى التاريخ (فـ) اذكروا (اللّٰه اللّٰه فى كبر الحمية) اى التكبر الناشى من الحمية (وفخر الجاهلية) الذين كانوا يفخرون بانسابهم لا باحسابهم (فانه) اى كبر الحمية وفخر الجاهلية (ملاقح الشنآن) جمع ملقح ، اى لقاح البغض ، بمعنى الذى يولده بين الناس (ومنافخ الشيطان) جمع منفخ ، بمعنى : النفخ ، اى انه من نفخ الشيطان فى قلوب الناس (التى خدع) الشيطان

بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ . حَتَّىٰ أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ ، وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ، ذُلُلًا عَنْ سِيَاقِهِ ، سُلُساً فِي قِيَادِهِ . أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ ، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ .

(بها) اى بتلك المنافخ (الأمم الماضية) فكان يوسوس اليهم انهم خير من الأمم الأخرى ، حتى يوجب بينهم شقاقا و اختلافا (و القرون الخالية) اى الماضية ؛

(حتى اعنقوا) اولئك الأمم ، و الأعناق الاختفاء (فى حنادس) جمع حندس ، بمعنى : الظلام الشديد (جهالته) اى انهم اختفوا فى ظلمات الجهالة التى هيئها لهم الشيطان حيث زعموا انهم افضل من جيرانهم — بسبب الدم — كما زعم اليهود انهم شعب الله المختار (و مهاوى) جمع مهوى بمعنى محل الهوى و التردّى (ضلالته) فقد اضلهم الشيطان بهذه الوسوسة و اهلكهم

(ذللا على سياقه) جمع ذلول ، من الذل ضد الصعوبة ، و السياق السوق ، اى ان الأمم كانوا سلسى القياد للشيطان يسوقهم كيف يشاء (سلسا) جمع سلس ، بمعنى السهل (فى قياده) اى فى الانقياد لقيادة الشيطان ، و هى التسيير بالدابة من امامها ، و السوق التسيير بها من خلفها (امرا تشابهت القلوب فيه) اى اطاعوا امر الشيطان ، الذى تشابهت قلوب الناس فى اطاعته (و تتابعت) اى توالت (القرون) جمع قرن ، و هى القطعة من الزمان الممتدة بامتداد عمر جيل من الناس (عليه) فكلهم يسلكون سبيل الشيطان (و كبرا) اى يتبعون تكبر و نخوة (تضايقت الصدور به) فان الكبر يوجب ضيق صدر الانسان ، بخلاف التواضع ، فان القلب — الذى فى الصدر — يتسع لكل شئ بسببه .

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمُ ! الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللّٰهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لِآلَائِهِ. فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ ،وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً ،

(الا فالحذر الحذر) منصوب بفعل مقدر ، اى احذروا الحذر (من طاعة ساداتكم و كبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم) فان حسبهم ــ اى موهلاتهم و فضائلهم كانت قليلة ، و اظهروا للناس انها اكبر من الواقع (و ترفّعوا فوق نسبهم) بان تكبروا و اظهروا انفسهم كبراء اكثر من كبرهم الواقعى الذى كان مقتضى نسبهم (و القوا الهجينة) اى الصفة القبيحة (على ربّهم) فانهم باحتقارهم الناس انما احتقروا خلق الله سبحانه (و جاحدوا الله ما صنع بهم) يعنى جحدوا و انكروا ما فعل الله بهم من ضعة النسب و قلة الفضيلة ، فبمقتضى كبرهم تمنوا ان لو كان لهم فوق مقامهم نسبا و حسبا .

(مكابرة لقضائه) اى تكبروا عن قضاء الله و حكمه فيهم (و مغالبة لآلائه) جمع ((الى)) بمعنى النعمة ، اى ارادوا ان يغلبوا النعم ، بان يكون لهم فوق ما قدر الله لهم (فانهم) اى اولئك السادات الذين كان امرهم كما تقدم (قواعد اساس العصبية) فان العصبية انتشرت الى الناس منهم (و دعائم اركان الفتنة) فان الفتنة بين النّاس و الاضطراب انما تنشئ منهم ، لأنهم يوجدون التفرقة ، و التمايز حسدا و كبرا (و سيوف اعتزاء الجاهلية) الاعتزاء التفاخر بالنسب ، فان الجاهلية انما تشهر السيوف بعد التفاخر الذى ينجر الى المحاربة (فاتقوا الله) خافوا عقابه ، فلا تفخروا بمثل هذه المفاخرات ، ولا تعتزوا بمثل هذه الجهالات و العصبيات (ولا تكونوا للنعمه عليكم اضداد) بان يضاد بعضكم بعضا ،لأنّ الله

وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً . وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ . اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولًا فِي

انعم على ذلك دون هذا .

(ولا لفضله عندكم حسادا) بان يحسد بعضكم بعضا ، لأنه سبحانه تفضل على هذا دون هذا (ولا تطيعوا الأدعياء) جمع دعى و هو الذى يدعى الدين و يلصق نفسه به (الذين شربتم بصفوكم كدرهم) فان الانسان فى نفسه سالم وانما يتخذ العصيان و الانحراف من غيره فشبه عليه السلام الاطاعة بالصفو ، و العصيان بالكدر (وخلطتم بصحتكم) عن الرذائل (مرضهم) و تلوثهم بالآثام (وادخلتم فى حقكم باطلهم) بان اخذتم منهم بعض الأباطيل فاختلط بما تعملون من الحق (و هم اساس الفسوق) اى الخروج عن طاعته سبحانه ، فان اصحاب المعصية هم اول من يظهر منه الفسق (و احلاس العقوق) جمع حلس ـ بالكسر ـ وهو غطاء رقيق على ظهر البعير ملازم له فقيل لكل ملازم لشئ هو حلسه ، و العقوق العصيان ، اى الملازمون له (اتخذهم ابليس مطايا ضلال) فان ضلاله يحمل عليهم ثم يتعدى الى سائر الناس .

(و جندا بهم يصول) الشيطان (على النّاس) اى يحارب المتدينين بسببهم لأنهم اصحاب المنكر و اعداء المعروف .

(و تراجمة) يترجمون كلام الشيطان و يبينونه (ينطق على السنتهم) بايحاء ما يشاء الى قلوبهم (استراقا) اى سرقة من الشيطان (لعقولكم) لأنه لو كان للانسان عقل ثابت غير مسروق لم يبع آخرته بالاضلال و الضلال (و دخولا فى

عُيُونِكُمْ ، وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ . فَجَعَلَكُمْ مَرْمَىٰ نَبْلِهِ ، وَمَوْطِىءَ قَدَمِهِ ، وَ مَأْخَذَ يَدِهِ .

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَصَوْلَاتِهِ ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ ، وَ اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ النَّهْرِ .

عيونكم) للحيلولة بينها و بين رؤية الحق (و نفثا) اى نفخا (فى اسماعكم) اذ لو كان السمع صحيحا لم يستمع الانسان الى كلام باطل .

(فجعلكم) الشيطان (مرمى نبله) النبل السهم ، و المرمى محل الرمى (و موطئ قدمه) كانّه يطئهم تحت اقدامه ، و هذا كناية عن سيطرته واستدلاله لهم (و ماخذ يده) ياخذهم بايديه ليتصرف بهم كيف شاء ، .

(فاعتبروا) ايها الناس (بما اصاب الأمم المستكبرين من قبلكم) حيث استكبروا عن قبول الحق (من بأس الله) اى عذابه سبحانه (و صولاته) الصولة الهجوم بقصد الأضرار (و وقائعه) جمع واقعة ، و المراد بها عذابه سبحانه اياهم (و مثلاته) اى عقوباته التى توجب ان يضرب بها المثل (و اتعظوا بمثاوى خدودهم) جمع مثوى ، بمعنى المنزل ، و مثوى الخد الموضع الذى يوضع فيه فى القبر ، و المراد الاعتبار بمصارع اولئك القوم كيف اهلكوا لما خالفوا الأنبياء و تكبروا (و مصارع جنوبهم) جمع مصرع ، و هو محل صرع الجنب على التراب (واستعيذوا بالله من لواقح الكبر) جمع لاقحة ، و هى التى تلقح فى النفس ، كما يلقح الذكر الانثى ، و اللاقح هنا ابليس .

(كما تستعيذونه) اى تطلبون منه سبحانه (من طوارق الدهر) جمع طارقة ، و هى المصيبة التى تطرق الانسان و تأتيه فجئة .

فَلَوْ رَخَّصَ اللهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَ أَوْلِيَائِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ ، فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ . وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانُوا أَقْوَاماً مُسْتَضْعَفِينَ . وَقَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللهُ بِالْمَخْمَصَةِ ، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ ، وَمَحَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ. فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَى وَالسُّخْطَ

(فلورخص الله الكبر لأحد من عباده) بان اباح لأحد ان يتكبر (لرخّص فيه) اى فى الكبر (لخاصّة انبيائه و اوليائه) اى الأنبياء و الأولياء المخصوصون بفضله و كرمه سبحانه (و لكنه سبحانه كره اليهم التكابر) اى جعله مكروها لديهم ، و التكابر هو ان يتكبر بعضهم على بعض (و رضى لهم التواضع) بعدم اظهار الانانية .

(فالصقوا) اى الأنبياء و الأولياء (بالأرض خدودهم) فى حال السجود له سبحانه ، تواضعا (و عفّروا فى التراب وجوههم) و التعفير هو التقليب على التراب (و خفضوا اجنحتهم للمؤمنين) كما يخفض الفرخ جناحه لأمه و ابيه تذللا و تواضعا قال سبحانه : ((و اخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين)) .

(و كانوا اقواما مستضعفين) يستضعفهم الناس بعد هم ضعفاء مع انهم كان فى ايديهم قوى الكون ــ باذنه سبحانه ــ (و قد اختبرهم اللّه بالمخمصة) اى امتحنهم بالجوع (و ابتلاهم بالمجهدة) اى المشقة الموجبة للجهد .

(و امتحنهم بالمخاوف) اى الأمور المخوفة ، بان كانوا فى خوف من الأعداء (و محضهم) يقال محض اللبن اذا حركه ليخرج زبده (بالمكاره) اى بالأمور المكروهة لدى الانسان ، فان المكاره تظهر قوة ايمان الانسان ، و مزاياه العقلية و فضائله النفسية (فلا تعتبروا الرّضا) اى رضاه سبحانه (و السّخط) اى

بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالْاِخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ الْغِنَىٰ وَالْاِقْتِدَارِ ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : «أَيَحْسَبُونَ أَنَّ مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ؟ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ .

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ ـ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ـ عَلَىٰ

غضبه (بالمال و الولد) فاذا رايتم انه تعالى اعطى لشخص مالا و ولدا كثيرا تستدلون بذلك على انّه سبحانه رضى من المعطى ، وسخط على من لم يعطه .

(جهلا) منكم ـ اذا اعتبرتم ذلك ـ (بمواقع الفتنة) اى الامتحان (و الاختبار) بان تجهلوا كيف امتحانه سبحانه (فى مواضع الغنى و الاقتدار) فتظنون ان الغنى المقتدر مرضى له تعالى ، وعكسه مسخوط عليه من قبله سبحانه (وقد قال سبحانه و تعالى :) فى نفى ذلك (ايحسبون انما نمدّهم به من مال و بنين) اى اتظنون انّ اموالهم و اولادهم ، التى منحناها لهم انما ذلك لأجل انّا (نسارع لهم فى الخيرات) ؟ اى نسرع لاعطاء هذا الخير لهم هنا ، و هناك عندهم افضل ، كما قال احدهم فيما حكى القرآن عنه : ((و لئن رددت الى ربى لاجدنّ خيرا من هذا منقلبا)) و الاستفهام فى الآية للانكار ، ولذا قال سبحانه : (بل لا يشعرون) ان الأمر ليس كذلك ، بل انما ذلك لازهاق انفسهم .

(فانّ اللّه سبحانه يختبر عباده المستكبرين فى انفسهم) انصراف متعلق بالمستكبرين (باوليائه المستضعفين فى اعينهم) فانّ الأولياء اقوياء بنظر الواقع، و انما ضعفاء بنظر المستكبرين ، و اللّه يمتحن اولئك بهؤلاء فان اكرموهم واتخذوا باقوالهم نجوا و الا هلكوا .

(و لقد دخل موسى بن عمران و معه اخوه هارون ـ عليهما السلام ـ على

فِرْعَوْنَ ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ ، فَشَرَطَا لَهُ ـ إِنْ أَسْلَمَ ـ بَقَاءَ مُلْكِهِ ، وَدَوَامَ عِزِّهِ ؛ فَقَالَ : «أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ ؛ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَ الذُّلِّ ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ » ؟ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ ! وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ

فرعون) حين ارسلهما الله سبحانه اليه (وعليهما مدارع الصّوف) جمع مدرعة و هى ثوب قصير ضيق لا يلبسه الا المتواضع ، لعدم كونه فضفاضا يلائم الكبرياء (و بايديهما العصى) جمع عصى ، و هذا ايضا ظاهرة اخرى للتواضع (فشرطا له) اى لفرعون (ان اسلم) لله سبحانه (بقاء ملكه و دوام عزّه) فانه لم يك يهلك ، على تقدير ايمانه ، و المراد بالبقاء و الدوام ، الاستطالة ، لا الأبدية ـ كما لا يخفى ـ .

(فقال) فرعون لمن حوله : (الا تعجبون من هذين) الشخصين (يشرطان لى دوام العزّ و بقاء الملك و هما بما ترون من حال الفقر و الذّل) ؟! و كيف يمكن ان يكون الفقير الذليل معطيا للعزّ و البقاء ، فانّ ذلك للغنى العزيز (فهلاّ القى عليهما اساورة من ذهب) لو كانا صادقين فى دعواهما النبوة من قبله سبحانه ؟ و اساورة : جمع اسورة ، جمع سوار ، و هو ما يجعل زينة فى اليد ، و قد كان الملوك فى السابق يلبسون السوار ، و لذا اخبر رسول الله صلّى الله عليه و آله بعض اصحابه بانه يلبس سوار كسرى ملك الفرس ، و كان كما قال صلّى الله عليه و آله ، و قد كان هذا الكلام من فرعون (اعظاما للذّهب و جمعه) كانّه معيار النبوة (و احتقارا للصّوف و لبسه) كانّه ينافى البعث من طرفه تعالى.

(و لو اراد الله سبحانه بانبيائه ـ حيث بعثهم ـ ان يفتح لهم كنوز

اَلذَّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ اَلْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ اَلْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ اَلْأَرْضِ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ اَلْبَلَاءُ، وَبَطَلَ اَلْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ اَلْأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ اَلْمُبْتَلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ اَلْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ اَلْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ اَلْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا.

الذهبان) جمع ذهب (ومعادن العقيان) هو نوع من الذهب ينمو فى معدنه (ومغارس الجنان) جمع مغرس ، اى محل غرس الأشجار فى البساتين بان يكون لهم بساتين واشجارا (وان يحشر معهم) اى يجمع لديهم ، فان الحشر بمعنى الجمع (طيور السماء) حيث ذهبوا ذهبت (ووحوش الأرض) جمع وحش ، وهو الحيوان غير الأهلى ، سواء كان سبعا ام لا (لفعل ، جواب ((لو)) (ولو فعل) سبحانه ذلك بالأنبياء ، بان اعطاهم هذه الهبة ، وهذا الملك (لسقط البلاء) اى الامتحان ، اى لم يمتحن الناس بالأنبياء لأن الناس يتبعون الملك والسلطة ، اينما كانا ، فلم يتميز الخبيث من الطيب .

(وبطل الجزاء) اذا الجزاء على اتباع الحق عن اختيار ورغبة ، لا عن اضطرار اتباع المال والسلطة (واضمحلت) اى بطلت وذهبت (الأنباء) اى اخبار السماء بالوعد لمن آمن والوعيد لمن كفر ، لعدم الحاجة الى ذلك (ولما وجب للقابلين اجور المبتلين) اى ثواب الذين ابتلوا واختبروا ، فخرجوا ناجحين من الاختبار ، وادوا حق الله فى المضايق والمهالك ، عن طيب نفس ورغبة قلب .

(ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين) لأنهم لم يحسنوا باتباع الأنبياء ، بل اتبعوا شهواتهم فى المال والسلطة (ولا لزمت الأسماء معانيها) فمثلا المؤمن ليس بمعناه الحقيقى ، وهو الذى نبع ايمانه من القلب ، وانما يسمى به من انقاد ، والانقاد خوفا وطمعا للسلطة الدنيوية ليس ايمانا حقيقيا .

وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى ، وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى .

وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تُمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ ، لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْاعْتِبَارِ ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْاِسْتِكْبَارِ ،

(ولكنّ اللّه سبحانه) عرض ان يزود الرسل بالمال و الجاه (جعل رسله اولى قوّة فى عزائمهم) جمع عزيمة ، بمعنى الارادة (و) حملهم (ضعفة) جمع ضعيف (فيما ترى الأعين من حالاتهم) المادية ، و الجاهية (مع قناعة) للرسل عن المال و الجاه (تملأالقلوب و العيون غنى) فانّ قلبهم لا يميل الى زخارف الدّنيا ، وعينهم لا تنظر الى زينتها نظر تطلب و اشتهاء (و خصاصة) اى فقر (تملأ الأبصار و الأسماع اذى) كما يتاذّى النّاس من رؤية الفقراء واستماع احاديثهم .

(و لو كانت الأنبياء اهل قوّة لا ترام) اى لا تقصد ، بمعنى ان احدا لا يقصدهم لكثرة قوّتهم ، او ان قوتهم من الكثرة بحيث لا يتوقع احد ان يكون مثلهم فى القوّة (وعزّة لا تضام) اى لا تغلب بحيث تكون عزتهم فوق كل عزة لا يتمكن احد من ظلمهم (و ملك تمتد نحوه اعناق الرجال) تعجّبا و تطلّبا .

(و تشد اليه عقد الرّحال) جمع عقدة ، الحبال التى تعقد على الرحل لئلاّ يقع من ظهر الدابة ، فانّ اصحاب السّلطة يسافرون النّاس اليهم طلبا لدنياهم (لكان ذلك) الملك (اهون على الخلق فى الاعتبار) اى اضعف تاثيرا فى القلوب من جهة اعتبارها و اتعاظها (و ابعد لهم فى الاستكبار) اى لا يتكبّرون عليهم بل يؤمنون بهم فورا ، لأنّ النّاس على دين ملوكهم ، او المعنى انه

وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً. وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْاِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، وَالْاِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالْاِسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ. وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَىٰ وَ الْاِخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمُثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

بسبب استكبار النّاس ، لأنهم يرون الأنبياء و هم قدوة ، فى هالة من الكبرياء .

(ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم او رغبة مائلة بهم) اى لم يكن ايمانهم عن رهبة النار ، او رغبة الجنة ، لأنهم فى منتاى عنهما ، بل كان الايمان لسلطة الأنبياء و ثروتهم .

(فكانت النّيات مشتركة) اى نية المؤمن حقيقة ، و المؤمن لأجل السلطة ، مشتركة غير معلومة ان ايهما عن حقيقة ، و ايهما عن رغبة فى سلطة الأنبياء . (و الحسنات مقتسمة) بينما ينبغى ان يكون للمؤمن الحقيقى الحسنة لا لكل من اظهر الايمان .

(و لكنّ اللّه سبحانه اراد ان يكون الاتباع لرسله و التصديق بكتبه) السماوية (و الخشوع لوجهه) اى ذاته المقدسة و سميت بالوجه لتوجه الانسان اليها ، فباعتبار ذات ، وباعتبار وجه ، وباعتبار جنب ، وباعتبار عين ، وهكذا (و الاستكانة) اى التضرع (لأمره) تعالى (و الاستسلام) اى الانقياد (لطاعته) سبحانه (اموراً له خاصة) بان يكون المؤمن انما آمن لذاته تعالى ، لا لما يرى من سلطة الأنبياء (لا تشوبها من غيرها) اى من غير هذه الأمور (شائبة) بان لا تدخلها ريبة سلطة و ثروة .

(و كلما كانت البلوى) اى الابتلاء (و الاختبار اعظم) حيث يكون الايمان اشكل (كانت المثوبة و الجزاء اجزل) لأن الأجر بقدر المشقّة .

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ ، سُبْحَانَهُ ، اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ، إِلَىٰ الْآخِرِينَ مِنْ هٰذَا الْعَالَمِ ، بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ «الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً» . ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً ، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ الْأَرْضِ مَدَراً ،

(الا ترون) فى مثال الاختبار بالأشياء الشاقة ، لا بالأشياء المشتهيات لنفس الانسان (انّ اللّه سبحانه اختبر) اى امتحن (الأوّلين من لون آدم صلوات اللّه عليه الى الآخرين من هذا العالم) اى من اهل الأرض (باحجار) هى الكعبة المعظّمة ، التى بنيت من الأحجار ، وامر النّاس ـ حتى آدم عليه السلام ـ بالحج اليها والطواف حولها (لا تضر ولا تنفع) بذاتها (ولا تبصر ولا تسمع) حسب الظاهر ، وهذا لا ينافى ضررها ونفعها حسب امر اللّه سبحانه ، وبصرها وسمعها حسب الواقع ، حيث ورد ان الحجر الأسود ملك يسمع ، ولذا نقول له : ((امانتى ادّيتها)) كمالا تنافى بين قوله سبحانه : ((و لا تدع من دون اللّه ما لا يضرّك ولا ينفعك)) مع كون الأصنام ضارّة بلا اشكال .

(فجعلها) اى تلك الأحجار (بيته الحرام) اى المحترم (الّذى جعله) قبلة للأنام و (للنّاس قياما) اى موجبا لقيام امورهم الاجتماعية والاقتصادية و ما اليهما .

(ثم وضعه) اى هذا البيت ، وثم : لترتيب الكلام ، لا للترتيب الخارجى (باوعر بقاع الأرض حجرا) اى اكثرها وعورة وخشونة ، فان مكة سلسلة جبال خشنة (واقلّ نتائق الأرض) جمع نتيقه ، بمعنى :المرتفع و مكة مرتفعه باعتبار انها جبال (مدرا) هو قطع الطين اليابس ، فانه كلما قل المدر ـ والمراد به الطين ـ يقل النبات .

وَأَضْيَقِ بُطُونِ ٱلْأَوْدِيَةِ قُطْراً . بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ ؛ لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ . ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ ، وَغَايَةً لِمُلْقَىٰ رِحَالِهِمْ . تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ ٱلْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ

(و اضيق بطون الأودية) جمع وادى ، بمعنى : الصّحراء (قطرا) اى من حيث السعة ، فان الجبال قريبة بعضها الى بعض ، فلا سهل يوجب الانبساط فى النّفس ، و السّعة فى محل الحركة و العمل .

(بين جبال خشنة) لا لين فى احجارها (و رمال دمثة) لينه يصعب السير فيها (وعيون وشلة) اى قليلة الماء ، لقلة الأمطار هناك (و قرى) جمع قرية (منقطعة) اى بعيدة بعضها عن بعض (لا يزكو بها خفّ) اى الجمل ، فان جمال مكة ــ لقلة نبتها ــ لا تنمو كنمو جمال المناطق الخصبة (و لا حافر) اى الخيل (ولا ظلف) اى البقر و الغنم ، فان جميع هذه الحيوانات ، هناك هزال .

(ثم امر) سبحانه (آدم) عليه السلام (و ولده ان يثنوا اعطافهم) جمع عطف ، و هو طرف الجنب (نحوه) اى نحو البيت الحرام ، و ثنى العطف كناية عن التوجه و الميل اليه ، و الطواف حوله (فصار) هذا البيت (مثابة) اى مرجعا ، من تاب اذا رجع (لمنتجع اسفارهم) اى محل الفائدة من الاسفار فان مكة بسبب الحج اليها محل لفائدة الناس حيث يتجر اليها و منها .

(وغاية لملقى رحالهم) اى لالقاء رحلهم عن ظهور دوابهم (تهوى اليه) اى تميل الى البيت الحرام (ثمار الأفئدة) اى الأرواح الكائنة فى القلوب، كانها ثمرتها (من مفاوز) جمع مفازة ، بمعنى الصحراء (قفار) جمع قفر، الصحراء

سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّىٰ يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا يُهَلِّلُونَ لِلّٰهِ حَوْلَهُ ، وَيَرْمُلُونَ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ. قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ ، ابْتِلَاءً عَظِيماً، وَامْتِحَاناً شَدِيداً، وَاخْتِبَاراً مُبِيناً ، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً ؛

التى لاماء لها ولا كلاء ولا انيس (سحيقة) اى بعيدة (ومهاوى) جمع مهوى ، وهو المحل المنسرح من الجبل (فجاج) جمع فج ، بمعنى الطريق (عميقة) النهاية ، اى ان الناس ياتون اليه من الصحارى والجبال (وجزائر) جمع جزيرة ، قطعة الأرض فى وسط البحر (بحار منقطعة) تلك الجزائر عن الاتصال بالأرض ، لأنها محاطة بالماء (حتى يهزّوا) اى يحركوا حول الكعبة (مناكبهم) جمع منكب ، ما بين العنق والعضد (ذللا) اى اذلة خاضعين (يهلّلون) اى يرفعون صوتهم من الاهلال ، ومنه الاهلال بالتلبية والأدعية (للّه حوله) اى حول هذا البيت (ويرملون) الرمل ضرب من السير السريع (على اقدامهم شعثا) جمع اشعث ، وهو ضد التمشيط للرأس واللّحية (غبرا) جمع اغبر ، وهو المغبر بالغبار (له) اى له تعالى ، فانهم يطوفون بالبيت ، ويسعون بين الصفاء والمروة فى هذه الأحوال .

(قد نبذوا السرابيل) جمع سربال ، بمعنى الثوب (وراء ظهورهم) اذ المحرم يتجرد عن ثوبه فيدخل فى ثوب الاحرام (وشوّهوا) اى غيروا (باعفاء الشعور) تركها بلا تمشيط ولا حلق ولا تقصير (محاسن خلقهم) من وجه وراس وجسد ، ابتلاهم اللّه سبحانه بذلك (ابتلاءا) اى امتحانا (عظيما) لا يناله الانسان الا بمشقة .

(وامتحانا شديدا) على النفس (واختبارا مبينا) اى واضحا ظاهرا (وتمحيصا) التمحيص تحريك الشئ حتى يؤخذ لبّه (بليغا) اى بالغا فى

جَعَلَهُ ٱللهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ ، وَوُصْلَةً إِلَىٰ جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ ، وَمَشَاعِرَهُ ٱلْعِظَامَ ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ ، جَمَّ ٱلْأَشْجَارِ دَانِيَ الثِّمَارِ ، مُلْتَفَّ ٱلْبُنَا ، مُتَّصِلَ ٱلْقُرَىٰ ، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ ٱلْجَزَاءِ عَلَىٰ حَسَبِ ضَعْفِ ٱلْبَلَاءِ .

التمحيص (جعله اللّه) اى البيت الحرام (سببا) وعلة (لرحمته) على خلقه المطيعين له (و وصلة الى جنّته) اى سببا لوصول الانسان الى جنّته .

(و لو اراد سبحانه ان يضع بيته الحرام و مشاعره العظام) جمع مشعر ، و هو محل الشعار ، كالصفا و المروة ، و عرفات ، و كالمشعر ، و منى (بين جنّات و انهار) اى بساتين و حدائق (و سهل) من الأرض ، لا بين الجبال (و قرار) اى موضع مطمئن من الأرض ، لا علو و لا انخفاض فيها ، فى حالكونها (جمّ الأشجار) اى كثير الشّجر (دانى الثّمار) فيها ثمار دانية او ان قطفها (ملتفّ البنا) جمع بنية ، و هى ما يبتنيه الانسان ، و المراد كثير العمران بحيث كانت الأبنية متلاصقة بعضها ببعض (متّصل القرى) لخصب الأرض وطيب هوائها ، كثرت قراها ، حتى اتصل بعضها ببعض .

(بين برة) اى حنطة (سمراء) و هى اجود انواع الحنطة (و روضة) اى حديقة (خضراء) مخضرة (و ارياف) جمع ريف و هى الأرض الخصبة (محدقة) اى محيطة بالبيت (وعراص) جمع عرصة الساحة الواسعة التى ليس بها بناء (مغدقة) من اغدق المطر اذا كثر مائه (و رياض) جمع روضة ، بمعنى : الحديقة (ناضرة) من النضارة ، بمعنى البهجة و الزينة . (وطرق عامرة) بالعمارة ، و بوسائل الراحة (لكان) جواب ((لو)) (قد صغر قدر الجزاء) لمن حج (على حسب ضعف البلاء) اى قلة الامتحان ، لأن مثل

وَلَوْ كَانَ الْإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا ، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ ، لَخَفَّفَ ذٰلِكَ مُسَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ ، وَلٰكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ ،

ذلك المكان يذهب اليه الانسان بدون امر و زجر .

(ولو كان الأساس المحمول عليها) بناء الكعبة ، اى اساس الكعبة (و الأحجار المرفوع بها) الكعبة ، اى الأحجار التى بنيت الكعبة منها (بين زمردة خضراء) نوع من الجوهر الثمين (و ياقوتة حمراء و نور و ضياء) بان كانت الاحجار تشع نورا (لخفف ذلك مسارعة الشك فى الصدور) فان كل انسان لم يك يشك فى انه من الله و شئ حسن ، و انما يجعل الله سبحانه موضع شك و ريبة ليحتاج الى الدلالة ، و مجاهدة النفس ليكثر الأجر و يظهر الفضل (و لوضع) اى لابطل (مجاهدة ابليس عن القلوب) اى لم يكن الانسان يحتاج الى الجهاد مع الشيطان ، فى صحة الحج ، و لم يكن ابليس يقدر على الوسوسة فى قلب الانسان لابطال الحج (و لنفى معتلج الريب) اى الريب الذى اعتلج ـ بمعنى التطم بالقلب ـ (من الناس) فلم يكونوا يرتابون فى الحج .

(و لكن الله يختبر عباده بانواع الشدائد) التى يسوقها اليهم ، يظهر صبرهم و تحملهم و اطاعتهم (و يتعبدهم) اى يامرهم على نحو الاستعباد (بانواع المجاهد) جمع مجهد ، مصدر ميمى ، بمعنى : الجهد (و يبتليهم بضروب المكاره) التى يكرهونها (اخراجا للتكبر من قلوبهم) فان المشاق تصفى نفس الانسان ، و تلطف الأفئدة عن خشونتها (و اسكانا للتذلل فى نفوسهم)

وَلْيَجْعَلْ ذٰلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَىٰ فَضْلِهِ ، وَأَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِهِ .

فَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ ، فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَىٰ ، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَىٰ ، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ ، فَمَا تُكْدِي أَبَداً ، وَلَا تُشْوِي أَحَداً ،

فان المشاق ترشد الانسان على انه ضعيف لا يقدر على شئ فيسكن الذل والانكسار فى قلبه .

(وليجعل ذلك) الاختبار بالمشاق (ابوابا فتحا) اى مفتوحة (الى فضله) فان الشخص اذا عمل بالمشاق نال فضله تعالى (واسبابا ذللا) اى سهلة (لعفوه) تعالى ، فان العفو عن المذنب لا يكون الا بالاطاعة .

(فـ) اذكروا (الله الله فى عاجل البغى) اى لا الظلم فى الدنيا (وآجل وخامة الظلم) اى شدته على الظالم (وسوء عاقبة الكبر) اى لا تفعلوا مايسبب ذلك لكم غدا (فانها) اى هذه الرذائل (مصيدة ابليس) التى يصيد بها النّاس لالقائهم فى النّار (العظمى) اذ النفوس مائلة الى الظلم و الكبر (ومكيدته الكبرى) اى اكبر انواع كيده و مكره لتحريف الناس عن سبيله ـ تعالى ـ (التى تساور) اى تقاتل و تحارب (قلوب الرّجال مساورة السّموم القاتلة) فكما ان السم يغالب الصحة ، حتى يغلبها و يقتل الانسان ، كذلك الكبر و الظلم و البغى ـ و هو اخص من الظلم ـ تغالب قلب الانسان النقى ، حتى تلوثه بها ، و توجب هلاك الانسان .

(فما تكدى) اى ما تعجز هذه المكيدة عن التاثير ـ من اكدى الحافر اذا عجز عن التاثير فى الأرض ـ (ابدا) بل تعمل مكيدة الشيطان دائما (و لا تشوى) الا تخطأ ، من اشوت الضربة ، اذا اخطأت فلم تقتل (احدا) من

لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقِلاً فِي طِمْرِهِ. وَعَنْ ذٰلِكَ مَا حَرَسَ اللّٰهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ، وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذْلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ، وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ، لِمَا فِي ذٰلِكَ

الناس (لا عالما لعلمه) فان العلم لا يتف سدا دون هذه المكيدة (ولا مقلاً) اى فقيرا (فى طمره) اى كسائه البال ، فكيف بالجاهل و الغنى ،اى ان الظلم و البغى و الكبر آلات لابليس يصيد بها كل احد (وعن ذلك) الكيد الشيطانى (ما حرس الله) ((ما)) زائدة ، او مصدرية اى حراسة الله ، اى حفظ الله (عباده المؤمنين) حتى لا يتمكن الشيطان من اغرائهم و بث هذه الرذائل فيهم (بالصلوات و الزكوات) فانهما ترقق القلب ، و تقربه الى الله ، فلا يتمكن الشيطان من اغرائهم بادخال الكبر و الظلم و البغى ، فى قلوبهم و جوارحهم .

(و مجاهدة الصيام) اى الصيام الموجب للجهد (فى الأيام المفروضات) كشهر رمضان و ما اشبه (تسكينا لأطرافهم) اى ايديهم و ارجلهم و سائر جوراحهم ، فان كلا من الصلاة و الصيام يسكن اطراف الانسان (و تخشيعا لأبصارهم) اى ايجابا لها على الخشوع و الانكسار (و تذليلا لنفوسهم) لئلا تطغى ، فان الانسان فى الصلاة ، و هكذا الجائع العطشان تسكن فورة نفسه (وتخفيضا لقلوبهم) اى التهاب القلب نحو الشهوات (و اذهابا للخيلاء) اى الكبر (عنهم) فان الوقوف امام الله و الضعف يشعر ان الانسان بضعته و عدم قوته على شئ ، فيذهب عنه الكبر (لما فى ذلك) الشئ الواجب – وهو الصلاة – و من هذا يظهر ان الجمل السابقة انما هى بالنسبة الى الصلاة ، و يؤيده قوله بعدا ((من الصيام)) الخ . و يحتمل ان يكون الى هنا للأعم من الصلاة و الصيام ، و تكون هذه الجملة خاصة بالصلاة ، كما جرينا على ذلك فى التفسير –

مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ ٱلْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً ، وَٱلْتِصَاقِ كَرَائِمِ ٱلْجَوَارِحِ بِٱلْأَرْضِ تَصَاغُراً ، وَلُحُوقِ ٱلْبُطُونِ بِٱلْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً ؛ مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ ٱلْأَرْضِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ إِلَىٰ أَهْلِ ٱلْمَسْكَنَةِ وَ ٱلْفَقْرِ .

ٱنْظُرُوا إِلَىٰ مَا فِي هٰذِهِ ٱلْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ ٱلْفَخْرِ ، وَقَدْعِ طَوَالِعِ ٱلْكِبْرِ ! وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ ٱلْعَالَمِينَ

والأول اظهر لفظا ، والثانى معنى .

(من تعفير عتاق الوجوه بالتراب) اى وضعها فى التراب ، والعتاق جمع عتيق ، بمعنى الكريم ، اى الوجوه الكريمة التى هى اكرم اعضاء البدن (تواضعا) لله سبحانه (والتصاق كرائم الجوارح) من يدين ورجلين (بالأرض تصاغرا) لله سبحانه (ولحوق البطون بالمتون) اى الظهور (من الصيام) فان المعدة اذا خلت من الطعام والشراب التصق البطن بالظهر (تذللا) لله سبحانه (مع ما فى الزكاة من صرف ثمرات الأرض) من حنطة وشعير وتمر وزبيب — واجبا — وسائر الحبوب وما اشبه — استحبابا — (وغير ذلك) من ابل وبقر وغنم وذهب وفضة — وجوبا — واسائر الأمور الزكوية — استحبابا — (الى اهل المسكنة والفقر) ويسمى الفقير مسكينا ، لأن الفقر يسكنه فلا يتمكن ان يتحرك كما يتحرك الغنى .

(انظروا) ايها الناس (الى ما فى هذه الأفعال) العبادية من صلاة وصيام وزكاة (من قمع نواجم الفخر) جمع ناجمة ، من نجم بمعنى طلع ، اى قلع ما يظهر من الفخر فى القلب (وتدع) اى كف (طوالع الكبر) جمع طالعة اى ما يظهر من الكبر فى الانسان ، فان الاخضاع الذى تاتى به هذه الأفعال يحصد كل فخر وكبر (وقد نظرت فما وجدت احدا من العالمين) والمراد

يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلَاءِ ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ لَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ . أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَىٰ آدَمَ لِأَصْلِهِ ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ ، فَقَالَ : أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ .

الأشخاص الظاهرين المعروفين لديهم ، لا ان العموم شمول حقيقى (يتعصب لشئ من الأشياء) ويبذل فى سبيله نفسه وماله ، فى خلاف الحق (الآ عن علة تحتمل تمويه الجهلاء) اى علة تحتمل التمويه لدى الجاهل ، اى ان المتعصب جاهل ، فموّه عليه ولذا يتعصب (أو حجة) اى دليل له على تعصبه (تليط) اى تلتصق تلك الحجة (لعقول السفهاء) فيظن السفيه المتعصب صحة تلك الحجة على العصبية ، ولذا يتعصب بخلاف الحق .

(غيركم) والمراد بهم من خاطبهم الامام عليه السلام ، فان تعصبهم عبث و اعتباط (فانكم تتعصبون لأمر لا يعرف له سبب ولا حجة) لا عن حجة يقبلها السفيه ولا عن علة تتحمل التمويه ، فان تعصبهم كان للعرب ، وذلك كان محض الباطل ، اذا كان يوجب تفرق المسلمين عنهم . وبغض الناس لهم ، وا- برا تمكن غيرهم ان ينقض عليهم بثورات مستمرة ، حتى قلعوا جذور التعصب عن بلاد الاسلام ، ثم بين عليه السلام علة بعض اقسام التعصبات التى كانت مقترنة بحجة موهة .

(اما ابليس فتعصب على آدم) عليه السلام ، اى قام ضد آدم تعصبا لنفسه (لأصله) اى لأجل ان اصل آدم كان من الطين (وطعن عليه) اى على آدم (فى خلقته فقال : انا نارى) اى اصلى مخلوق من النار (وانت) يا آدم (طينى) والنار اشرف ، ولذا فلا ينبغى لها ان تسجد لآدم عليه السلام .

وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ ، فَقَالُوا : «نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ». فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ ، الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ ؛ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ ، وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ ،

(و اما الأغنياء من مترفة الامم) المترف بصيغة المفعول ، هو الموسع عليه في النعم الذى يصرف ثروته فى غير حق (فتعصبوا) لأنفسهم ، و جعلوها فوق الناس (لآثار مواقع النعم) فان موقع النعمة كالأرض الخصبة ينبت الكبر و الفخر ، فان الانسان يطغى اذا راى الغنى ، فكأنّ النعم تسقط فى مواقع ، و من تلك المواقع تنبت آثار الكبر و ما اليه (فقالوا) فى ضدّ الأنبياء (نحن اكثر اموالا و اولادا) منكم ، فكيف نتبعكم ايها الأنبياء ؟ (و ما نحن بمعذّبين) فى الآخرة ، لأن الله يحبنا بدليل انه اعطانا فى الدنيا الأموال و الأولاد ، فما وجه احتياجنا لأتباعكم ؟ (فانكان لابد) لكم (من العصبية) بان تتعصبوا الأمر تجتمعون حوله و تعادون من لا يوافقكم عليه .

(فليكن تعصبكم لمكارم الخصال) اى الصفات الكريمة (و محامد الأفعال) اى الأفعال المحمودة (و محاسن الأمور) اى الأمور الحسنة (التى تفاضلت فيها المجداء) جمع مجيد و هو الرفيع (و النجداء) جمع نجيد و هو الشجاع الماضى عزمه (من بيوتات العرب) البيت القبيلة ، و سميت بيتا لأجتماعهم فى بيت واحد (و يعاسيب القبائل) جمع يعسوب ، و هو امير النحل ، و رئيس القبيلة ، اى تعصبوا للصفات الحسنة التى كانت فى العرب ،لا ان يكون تعصبكم للعرب (بالاخلاق الرغيبة) اى الحميدة المرغوب فيها ، و الظرف متعلق بقوله : ((تفاضلت)) (و الأحلام) اى العقول (العظيمة) فى الرزانة و

وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، وَالآثَارِ الْمَحْمُودَةِ . فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ. وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ. فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ ،

المعرفة (والأخطار) جمع خطر ، بمعنى : العظمة والشرف (الجليلة) اى ذات الجلال والرفعة (والآثار المحمودة) التى بقيت منهم وحمدها الناس لهم .

(فتعصبوا لخلال الحمد) اى الصفات التى تورث الحمد من الناس لذى الصفة (من الحفظ للجوار) اى من جاور الانسان ، باحتمائه عن الظلم ، والقيام بقضاء حاجته (والوفاء بالذمام) اى العهد (والطاعة للبر) بان يطيع الانسان البر ، بمعنى ان يعمله (والمعصية للكبر) بان لا يستجيب الانسان لداعى الكبرياء من نفسه (والأخذ بالفضل) بان يعمل الانسان بالفضل (والكف) اى الامتناع (عن البغى) اى الظلم على الغير (والاعظام للقتل) بان يعد الانسان قتل النفس بلا سبب عظيما ، فيتركه (والانصاف للخلق) بان يجعل بينهم وبينه نصفه يحب لهم ما يحب لنفسه (والكظم للغيظ) فاذا غضب لم يظهر غضبه (واجتناب الفساد فى الأرض) بالايذاء ، والفتنة ، واكل اموال الناس وما اشبه (واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات) اى العقوبات التى صارت مثلا للناس ، يرهب الصالحون بها المفسدين .

فقد نزلت بهم العقوبة (بـ) سبب (سوء الأفعال وذميم الأعمال) اى الأعمال المذمومة (فتذكروا فى الخير والشر احوالهم) اى احوال تلك الأمم

وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ . فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ ، وَزَاحَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ ، وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ وَفِيهِ عَلَيْهِمْ ، وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ ، وَوَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ مِنَ الِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ ، وَلُزُومِ الْأُلْفَةِ ، وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا ، وَالتَّوَاصِي بِهَا ،

حتى تفعلوا الخير ، و تتركوا الشر خوفا من ان ينزل بكم ما نزل بهم .

(و احذروا ان تكونوا امثالهم) فى نزول العقوبة بكم (فاذا تفكرتم فى تفاوت حاليهم) اى حالى السعادة و الشقاء ، فى تلك الأمم (فالزموا كل امر) حسن (لزمت العزة به) اى بسبب ذلك الأمر .

(شانهم) اى انظروا ما ذا كان سبب عزة اولئك الأمم فالزموه ، وياتى بيان ((الأمر)) فى قوله ((اجتناب ..)) (و زاحت) اى بعدت (الأعداء له) اى لالتزامهم بذلك الأمر (عنهم) اى عن تلك الأمم .

(و مدت العافية فيه) اى فى ذلك الأمر و بسببه (عليهم و انقادت النعمة) اى جائت النعمة (له) اى لأجل ذلك الأمر (معهم) فكانت النعمة معهم .

(وصلت الكرامة عليه) اى على ذلك الأمر (حبلهم) بان اتصلوا بحبل الكرامة (من الاجتناب للفرقة) اى التفرقة و التشتت ، هذا بيان لقوله : ((كل امر)) اى الزموا الاجتناب من التفرق ـ اى الاتحاد ـ فانه صار سببا لتلك الفضائل فيهم .

(واللزوم الألفة) بان يالف بعضكم بعضا (و التحاض عليها) بان يحض بعضكم بعضا بالائتلاف وعدم التشتت (و التواصى بها) بان يوصى بعضكم بعضا بالألفة و الاتحاد .

وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ؛ مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَالْبَلَاءِ. أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا. اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيدًا

(واجتنبوا كل امر كسر فقرتهم) هى ما انتظم من العظام فى الظهر من الكاهل الى مطلع الذنب ، وهى كناية عن تبديد شملهم (واوهن منّتهم) المنّة القوّة ، واوهن ، بمعنى : اضعف (من تضاغن القلوب) الضغن :الحقد، اى تحاقد بعضهم لبعض (وتشاحن الصّدور) الشحناء : البغضاء ، (وتدابر النّفوس) بان ادبرت نفس بعضهم عن نفس الآخرين (وتخاذل الأيدى) بان خذلت يد بعضهم بعضا ، فلم تساعده ، وهكذا العكس .

(وتدبروا احوال الماضيين من المؤمنين قبلكم) اى : طالعوا سيرتهم (كيف كانوا فى حال التمحيص) اى تمحيص اللّه لهم ، لأخذ خيارهم وتمييز صلحاهم(و البلاء) اى الابتلاء والامتحان ، والأمر بالتدبّر فى احوال اولئك لتخفيف وطأة المصائب على المخاطبين ، اذ الانسان بالتّفكر فى احوال المبتلين يسرعن نفسه الهموم الواردة عليه ، كما يقال : اذا عم البلاء طاب .

(الم يكونوا اثقل الخلق اعباء) جمع عبء ، وهو الثّقل (واجهد العباد بلاء) اى كان بلائهم اكثر اجهادا لهم ، من اجهاد البلاء على سائر النّاس .

(واضيق اهل الدّنيا حالا) ؟ ثم بين عليه السلام سبب ضيق اولئك المؤمنين بقوله : (اتّخذتهم الفراعنة) جمع فرعون ، وهو لقب عام لملوك مصر فى زمان موسى عليه السّلام وحواليه (عبيدا) يذبحون ابنائهم ويستحيون نسائهم

وَجَرْعُوهُمُ الْمَرَارَ ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلَبَةِ ، لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ ، وَلَا سَبِيلًا إِلَىٰ دِفَاعٍ . حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ اللَّهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَىٰ فِي مَحَبَّتِهِ ، وَالِاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلَاءِ فَرَجاً ، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ

(فساموهم سوء العذاب) اى انزلوا بهم اشدّ انواع العذاب (وجرعوهم المرار) شجر شديد المرارة ، حتّى انّ الابل اذا اكلته تقلّصت منه شفاهها (فلم تبرح الحال بهم) اى لم تزل حالة العذاب باولئك المؤمنين (فى ذلّ الهلكة) اى الذّلّ الملحق بهم بسبب اهلاك الفراعنة لهم .

(وقهر الغلبة) فانّ الغالب يقهر المغلوب و يجبره على ما يريد (لا يجدون حيلة) اى وسيلة و طريقا (فى امتناع) اى لأن يمتنعوا عن تعذيب الفراعنة .

(ولا سبيلا الى دفاع) عن انفسهم حتى لا ينصب عليهم عذاب فرعون و قومه (حتّى اذا رأى اللّه جدّ الصّبر منهم) اى الصّبر الجدى الحقيقى منهم ، لا يتركون دينهم ، ليكفّ فرعون منهم ، بل صامدون صابرون (على الأذى فى محبّته) تعالى (والاحتمال للمكروه) اى احتمل المؤمنين المكروه — اى العذاب (من خوفه) سبحانه ، فانّهم لم يتركوا دينهم خوفا منه تعالى (جعل) جواب ((اذا)) (لهم من مضايق البلاء فرجا) فانّ البلاء يضيق على الانسان حركاته و اعماله .

(فابدلهم العزّ مكان الذّلّ) حيث صاروا سادة ، بعد ان كانوا عبيدا ، و ذلك حين اغرق فرعون و جنوده ، و نجاهم من مصر و القبط (و الأمن مكان

ٱلْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً، وَأَئِمَّةً أَعْلَاماً، وَ بَلَغَتِ ٱلْكَرَامَةُ مِنَ اللهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلُغِ ٱلْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ ٱلْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً، وَٱلْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً، وَٱلْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَٱلْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَٱلْبَصَائِرُ نَافِذَةً، وَٱلْعَزَائِمُ وَاحِدَةً. أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرَضِينَ،

الخوف) من فرعون و ملأه (فصاروا ملوكا حكّاما) يحكمون البلاد .

(و ائمّة اعلاما) للدّين ، بهم يهتدى النّاس و يقتدى (و بلغت الكرامة من اللّه لهم) اى اكرمهم اللّه كرامة (ما لم تبلغ الآمال) اى آمالهم (إليه) الضّمير عائد الى ((ما)) (بهم) اى مقدار لم تبلغ الآمال بذلك المقدار بهؤلاء ، فلم ترفعهم الآمال الى حيث الاحتمال لمثل هذه الكرامة .

(فانظروا كيف كانوا) اى بنو اسرائيل (حيث كانت الاملاء) جمع ملأ . بمعنى : الجماعة (مجتمعة) تحت لواء الدّين (و الأهواء) اى الآراء لهم (متّفقة) فى تنفيذ احكام الشّريعة .

(و القلوب معتدلة) لا افراط فيها ولا تفريط (و الأيدى مترادفة) بعضها اثر بعض ، يعمل الكل العمل الواحد لأجل الشّريعة و تعمير الأرض .

(و السّيوف متناصرة) اذا هجم بهم العدو اجتمع الكلّ لحربه (و البصائر نافذة) تنفذ من الدّنيا و من ظواهر الأمور الى الآخرة ، و الى عواقب الأشياء و اعماقها (و العزائم) جمع عزيمة ، بمعنى : الارادة (واحدة) بلا تشتّت و لا اختلاف .

(الم يكونوا اربابا) اى سادات و حكّاما (فى اقطار الأرضين) ففى كل قطر و قطعة كان منهم السّادة و الملوك .

وَمُلُوكاً عَلَىٰ رِقَابِ ٱلْعَالَمِينَ ! فَٱنْظُرُوا إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ ، حِينَ وَقَعَتِ ٱلْفُرْقَةُ ، وَتَشَتَّتَتِ ٱلْأُلْفَةُ ، وَٱخْتَلَفَتِ ٱلْكَلِمَةُ وَٱلْأَفْئِدَةُ ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِـــنَ ، قَدْ خَلَعَ ٱللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ ، وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ . فَٱعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ .

(وملوكا على رقاب العالمين) يحكمون على النّاس ، وذكر الرقاب ، لأنّ البيعة تتعلق بالرقبة ، وذلك لأنها مكان السّيف ان لم تقبل الاطاعة ، فالحكم نافذ فيها ، كما انّ السّيف نافذ فيها ـ بعلاقة المماثلة ـ .

(فانظروا الى ما صاروا اليه فى آخر امورهم) اى آخر امور بنى اسرائيل ـ بعد تلك الرّفعة و العزّة ـ .

(حين وقعت الفرقة) اى التّفرقة بينهم (و تشتّت الألفة) اى : الائتلاف الّذى كان بينهم (و اختلفت الكلمة) بان صار لكل واحد منهم كلام غير كلام الآخر (و الأفئدة) جمع فؤاد (و تشعّبوا مختلفين) اى صاروا شعبا مختلفة .

(و تفرّقوا متحارين) اى صار كل جماعة منهم حزبا مخالفا لجماعة اخرى (قد خلع اللّه عنهم لباس كرامته) الّتى اكرمهم بها حين كانوا مجتمعين (و سلبهم غضارة نعمته) اى سعتها .

(و بقى قصص اخبارهم فيكم) اى رواياتها (عبرا للمعتبرين) ((عبـــر)) جمع عبرة ، بمعنى : ما يسبب اعتبار الانسان ، و ايقاظه الى جهة الصّلاح و الفساد ، و عاقبة الأعمال (فاعتبروا بحال ولد اسماعيل) جدّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله ، و منه عرب الحجاز غالبا .

(و بنى اسحاق) بنى يعقوب ابن ابراهيم عليه السلام (و بنى اسرائيل) اسرائيل اسم يعقوب عليه السلام ، و لعل ذكرهم فى قبال ((بنى اسحاق))لعدم

فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ !

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ ، لَيَالِيَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا ، إِلَىٰ مَنَابِتِ الشِّيحِ ، وَمَهَافِي الرِّيحِ ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ

اشتهار بعض بنى اسحاق باسم بنى اسرائيل (فما اشدّ اعتدال الأحوال) اى تناسب حال اولئك باحوالكم انتم معاشر المسلمين (واقرب اشتباه الأمثال) اى تشابه اولئك بكم .

(تامّلوا امرهم فى حال تشتّتهم) اى تفرّقهم الأول قبل ظهور محمّد صلّى اللّه عليه وآله ، وظهور دولتهم ببركته (ليالى كانت الأكاسرة) جمع كسرى ، وهم ملوك الفرس .

(والقياصرة) جمع قيصر ، ملوك الرّوم (اربابا لهم) اى ساداتهم (يحتازونهم) اى يقبضونهم (عن ريف الآفاق) اى الأراضى الخصبة فى اطراف الأرض (وبحر العراق) فقد كان العراق ـ فى الاصطلاح السّابق ـ يقال لقطعة من الأرض يحيط بها ثلاثة ابحر ، البحر الأسود ، وبحر قزوين ، و الخليج الفارسى ، وكان العرب واليهود منتشرين على بعض هذه الأبحر .

(وخضرة الدّنيا) اى محلاّتهم الخضرة (الى منابت الشّيح) جمع منبت ، والشيح قسم من النّبات القليل الفائدة (ومهافى الرّيح) المواضع الّتى تهفو ـ اى تهب ـ فيها الرّياح ـ وهذا كناية عن تبعيدهم فى الصّحارى حيث لا زرع ولا فائدة (ونكد المعاش) اى صعوبته (فتركوهم) القياصرة والأكاسرة (عالة مساكين) عالة ، جمع عيل ، وهم الذين لا نفقة لهم وانما ينفق عليهم شخص آخر ، ومساكين جمع مسكين ، وهم الّذين اسكنهم الفقر (اخوان دبر)

وَوَبَرٍ ، أَذَلَّ الْأُمَمِ دَاراً ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً ، لَا يَأْوُونَ إِلَىٰ جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا ، وَلَا إِلَىٰ ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ عِزِّهَا . فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ ، فِي بَلَاءٍ أَزْلٍ ، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ ! مِنْ بَنَاتٍ مَوْؤُودَةٍ ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتٍ

اى ظهر مقروح (و وبر) هو شعر الجمل ، و المراد ازالتهم عن المدن واسكانهم فى الصّحارى فى الخيام ، يمتطون الدّواب المقروحة الظهر من كثر التّعب (اذلّ الأمم دارا) اى ان دارهم ذليلة لا يهتمّ بها و لا يعتنى من شانها .

(واجد بهم قرارا) اى انّ قرارهم و مستقرّهم جدب لا نبت فيه مقابل الخصب (لا يأوون الى جناح دعوة) اى لم يكن فى بينهم من يدعوا الى الحق فياوون و يجتمعون اليه بحيث (يعتصمون بها) اى يحفظون انفسهم بتلك الدّعوة عن اذلال الملوك لهم .

(ولا) ياوون (الى ظل الألفة) فيما بينهم (يعتمدون على عزّها) فانّ الألفة توجب العزّة . (فالأحوال منهم مضطربة) غير مستقرّة (و الأيدى مختلفة) لا تعاون بينها (و الكثرة متفرّقة) لا اجتماع لها (فى بلاء ازل) بمعنى الشّدة ، اى بلاء شديد (و اطباق جهل) قد شملهم الجهل لا يعلمون من الحياة و من الآخرة شيئا .

(من بنات موؤودة) وئد بنته ، اى : دفنها و هى حيّة ، فقد كانت من عادة اهل الجاهلية ، ان يدفنون البنات احياء قائلين نعم الصهر القبر ، كارهين للبنات ، كما قال سبحانه : ((و اذا بشّر احدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودّا وهو كظيم)) وقال : ((و اذا الموؤودة سئلت بأىّ ذنب قتلت ؟)) (و اصنام معبودة) فانّهم كانوا يعبدون الأصنام ينحتونها بايديهم ثم يعبدونها .

(و ارحام مقطوعة) يقطع بعضهم البعض ، فلا تزاور و لا تألف (وغارات

مَشْنُونَةٍ .

فَانْظُرُوا إِلَىٰ مَوَاقِعِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا ، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَىٰ دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ : كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا ، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا ، وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا ، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ ، وَعَنْ خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ . قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ ، فِي ظِلِّ

مشنونة) يشن بعضهم الغارة ـ اى الهجوم ـ على بعض ، فيقتل ويهتك و يسلب ، هذه كانت حالهم قبل الاسلام .

(فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا) هو نبيّ الاسلام محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم (فعقد بملّته) اى بطريقته السّماوية (طاعتهم) فقد كانت الطّاعة بينهم متفرّقة ، كل يطيع شيئا وشخصا ، فجمع الرّسول طاعتهم حول شئ واحد .

(وجمع على دعوته الفتهم) فالّفهم جميعا حول دعوة الاسلام (كيف نشرت النّعمة عليهم جناح كرامتها) كما ينشر الطّائر جناحه على فراخه لئلاّ يصيبهم اذى .

(واسالت) النّعمة الالهيّة (لهم جداول) جمع جدول ، بمعنى النّهر (نعيمها) الموجبة لريهم من الظماء (والتفت الملّة) اى الطريقة الاسلاميّة (بهم) اى جمعتهم كما يلتف الحبل بحزمة القصب (فى عوائد بركتها) اى فى بركاتها العائدة اليهم (فاصبحوا فى نعمتها غرقين) كما يغرق الشّخص فى البحر ، وهذا كناية عن كثرة النّعمة عليهم (وعن خضرة عيشها) كناية عن العيش الهنئ ، تشبيه بخضرة النبات فى مقابل يبسه (فكهين) اى راضين يتفكهون بتلك العيشة .

(قد تربّعت الأمور بهم) اى اقامت امورهم بعد التفرق والتشتّت (فى ظل

سُلْطَانٍ قَاهِرٍ ؛ وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَىٰ كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ ، وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَىٰ مُلْكٍ ثَابِتٍ . فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ. يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَىٰ مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ ، وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ ! لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ ، وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ !

سلطان قاهر) للأعداء هو سلطان الاسلام (وآوتهم الحال) اى اعطتهم حالتهم الاسلامية الايواء والمسكن (الى كنف عزّ غالب) اى الى جهة عزّة غالبة لا يتمكن شئ من ازالتها .

(وتعطّفت الأمور عليهم) كانّ الأمور كانت شاردة عنهم فى زمن الجاهليّة ، ثم مالت نحوهم (فى ذرى) جمع ذروة ، بمعنى الجهة الأعلى من كل شئ (ملك ثابت) اى حيث صاروا رؤساء الدّولة الثابتة .

(فهم حكام على العالمين) المراد بالعالمين الأقطار المختلفة ، (وملوك فى اطراق الأرضين) ببركة الاسلام .

(يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم) فانّهم صاروا ملوكا على امم كسرى وقيصر ، بعد ان كانت تلك الأمم ملوكا عليهم .

(ويمضون الأحكام) اى يجرون احكامهم (فيمن كان يمضيها فيهم) من الفرس والرّوم (لا تغمز لهم قناة) كناية عن قوتهم ، والقناة الرمح ، و غمزها كناية عن الضغط عليها لتعديلها فى ما اذا كانت معوجة ، والقناة اذا كانت صلبة لا يمكن غمزها ، وهكذا صارت العرب بفضل الاسلام اقوياء ، لا يتمكن احد من غمزهم .

(ولا تقرع لهم صفاة) هى الحجر الصلب ، وقرعها صدمها لتكسر ، و هذا ايضا كناية عن قوتهم وشدة باسهم ببركة الاسلام ، ثم بعد ما بين الامام عليهم السلام حالهم قبل الاسلام ، وحالهم بعد الاسلام ، عطف بالكلام نحو حالهم فى زمانه ، حيث رجعوا الى حالة الجاهليّة .

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ ، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ . فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هٰذِهِ الْأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا ، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا ، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً ، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ .

(الا و انّكم قد نفضتم ايديكم) نفض اليد كناية عن الانعزال عن الأمر ، كما اذا نفضت اليد ـ اى حركت تحريكا عنيفا ـ يسقط كل ما فيها (من حبل الطّاعة) كانّ الطّاعة حبل يوصل الحاكم بالرعية ، و يجمع بينهما .

(و ثلمتم) الثلم ، الثقب ، و الخرق (حصن اللّه المضروب عليكم) وهو حصن الشّريعة التى تجمعهم و تسعدهم و تمنع الأعداء من الوصول اليهم(بـ) سبب اتباعكم لـ (احكام الجاهليّة) من التفرق و التشتت و المخالفة لمواليكم (فانّ اللّه سبحانه قد امتن على جماعة هذه الأمة) وياتى متعلق ((امتن)) فى قولـــه : ((بنعمة)) و الجهل بينهما اعتراض (فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة) اى تاليف بعضهم الى بعض ، كما قال سبحانه : ((و اذكروا نعمة اللّه عليكم اذ كنتم اعداءا فالّف بين قلوبكم ، فاصبحتم بنعمته اخوانا)) و قال : ((لو انفقت ما فى الأرض ما الّفت بين قلوبهم)) (الّتى ينتقلون) اى المسلمون (فى ظلّها) اذ لولا الفتهم لم يتمكنوا من السّير فى آفاق الأرض و السيطرة على البلاد و العباد .

(و ياوون الى كنفها) اى يستريحون الى جانب هذه الألفة ، فى امن من الأخطار (بنعمة) متعلق بـ ((امتن)) (لا يعرفون احد من المخلوقين لها قيمة) اى لا تقدر بثمن ، من عظم ثمنها (لأنها) اى الألفة (ارجح من كـــلّ ثمن) يقدّر (و اجل من كلّ خطر) اى من كل عظيم ، اذ بها تؤتى كل شئ ، و بدونها لا يحصل الشخص على اىّ شئ .

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً ، وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ أَحْزَاباً . مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ . تَقُولُونَ : النَّارَ وَلَا الْعَارَ! كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الْإِسْلَامَ عَلَىٰ وَجْهِهِ انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ ،

(واعلموا انّكم صرتم بعد الهجرة) وهى كناية عن الالتزام باحكام الاسلام (اعرابا) كناية عن صيرورتهم كاهل البادية ـ الذين قال اللّه تعالى فيهم : ((الأعراب اشدّ كفرا و نفاقا ،واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل اللّه على رسوله)) ـ (و بعد الموالاة) لجهة واحدة (احزابا) كل حزب له جهة خاصة ، وآراء مخصوصة .

(ما تتعلّقون من الاسلام الاّ باسمه) فتسمون مسلمين ، بدون ان تعملوا باحكام الاسلام (ولا تعرفون من الايمان الاّ رسمه) اى علامته ، بدون انتكونوا مؤمنين عاملين بشرائط الايمان ، والاسلام هو الشهادتان ، والايمان العمل جنانا ولسانا واركانا بماء جاء به الرسول صلى الله عليه وآله (تقولون النّار و لا العار) اذا دعيتم الى حكم من احكام الاسلام ينافى تقاليدكم وعاداتكم ، كالمتزوج من غير العربى ، وهكذا ، والمعنى نقدم نار جهنّم ـ بتركنا حكم الاسلام ـ ولا نقدم على ما يصير سببا للعار علينا .

(كانّكم تريدون ان تكفئوا) اى تكبّوا (الاسلام على وجهه) بعدم عملكم باحكام الاسلام (انتهاكا) منكم (لحريمه) اى حرمة الاسلام ، فانّ الاتيان بالمحرّمات اذهاب لحرمة الاسلام (و نقضا لميثاقه) اى عهده الّذى اخذ منكم ، باتباع احكامه فى مقابل اسعاده لكم فى الدّارين ، وحقّنه لدمائكم واموالكم و اعراضكم .

الميثاق (الّذى وضعه اللّه لكم حرما فى ارضه) لأنّ بذلك الميثاق حفظتم ،

وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ. وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ.

كما يحفظ من في حرم ملك او كبير (وامنا بين خلقه) اذ انّ امنكم انما نشاء من ذلك الميثاق (وانّكم ان لجاتم الى غيره) اى لذتم الى غير الاسلام ، اوغير ميثاق (حاربكم اهل الكفر) لأنّ لكلّ ملّة اعداء .

(ثمّ لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا انصار) الّذين هاجروا مع الرّسول الى المدينة ، والّذين نصروه من اهل المدينة ــ الّذين هم اقوى ايمانا منكم ، واشهر عند النّاس ولذا يهابونهم (ينصرونكم) اذ من انحرف عن طريق الاسلام لا ينصره اللّه بارسال الملائكة ، ولا اصحاب الرّسول الأخيار ، فلا يبقى في الميدان لمحاربة الكفّار (إلّا) هو وحده لائذا بـ (المقارعة بالسّيف) فسيفه ناصره ــ فقط ــ (حتّى يحكم اللّه بينكم) ان شاء غلبتم ، والاّ غلب الكفّار ، بخلاف العامل بالاسلام حقيقة ، فانّ اللّه ينصره حتما كما قال : ((ان تنصروا اللّه ينصركم)) .

اقول : لقد صار حال المسلمين ــ اليوم ، وانا اكتب هذا الشّرح ــ كما قال الامام عليه السّلام اذ تركوا العمل بالاسلام ، فوكلهم اللّه الى انفسهم ،فقارعوا مع الكفّار وحدهم ، وغلب عليهم الكفّار ، حتّى انّ اليهود وهم اذلّ خلق اللّه سيطروا على بلادهم ــ في فلسطين ــ ولم يتمكنوا من تحرك ساكن ، بله الأمم الكبار ، الّذين لا يعد دولة المسلمين امامهم شئ ينكر وقد ابتلعوا بلاد الاسلام واحدة تلو الأخرى ، فذهبت من ايديهم ((اسپانيا)) والهند ،والصّين ، و تاجكستان ، وبلاد افريقيا ، وغيرها ، والبلاد الباقية في ايديهم لاشان لهم فيها ، وانّما هي خاضعة لقوانين الكفّار وسلطتهم ومكرهم وكيدهم ،هدى اللّه المسلمين ، وانقذهم من ايدي اعدائهم بمحمّد وآله الطّاهرين .

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَقَوَارِعِهِ ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ ، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ ، وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ . فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ. فَلَعَنَ اللهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي !

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ ،

(وانّ عندكم الأمثال من باس اللّه) اى عذابه الذى صبّه على الّذيـــن لا يمتثلون اوامره (وقوارعه) جمع قارعه ، وهى : العذاب الشّديد الّذى يقرع الأمة (وايّامه) الّتى صنع فيها بعض الأشياء غير المترقّبة ، يقال : يوم فلان اذا وصلت اليه فرحة او فاجعة غير مترقّبة (ووقائعه) جمع واقعه ، وهى القصّة الّتى تقع من قبله سبحانه على النّاس (فلا تستبطئوا وعيده) اى : لا تظنّوا انّ وعيده تعالى بالعذاب على المخالفين (جهلا) منكم (بـ) كيفيّة (اخذه) تعالى للعصات (وتهاونا) منكم اى : تساهلا (ببطشه) اى ضربه وتعذيبه (ويأسا) منكم (من باســه) اى عذابه وشدّته . (فانّ اللّه سبحانه لم يلعن القرن الماضى بين ايديكم) والمراد بهم امّا بنو اسرائيل ، او الأمم الّذين كانوا فى الرّوم والفرس ، الّذين غلب المسلمون عليهم واخذوا بلادهم (الّا لتركهم الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر) تهاونا بهذين الواجبين .

(فلعن اللّه السّفهاء) أى طردهم عن رحمته ، والسّفهاء هم الّذين ارتكبـــوا المعاصى (لركوب المعاصى) وعملهم بها (والحلماء) العقلاء منهم (لتـــرك التّناهى) أى تركهم النّهى عن المعاصى ، و((التّناهى)) من باب التّفاعل ،لنهى بعض بعضا (الا وقد قطعتم قبل الاسلام) الّذى كان عليكم ، والمراد بقيد الاسلام

وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ ، وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ .

أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكْثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ وَرَجَّةُ صَدْرِهِ .

احكامه ، وقطعه ، تركهم لها (وعطّلتم حدوده) الّتى جعلها اللّه سبحانه (وامتّم احكامه) فانّها اذا تركت كانت كالميّت لا ياتى منه خير .

(الا وقد امرنى اللّه بقتال اهل البغى) اى الظلم (والنّكث) اى الّذين نقضوا البيعة (والفساد فى الأرض) اى الّذين افسدوا فيها (فامّا النّاكثون) وهم طلحة والزّبير واصحاب الجمل الّذين بايعوا الامام عليه السّلام نقضوا بيعته حبّا للرّئاسة (فقد قاتلت) معهم .

(وامّا القاسطون) اى الظّالمون ــ كما قال سبحانه : ((وامّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطبا)) ــ والمراد بهم الخوارج (فقد جاهدت) اى حاربت (وامّا المارقة) من مرق ، بمعنى : خرج ، وهم اصحاب معاوية الّذين خرجوا عن الدّين (فقد دوّخت) اى اضعفتهم واذللتهم ، فى صفّين ، وان بقى منهم شئ .

(وامّا شيطان الرّدهة) هى النّقرة فى الجبل ، يجتمع فيها الماء ، والمراد بشيطانها ، ذو الثدية ، رئيس الخوارج فقد وجد مقتولا فى ردهة (فقد كفيته) اى كفيت شرّه (بصعقة) اى غشية اصابته من الهول (سمعت لها) اى لتلك الصّعقة (وجبة قلبه) اى خفقانه واضطرابه (ورجّة صدره) اى اهتزازه وارتعاده ، فقد اضطرب ذو الثدية عند قتله اضطرابا عظيما .

وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ ، وَلَئِنْ أَذِنَ اللهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَذُّراً .

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ .وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ . وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ ،

(وبقيت بقيّة من اهل البغى) كمعاويه واصحابه (ولئن اذن الله فى الكرة عليهم) اى فى رجوعى الى قتالهم ، واذن الله عبارة عن تهيته سبحانه للأسباب ، وابقائه للعمر (لاديلنّ منهم) اى آخذ الدّولة منهم (الاّ ما يتشذّر) اى يتفرّق (فى اطراف البلاد تشذّرا) فانّ من فرّ منهم من يدى فله نصيبه ، امّا من بقى ، فسوف احاربهم وآخذ الدولة منهم ـ ان شاء الله ـ .

ثم بين عليه السلام انه قادر على ذلك بقوله : (انا وضعت فى الصّغر) اى فى حال صغر سنّى (بكلاكل العرب) جمع كلكل ، بمعنى الصّدر ، والمراد بها : رؤساء الكفّار الّذين قتلهم الامام عليهم السّلام (وكسرت نواجم) جمع ناجمه ، بمعنى : ما ظهر من الشئ (قرون ربيعة ومضر) اى ما كان يظهر من هاتين القبيلتين من الكفّار المحاربين للرّسول صلّى الله عليه وآله .

(وقد علمتم) ايّها النّاس (موضعى من رسول الله) اى ارتباطى به صلّى الله عليه وآله ، وصلتى معه (صلّى الله عليه وآله) .

وذلك (بالقرابة القريبة) فانا ابن عمّه صلّى الله عليه وآله وسلّم (والمنزلة الخصيصة) اى الّتى كانت تخصنى دون غيرى .

(وضعنى) رسول الله (فى حجره وانا ولد) صغير (يضمّنى الى صدره) حبّا وعطفا ، كما يضمّ الأب الرّؤف ولده الى صدره (ويكنفنى الى فراشه) اى :

وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ . وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ. وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ

يؤويني معه في فراشه صلّى اللّه عليه وآله (ويمسّني جسده) كما يمسّ الانسان جسده بجسد ولده حبّا وحنانا ، ولأجل التّقبيل و التّلطيف .

(ويشمّني عرفه) هي الرّائحة الطّيبة ، فانّ الانسان اذا شمّ آخر ، دخل حبّه في قلبه ، ولذا يشمّ الانسان ولده وحبيبه ، ولعلّ الرّسول صلّى اللّه عليه وآله كان يامر عليّا عليه السلام بذلك ليتمازج الحبّان ، او انّه كناية عن تقريبه صلّى اللّه عليه وآله ، له عليه السّلام حتى كان يشمّ رائحته الطّيبة .

(وكان يمضغ الشيء) باسنانه صلّى اللّه عليه وآله (ثمّ يلقمنيه) كما يفعل الانسان ذلك لولده ، حبّا له وعطفا عليه ، فقد اوتي بالامام الى الرّسول وهو رضيع (وما وجد) صلّى اللّه عليه وآله (لي كذبة في قول) اذ لم اكذّب قط (ولا خطلة) اي خطاءا (في فعل) من الأفعال .

(ولقد قرن اللّه به - صلّى اللّه عليه وآله - من لدن) اي من وقت (ان كان فطيما) قد اخذ من الرضاع و شرب اللّبن (اعظم ملك من ملائكته) لعلّه الرّوح ، او جبرائيل عليه السّلام (يسلك) ذلك الملك (به) صلّى اللّه عليه وآله (طريق المكارم) اي يرشده اليها (ومحاسن اخلاق العالم) اي الأخلاق الحسنة ، كالصدق ، والأمانة ، والوفاء ، وما اشبه ، (ليله ونهاره) اي كان الملك مع الرّسول صلّى اللّه عليه وآله ليلا ونهارا لا يفارقه ابدا .

(ولقد كنت اتبعه) اي اتبع الرّسول صلّى اللّه عليه وآله (اتباع الفصيل

أَثَرَ أُمِّهِ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ .

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ . وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا هٰذِهِ الرَّنَّةُ ؟ فَقَالَ

اثر امّه) الفصيل ولد النّاقة ، ويسمّى بذلك لأنه فصل منها (يرفع لى كلّ يوم من اخلاقه علما) وسمّى ذلك بالعلم ، تشبيها باعلام الطّريق الدّالة على السالك فانّ الأخلاق سبيل السّعادة فى الدّارين (ويامرنى بالاقتداء به) زيادة فى التّربية والتّوجيه .

(ولقد كان يجاور كلّ سنة بحراء) جبل على القرب من مكة ، كان النّبى صلّى الله عليه وآله يذهب اليه للخلوة بنفسه ومناجات ربّه (فاراه) صلّى الله عليه وآله (ولا يراه غيرى) حيث كنت معه ، ولم يكن معه احد .

(ولم يجمع بيت واحد يومئذ) اى يوم اذ بعث (فى الاسلام غير رسول الله صلّى الله عليه وآله وخديجة) زوجته المفضلة عليها السلام (وانا ثالثهما) وكان العابد لله سبحانه منحصرا فيهم (ارى نور الوحى والرّسالة) الظّاهرارادة ضيائهما المعنوى ، فانّ للحقّ نورا يعرفه اهله (واشمّ ريح النّبوة) شمّا معنويّا ، وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ، او انّ المراد امرخارق ، كان يشمّه الامام .

(ولقد سمعت رنّة الشّيطان) اى انينه (حين نزل الوحى عليه صلّى الله عليه وآله ، فقلت يا رسول الله ما هذه الرّنة) ؟ الّتى اسمعها (فقال) : صلّى

هٰذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَىٰ مَا أَرَىٰ ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ،وَلٰكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَيْرٍ.

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ـ صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَ أَرَيْتَنَاهُ ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ

اللّه عليه وآله (هذا الشّيطان) وهذه رنّته (قد ايس من عبادته) فكان الشّيطان كان عازما على اضلال النّاس الى حدّ ان يعبدوه حتّى تهيّئ اذهان اهل جزيرة العرب لمثل هذا النّحو من الكفر ـ كما نرى من بعض عباد ابليس فى بلاد سنجار و نحوها فى العراق ، فلمّا بعث الرّسول صلّى اللّه عليه و آله تاوّه لما راى من احباط اللّه سبحانه لمكره و مؤامراته ضدّ البشر ، ببعثه من يكون سببا لهدايتهم ، ثمّ قال الرّسول صلّى اللّه عليه و آله لعليّ عليه السلام (انّك تسمع ما اسمع) من صوت الوحى ، و رنّة الشّيطان ، وما اشبه (و ترى ما ارى) من صورة الملائكة ، و الشّيطان (الاّ انّك لست بنبيّ) اذ النّبى من امر ابتداءا بتبليغ الرّسالة (و لكنّك وزير) معيّن لى (و انّك لعلى خير) فى المستقبل .

(و لقد كنت معه صلّى اللّه عليه و آله لما اتاه الملأ من قريش) اى الاشراف منهم ، و انّما سموا بالملأ ، لأنهم يملئون الصّدور و العيون هيبة و جلالا (فقالوا له يا محمّد انّك قد ادّعيت عظيما) من الأمر (لم يدعه آباؤك) الأقربون (ولا احد من بيتك) من قريش و مطلب و هاشم (و نحن نسالك امرا ان اجبتنا اليه و اريتناه) بان اتيت بهذه المعجزة الّتى نسئلك ايّاها ، حتّى نشاهدها باعيننا (علمنا انّك نبيّ و رسول ، و ان لم تفعل) تلك المعجزة (علمنا انّك ساحر

كَذَّابٌ . فَقَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «وَمَا تَسْأَلُونَ؟» قَالُوا : تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّىٰ تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ اللهُ لَكُمْ ذٰلِكَ ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟» قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : «فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَىٰ خَيْرٍ. وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ وَمَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ» ، ثُمَّ قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي

كذّاب) لست نبى (فقال صلى الله عليه وآله : وما تسالون) عنّى ؟ (قالوا : تدعو لنا هذه الشجرة حتّى تنقلع) عن الأرض (بعروقها) جمع عرق (و) تاتيك . ف (تقف بين يديك) مثل اتيان شخص اليك .

(فقال صلّى الله عليه وآله : إنّ الله على كلّ شئ قدير) فيقدر على مثل ذلك الّذى طلبتموه (فان فعل الله لكم ذلك) الّذى سالتموه (اتؤمنون) بى ؟ (وتشهدون بالحقّ) الّذى بعثت به ؟ (قالوا : نعم ، قال) صلّى الله عليه وآله (فانّى ساريكم ما تطلبون ، وانّى لأعلم انّكم لا تفيئون) اى لا ترجعون (الى خير) فلا تؤمنون بى (وانّ فيكم من يطرح فى القليب) اى فى بئر بدر ـ والبئر تسمّى قليبا ـ وذلك انهم جائوا الى حرب الرّسول ـ وهو فى المدينة ـ وتحارب الطرفان فى محل يسمّى ((بدرا)) وقتل جمع من الكفّار ، و طرحوا فى تلك البئر الّتى كانت موجودة هناك .

(ومن يحزّب الأحزاب) وهم كبراء قريش ، الّذين جمعوا احزابا مختلفة ، وجائوا الى حرب الرّسول ، فى غزوة ((خندق)) المشهورة (ثم قال صلى الله عليه وآله : يا ايّتها الشّجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين انّى

رَسُولُ ٱللهِ ، فَٱنْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّىٰ تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ ٱللهِ» .

فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِٱلْحَقِّ لَٱنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا ، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ ٱلطَّيْرِ ، حَتَّىٰ وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرَفْرِفَةً ، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا ٱلْأَعْلَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَىٰ مَنْكِبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ ٱلْقَوْمُ إِلَىٰ ذٰلِكَ قَالُوا ـ عُلُوًّا وَٱسْتِكْبَاراً ـ : فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَىٰ نِصْفُهَا ، فَأَمَرَهَا

رسول الله فانقلعى بعروتك) عن الأرض (حتّى تقفى بين يدىّ باذن اللّـــه) تعالى .

ثم قال الامام عليه السّلام ، وهو يحكى هذه القصّة (فو الّذى بعثه بالحقّ) ((الواو)) للقسم ، والّذى بعث الرّسول بالحقّ هو اللّه سبحانه (لانقلعت) الشّجرة ، و ((اللام)) للتاكيد (بعروقها) اى مع عروقها (وجائت) الى الرّسول صلّى اللّه عليه وآله (ولها دوى) اى صوت (شديد وقصف) اى : صوت (كقصف اجنحة الطّير) وقت رفيفها بشدّة .

(حتّى وقفت بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله مرفوفة) رفرف الطّائر اذا بسط جناحه على شئ ، والمراد انّ الشّجرة بسطت اغصانها على الرّســول صلّى اللّه عليه وآله (والقت بغضها الأعلى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله) لعلّ المراد حماسته لجسمه الشّريف (وببعض اغصانها على منكبىّ) والمنكب ما بين العنق والعضد (وكنت عن يمينه صلّى اللّه عليه وآله) اذ ذاك .

(فلمّا نظر القوم) الكفّار (الى ذلك قالوا ـ علوّا واستكبارا ـ) لاتفّهما واستظهارا (فمرها فلياتك نصفها ويبقى نصفها) فى مكانها (فامرها) الرّسول

بِذٰلِكَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا ، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالُوا ـ كُفْراً وَعُتُوًّا ـ : فَمُرْ هٰذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَىٰ نِصْفِهِ كَمَا كَانَ ، فَأَمَرَهُ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ ، فَقُلْتُ أَنَا : ﴿لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ﴾ ، فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ ، وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ . فَقَالَ ٱلْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ،

صلّي اللّه عليه وآله (بذلك) الذى طلبوا (فاقبل اليه) صلّى اللّه عليه وآله (نصفها كاعجب اقبال) بسرعة وعدو (واشدّه دويّا) اى صوتا (فكادت) اى اقترب ان (تلتفّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله) من شدّة الالتصاق به .

(فقالوا ـ كفرا وعتوّا ـ) اى ظلما ، اى انّ قولهم كان ناشئا عن ذلك ، لا عن تفهّم الحق ، والايمان به (فمر هذا النّصف) الّذى جائك (فليرجع الى نصفه) الباقى (كما كان) حتّى يستويان شجرة (فامره صلّى اللّه عليه وآله فرجع) كما طلبوا واراد وا .

(فقلت انا : لا اله الاّ اللّه ، فانّى اوّل مؤمن بك يا رسول اللّه) و ليس المراد ايمانه عليه السّلام هناك ، وانّما تجديد لاظهار ايمانه ، تقوية ، لأزر الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وتشجيعا لمن يريد الايمان (واوّل من اقرّ بأنّ الشّجرة فعلت ما فعلت) من الانقلاع والمجئ اليك (بامر اللّه تعالى ، تصديقا بنبوّتك واجلالا لكلمتك) حتّى لا يضع كلامك فارغا هباءا (فقال القوم) الحاضرون (كلّهم : بل ساحر كذّاب) اى كثير الكذب فى دعواه النّبوة (عجيب السّحر) حيث يطيعه الكائنات (خفيف فيه) فانّ الخفّة فى الأعمال دليل الحذق .

وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا ! (يَعْنُونَـي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَـأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ ، سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ ، عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ. مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ ؛ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ ، وَلَا يَغُلُّونَ وَلَا يُفْسِدُونَ . قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ !

(وهل يصدّقك) يا محمّد (فى امرك) العمل (الآمثل هذا) الشّخص (يعنونى) اى يعنون بـ ((هذا)) الامام عليه السلام ؟ (وانّى لمن قوم لا تاخذهم فى اللّه لومة لائم سيماهم) اى ظاهرهم (سيّما الصّديقين) هم الّذين يكثرون تصديق اللّه و الرّسول فانّ سيماء الصديق وقر ، متواضع ، خاشع ، قليل الكلام ، وما اشبه ذلك .

(و كلامهم كلام الأبرار) الّذين لا يكذبون ، ولا يستغيبون ، ولا يبهتون ولا يستهزئون ، اى انّى من اولئك القوم (عمّار اللّيل) اى القائمون بالطّاعة و العبادة ليلا ، وعمّار جمع عامر (و منار النّهار) بهم يستنير النّاس فى امور دينهم

(متمسّكون بحبل القرآن) كان القرآن حبل اللّه ، الّذى القاه للنّاس ، فمن تعلّق به رفعه اللّه الى الجنان .

(يحيون سنن اللّه) احياء السّنة عبارة عن العمل بها و حضّ النّاس عليها (و سنن رسوله) ما ورد عنه صلّى اللّه عليه وآله ، و ان لم يكن فى القرآن الحكم (لا يستكبرون) اى لا يتكبّرون (ولا يعلون) اى لا يريدون علوّا فى الأرض ، و انّما همّهم الآخرة (ولا يغلّون) اى لا يخونون (ولا يفسدون) فى الأرض .

(قلوبهم فى الجنان) يريد الذّهاب اليها (و اجسادهم فى العمل) الصّالح الموجب لسعادة النّشأتين .

وَمِنْ خُطبَة لهعَليهِ السَّلام

يصف فيها المتقين

روي أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلاً عابداً ، فقال ، يا أمير المؤمنين ، صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم . فتثاقل عليه السلام عن جوابه ثم قال : يا همام ، اتق الله وأحسن : ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ . فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي – صلى الله عليه وآله – ثم قال عليه السلام :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ خُطبَة لهُ عَليه السَّلام

يصف فيها المتّقين (روى انّ صاحبا لأمير المؤمنين عليه السّلام يقال له همام، وكان رجلا عابدا ، فقال يا امير المؤمنين صف لى المتّقين حتّى كانّى انظر اليهم ، فتثاقل عليه السّلام) اى تباطئ (فى جوابه ، ثم قال : يا همام اتّق اللّه و احسن) و الاحسان فوق التّقوى ، بان يعمل الانسان بالرّغائب و المندوبات (فانّ اللّه مع الّذين اتّقوا و الّذين هم محسنون) و لعلّ تثاقل الامام و اختصاره فى الجواب لما يعلم من انّ التفصيل موجب لهلاكه ، كما ياتى فى آخر الخطبة (فلم يقنع همّام بهذا القول حتّى عزم عليه) اى اصران يجيبه اجابة مفصلة ،واقسم الامام على ذلك (فحمد اللّه و اثنى عليه ، وصلّى على النّبى صلى الله عليه و آله ثم قال) عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ. فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ : مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ، وَمَلْبَسُهُمُ الِاقْتِصَادُ ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ ،

(اما بعد) اى بعد الحمد و الصّلاة (فانّ اللّه سبحانه و تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيّا عن طاعتهم) اى لم يكن محتاجا لطاعتهم (آمنا من معصيتهم) فلم يكن يخاف من عصيانهم (لأنه لا تضرّه معصية من عصاه) و انّما تضرّ المعصية ذات العاصى (ولا تنفعه طاعة من اطاعه) و انّما تنفع الطّاعة نفس المطيع .

(فقسم بينهم معيشتهم) اى ارزاقهم التى يعيشون بها (و وضعهم من الدّنيا مواضعهم) اى جعل كلّ واحد من النّاس فى الموضع اللاّئق به ، بحيث ان بمثل هذه المواضع تدار امور الكون .

(فالمتّقون فيها) اى فى الدّنيا (هم اهل الفضائل) الّتى تزين الانسان و تحلّيه (منطقهم الصّواب) اى كلامهم صواب لا هذر و لا محرم فيه ، و المنطق مصدر ميمى ، بمعنى : النطق .

(و ملبسهم) اى لباسهم (الاقتصاد) فالاقتصاد فى الأمور ، و التّوسّط بلا زيادة و نقيصة ، كاللّباس لهم الّذى به يعرف الانسان ، و يحتمل ان يكون المراد انهم متوسطون فى ثيابهم ، لا يلبسون غاليا ، و لا مبتذلا (و مشيهم التواضع) اى يمشون فى الأرض متواضعين ، او المراد بالمشى السلوك ، فانّ الانسان المتواضع قلبه يتواضع فى كل سلوكه .

(غضّوا ابصارهم عمّا حرّم اللّه عليهم) اما المراد غض البصر عن مثل النظر الى

وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَىٰ ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ لَهُمْ . نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي ٱلْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي ٱلرَّخَاءِ . وَلَوْلَا ٱلْأَجَلُ ٱلَّذِي كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، شَوْقاً إِلَىٰ ٱلثَّوَابِ ، وَخَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَابِ . عَظُمَ ٱلْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ، فَهُمْ وَٱلْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا ، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ ،

الأجنبيّة . او المراد غض البصر عن المحرّمات مطلقا ، اى انّهم لا ينظرون الى المحرّمات بنظر الارادة والتّعاطى (ووقفوا اسماعهم على العلم النّافع لهم) فلا يضيعون اسماعهم فى استماع اللّغو فكيف بالمحرم ؟ .

(نزّلت انفسهم منهم فى البلاء كالّتى نزّلت فى الرّخاء) اى نفوسهم فى البلاء والرّخاء على حدّ سواء ، لا انهم يجزعون عند البلاء ، شان الذين لا رزانة لأنفسهم (ولولا الأجل الّذى كتب لهم) اى كتب اللّه لهم ، والمدّة المقرّرة عنده تعالى لهم (لم تستقرّ أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين) اى مقدار ان يحرك الانسان عينه (شوقا الى الثّواب ، وخوفا من العقاب) فانّ كثرة الرغبة و الرهبة توجبان ـ فى الأولى ـ خلو القلب من الدم ، لأنّ الدم يتوجه الى الخارج للتملى من اللّذة ـ وفى الثانية ـ كثرة الدم فى القلب ، لأن الدم يتوجه الى الداخل فرارا من المؤلم وفى كل واحد من هذين الأمرين هلاك الانسان

(عظم الخالق فى أنفسهم) حيث ادركوا بعض عظمته سبحانه (فصغر ما دونه فى اعينهم) اذ الانسان اذا عرف شيئا عظيما قاس سائر الأشياء بذلك الشئ ، ولذا تصغر تلك الأشياء فى عينه .

(فهم والجنة كمن قد راها) فانّ الانسان اذا طال فكره فى شئ ارتسم ذلك الشئ فى نفسه حتّى كانه حسه باحدى حواسه (فهم فيها منعّمون) فانّ ارتسام

وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا ، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ . قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ، وَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً . تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ . أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا ، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا .

النعمة رتبة من رتب التنعم (وهم والنّار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون) على غرار ما ذكر فى الجنّة .

(قلوبهم محزونة) لأنهم لا يدرون ماذا يصنع بهم ، وهذا لا ينافى قوله تعالى : ﴿ الا انّ اولياء اللّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ لأنّ ذلك الحزن على الأمور الدّنيوية ، والحزن فى امر الآخرة ، الذى يلازم العصات ، و الحزن هنا ما يلازم المتّقين من جهة الدّرجات وما اشبه (وشرورهم مامونة) يامن النّاس شرّهم ، لأنهم لا يأذون احدا (واجسادهم نحيفة) لكثرة تفكرهم و علمهم ، وقلّة اكلهم ، فانّ ذلك كلّه يوجب نحافة الجسم .

(وحاجاتهم خفيفة) اذ المؤمن لا يرغب فى كثير من الدنيا حتى تكون حاجته اليها كثيرة (وانفسهم عفيفة) عفّت عن الآثام والمعاصى وتنزّهت من ارتكاب المحرمات (صبروا ايّاما قصيرة) اى ايام الدنيا (اعقبتهم) تلك الأيّام اى الصّبر فيها (راحة طويلة) فى الآخرة لهم (تجارة مربحة) فانّ عمل الانسان فى الدّنيا فى حكم التّجارة ، اذ يعمل هنا ، ويأخذ هناك .

(يسّرها) اى سهّل هذه التجارة (لهم ربهم) اذ جعل الثواب بازاء العمل ، وبيّن ذلك لهم بسبب الأنبياء (ارادتهم الدّنيا فلم يريدوها) بمعنى انّهم اعرضوا عن الدنيا ، ولم يصرفوا وقتهم فى تحصيلها ، وانما صرفوه فى تحصيل الآخرة .

(واسرتهم) اى جعلتهم الدّنيا اسيرا لنفسها (ففدوا انفسهم منها)

أَمَّا ٱللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ ٱلْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلًا . يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ . فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً ، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً ، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ . وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا

تاسير الدنيا عبارة تزيين الدنيا نفسها لهم حتى يطلبوها ، وتغدية انفسهم بترك الدنيا وزخارفها .

(امّا اللّيل فصافون اقدامهم) اى يصطفون احدى رجليهم بازاء الأخرى قائمين (تالين) اى قارئين (لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلا) والتّرتيل اظهار الحروف والوقف على الوقوف او التدبر ، او هما معا .

(يحزنون به) اى بالقرآن (انفسهم) فانّ الانسان اذا تذكر الأمور المحزونة حزن ، كما انه اذا تذكر الأمور المفرحة فرح ، والقرآن حيث يشتمل على التخويفات يوجب الحزن .

(ويستثيرون) اى يهيجون (به) اى بسبب القرآن (دواء دائهم) المراد به البكاء ، والداء الكمد الحاصل للانسان من الهموم والأحزان ، فاذا بكى سكن الدّاء الكائن فى قلبه ، او انّ المراد التعرّف على علاج الرّذائل الّتى هى داء .

(فاذا مروا بآية فيها تشويق) الى الثواب (ركنوا اليها طمعا) اى اتّكلوا الى تلك الآية راجين ان يصلهم ذلك الثّواب (وتطلّعت نفوسهم اليها) اى الى تلك الآية ، والتطلع النظر الى المحبوب ليطلع عليه (شوقا) الى الثواب .

(وظنّوا انّها نصب اعينهم) من كثرة اشتياقهم ، فان الانسان اذا اشتاق الى شئ تفكر فيه كثيرا ، وذلك ما يوجب ارتسامه فى ذهنه .

(واذا مرّوا بآية فيها تخويف) عن العقاب (اصغوا اليها) الاصغاء

مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ ، يَطْلُبُونَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ . قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ

الاستماع (مسامع قلوبهم) بمعنى انّهم التفوا اليها بقلوبهم ، لا باسماعهم فقط (وظنّوا انّ زفير جهنّم و شهيقها) الزّفير و الشّهيق صوت تنفّس الانسان ، جذبا للهواء و اخراجا لها الى الخارج ، و النّار لها هذان الصوتان حين اشتعالها و التهابها (فى اصول آذانهم) اى فى اعماق آذانهم ، و ذلك كناية عن شدّة تاثّر النفس بها (فهم حانون) حتى يحنو اذا انحنى (على اوساطهم) فانّ الانسان الخائف يحنى نفسه ، و ذلك ليكون الضّغط على قلبه اكثر ، فيحس بالطمأنينة ، مما يسببها تجمع الدم فى القلب ، او المراد الرّكوع .

(مفترشون لجباههم و اكفّهم و ركبهم و اطراف اقدامهم) هى المواضع الّتى تصل الى الأرض حال السّجود (يطلبون الى اللّه تعالى فى فكاك رقابهم) اى خلاصها من النّار ، و انّما نسب الى الرّقبة ، لأنها محل الذنب ، بعلاقتها محل السيف ، فى الشخص المجرم ، قال الشاعر بالنسبة الى الامام عليه السلام :

وضربته كبيعته نجـــــم مواقعه من النّاس الرقاب

(و اما النهار فـ) هم (حلماء) جمع حليم ، فى اعمالهم (علماء) جمع عالم (ابرار) جمع بر ، و هو المحسن (اتقياء) جمع تقى ، بمعنى المجتنب عن المعصية (قد براهم الخوف) اى نحتهم الخوف من اللّه و الخوف من الذنب (برى القداح) جمع قدح بالكسر ، و هو السهم ، قبل ان يراش ، فانّ الخوف يوجب اذابة اللّحم ، فقد رقق اجسادهم كما ترقق السهام بالنحت .

يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَىٰ ، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ ؛ وَيَقُولُ : قَدْ خُولِطُوا !

وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ ! لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ هُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ ، فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ بِنَفْسِي !

(ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى) لما يرى عليهم من آثار الضّعف و صفرة الوجه و ما اشبه (و ما بالقوم من مرض) اذ ما يشاهد فيهم من آثار الصيام والصلاة و السهر (و يقول) الناظر (قد خولطوا) اى خلط عقلهم خلل لما يراهم من الانقطاع عن النّاس و البكاء و ما اشبه ـ مما قد يكون مثل ذلك فى المجانين ـ

(و لقد خالطهم امر عظيم) هو الخوف من اللّه سبحانه الذى اقلقهم و اسهرهم .

(لا يرضون من اعمالهم القليل) فانّ الانسان اذا علم بالثّواب الّذى امامه ، لابد و ان يستقل عمله و لا يرضى بقليله .

(و لا يستكثرون الكثير) اذ الثواب من الكثرة بحيث كل عمل كثير لا يفى به (فهم لأنفسهم متهمون) يتهمونها بالتقصير و الكسالة (و من اعمالهم) الّتى عملوها (مشفقون) اى خائفون ، هل قبلت حسناتهم ؟ و هل يعاقبون على غير الحسنات ؟ (اذا زكى احدهم) اى مدحه النّاس (خاف مما يقال له) خوف من يخشى ان لا يكون كذلك فيفضح غدا او يخشى ان يسبب المدح له كبرا و نخوة .

(فيقول :) لرد المادح (انا اعلم بنفسى من غيرى) و هذا عبارة اخرى عن القدح (و ربّى اعلم بى من نفسى) اذ ـ حتى الانسان نفسه ـ لا يعرف

اَللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ .

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ ، وَحَزْماً فِي لِينٍ ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ ، وَقَصْداً فِي غِنًى ، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ ، وَتَجَمُّلًا فِي فَاقَةٍ ،

نفسه ، ثم يتوجهون الى اللّه سبحانه تواضعا قائلين .

(اللّهمّ لا تؤاخذنى بما يقولون) مؤاخذة من يرضى بما ليس فيه ، كما قال سبحانه : ((لا تحسبنّ الّذين يفرحون بما اوتوا و يحبّون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب)) (و اجعلنى افضل ممّا يظنّون) اى يظنّ هؤلاء المادحون فىّ من الخير و الصلاح . (و اغفر لى ما لا يعلمون) من هفواتى و تقصيرى .

(فمن علامة احدهم) اى احد هؤلاء المتّقين (انّك ترى له قوّة فى دين) اى انّ دينه قوىّ لا يزول بمجرد زخارف الدنيا و شهوات النّفس و ما اشبه (وحزما فى لين) اى انّه متقن لأموره ، لكن بدون عنف ، بل يعاشر النّاس و يعمل بكل رفق و لين .

(و ايمانا فى يقين) فهو مؤمن فى الظّاهر متيقّن فى الباطن (و حرصا فى علم) اى فى التعلم و التعليم . (وعلما فى حلم) فانّ العالم يحتاج الى الحلم الكثير ، لأنه ـ بعلمه ـ يرى انحراف النّاس ، فيلزم ان يكون حليما حتّى يتمكن من اجابة المسائل و من الاصلاح .

(و قصدا فى غنى) اى انّه و لو كان غنيّا ، يتوسّط فى اموره ، بدون سرف ولا بخل (وخشوعا فى عبادة) اى يعبد خاشعا خاضعا للّه سبحانه ، لا مجرد اتيان الظواهر (و تجمّلا فى فاقة) اى الفقر ، فانّ الفقراء غالبا لا يهتمّون

وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ ، وَطَلَباً فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدًى، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ. يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَىٰ وَجَلٍ . يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً ؛ حَذِراً لَمَّا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ .

باصلاح ظواهرهم ، وذلك ممّا يوجب ذلّتهم علاوة على فقرهم ،ويستحب للانسان ان يتجمل ، فان الله جميل يحب الجمال ، كما ورد ·

(وصبرا فى شدّة) فانّ المصائب اذا وردت على الانسان لم يكن امامه الاّ الصبر او الجزع ، وفى الأول خير الدنيا بسكون النفس ، وخير الآخرة بالثواب والأجر ·

(وطلبا فى حلال) مقابل الطلب كيفما كان حلالا ام حراما (ونشاطا فى هدى) اى الجد والقوة فى الهداية ، بان يعمل بلا كلل فى سبيل الهداية والاهتداء (وتحرّجا) بمعنى : عدّ الشئ حرجا اى اثما وصعبا (عن طمع) فلا يطمع فى مال النّاس ، اوما اشبه ذلك ·

(يعمل الأعمال الصّالحة وهو فى وجل) اى خوف ، هل انه عمل بما يلزم عليه ام لا ؟ (يمسى) اى يدخل المساء ، بمعنى : العصر ، او اللّيل ·

(وهمّه الشّكر) للّه سبحانه ، على ما انعم عليه من اوّل الصباح ،.فان الشكر بعد النّعمة (ويصبح وهمّه الذّكر) للّه تعالى ، فانّ الانسان يتذكر اللّه سبحانه عند الصّباح كانه وجود من جديد (يبيت) اى يدخل اللّيل (حذرا) لا يدرى يبقى الى الصّباح فى امن وسلامة وذكر (ويصبح فرحا) حيث مرّ عليه اللّيل بسلام (حذرا من الغفلة) بان يعد من الغافلين ـ وهذا مصداق لقوله : ((حذرا)) (وفرحا بما اصاب) وادرك (من الفضل والرّحمة) من طرفه سبحانه ·

إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَىٰ ، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ. تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ ، قَلِيلًا زَلَلُهُ ، خَاشِعاً قَلْبُهُ ، قَانِعَةً نَفْسُهُ ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ ، سَهْلًا أَمْرُهُ ، حَرِيزاً دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ.

(ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره) اى اذا لم تطاوعه نفسه فيما يشق عليها من الطّاعة (لم يعطها سؤلها فيما تحب) بان يترك الطّاعة ، و ياخذ بالشّهوات الّتى تريدها نفسه ٠

(قرّة عينه) اى فرحه و الأصل فيه ان عند الفرح تستقر العين ، فلا تتحرك كالمضطرب الذى ينظر هنا و هناك ليجد الملجا و المفر (فيما لا يزول) اى : الآخرة (و زهادته) اى تفرقه (فيما لا يبقى) اى الدنيا ٠

(يمزج الحلم بالعلم) اى يتّصف بالحلم مع انّه عالم ، و ذلك لأنّ العلم يحتاج الى حلم كبير ليعلّم الجهّال ، و يتعلم هو بنفسه المسائل العضال ٠

(و القول بالعمل) فلا يكتفى بالأقوال فقط (تراه) ايها الرّائى (قريبا امله) لا يامل بعيدا ، كامل اهل الدّنيا الذين يرون انفسهم باقين فيها مدّة مديدة ، فانّ طول الأمل ينسى الآخرة ٠

(قليلا زلله) جمع زلة ، بمعنى : العصيان ، و فعل ما لا ينبغى ، فانّ الانسان اذا كان واعيا ملتفتا تقل خطاياه (خاشعا) اى خاضعا للّه سبحانه (قلبه) لا ان يكون قلبه صلدا ، و انّما الخشوع سمة جوارحه فقط ، كالمرائى (قانعة نفسه) بما اعطاه اللّه سبحانه ٠ (منزورا اكله) اى قليلا ، من النزر (سهلا امره) لا يتكلّف فى اموره كما يتكلّف اهل الدّنيا فى امورهم ٠

(حريزا) اى حصينا محفوظا (دينه) لا ينثلم بالشّهوات (ميّتة شهوته) كناية عن عدم اتّباعه للشهوات (مكظوما غيظه) الكظم الاخماد ، اى لا يظهرغضبه

الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ . إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، بَعِيداً فُحْشُهُ ، لَيِّناً قَوْلُهُ ، غَائِباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ ، مُقْبِلًا خَيْرُهُ ، مُدْبِراً شَرُّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ ، وَفِي الرَّخَاءِ

اذا غضب (الخير منه مامول) يامل النّاس خيره ، لأنه من اهل الخير (والشّر منه مامون) اذ لا يريد شرّا بالنّاس .

(ان كان) بجسده (فى الغافلين) بان كان فى جملتهم جسما (كتب فى الذّاكرين) لله سبحانه لأنه ذاكر بقلبه .

(وانكان فى الذّاكرين) بجسده (لم يكتب من الغافلين) لأنه ذاكر كما هم ذاكرون ، لا انه كالغافل فى وسط الذين يذكرون الله سبحانه (يعفو عمّن ظلمه) كما قال سبحانه : ((وان تعفوا اقرب للتّقوى)) (ويعطى من حرمه) لأنه لا يريد الانتقام فاذا كان الذى حرمه اهلا لأن يعطى اعطاه .

(ويصل من قطعه) فانه لا يفعل القطيعة المذمومة ، انتقاما ، ولو ان طرفه قطعه (بعيدا فحشه) اى كلامه القبيح ، والسباب ، ومعنى بعده عدم تناوله له .

(ليّنا قوله) لا خشنا ولا جافيا (غائبا منكره) اى لا يفعل الأفعال المنكرة (حاضرا معروفه) اى يعمل العمل المعروف (مقبلا خيره مدبرا شرّه) اى يعمل الأول ويترك الثانى .

(فى الزّلازل وقور) اى لا يضطرب فى الشّدائد ، فانّ الاضطراب فيها يوجب عدم التمكن من مقاومتها ، وعدم المجال لفكر كيفية حلّها والتّخلص منها .

(وفى المكاره صبور) يصبر عند الأمر المكروه ، حتى يمر بسلام (وفى الرّخاء

شَكُورٌ . لَا يَحِيفُ عَلَىٰ مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ . يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ، لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ ، وَلَا يَنْسَىٰ مَا ذُكِّرَ ، وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ ، وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّىٰ يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ .

والسعة (شكور) كثير الشكر له سبحانه (لا يحيف) اى لا يجور (على من يبغض) كما هو عادة كثير من الناس اذا غضبوا جاروا بالقول و العمل على من غضبوا عليه (ولا يأثم) اى لا يعصى الله (فيمن يحب) لارضاء حبيبه ... فلا يفرط فى لوازم المحبّة ، كان يعطى من يحبه اكثر من استحقاقه ــ مثلا ــ .

(يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه) اى يطلب منه الشّهادة حرصا له على احقاق الحق (لا يضيع ما استحفظ) اى ما جعل عنده وديعة ، ليحفظها .

(ولا ينسى ما ذكر) فلو ذكره الله سبحانه شيئا ، او ذكره احد ، لا ينسى ذلك الشئ ، اهمالا وتساهلا (ولا ينابز بالألقاب) اى لا يدعو غيره باللقب الذى يكره ، كما قال سبحانه : ((ولا تنابزوا بالألقاب)) .

(ولا يضار بالجار) اى لا يكون سببا لضرر الجار (ولا يشمت بالمصائب) فلا يفرح اذا نزل بغيره مصيبة ، ولا يقول قول المتشفى .

(ولا يدخل فى الباطل) كيفما كان من قول اوعمل (ولا يخرج من الحق) بان يتركه (ان صمت) اى سكت (لم يغمّه صمته) اى لم يحزن لسكوته ، لأنه يرى الصّمت فضيلة (وان ضحك لم يعل صوته) فانّ ذلك قبيح ، وانّما ضحكه التبسم .

(وان بغى عليه) اى ظلم (صبر حتّى يكون الله هو الّذى ينتقم له) فانّ

نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ . أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

قال : فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : أَهٰكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا ؟

الله ياخذ بحق المظلوم من الظالم .

(نفسه منه فى عناء) اى فى تعب من الأعمال الصالحة (والناس منه فى راحة) لأنه لا يؤذى احدا (اتعب نفسه لآخرته) عبادة وعملا صالحا (واراح الناس من نفسه) فلا يكلفهم ولا يؤذيهم .

(بعده عمّن تباعد عنه زهد وتزاهة) فانه اذا تباعد عن شخص كان لأجل اطاعة الله فى الابتعاد ، ولأنه يريد ان لا يتلوث باثامه ، لا ان يكون ابتعاده لأجل هوى نفسه (ودنوّه ممّن دنا منه) اى اقترب اليه (لين) اى دنو لين (ورحمة) يرحمه بها ، لا خدعة وابتزاز لماله ، او نحو ذلك .

(ليس تباعده بكبر وعظمة) كما ذلك عادة الجبّارين (ولا دنوّه بمكر وخديعة) وهاتان الجملتان مصداقان لما سبق .

(قال) الراوى (فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها) اى فى تلك الصعقة اى الغشوة ((نفسه)) بان مات من شدة التأثر بهذه الخطبة ((فقال امير المؤمنين عليه السلام)) :

(اما والله لقد كنت اخافها) اى الصعقة ، (عليه) اى على همام (ثم قال) عليه السلام : (اهكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها) ؟ الاستفهام للتعجّب عن صنع الموعظة ، وانما يموت الانسان لشدة الفرح الموجبة لخلو

فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ؟

فقال : وَيْحَكَ ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ ، وَسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ . فَمَهْلًا ، لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا ، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ لِسَانِكَ !

القلب عن الدم ، او لشدة الحزن الموجبة لامتلاء القلب بالدم (فقال له قائل : فما بالك يا امير المؤمنين) ؟ اى لماذا لا تموت انت مع اطّلاعك على هذه الموعظة .

(فقال :) (ويحك) كلمة توبيخ ، وقد تستعمل فى الاطراء (اذ لكل اجل) فى انقضاء عمر الانسان (وقتا لا يعدوه) اى لا يتجاوزعنه (وسببا) اى للموت (لا يتجاوزه) ولو الى قبل ذلك الوقت (فمهلا) اى انتظر فى كلامك وتروّ (لا تعد لمثلها) اى لمثل هذه الكلمة (فانّما نفث) اى نفخ (الشيطان على لسانك) حتى تكلمت بهذا الكلام ، والسر ان النفوس الكبيرة لا تتاثّر بما تتاثّر به النّفوس الصغيرة ، ولذا ترى شدّة فرح انسان صغير بدمية ، او شدة حزنه لفقد درهم ، مما لا يؤثر اضعاف ذلك ، فى النفس الكبيرة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يصف فيها المنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً ، وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً. وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، خَاضَ إِلَىٰ رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ . وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ ، وَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يصف فيها المنافقين

(نحمده) تعالى (على ما وفّق له من الطّاعة) اى من الطاعة له تعالى (وذاد) اى دفع (عنه) سبحانه (من المعصية) اى دفع المعصية عن نفسه بارشاد الانسان الى مواضع سخطه (ونسئله لمنّته) اى فضله (تماما) بان يتم فضله علينا (وبحبله اعتصاما) اى يوفقنا لأن نعتصم بحبله ، والمراد دينه .

(ونشهد انّ محمّدا عبده ورسوله) ذكرنا سابقا ان تقديم ((عبده)) لعلّه فى مقابل اليهود والنّصارى الذين يجعلون انبيائهم ابناء الله وشركائه .

(خاض الى رضوان الله كل غمرة) اى دخل فى كل شدة لأجل رضاه سبحانه (وتجرّع فيه) اى فى رضاه (كلّ غصّة) اذا شرب الانسان الماء فلم يسغه بان لم ينزل من حلقه بسهولة ، يقال : غص بالماء (وقد تلوّن له الأدنون) اى تقلب له اقربائه صلى الله عليه وآله فكانوا يوما له ويوما عليه ، الاّ النّادر منهم (و

تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا ، وَضَرَبَتْ إِلَىٰ مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا ، حَتَّىٰ أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتُهَا ، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ ، وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ .

أُوصِيكُمْ ، عِبَادَ اللهِ ، بِتَقْوَىٰ اللهِ ، وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ ، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ ، وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً ، وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً .

تالب) اى اجتمع على عداوته (الاقصون) اى الأبعدون الذين لم يكن لهم قرابة معه صلى الله عليه و آله .

(وخلعت اليه العرب اعنتها) جمع عنان ، وهو الزمام ، اى انهم صاروا ضده يعادونه (وضربت الى محاربته بطون رواحلها) جمع راحلة ، وهى الناقة ، اى انهم ساقوا ركائبهم لمحاربته ، فان الانسان اذا اراد سرعة مشى دابته ضرب برجله بطنها (حتى انزلت) العرب (بساحته) اى بفناء محله ، و المراد المدينة المنورة (عداوتها) اى جائوا الى هناك لمعاداته (من ابعد الدار) وهى مكة (و اسحق المزار) اى اقصى محل الزيارة ، فان السحق بمعنى البعد .

(اوصيكم) يا (عباد الله بتقوى الله) اى الحذر منه و اجتناب محرّماته (و احذركم اهل النفاق) اى اخوّفكم من المنافقين ، لا تغتروا بهم (فانهم الضالون) الذين تاهوا عن الطريق (المضلّون) الذين يضلون من عداهم .

(و الزالون) من زل بمعنى : اخطأ (المزلون) اى الموقعون للناس فى الخطأ (يتلونون الوانا) فلهم كل يوم لون ، اذ انهم لا يسيرون على مبدء ، و انما يسيرون وفق مصالحهم ،فاين ما كانت مصالحهم انحازوا نحوها (و يفتنون) اى ياخذون فى فنون من العمل و القول (افتنانا) لا ياخذون طريقة واحدة ،مثل اصحاب المبادى .

وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ . قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ ، وَ صِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ . يَمْشُونَ الْخَفَاءَ ، وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ . وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ ، وَ قَوْلُهُمْ شِفَاءٌ ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ . حَسَدَةُ الرَّخَاءِ ، وَمُؤَكِّدُوا الْبَلَاءِ ، وَمُقَنِّطُوا الرَّجَاءِ . لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ ، وَإِلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ ،

(ويعمدونكم بكلّ عماد) اى يقيمونكم بكل ما يعتمد عليه لتتبعوا طريقتهم ، فان من يريد الجاء غيره الى جانبه ياتى اليه بكل وسيلة (ويرصدونكم بكلّ مرصاد) اى يترقّبونكم فى كل مكان ، ليصيدونكم بحبائلهم ، ويدخلونكم فى جمعهم (قلوبهم دويّه) اى مريضة من الدّوى بالقصر بمعنى المرض .

(وصفاحهم) جمع صفحه ، والمراد صفحة وجههم (نقية) عن آثار العداوة ، لأنهم يظهرون انفسهم فى صورة البرئ ، وقلوبهم تطفئ من النفاق او المراد نقائها من آثار الطاعة والعبادة (يمشون الخفاء) اى مشى التستر لئلا يطّلع احد على باطن امرهم (ويدبّون الضّراء) الدّب هو المشى الخفى ، اى : يسيرون فى المجتمع سير المرض فى الجسم اينما وصلوا افسدوا .

(وصفهم دواء) اى يصفون الدواء للأمراض الاجتماعية (ليراهم النّاس مصلحين ـ (وقولهم شفاء) عن الأمراض لأنهم يرشدون النّاس الى ادوية امراضهم النفسية (وفعلهم الداء العياء) اى الداء الذى اعجز الأطباء واعياهم عن علاجه (حسدة الرخاء) جمع حسود ، اى يحسدون الناس على السعة (ومؤكدوا البلاء) اى اذا نزل البلاء باحد اكدوه وزادوه بالشماتة والسعى لاعضاله (ومقنّطوا الرجاء) اى اذا رجى احدا شيئا اوقعوه فى القنوط واليأس .

(لهم بكلّ طريق صريع) اى انهم كثيرا ما خدعوا اناسا فاهلكوهم ، كما يهلك القاتل من يصرعه ، ويطرحه على الأرض (والى كل قلب شفيع) فهم يجعلون

وَلِكُـلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ . يَتَقَارَضُونَ الثَّنَـاءَ، وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ : إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا ، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا ،

وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا . قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا ، وَلِكُلِّ قَائِـمٍ مَائِلًا ، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا ، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً ، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً . يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ

الى كل انسان وسائل ليقضوا مآربهم اذا احتاجوا اليها (و لكل شجو) اى حزن (دموع) يبكون لكل انسان مفجوع تصنّعا و تزلّفا حتى يقربوا انفسهم الى قلبه (يتقارضون الثناء) اى كل واحد منهم يثنى على الآخر و يطريه ، ليثنى الآخر عليه ، لا لاستحقاق احدهم للثناء .

(ويتراقبون الجزاء) اى يعمل كل للآخر ليعمل الآخر له ، لا كالمؤمنين الذين يعملون للّه سبحانه (ان سالوا الحفوا) اى الحّوا فى السؤال و بالغوا (و ان عذلوا) اى لاموا احدا (كشفوا) اى فضحوا من يلومونه ،اذ ليس قصدهم الاصلاح بل الفضيحة و الانتقام .

(و ان حكموا اسرفوا) فى الحكم بان يزيدون فى التقدير (قد اعدوا لكلّ حق باطلا) اى جعلوا قبال كل حق باطلا لصرف الناس الى ذلك الباطل ـ الذين البسوه لباس الحق ـ (لكلّ قائم مائلا) اى جعلوا بازاء كل شئ مستقيم شيئا منحرفا (ولكلّ باب مفتاحا) حتى لا يصعب عليهم ولوج كل مكان لقضاء مأربهم (ولكلّ ليل مصباحا) فاذا ادلّهم خطب هيئوا ـ قبلا ـ لذلك ما ينيرهم حتى لا يسقطوا فى الظلمة .

(يتوصلون الى الطّمع باليأس) اى انهم باظهارهم اليأس عما فى ايدى النّاس يتوصلون الى مطامعهم الدنيوية ، فان الناس يقضون حوائج الذين يظهرون اليأس عما فى ايديهم ، ولذا قال عليه السلام : (ليقيموا به) اى :

أَسْوَاقَهُمْ ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ . يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ ، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ . قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ ، وَأَضْلَعُوا ٱلْمَضِيقَ ، فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ ، وَحُمَةُ النِّيرَانِ : «أُولٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ» .

(وينفقوا) اى يروجوا (به) اى بذلك الياس (اعلاقهم) جمع ((علق)) بمعنى الشئ النفيس (يقولون فيشبّهون) اى يشبهون الحق بالباطل ، والباطل بالحق (ويصفون فيموّهون) التمويه التلبيس ، والمراد وصف الأشياء بما ليس من اوصافها (قد هوّنوا) اى سهلوا على الناس (الطّريق) الذى يسيرون عليه بان قالوا لهم ان طريقتنا الذى نسير عليه طريق سهل يسير ، حتى يتبعهم النّاس .

(واضلعوا المضيق) اى عوّجوا مضائق الطرق ، والمضائق كناية عن الداخل الدقيقية ، التى يظهر فيها باطنهم ونفاقهم ، وتعويجها ، ارائة الناس انهم لا يقصدون هذا الطريق ، وانما يريدون غيره ، تعمية عليهم ، اذ لو دخلوا فى المضائق بدون التعمية ظهر باطنهم الفاسد .

(فهم لمّة الشيطان) اللّمة الجماعة ، اى انهم من جماعة الشيطان (وحمة النّيران) الحمة ابرة العقرب التى تسلع بها ، فكان نار جهنم بواسطة هؤلاء تلسع الناس وتوصل المها اليهم (((اولئك حزب الشيطان الا انّ حزب الشّيطان هم الخاسرون))) الذين خسروا دنياهم وآخرتهم .

وَمِنْ خُطبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ ، وَجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ ، مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ ، شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ.

وَمِنْ خُطبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فيها الحمد للّه ، والثّناء على رسوله ، و الوعظ

(الحمد للّه الذى اظهر من آثار سلطانه) اى آثار سلطته على الكون ، فان الخلق من آثار سلطة اللّه سبحانه (وجلال كبريائه) اى ارتفاع عظمته (ما حيّر مقل العيون) جمع مقلة ، وهى شحمة العين التى تجمع السواد و البياض (من عجائب قدرته) بيان ((ما)) (وردع) اى منع (خطرات هماهم النّفوس) جمع همهمة ، وهى صوت خفى عند حديث النّفس ، والمراد تشبيه ما يخطر بالبال عند ارادة ادراك كنهه سبحانه (عن عرفان كنه صفته) اى كنه ذاته و صفاته .

(واشهد ان لا اله الاّ اللّه شهادة ايمان وايقان) لا كشهادة المنافقين الذين لم يدخل الايمان قلوبهم ، ولا كشهادة ضعفاء الايمان من المؤمنين الذين لم يتيقنوا يقينا راسخا (واخلاص) لا شرك فيه (واذعان) اى خضوع للّه

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَىٰ دَارِسَةٌ ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ ، وَهَدَىٰ إِلَى الرُّشْدِ ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ ،

وَاعْلَمُوا ، عِبَادَ اللهِ ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا ، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْصَىٰ إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ ، فَاسْتَفْتِحُوهُ ، وَاسْتَنْجِحُوهُ ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ ،

سبحانه .

(واشهد انّ محمّدا عبده ورسوله ارسله واعلام الهدى دراسة) الواو للحال ، والمراد باعلام الهدى الأحكام والآثار التى تدل على الأصول ، ودارسة بمعنى منهدمة .

(ومناهج الدّين) جمع منهج ، بمعنى الطريق (طامسة) من طمس بمعنى انمحى واندرس (فصدع بالحق) اى قام بالحق واصل الصدع الكسر ، و المراد كسر الباطل بصدمة الحق (ونصح للخلق) بان ارشدهم الى مايسعدهم فى الدّارين .

(وهدى الى الرّشد) مقابل الغى ، بمعنى الضلال (وامر بالقصد) اى يسلك الناس سلوكا وسطا لا افراط ولا تفريط ، فى جميع امورهم .

(واعلموا عباد اللّه) منادى حذف حرف النداء منه ، نحو ((يوسف اعرض عن هذا)) (انّه) تعالى (لم يخلقكم عبثا) اى بلا غاية و بدون مصلحة (ولم يرسلكم) تشبيه للخلق بالارسال (همل) اى بدون اوامر و نواهى (علم) سبحانه (مبلغ نعمه عليكم) اى مقدارها (واحصى احسانه اليكم) فليس احسانه بلا حساب (فاستفتحوه) اى اطلبوا منه ان يفتح عليكم الأبواب التى اغلقت فى وجوهكم (واستنجحوه) اى اطلبوا منه نجاح اموركم .

(واطلبوا) حوائجكم (اليه) اى منتهيا اليه تعالى (واستمنحوه) اى

فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٌّ؛ لَا يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ، وَلَا يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ، وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ، وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلَا يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ،

اطلبوا منه العطاء و المنحة .

(فما قطعكم عنه) تعالى (حجاب) اى لا حجاب بينه و بين خلقه (ولا اغلق عنكم دونه) سبحانه (باب) بالعكس من الملوك و الكبراء .

(وانّه) سبحانه (لبكلّ مكان) اللام للتاكيد ، ومعنى انه فى كل مكان ، نفوذ علمه و قدرته ، اذ ليس سبحانه جسما ، و هو منزه عن الزمان و المكان .

(و فى كلّ حين و اوان) جمع آن بمعنى الزمان ، وليس كالموجودا ت ، التى تكون حينا و لا تكون حينا ـ قبل خلقها ، و بعد انعدامها ـ (و مع كلّ انس و جان) معية العلم و القدرة ، لا معية الأجسام (لا يثلمه) اى لا ينقصه (العطاء) لأنّ العطاء لا يخرج عن ملكه ، ولأنه قادر على خلق ما لا يحصى .

(ولا ينقّصه الحباء) الحباء العطية بدون مكافئة ، اى لا تنقص خزائنه عن اعطاء شئ (ولا يستنفذه سائل) استنفذه اى جعله نافذ المال ، لا شئ عنده فان السائلين لا يتمكنون من ذلك ، اذ لا ينفذ ما لديه تعالى (ولا يستقصيه نائل) استقصا ، بمعنى اتى على آخر ما عنده ، اى ان الذين ياخذون منه لا ياتون على آخر ما عنده تعالى ، اذ عطائه ابدى لا آخر له .

(ولا يلويه شخص عن شخص) فاذا توجّه سبحانه الى شخص لم يكن ذلك سببا لأن ينصرف و يميل عن التوجه الى الآخرين (ولا يلهيه صوت عن صوت) الهاء بمعنى اشغله ، فانّ اللّه سبحانه يسمع جميع الأصوات فى آن واحد ، لا كالانسان الذى اذا استمع الى صوت لم يقدر ان يستمع الى آخر .

وَلَا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ ، وَلَا تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ ، وَلَا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ . قَرُبَ فَنَأَىٰ ، وَعَلَا فَدَنَا ، وَظَهَرَ فَبَطَنَ ،

(ولا تحجزه) اى لا تمنعه (هبة) لأحد (عن سلب) لآخر ، و بالعكس من ذلك الانسان ، فانه اذا اشتغل بالعطاء لم يتمكن من السلب ، اذ لا حواس له تفى بالجهتين و الله ليس بجسم ، فانه يعطى لهذا و ياخذ من هذا فى حال واحد .

(ولا يشغله غضب) على احد (عن رحمة) لآخر ، فانه يرحم هذا و يغضب على ذلك فى حال واحد ، (ولا تولهه) اى لا تحيّره (رحمة عن عقاب) بان يرحم احدا و يعاقب غيره ، او المراد الرحمة و العقاب بالنسبة الى انسان واحد ، فى حال واحد ، من جهتين ، كان يعطيه الحياة رحمة ، و يمرضه عقابا .

(ولا يجنّه) اى لا يستره (البطون) اى كونه تعالى مخفيا (عن الظهور) لخلقه ، بآثاره فهو باطن بذاته ، ظاهر بآثاره (ولا يقطعه الظّهور) بآثاره (عن البطون) و معنى يقطعه يمنعه ، اى ظهوره لا يمنع عن كونه باطنا .

(قرب) الى الناس علما و قدرة (فنأى) اى بعد ، فان قربه الى كل احد موجب لبعده عن مشابهة الأجسام ، اذ لو كان شبيها بالأجسام لما قرب الى كل احد ، فان نسبة الجسم لا بد و ان تختلف ، قربا الى بعض الأشياء و بعدا عن بعض الأشياء .

(وعلا) اى ارتفع عن مشابهة المخلوقات (فدنا) اليها بالعلم والقدرة ، اذ علوه سبحانه سبب قربه (وظهر) للنّاس بآثاره (فبطن) اى لم يعرف كنهه ، و الظهور سبب البطون ، اذ لو لم يكن له هذه الآثار الظاهرة ، لم يكن

وَبَطَنَ فَعَلَنَ، وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ . لَمْ يَذْرَإِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ، وَلَا اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ .

أُوصِيكُمْ، عِبَادَ اللهِ، بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ

باطنا مخفيا . فان مثل الآثار الكثيرة لا تاتى الا من الواجب وجوده . وذلك يلازم خفاء الكنه .

(وبطن) اى اختفى كنهه (فعلن) بآثاره ـ على عكس ما تقدم ـ ولا يخفى ان تعليل كل من الضدين بالآخر ، من جهة كونهما معلولا لشئ واحد فباعتبار هذا علة ذاك ، وباعتبار آخر بالعكس (ودان) اى حاسب الخلائق (ولم يدن) اى لم يحاسبه احد (لم يذر) اى لم يخلق (الخلق باحتيال) اى بتفكر وطلب علاج ، فان الحيلة بمعنى معالجة الأمر للوصول اليه .

(ولا استعان بهم) اى بالخلق (لكلال) اى ملل من التعب، كما يستعين الانسان بشخص اذا ملّ وكل عن عمله .

(اوصيكم عباد الله بتقوى الله) اى الخوف منه المسبب لاجتناب معاصيه و الاتيان باوامره (فانّها) اى التقوى (الزّمام) الذى ياخذ بها الانسان ليوجهه نحو السعادة ، مثل زمام الفرس وشبهه (والقوام) اى ما يقوّم الانسان ، فلا ينحرف ولا يضل .

(فتمسّكوا بوثائقها) اى اعتصموا بالأمور الوثيقة المحكمة من التقوى ، التى ليس فيها رياء ونفاق وبدعة (واعتصموا بحقائقها) اى بالتقوى الحقيقية ، لا مثل الوسوسة التى توجب كثرة تطهير الانسان ليده وثوبه ، فيسمى فى العرف متقيا ، وليس به (تؤل بكم) تلك التقوى ، اى تصيّركم وتنتهى بامركم (الى اكنان الدّعة) اكنان جمع كن بالكسر وهو ما يستكن به ، والدعة خفض العيش

وَأَوْطَانِ السَّعَةِ، وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ وَمَنَازِلِ الْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ ، وَيُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ. وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ ،

وسعته .

(واوطان السّعة) اى المحلات التى هى وسيعة من حيث المساحة ومن حيث النعمة وما اشبه (ومعاقل الحرز) جمع معقل بمعنى الحصن ، والحرز الحفظ من كل آفة وبلاء (ومنازل العزّ) الموجبة لعزّة الانسان فلا ذلّة فيهـا (فى يوم تشخص فيه الأبصار) وذلك يوم القيامة ، وشخوص البصر كناية عن دهشة الانسان ، فان الشخوص بمعنى السفر ، والمراد هنا حركة الأبصار هنا وهناك لتجد ملجاء ومفرّا ، كما هو شان الخائف .

(وتظلم له) اى لذلك اليوم (الأقطار) جمع قطر ، بمعنى : القطعة من الأرض ، او اطرافها ، فان فى يوم القيامة تشمل ظلمة حالكة المحشر ـ كما ورد ـ .

(ويعطل فيه صروم) جمع صرمة ، وهى : القطعة من الابل من عشرة الى خمسين (العشار) جمع عشراء ، وهى : الناقة مضى لحملها عشرة اشهر ، وحيث انّ الابل من نفائس اموال العرب كنى بذلك عن شدّة الهول المسيطرة على الموقف ، حتّى انّ النّاس يذهلون عن اهم وانفس اموالهم ، فلا يراعونها ، اذ التعطيل معناه الاهمال قال سبحانه : ((واذ العشار عطّلت))

(وينفخ فى الصّور) وهو بوق ينفخ فيه اسرافيل مرتين مرة عند انقضاء الدنيا فيموت كل انسان ، ومرّة عند قيام الآخرة ، فيحيى كل انسان .

(فتزهق كلّ مهجة) المهجة النفس ، ومعنى زهوقها دهشتها ، كانّها زاهقة باطلة ، لا تقدر ان تعمل شيئا (وتبكم) الأبكم الأخرس (كلّ لهجة)

وَتَدِكَ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ ، والصُّمُّ الرَّوَاسِخُ ،فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً ،وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً ، فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ ، وَلَا حَمِيمٌ يَدْفَعُ وَلَا ، مَعْذِرَةٌ تَنْفَعُ .

اى لسان ، فلا يتكلم انسان من الخوف (وتدك الشّم) جمع اشم ، بمعنى : الرفيع (الشوامخ) جمع شامخ ، وهو الكثير الارتفاع ، والمراد بذلك الجبال ، ودكها عبارة عن نسفها حتى تكون كالصوف المندوف كما قال سبحانه : ((ودكت الجبال دكا دكا)) .

(والصّم) جمع اصم ، وهو المحكم الذى لا تجويف فيه (الرّواسخ) جمع راسخ ، بمعنى الثابت الذى لا يضطرب ، وهذا عبارة اخرى عن الجبال (فيصير صلدها) اى الصلب الأملس من الجبال (سرابا) اى كالسراب ، الذى هو شبه الماء فى طرف الأفق ، وليس بماء ، قال سبحانه : ((و سيرت الجبال فكانت سرابا)) .

(رقرقا) اى مضطربا ، ومنه يسمى الماء الرقراق ، لأنه لا يستقر(ومعهدها) اى محل الجبال الذى كان يعهد وجودها فيه (قاعا) القاع المطمئن من الأرض الذى لا نتوء فيه (سملقا) اى مستويا ، كما قال سبحانه : ((لا ترى فيهاعوجا ولا امتا)) (فلا شفيع يشفع) لمن لا يستحق الشفاعة ، فان الشّفاعة هناك ليست كالشفاعة فى الدنيا يشفع كل انسان لصديقه ، بل ((لا يشفعون الاّ لمن ارتضى)) (ولاحميم) اى صديق (يدفع) الأهوال والعذاب عن الانسان (ولا معذرة) اى عذر (تنفع) حتى تخلّص صاحبها عن العذاب ، اذا كان مستحقّا له .

رَمِنْ خطبة له عليه السّلام

بعثة النبي

بَعَثَهُ حِينَ لَا عَلَمٌ قَائِمٌ ، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ ، وَلَا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ .
أُوصِيكُمْ ، عِبَادَ اللهِ ، بِتَقْوَىٰ اللهِ ، وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ ، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ ،

وَمِنْ خُطبَة له عليه السّلام

حول : بعثة الرسول (ص) ، و موعظة الناس

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(بعثه) اى ارسل الله رسول الاسلام صلى الله عليه و آله (حيث لا علم قائم) اى دين و شريعة تكون علما للنّاس يهديهم الى الطريق الموصل الى السعادة ، تشبيها باعلام الطرق التى توضع لتدل عليها (و لا منار ساطع) المنار الموضع المرتفع الذى يوضع عليه النور ليلا ليهتدى المارّة الى الطريق ،والى محلّ الضيافة ، و الساطع المرتفع الظاهر (و لا منهج) اى طريقة (واضح) يعرفه الانسان فيسلكه ليوصله الى السّعادة .

(اوصيكم) يا (عباد اللّه بتقوى اللّه) الخوف منه ، الموجب لعبادته و طاعته و اجتناب معاصيه .

(و احذّركم الدّنيا) اى اخوّفكم من التلوّث بالدنيا الموجبة لذهاب آخرتكم (فانّها دار شخوص) اى الذهاب و الانتقال ، لا يبقى الانسان فيها (و محلّة تنغيص) اى محلّ ينغّص عيش الانسان بالهموم و الاكدار (ساكنها ظاعن) اى

وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ ، تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ ، فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ ، وَمِنْهُمُ النَّاجِي عَلَىٰ بُطُونِ الْأَمْوَاجِ ، تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَىٰ أَهْوَالِهَا ، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَىٰ مَهْلَكٍ !

عِبَادَ اللهِ ، الْآنَ فَاعْلَمُوا ،

مسافر ، فانّ الانسان و انكان ساكنا فيها ، فانه لابد و ان يسافر الى الآخرة (و قاطنها) اى الذى قطن و سكن فيها (بائن) اى مبتعد منفصل عنها ، بعد قليل ، و ذلك حين يموت .

(تميد) اى تضطرب (باهلها ميدان السفينة) اى مثل اضطراب السفينة فى امواج البحار ، فانها تقلب الناس من حال الى حال (تقصفها) ،اى تكسرها (العواصف) جمع عاصفة ، و هى الريح الشديدة (فى لجج البحار) جمع لجة و هى وسط البحر .

(فمنهم الغرق) الذى غرق عند انكسار سفينته (الوبق) اى الهالك ، و هم الذين غرّتهم الدنيا فتعاطوا المحرمات ، حتى افسدوا آخرتهم .

(و منهم النّاجى على بطون الأمواج) بان ركب قطعه من الأخشاب المتكسرة من السفينة و بقى على بطن الموج لا يدرى مصيره و مسيره (تحفزه) اى تدفعه (الرّياح باذيالها) جمع ذيل ، اى اطرافها (و تحمله) الرياح (على اهوالها) فهول الغرق ، و هول ان يكون طعمة للأسماك ، و هول البقاء فى البحر حتى يموت بلا اكل و استراحة .

(فما غرق منها) اى من السفينة بمن فيها (فليس بمستدرك) اى لا يمكن ان يدركه الانسان و ينجيه (و ما نجا منها فالى مهلك) اى الناجى غالبا ، يبقى فى البحر حتى يهلك و يموت .

وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالْاعْضَاءُ لَدْنَةٌ ، وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ ، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ . فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ .

يا (عباد الله ، الآن فاعملوا) للنجاة من اهوال الآخرة ، وانتم فى الدنيا (والألسن مطلقة) يمكنكم الذكر والتسبيح والنطق بالخير ، قبل قيد الألسن عند الموت (والأبدان صحيحة) تتمكنون من عمل الخير والعبادة (والأعضاء) اى الجوارح (لدنة) اى لينة تطيعكم ، قبل ان تيبس ولا تتحرك (والمنقلب فسيح) اى ان مكان الانقلاب من الضلال الى الهدى واسع يمكنكم ذلك .

(والمجال عريض) اى واسع يمكنكم التدارك لما فات منكم (قبل ارهاق الفوت) ارهقه الشئ اى اتعبه ، والفوت ذهاب الفرصة بحلول الأجل ،و وصول الموانع (وحلول الموت) اى مجيئه

(فحققوا عليكم نزوله) اى اجعلوه كالمحقق الكائن لا محاله ، ولا تكونوا غافلين كالذين لا يهتمون بالموت كانهم شاكون فيه (ولا تنتظروا قدومه) حتى تعملوا ، بل اعملوا قبل ان يرد الموت بكم ، كالذى يعمل للضيف قبل نزوله به

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ أَنِّي لَمْ أُرِدَّ عَلَى اللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ . وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيه قصّته مع الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ويحرض أصحابه على الجهاد .

(ولقد علم المستحفظون) اى الذين اودعهم النبى صلى الله عليه وآله علمه وامانته ، والعلماء الذين استحفظوا الدين فان استحفظ متعد ، وليس بلازم (من اصحاب محمّد صلى الله عليه وآله انّى لم اردّ على اللّه) بان لا اقبل له حكما ، كما كان بعض الصحابة يفعل ذلك (ولا على رسوله) بان يامر النبى بامر فلا اطيعه ،كما كان غيرى يفعل ذلك ، والفرق ان الأول ردّ لحكم من احكام القرآن ، والثانى ردّ لأمر من اوامر الرسول صلى الله عليه وآله (ساعة قطّ) اى ابدا ، حتى فى لحظة واحدة ، فان الساعة لغة بمعنى : الجزء من الزمان .

(ولقد واسيته) اى الرسول صلى الله عليه وآله (بنفسى) بان اشركت نفسى مع الرسول صلى الله عليه وآله فى الشّدة ، اوقدّمت نفسى لاقى الرسول فان المواسات تستعمل فى الأمرين (فى المواطن التى تنكص فيها الأبطال) نكص

وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا ٱلْأَقْدَامُ ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي ٱللهُ بِهَا .

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَىٰ صَدْرِي . وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي ، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَىٰ وَجْهِي . وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ ـ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ وَٱلْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي ، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَةُ : مَلَأٌ يَهْبِطُ ، وَمَلَأٌ يَعْرُجُ ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ ،

بمعنى فرّ ، ولم يقدم (وتتاخّر فيها الأقدام) جمع قدم ، وذلك كيوم حنين وخيبر واحد وغيرها ، ممن فرّ الصحابة فيها ، وثبت الامام كالجبل الاشم ، يدافع عن الرسول صلى الله عليه وآله حتى قال ابن ابى الحديد يصف شيخيه : ((لو يكن فيهما شجاعة قرم)) ((فلماذا فى الدين ما بذلاها)) .

(نجدة) اى كانت تلك الاقدامات نجدة ، وشجاعة (اكرمنى الله بها) اذ الانسان لا يكرم الا عند الامتحان اذا نجح .

(ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله) اى قبض الله روحه عن جسده (وانّ راسه لعلى صدرى) وهذا البيان انه كان مع الرسول صلى الله عليه وآله الى آخر لحظة من لحظات حياته صلى الله عليه وآله وسلم . (ولقد سالت نفسه) اى روحه الطاهرة (فى كفّى) فانّ الرّوح كما ثبت جسم لطيف ـ من قبيل الهواء و الضّياء ـ يراها اولياء الله تعالى (فامررتها على وجهى) تبركا بها (ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله) اى فوض الى غسله صلى الله عليه وآله .

(والملائكة اعوانى) فى التغسيل (فضجّت الدّار والأفنية) اى ازدحمت بالملائكة ، وافنية جمع فناء ، وهو ما اتسع من الدار والساحة (ملأ) اى جمع من الملائكة (يهبط) اى ينزل الى الأرض (وملأ يعرج) اى يصعد الى السماء (وما فارقت سمعى هينمة) هى الصوت الخفى (منهم) اى من الملائكة

يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ . فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَ مَيِّتاً ؟ فَانْفُذُوا عَلَىٰ بَصَائِرِكُمْ ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ . فَوَالَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَىٰ جَادَّةِ الْحَقِّ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَىٰ مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ . أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ !

(يصلّون عليه) اى على الرسول صلى الله عليه و آله (حتّى واريناه) اى دفنّاه (فى ضريحه) اى قبره .

(فمن ذا احق به منّى حيّا و ميّتا) حتى ياخذ مقامه بعده ؟ .

(فانفذوا على بصائركم) اى سيروا الى العدو عن بصيرة بامامكم ، لا ريبة فى قلوبكم من الأمر (و لتصدق نياتكم فى جهاد عدوكم) لا ان تكون نياتكم مدخولة بالشك فى صحة هذا الجهاد وعدمه (فو الذى لا اله الاّ هو انّى لعلى جادة الحقّ) الموصلة اليه (و انهم) اى الأعداء (لعلى مزلّة الباطل) مكان الزلل الموجب للسقوط فى الهلكة (اقول ما تسمعون) هذا كتاكيد للمطلب ، و اصله ان الانسان يمكن فيه الاشتباه ، فاذا قال مثل هذه الكلمة اراد افادة انه واع لكلام نفسه ، لا اشتباه و لا غفلة عنده (و استغفر اللّه) اى اطلب غفرانه (لى و لكم) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ ، وَاخْتِلَافَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ ، وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللهِ ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ .

ومن خطبة له عليه السلام

فى علم الله ، و الحثّ على التقوى ، و بيان فضل الاسلام ، و الرّسول ، و القرآن .

(يعلم) سبحانه (عجيج الوحوش فى الفلوات) عجيج الوحش اصواتها ، و فلوات جمع فلات ، بمعنى الصّحراء (و معاصى العباد فى الخلوات) حيث ليس هناك احد يطلع عليها (و اختلاف النّينان) جمع نون ، بمعنى الحوت و اختلافها ذهابها و مجيئها و حركتها (فى البحار الغامرات) اى العميقة الكثيرة الماء (و تلاطم الماء) اى تحركه و اضطرابه (بالرّياح العاصفات) الّتى تعصف اى تهب بشدّة .

(و اشهد انّ محمّدا نجيب الله) اى مختاره الذى انتجبه (و سفير وحيه) اى الواسطة الذى ياخذ الوحى من ناحيته تعالى ، ليوصله الى العباد (و رسول رحمته) الذى بعثه ليرحم العباد ببيان المنهاج المسعد للانسان فى دنياه و آخرته .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَىٰ رَغْبَتِكُمْ ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ . فَإِنَّ تَقْوَىٰ اللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ ، وَبَصَرُ عَمَىٰ أَفْئِدَتِكُمْ ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ ،

فانّ منهاج الاسلام يوجب للانسان الخلاص من كل هم وحزن ، وكل مشكلة و عقدة في الحياة الدنيوية ، اما الآخرة فالاسلام كفيل بالجنّة للمسلم العامل .

(امّا بعد) الحمد و الصلاة (فانّى اوصيكم بتقوى اللّه الّذى ابتدا خلقكم) بان كان مبرئكم منه (و اليه يكون معادكم) اى عودكم ، و معنى ((اليه)) الى حكمه و قضائه و حسابه (و به نجاح طلبتكم) فان طلب الانسان لا ينجح الاّ بارادة اللّه سبحانه (و اليه منتهى رغبتكم) فان انتهاء رغبة الانسان الكمال المطلق الذى لا يتاتى الا من قبله سبحانه (و نحوه) تعالى (قصد سبيلكم) فانّ طريق الانسان ينتهى الى جنابه تعالى ــ اى الى ثوابه وعقابه ــ (و اليه مرامى مفزعكم) مرمى الفزع ما يدفع اليه الخوف ، و هو الملجأ الذى يتوجّه اليه الانسان ليامن من خوفه و المفزع مصدر ميمى .

(فانّ تقوى اللّه دواء داء قلوبكم) و داء القلب الرّذائل ، فاذا اتّقى الانسان ذهبت الرذيلة عن قلبه ، لأنها منهية للّه سبحانه فيتركها الانسان حسب تقواه (و بصر عمى افئدتكم) جمع فؤاد ، و هو القلب ، فانّ القلب غير المتّقى اعمى لا يبصر العواقب ، فاذا اتّقى الانسان ابصر قلبه حقائق الأمور و عواقبها .

(و شفاء مرض اجسامكم) فان الأمراض غالبا ولائد المحرّمات و ما اشبه ، فاذا اتقى الانسان شفى جسمه ــ و لذا يكون الطابع العام للمجتمع المتدين الصحة ، و للمجتمع غير المتدين المرض ــ . (و صلاح فساد صدوركم) بالحقد

وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ ، وَجِلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ . فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ ، وَدَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ ، وَمَنْهَلًا لِحِينِ وُرُودِكُمْ ، وَشَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ ، وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ ،

و الغل و الكبر و ما اشبه ، فانّ التقوى تذهب امراض الصّدر (و طهور دنس انفسكم) فلا تكون نفوسكم جبانة او بخيلة او ما اشبه .

(و جلاء غشاء ابصاركم) العشوة الضعف فى البصر و جلائها ذهابها (وامن فزع جاشكم) الجاش ما يضطرب فى القلب عند الفزع ، فان التقوى حيث توجب تعلق الانسان بالخالق ، تامن من الأهوال و الفزع (و ضياء سواد ظلمتكم) اى ظلمة الكفر و العصيان .

(فاجعلوا طاعة اللّه شعارا) هو الثوب اللاصق بالجلد ، و المراد ان تكون التقوى فى القلب (دون دثاركم) هو الثوب ما فوق الشعار ، اى لا ظاهرا فحسب ، كما فى المنافق الذى يظهر الايمان و يبطن الكفر و النفاق .

(و دخيلا) اى داخلا فى انفسكم (دون شعاركم) اى لا ملاصقا بالجسم فحسب (و لطيفا بين اضلاعكم) اى فى قلبكم الذى هو بين الأضلاع (و اميرا فوق امورکم) فكل ما رضى به التقوى ائتوا به و ما لم ترضه اتركوه (و منهلا) هو ما يرده الشارب من الماء للشّرب (لحين ورودكم) اى وقت ورودكم فى الماء ، و المعنى خذوا الأمور من نحو التّقوى لا كيف ما كان .

(و شفيعا لدرك طلبتكم) فانّ التقوى توجب ان يدرك الانسان مطلبه قال سبحانه : ((و من يتّق اللّه يجعل له مخرجا)) (و جنة ليوم فزعكم) فاذا خاف الانسان المتقى نجّاه الله سبحانه (ومصابيح لبطون قبوركم) فان القبر مظلم و

وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ ، وَنَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ، وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ. فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا ، وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا ، وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا ، وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا ، وَهَطَلَتْ

ضيائه التّقوى .

(وسكنا) اى انيسا (لطول وحشتكم) فى القبر ، فانّ قبر غير المتقى موحش (ونفسا) اى موجبا لخروج الهم (لكرب) جمع كربة ، بمعنى : الهم (مواطنكم) ، فانّ الانسان لابد وان يتوجه اليه الهم والغم ، فاذا كان متّقيا نفس كربه وازيل همّه .

(فانّ طاعة اللّه حرز) اى حافظ (من متالف مكتنفة) متالف جمع متلف ، اى محل التلف ، ومكتنفة المحيطة بالانسان .

(ومخاوف) جمع مخوف مصدر ميمى (متوقّعة) اى اقسام متوقّعة من الخوف (واوار) حرارة النّار ولهيبها (نيران موقدة) والمراد نيران الحروب الحروب والفتن ، وانما شبهت بالنّار لأنها توجب حرارة جسم الانسان ، وافناء الأشياء كما انّ النّار توجب ذلك ، وايقاد النّار اشعالها .

(فمن اخذ بالتقوى عزبت) اى بعدت وغابت (عنه الشّدائد بعد دنوّها) واقترابها ، فانّ الله سبحانه يكفى المتقى امره ، ويجعل له مخرجا من حيث لا يحتسب .

(واحلولت له الأمور) اى صارت حلوا (بعد مرارتها) فانّ امر المتّقى الى خير (وانفرجت عنه الأمواج) اى امواج الفتن والبلايا (بعد تراكمها) اى تجمّعها (واسهلت له الصّعاب) اى سهلت له المشكلات (بعد انصابها) اى اتعابها لهذا الشخص (وهطلت) اى انصبت كالمطر .

عَلَيْهِ ٱلْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا ، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا ، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا ، وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ ٱلْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا .

فَٱتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَٱمْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ . فَعَبَّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ ، وَٱخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ . ثُمَّ إِنَّ هٰذَا ٱلْإِسْلَامَ دِينُ ٱللهِ ٱلَّذِي ٱصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَٱصْطَنَعَهُ عَلَىٰ عَيْنِهِ ،

(عليه الكرامة بعد قحوطها) اى كونها قحطا لا توجد (و تحدّبت) اى عطفت (عليه الرّحمة بعد نفورها) اى شرودها عنه (و تفجّرت عليه النّعم) جمع نعمة و تفجّرها كناية عن كثرتها كما تتفجّر العيون (بعد نضوبها) يقال نضب الماء اذا غار فى الأرض و ذهب (و وبلت عليه البركة) الوابل المطر الشّديد (بعد ارذاذها) الرذاذ المطر الضعيف .

(فاتّقوا اللّه الّذى نفعكم بموعظته) حيث ارشدكم الى مواقع السّعادة ، و مواقع الشّقاء (و وعظكم برسالته) التى ارسلها اليكم بواسطة الأنبياء (و امتنّ عليكم) اى منّ عليكم (نعمته) و فضله .

(فعبّدوا) اى ذلّلوا (انفسكم لعبادته) و طاعته (و اخرجوا اليه من حقّ طاعته) و حقّ الطاعة ان يطيع الانسان فى كلّ ما امر سبحانه و نهى (ثمّ) لتراخى الكلام ، لا لفصل الزمان بين الكلامين (انّ هذا الاسلام دين اللّه الّذى اصطفاه لنفسه) اى اختاره لأن يكون سبيلا الى رحمته سبحانه فى الدّارين .

(و اصطنعه) اى صنعه ، بان قرّر مناهجه (على عينه) هذا كناية عن اكماله ، كما ان من ينظر الى الشئ الذى يصنعه لابد و ان ياتى ذلك الشئ وفق مراده ، فان اصطناع الشئ على العين الأمر بان يضع تحت النظر ، خوف المخالفة فى المطلوب ان صنع بعيدا عن النّظر .

وَأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ. أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ ، وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ. وَسَقَىٰ مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ ، وَأَتْأَقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ ،

(و اصفاه) اى اعطى الاسلام (خيرة خلقه) اى خير البرية ، و هو الرسول صلى الله عليه و آله ، ليبلغه للنّاس (و اقام دعائمه) اى دعائم الاسلام و هى اركانه و احكامه (على محبّته) اى محبّة الرّسول صلّى اللّه عليه و آله ، فانه لا يقبل الاسلام بدون حبّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله (اذلّ الأديان) السابقة كاليهودية و المسيحية (بعزّته) اى بسبب ان اعز الاسلام و لم يقبل سواه (ووضع الملل) التى لا تعانق الاسلام (برفعه) اى بسبب ان رفع الاسلام ، فانمن الطبيعى ان الشئ اذا ارتفع على اقرانه ، انخفضوا .

(و اهان اعدائه) اى اعداء الاسلام (بكرامته) اى بسبب ان كرم الاسلام فان الشئ اذا اكرم كان ملازما لاهانة من ناواه (و خذل محادّيه) جمع محاد ، و هو الشديد المخالفة (بنصره) اى بنصر الاسلام .

(و هدم اركان الضّلالة بركنه) اركان الضلاله طرقها و اتباعها ، فانه حيث جعل للاسلام طرق لم يبق للضلالة طرق مشروعة ، و انما جاء الناس الى طرق الاسلام .

(و سقى من عطش) الى الايمان و الفضيلة (من حياضه) جمع حوض ، و المراد معارف الاسلام و احكامه (و اتاق الحياض) اى املأ حياض الاسلام من تئق الحوض بمعنى امتلأ (بمواتحه) جمع ماتح ، و هو الذى ينزع الماء من البئر للحوض و نحوه (ثمّ جعله لا انفصام لعروته) العروه يد الابريق و نحوه ، و المعنى ان من تمسك بالاسلام ، لا ينقطع عنه الخير ، اذ لا انقطاع له .

وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ ، وَلَا انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ ، وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ ، وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ ، وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ ، وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ ، وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصْبَاحِهِ ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ . فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ

(ولا فكّ لحلقته) التى يتمسك بها الانسان ليجره الى السعادة فى الدارين (ولا انهدام لأساسه) كما يهدم اساس البناء ، بان ياتى دين جديد فيهدم الاسلام (ولا زوال لدعائمه) اى احكامه (ولا انقلاع لشجرته) معارف الاسلام واصوله وفروعه (ولا انقطاع لمدّته) اذ هو باق الى يوم القيامة

(ولا عفاء) اى لا دروس ولا اضمحلال (لشرائعه) جمع شريعة ، اى احكامه وسائر ما يتعلق به (ولا جذّ) اى لا قطع (لفروعه) بل فروعه باقية لا تغير (ولا ضنك) اى لا ضيق (لطرقه) بل طرقه واسعة ، كناية عن سهولة الأحكام وعدم العسر فيها .

(ولا وعوثة لسهولته) الوعوثة رخاوة فى الأرض تغوص بها الأقدام عند السير فيعسر المشى فيه .

(ولا سواد لوضحه) الوضح بياض الصبح ، فلا انحراف لأحكام الاسلام ، حتى يكون كالسواد فى بياض الصبح (ولا عوج) والتواء (لانتصابه) اى : لاستقامته (ولا عصل) هو الاعوجاج الذى يصعب تقويمه (فى عوده) تشبيه للاسلام بعود مستقيم لا عوج فيه (ولا وعث) الوعث الطريق الذى يعسر فيه المشى (لفجّه) الفج الطريق الواسع بين جبلين .

(ولا انطفاء لمصباحه) فنور الاسلام باق ابد الدهر (ولا مرارة لحلاوته) فالاسلام حلو الأصول والفروع (فهو دعائم اساخ) اى اثبت (فى الحق

أَسْنَاخَهَا ،وَثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا ، وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا ، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا ، وَمَنَارٌ اُقْتُدِيَ بِهَا سُفَّارُهَا ، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا ، وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا . جَعَلَ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ ؛ فَهُوَ عِنْدَ اللهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ ،

اسناخها) جمع سنخ ، بمعنى : الأصل ، فاصوله نابتة فى الحق لا فى الباطل (و ثبت لها) اى للدعائم (اساسها) فهى محكمة متقنة (و) هو (ينابيع) جمع ينبوع ، بمعنى : العين (غزرت) اى كثرت (عيونها) من الماء (و) هو (مصابيح شبّت) ارتفعت من الايقاد (نيرانها) فضوئه عال مرتفع (و) هو (منار) هو المحل المرتفع الذى يوضع فيه النور لهداية المارّة .

(اقتدى بها سفّارها) اى ذوو السفر ، و هم المسافرون ليلا ، و الضمير عائد الى النيران ، و الاقتداء بها معرفة الطريق بسببها (و اعلام) جمع علم ، و هو ما ينصب فى الطريق ليهتدى به المسافر (قصد بها) اى بسبب تلك الأعلام (فجاجها) جمع فج ، و هو : الطريق ، و كانّ المنار لليل و الأعلام للنّهار .

(و مناهل) جمع منهل ، محل الشرب الماء (روى بها) من الظمأ (و رادها) اى من وردها لشرب الماء .

(جعل) سبحانه (فيه) اى فى الاسلام (منتهى رضوانه) فمن عمل به رضى اللّه عنه (و ذروة دعائمه) الذروة المحل المرتفع من الشئ فكان الأديان دعائم ، و الاسلام ذروتها .

(و سنام طاعته) السنام من البعير الموضع المرتفع فى ظهره ويشبه به كلشئ مرتفع (فهو عند اللّه وثيق الأركان) اى محكم الأصول و الفروع (رفيع البنيان)

مُنِيرُ ٱلْبُرْهَانِ ، مُضِيءُ النِّيرَانِ ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ ، مُشْرِفُ ٱلْمَنَارِ، مُعْوِزُ ٱلْمَنَارِ . فَشَرِّفُوهُ وَٱتَّبِعُوهُ ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ .

ثُمَّ إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ بِٱلْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا ٱلِٱنْقِطَاعُ ، وَأَقْبَلَ مِنَ ٱلْآخِرَةِ ٱلِاطِّلَاعُ ،وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَىٰ سَاقٍ ، وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ،

فلا بناء مثله في الرفعة (منير البرهان) دليله واضح لا خفاء فيه (مضيء النيران) فمصابيحه موقدة (عزيز السّلطان) اى رفيعه الذى لا يغالب (مشرف المنار) اى مناره مرتفع يشرف على الطرق لهداية النّاس .

(معوز المثار) اى لو اراد احد اثارة هذا الدين ، بان يخلطه ويحرفه ،لا يتمكن من ذلك ، من اعوذ اذا احتاج اليه فلم ينله ، والمثار مصدر من ثار الغبار اذا هاج .

(فشرفوه) اى تشرفوا به (واتّبعوه) بالتزام احكامه (وادّوا اليه حقّه) من الأخذ به ، والدّعوة اليه (وضعوه مواضعه) اى لا تحرّفوا احكامه .

(ثمّ انّ اللّه) سبحانه (بعث محمّدا صلّى اللّه عليه وآله بالحقّ حين دنا من الدنيا الانقطاع) اى قبل آخر الدنيا ، فان الرسول صلى الله عليه وآله من علائم السّاعة (واقبل من الآخرة الاطّلاع) اى الاتيان ، يقال اطلع فلان علينا اى اتانا .

(واظلمت بهجتها) اى بهجة الدنيا (بعد اشراق) فقد اشرقت الدنيا بوجود الأنبياء السابقين ، فلما اظلمت بفقدهم وترك النّاس احكام اللّه سبحانه جاء الرسول ليشرقها من جديد .

(وقامت باهلها على ساق) اى حاربتهم ، يقال : قامت الحرب على ساق اذا استعرت (وخشن منها) اى من الدّنيا (مهاد) فلم يتمكنوا من

وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ، فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَاقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَانْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وَانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ اللهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ، وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ،

الاستراحة عليها، كما اذا خشن فراش الآثام (و ازف منها قياد) ازف اى قرب و المعنى اقترب من الدنيا ان تنقاد للزوال.

(فى انقطاع من مدّتها) اى انّ الدنيا انقطعت من مدتها المقرّرة لها، كانّها انقضى اجلها و اقتربت من القيامة (و اقتراب من اشراطها) اى علائم زوالها.

(و تصرم من اهلها) اى تقطع من اهل الدنيا فانهم ذهبوا الى الآخرة (و انفصام من حلقتها) اى انقطعت الروابط بين الدنيا و بين اهلها فلاهم يتنعمون فيها، ولا هى تعمّر بهم (و انتشار من سببها) اى تفرق اسباب الحياة فى الدّنيا حتّى لا تضبط، و كلما تقلص النظام صارت الأسباب منتشرة لا ينتفع بها (وعفاء) اى انطماس (من اعلامها) جمع علم، و هى النصب التى توضع فى الطريق للدلالة على الطريق.

(و تكشف) اى ظهور (من عوراتها) اى سيّئات الدنيا كالفقر و الحرب و المرض وما اشبه (وقصر من طولها) فانّ الدنيا اقتربت من الآخرة، و ذهب جزء منها او انّ الأعمار صارت قصيرة بسبب الفوضى السائدة فيها (جعله اللّه) الضّمير للرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (بلاغا لرسالته) اى سببا لأن يبلغ النّاس رسالة الله تعالى.

(و كرامة لأمته) فانّ المسلمين علت منزلتهم بسبب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم (و ربيعا لأهل زمانه) فكما ان الربيع يوجب انعاش اهله، كذلك

وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ ، وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ . ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ ، وَسِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ ، وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ ، وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ ، وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ ، وَفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ ، وَتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ ، وَعِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ ، وَحَقّاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ . فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ ،

الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان ربيعا للنّاس (و رفعة لأعوانه) فانّهم ارتفعت مكانتهم (و شرفا لأنصاره) عظموا به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و صارت لهم عزّة و سيادة .

(ثمّ انزل) اللّه سبحانه (عليه) صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (الكتاب) اى القرآن الحكيم (نورا لا تطفا مصابيحه) اى احكامه و ارشاداته (و سراجا لا يخبو) اى لا يطفئ (توقّده) اى اشتعاله (و بحرا لا يدرك قعره) من العمق و الغور (و منهاجا) اى طريقا الى الحق (لا يضلّ نهجه) اى لا يسبب ضلال النّاس الذين تمسكوا به .

(و شعاعا لا يظلم ضوءه) فضوئه مستمر موجب للهداية (و فرقانا) اى فارقا بين الحقّ و الباطل (لا يخمد برهانه) بل دليله باق الى الأبد (و تبيانا) اى بيانا للحق (لا تهدم اركانه) اى شرائعه و احكامه (و شفاء ا) لأمراض القلب و امراض الجسم و امراض المجتمع (لا تخشى اسقامه) اذ لا يوجب سقما ومرضا ، حتى يخشى من ذلك .

(و عزّا لا تهزم انصاره) فى ميدان الاستدلال و الاحتجاج اذ حجّته فوق كلّ حجّة (و حقّا) مطابقا للواقع (لا تخذل انصاره) فانصاره غالبون دائما لا يغلب احد عليهم (فهو) اى القرآن (معدن الايمان) اى المحل الذى يؤخذ منه الايمان (و بحبوحته) اى وسط الذى يوجد فيه معظمه .

وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ، وَأَثَافِيُّ الْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ. وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ، وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ، وَمَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ، وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

(وينابيع العلم) جمع ينبوع ، بمعنى : العين (وبحوره) التى لا تنزف (و رياض العدل) جمع روضة ، بمعنى الحديقة ، او محل الماء (و غدرانه) جمع غدير ، و هو الموضع المنخفض الذى يجتمع فيه ماء المطر و نحوه ، يعنى انّ كل مطلب من مطالب الكتاب عدل لا ظلم و لا زيغ فيه (و اثا فى الاسلام) جمع اثفية ، و هى الحجر الذى يوضع عليه القدر ليطبخ اى ان القرآن اساس الاسلام (و بنيانه) اى هيكل بنائه فهو الأصل و الفرع .

(واودية الحقّ) جمع وادى ، و هو الشط (وغيطانه) جمع غوط بمعنى المكان المطمئن من الأرض يزكو نبته لاجتماع المياه فيه .

(و بحر لا ينزفه) اى لا يتم مائه (المستنزفون) اى الآخذون لمائه (و عيون لا ينضبها) اى لا يتمها (الماتحون) اى آخذون الماء منها ، جمع ماتح وهو نازع الماء من البئر ونحوها (و مناهل) جمع منهل محل الشرب من النهر و نحوه (لا يغيضها) اى لا ينقصها (الواردون) الذين يردونها للشرب .

(و منازل لا يضل نهجها المسافرون) فان من اراد السفر الى الحق يرى الطريق اليه مستقيما بسبب القرآن الحكيم (و اعلام) جمع علم ، و هو العلامة التى تنصب فى الطريق للدلالة عليه (لا يعمى عنها السّائرون) لأنها واضحة جلية فلا تخفى على من اراد السير (و آكام) جمع اكمة ، و هو الموضع المرتفع فى الصّحراء (لا يجوز عنها) بل يحطون الرحال عليها (القاصدون) فان السائر ينزل فى المرتفعات لأنها انظف و اشرف .

جَعَلَهُ اللهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ ، وَحَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَهُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ ، وَعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ ؛

(جعله الله) الضمير للقرآن (ريّا للعطش العلماء) لأنّ فيه من العلوم ما يرتوى العاطش للعلم بسببه (و ربيعا) اى منعشا (لقلوب الفقهاء) الّذين يريدون فهم الحقائق و معرفتها (و محاجّ) جمع محجة . بمعنى الطريق (لطرق الصلحاء) فان الصالح الذى يريد السير الى الله سبحانه يكون القرآن طريقه الموصل له الى ما يريد .

(و دواءا ليس بعده داء) و مرض (و نورا ليس معه ظلمة) اذ القرآن ينير سبيل الحق كاملا (و حبلا وثيقا) اى محكما (عروته) و هى الحلقة الّتى فى الحبل اذا تمسّك الانسان بها اوصلها الى السّعادة و الجنّة (و معقلا) اى حصنا (منيعا ذروته) فاذا علاه الانسان يمنعه عن مكاره الدنيا و الآخرة .

(وعزّا لمن تولاّه) اى اتّخذه وليّا لنفسه (و سلما لمن دخله) يوجب سلامة دينه و ماله و سائر ما يتعلق به (و هدى) يرشده الى الطريق (لمن ائتمّ به) اى اقتدى به و جعله امامه (وعذرا لمن انتحله) اى نسب نفسه اليه .فان المنافق اذا انتحل القرآن ، كان عذرا له فلا يقتل و لا يسلب ماله و اهله (و برهانا) اى حجّة (لمن تكلم به) و جعله حجّة لكلامه .

(و شاهدا لمن خاصم به) فانه يغلب على خصمه اذا احتجّ بالقرآن (وفلجا) اى ظفرا و فوزا (لمن حاج به) المحاجة المباحثة و المجادلة ، فان من باحث

وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلْأَمَ . وَعِلْماً لِمَنْ وَعَىٰ ، وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَىٰ ، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَىٰ .

بواسطة القرآن غلب على خصمه (و حاملا لمن حمله) اى من حمل القرآن بان عمل به كان القرآن حاملا له على الخير و السعادة (و مطيّة) هى الدابة التى يركبها الانسان للوصول الى مقاصده (لمن اعمله) اى جعله بحيث يعمل فى المجتمع فانه يسبب وصول الانسان الى مقاصده .

(و آية لمن توسّم) اى اراد التفرس عن الأمور المستقبلة فان القرآن آية و دليل على ذلك (و جنّة) ما به يتقى الضرر (لمن استلائم) اى لبس الملامة و هى ادات الحرب التى يلبسها الانسان لتقيه من الأعداء (و علما لمن وعى) اى ادرك (و حديثا لمن روى) اى اراد ان يروى القصص (و حكما لمن قضى) اى اراد القضاء بين النّاس .

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا ، وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا ، وَتَقَرَّبُوا بِهَا ، فَإِنَّهَا « كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً » . أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَىٰ جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟ قَالُوا : لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ » . وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ ،

وَمِن كَلام لهُ عَليهِ السَّلام

فى الصلاة ، و الزكاة ، و الأمانة ، و الوعظ

(تعاهدوا امر الصّلاة) اى واظبوا شانها لئلا تضيع (و حافظوا عليها) بادائها فى اوقاتها (و استكثروا منها) باتيان النوافل و التبرع بها فان الصلاة خير موضوع (و تقرّبوا بها) الى اللّه سبحانه فانها معراج المؤمن (فانها كانت) الفعل لمجرد الربط ، لا بمعنى الماضى (على المؤمنين كتابا موقوتا) اى مكتوبا محتوما .

(الا تسمعون الى جواب اهل النّار) كما يحكيه القرآن الحكيم (حين سئلوا: ((ما سلككم))) اى ادخلكم (((فى سقر))) ؟ اى فى النّار (((قالوا : لم نك من المصلّين))) و هذا من اسباب دخولنا فى النّار (و انها) اى الصلاة (لتحت الذنوب) اى تسقطها (حت الورق) اى مثل سقوط اوراق الأشجار عند الخريف .

وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَقِ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ؟ وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ . يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ : «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ

(و تطلقها) اى الذنوب (اطلاق الرّبق) حبل فيه عدة عرى كل منها ((ربقة)) يربط بها الدواب ، فكان الذنوب ربق فى الأعناق فاذا صلى الانسان فكت ((ربقة)) كما تفك الربق عن اعناق الدواب .

(وشبهها) اى الصلاة (رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم بالحمّة) العين التى تنبع الماء الحار فيستشفى به من العلة (تكون على باب الرّجل فهو يغتسل منها فى اليوم و اللّيلة خمس مرّات) حسب اعداد اليومية الصبح و الظهر و العصر و المغرب و العشاء .

(فما عسى ان يبقى عليه من الدّرن) ؟ استفهام انكار اى هل يمكن ان يبقى على ذلك الرجل المغتسل كل يوم خمس مرات شئ من الأوساخ ؟ و هكذا من صلى الخمس لا يبقى عليه شئ من الذّنوب .

(و قد عرف حقّها رجال من المؤمنين) فادوها حق ادائها (الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع و لا قرّة عين) اى الأموال و الأولاد ، و يسمى الولد قرّة عين ، لأنه يوجب استقرار العين ، و ذلك يكون عند الفرح ، اما عند الخوف فان العين تضطرب هنا و هناك لتجد ملتجاءا .

(من ولد و لا مال) على اللف و النشر المشوش (يقول الله سبحانه : ((رجال لا تلهيهم) اى لا تشغلهم (تجارة و لا بيع) التجارة اعم من البيع

عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ » . وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ نَصِباً بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ ، لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ : «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا» ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ .

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا ، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً ، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً وَوِقَايَةً . فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ ،

لأنها تشمل الرهن و المزارعة و المساقات و ما اشبه (عن ذكر الله و) عن (اقام الصلاة) اصله اقامة الصلاة . مصدر باب الأفعال من اقام يقيم (((وايتاء الزكاة))) اى اعطائها (و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله . سلم نص ا) اى : اذا تعب (بالصلاة) من كثرة اتيانه صلّى الله عليه و آله و سلم بها (بعد التبشير له) من الله سبحانه (بالجنّة) و انما كانت يتعب نفسه بالصلاة مع علمه بانه يذهب الى الجنة (لقول الله سبحانه : ((و امر اهلك بالصلاة و اصطبر عليها))) اى كن صابرا فى ادائها متحمّلا للمشاق فى سبيلها (ان يامر) بالصلاة و اهله (ويصبر عليها نفسه) فلا يتركها لتعبها .

(ثم ان الزكاة جعلت مع الصّلاة قربانا) اى موجبة للتقرب الى مرضات الله سبحانه (لأهل الاسلام فمن اعطاها طيّب النفس بها) بان لم يرها مغرما ثقيلا و انما فرضا يسيرا (فانّها) اى الزكاة (تجعل له كفّارة) لذنوبه . يقال : كفر الذنب اى ستره و محاه (و من النّار حجازا) اى حاجزا و مانعا فلا تلفحه النّار (و وقاية) اى حافظا (فلا يتبعنّها احد نفسه) اى لا يكون نظره وراء تلك الزكاة لتعلق نفسه بها .

(و لا يكثرن عليها لهفه) بان يتلهف على ذلك المال المدفوع كانه شئ

فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا ، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا ، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ ، مَغْبُونُ الْأَجْرِ ، ضَالُّ الْعَمَلِ ، طَوِيلُ النَّدَمِ .

ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ ، وَالْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ الْمَنْصُوبَةِ ، فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ ، وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا . وَلَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَامْتَنَعْنَ ؛ وَلَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ ،

ذهب من يده اعتباطا (فانّ من اعطاها غير طيّب النفس بها) كانه يراه مغرما بان (يرجو بها ما هو افضل منها) من ثواب اللّه و فضله (فهو جاهل بالسنة) غير عالم بما اعدّ اللّه سبحانه لمعطى الزكاة من الأجر و الفضل (مغبون الأجر) اى منقوصه (ضال العمل) قد بطل عمله بلا فائدة تعود اليه (طويل النّدم) يندم فى الآخرة طويلا ، لماذا لم يعط عن طيب خاطر حتى ينال ثواب اللّه .

(ثمّ) لترتيب الكلام لا للتدرج فى الخارج (فقد خاب من ليس من اهلها) اى خسر من ليس مؤدّيا للأمانة (انها) اى الأمانة (عرضت على السّماوات المبنيّة) الّتى بناها اللّه بقدرته (و الأرضين المدحوة) اى المبسوطة من دحاها بمعنى : بسطها ، (و الجبال ذات الطّول المنصوبة) على الأرض (فلا اطول و لا اعرض و لا اعلى و لا اعظم منها) بالنسبة الى الكائنات الأرضية .

(و لو امتنع شئ بطول او عرض او قوة او عزّ لامتنعن) اى لو كان ظواهر الشّئ سببا لتمكنه من حمل الأمانة الذى يحتاج الى نفس قوية ، لكانت الجبال احق الأشياء بالامتناع و التمكن ، و المراد الامتناع عن الخيانة ، باداء الأمانة سالمة كما اخذت .

(و لكن اشفقن) اى خفن (من العقوبة) التى تترتب على خيانة الأمانة

وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ ، «إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولًا» .

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ . لَطُفَ بِهِ خُبْراً ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً . أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ ،

(وعقلن) اى ادركن (ما) اى الشئ الذى (جهل) ذلك الشئ (من هو اضعف منهنّ) اى من السّماوات .. الخ (و هو الانسان) فقبلها .

(انه كان ظلوما) بخيانة الأمانة بعد قبولها (جهولا) بجهل العقاب المترتّب على ذلك و كلام الامام عليه السلام اشارة الى قوله سبحانه : ((انّا عرضنا الامانة على السّماوات و الأرض و الجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)) و المراد من الآية ، اما المجاز لبيان صعوبة قبول الأمانة و ادائها او حقيقة ، بان قد عرضت الأمانه على تلك الأشياء عرض اختيار ، فلم تقبل لما علمت من صعوبتها ــ وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى كتاب ((تقريب القرآن)) فراجع ــ .

(انّ اللّه سبحانه و تعالى لا يخفى عليه ما) اى الشئ الذى (العباد مقترفون) اى عامرون به من اقترف بمعنى كسب و عمل (فى ليلهم و نهارهم لطف به) الضمير عائد الى ((ما)) (خبرا) اى علما و معنى ، اللّطف الدقة ، اى ان علمه نافذ فى دقائق الأشياء (و احاط به علما) فعلمه محيط بالأشياء لا تخرج شئ من علمه .

(اعضائكم شهود) على اعمالكم قال سبحانه : ((اليوم نختم على افواههم و تكلّمنا ايديهم و تشهد ارجلهم بما كانوا يعملون)) (و جوارحكم جنود) اى جند اللّه سبحانه يأتمرون بامره (و ضمائركم) اى سرائركم (عيونه) اى جواسيسه فاذا

وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في معاوية

وَاللّٰهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي ، وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ . وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ

فعلتم شيئا اخبرت اللّه سبحانه بذلك ، وهذا من بديع التّعبير (و خلواتكم عيانه) اى مشاهد اليه لا يخفى عليه .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى معاوية

لقد كان معاوية يتوسل بالحيل و مختلف انواع المكر و الخدعة لبلوغ مآربه فكان النّاس يقولون انّ معاوية داهية ، و فى قباله الامام كان يتحرج الاّ من العمل الصحيح المرضى للّه سبحانه ، ولذا كان يفوته كثير من المنافع الدّنيوية ،و قد بين فى هذا الكلام وجه ذلك بقوله : (و اللّه ما معاوية بادهى منّى) اى اكثر دهاءا ، و هو التمكن من الوصول الى المطلب بواسطة الوسائل الملتوية المخفية (ولكنه يغدر) اذا رأى فى الغدر نفعا له فلا يلتزم بالعهد .

(ويفجر) اى يعصى اللّه سبحانه عصيانا كبيرا ، اذا راى فى ذلك صلاح نفسه .

(ولولا كراهية الغدر) اى انى اكرهه لأنه خيانة و منقصة و معصية (لكنت

مِنْ أَدْهَى النَّاسِ ، وَلٰكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ، وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ . « وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ » .

وَٱللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِٱلْمَكِيدَةِ ، وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ .

من ادهى النّاس) لأنى اعرف بوجه الحيلة من كل احد (ولكن كلّ غدرة فجرة) اى فجور وعصيان (وكلّ فجرة كفرة) فانّ الكفر على قسمين : كفر فى العقيدة ، و كفر فى العمل ، كما قال الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم : كفر من هذه الأمة عشرة النمام ... والمراد كفر العمل لا كفر العقيدة .

(ولكلّ غادر لواء) اى علم (يعرف به يوم القيامة) كانّه علامة له ، اذ لكلّ انسان ياتى الى المحشر طابع خاص وشكل مخصوص ، كما قال سبحانه :﴿ يعرف المجرمون بسيماهم ﴾ .

(واللّه ما استغفل بالمكيدة) اى انا اعرف الكيد فليس تسلط ذى الكيد علىّ لأنى غافل بل من جهة انى متحرّج لا اريد الكيد (ولا استغمز بالشديدة) اى انّ القوّة الشّديدة لا توجب ضعفى وانما اتقى الله سبحانه ، ولذا لا اقدم فى كثير من الموارد ، يقال : غمزه ، اذا اثر فيه بالضغط .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يعظ بسلوك الطريق الواضح

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ .
أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ. وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى الوعظ و الارشاد

(ايّها النّاس لا تستوحشوا فى طريق الهدى لقلة اهله) فاذا رايتم اهل الحق قليلا فلا يسبب ذلك توحشكم ، وخوفكم بل سيروا فى الطريق مهما كان انصاره قليلين (فانّ النّاس) اهل الباطل (قد اجتمعوا على مائدة) هى مائدة الدّنيا و التّلذّذ بلذائذها كيفما كانت من حل او حرام (شبعها قصير) لأن ايام الدنيا قليلة قصيرة (و جوعها طويل) فانّ من شبع من الدّنيا المحرمة،جاع فى الآخرة .

(ايّها النّاس) اذا تركتم الدنيا تقوى و زهدا ، فلا ترضوا باعمال المتكالبين عليها ، فانّ الانسان كما يؤخذ بعمله كذلك يؤخذ برضاه .

(انّما يجمع النّاس الرضاء و السّخط) فالرّاضى بفعل شريك له و السّاخط على فعل مجانب له (و انّما عقر ناقة ثمود) قوم صالح (رجل واحد) هو قيدار

فَعَمَّهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَىٰ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ » ، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ !

(فعمّهم اللّه بالعذاب) بان انزل العذاب على العاقر وغيره (لمّا عمّوه بالرضا) اى عموا العاقر بان رضوا بفعله فكانوا شركاء له فى الاثم الموجب للعقاب .

(فقال سبحانه) ناسبا الفعل الى جميعهم (فعقروها) اى جرحوها (فاصبحوا نادمين) من فعلهم الذى اوجب نزول العقاب عليهم (فما كان الاّ ان خارت) اى صوتت كخوار الثور (ارضهم بالخسفة خوار السكة المحماة) اى : الحديدة المحمّرة بالنّار (فى الأرض الخوّارة) اى اللّينة السهلة . فانها لحرارتها تسرع النفوذ فى الأرض . وكثيرا ما يسمع لها صوت خرقها للأرض و احراقها لما فيها من جذور النّبات وما اشبه .

(ايّها النّاس من سلك الطريق الواضح ورد الماء) لأن الطرق المسلوكة لا بد و ان تنتهى الى مواضع الماء و الكلاء فيستريح الانسان بالوصول الى محل الراحة (ومن خالف) بان ذهب يمينا وشمالا (وقع فى التّيه) الذى لا ماء فيه فيوجب هلاكه . فسيروا فى الطريق الواضح الذى امر اللّه و رسوله .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

روي عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام ، كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قبره

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي ، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ ! قَلَّ ، يَا رَسُولَ اللهِ ، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

عند دفن سيّدة النّساء ، فاطمة عليها السّلام

روى انّ الامام لما اراد ان يضع الصّديقة الطّاهرة عليها السلام فى القبر ، ظهرت يدان شبيهتان بيدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم داخل القبر ، و اخذتا الصّديقة عليها السلام ، ولما علم الامام بموقع الرّسول خاطبه بهذا الخطاب (السّلام عليك يا رسول اللّه عنّى وعن ابنتك) فانّ الانسان يبلّغ السّلام الى من يلقاه عن صديقه ايضا ، اذا علم برضاه لذلك و رغبته فيه (النّازلة فى جوارك) فان الميت ينزل فى القبر (و السّريعة اللّحاق بك) لأنها اوّل اهل بيت الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم لحوقا به ، كما اخبرها صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فى مرضه الّذى توفّى فيه (قلّ يا رسول اللّه عن صفيّتك) اى انّ القلّة ناشئة من ناحية فاطمة عليها السّلام التى هى مختارة لك (صبرى) واذا قلّ صبر الانسان اظهر الجزع و الحزن الشّديد .

وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي ، إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ، « أَنَا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » . فَلَقَدْ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ ، وَ أُخِذَتِ الرَّهِينَةُ !

(ورق) اى ضعف (عنها تجلّدى) اى تحفّظى على عدم ابداء الجزع فانّى لا اتمكن الاّ من اظهار الجزع .

(الاّ ان لى فى التأسى) اى الاقتداء (بعظيم فرقتك) اى بفراقك الذى عظم علىّ (وفادح) اى ثقيل (مصيبتك) اى موتك (موضع تعزّ) اى تصبروجلل والمعنى انى اعتبر بالمثال المتقدّم ـ وهو صبرى فى مصيبتك ـ فلا اجزع فى هذه المصيبة ايضا صبرا واحتسابا .

(فلقد وسدتك) اى انمتك وجعلت لك الوسادة ، فى ملحودة قبرك) الملحودة الجهة المشقوقة من القبر (وفاضت) اى خرجت (بين نحرى وصدرى نفسك) فانّ الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كان فى حجر على عليه السلام حين النّزع ، فكما انّى صبرت فى تلك المصيبة مع عظمها ومشاهدتى لها ، كذلك اصبر فى مصيبة الزّهراء عليها السّلام .

(انّا للّه وانّا إليه راجعون) هذه الجملة يقولها من اصيب بمصيبة ليعزى نفسه ، اذ المملوك للّه الّذى الى ثوابه وعقابه مصيره لا ينبغى ان يحزن اذا اخذ اللّه سبحانه منه شيئا .

(فلقد استرجعت الوديعة) فانّ الصديقة عليها السلام كانت وديعة الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلم عند الامام ، واسترجاعها لأنّ الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم اخذها بيديه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم الطاهرتين فى قبرها (و اخذت الرّهينة) كانّها كانت عند الامام بازاء عهد الامام الّذى اعطاه للرّسول

أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ ، إِلَىٰ أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ . وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَىٰ هَضْمِهَا ، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ ، هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ ، لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ ،

بان يراعيها و يقوم بشانها ·

(امّا حزنى فسرمد) اى دائم ما دمت حيّا (و امّا ليلى فمسّهد) اى ينقضى بالسهاد ، اى السهر ، فان المحزون كثيرا لا يقدر ان ينام (الى ان يختار الله لى دارك) اى الجنّة (الّتى انت بها مقيم) ولا يخفى انّ الفاجعة الأليمة توجب دوام الحزن و السهر كلما ذكرها الانسان اذ انها تكمن فى طيات النفس و تغمر النفس بالاسى كلما ذكرتها ·

(و ستنبئك) اى تخبرك (ابنتك بتضافر امتك) اى تظاهرهم (على هضمها) اى ظلمها بعضهم بالفعل و بعضهم بالسكوت والتأييد فانهم غصبوا عنها فدكا ، و كسروا ضلعها ، و اسقطوا جنينها ، ولطموا وجهها ، وآذوها فى زوجها و احرقوا باب دارها ، و دخلوها بغير اذنها ·

(و استخبرها الحال) اى اطلب منها ان تخبرك عن حالنا بعدك (هذا) كله وقع علينا (و لم يطل العهد) الذى عاهدوك فى ان يحسنوا الى اهل بيتك (و لم يخل منك الذّكر) بل كان ذكرك باق بينهم ، و انّما فعلوا ما فعلوا ــ لا نسيانا ــ و انّما عصيانا و تكالبا على المال و السلطة (و السلام عليكما سلام مودع) يريد الوداع و الانصراف ، فان السلام يؤتى به عند الدخول وعند الانصراف (لا قال) القال المبغض (و لا سئم) من السامة ، بمعنى : الملالة ، اى انّ انصرافى ليس لأجل انى غاضب و ملول منكما ·

فَـإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ ، وَإِنْ أُقِـمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ .

(فان انصرف) وارجع عن قبركما (فلا عن ملالة) من بقائى عندكما (وان اقم) عند قبركما (فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين) بان اكون بقائى للجزع ، حيث انى اسئ الظن بعقبى الصبر بل انصرافى لأجل ادارة شئون اسباطك يـــا رسول الله ، والقيام بمهام الاسلام حسب امرك ، ولو بقيت كان ذلك لأجـل انى معرض عن الدنيا وزخارفها لا انس لى بها وبأهلها .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي الوَعظِ وَالتَّزهِيدِ عَنِ الدُّنيَا

(أيها النّاس انما الدّنيا دار مجاز) اى ممرّ الى الآخرة (و الآخرة دار قرار) التى يستقر فيها الانسان (فخذوا من ممرّكم لمقرّكم) بان تزودوا من الدنيا بالأعمال الصالحة ، حتى يكون لكم هناك المقامات العالية ، فانّ ما يزرعه الانسان فى الدنيا يحصده فى الآخرة .

(ولا تهتكوا استاركم) كانّ ظاهر الانسان الذى لم يعص ستر على باطنه المليئ بالشهوات فاذا عصى انكشف باطنه و هتك ستره (عند من يعلم اسراركم) اشارة الى انّ اللّه سبحانه يعلم الضمائر ، لكنه لا ينظر اليها نظر عقاب وعذاب الا اذا هتكوا الستر باتيان المعصية (و اخرجوا من الدنيا قلوبكم) بان يكون قلبكم مربوطا بالآخرة ناظرا اليها (من قبل ان تخرج منها ابدانكم) بالموت و الذهاب تحت التراب .

فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ . إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ : مَا تَرَكَ ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : مَا قَدَّمَ ؟ لِلّٰهِ آبَاؤُكُمْ ! فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً ، وَلَا تُخْلِفُوا كُلّاً فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ .

(ففيها) اى فى الدنيا (اختبرتم) اى امتحنكم الله سبحانه (ولغيرها خلقتم) اى انّ الانسان خلق للاستقرار فى الآخرة ، وانّما الدنيا ممر و مختبر ، واعملوا فلا ينفعكم الاّ العمل ، اما المال فيبقى فـ (ان المرء اذا هلك) اى مات (قال النّاس : ما ترك) ؟ اى يكون سؤالهم عن امواله .

(وقالت الملائكة : ما قدم) ؟ اى يكون سؤالهم عن عمله الّذى عمله فى الدّنيا ليأخذ جزائه فى الآخرة (لله آباؤكم) كلمة تستعمل للتضجر ، واصلها ان من كان لله يجب ان يعمل بما امر الله فكيف يخالفه ؟ وتستعمل احيانا للمدح .

(فقدّموا) من اعمالكم (بعضا) ولا تجعلوا عملكم كلّه للدنيا (يكن لكم) ذلك الذى قدمتموه (قرضا) تاخذونه عند ورودكم الى الآخرة (ولا تخلّفوا) اى لا تبقوا فى الدنيا (كلاّ فيكون عليكم) وزرا وعقابا .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كان كثيرا ما ينادي به أصحابه

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللهُ ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ، وَأَقِلُّوا اَلْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَا بُدَّ مِنَ اَلْوُرُودِ عَلَيْهَا ، وَاَلْوُقُوفِ عِنْدَهَا .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

(كان كثيرا ما ينادى به اصحابهم) يعظهم به و يزهدهم فى الدنيا .

(تجهّزوا) اى خذوا جهازكم ، و هو زاد المسافر و ما يلزم فى سفره (رحمكم الله) جملة خبرية فى معنى الانشاء (فقد نودى فيكم بالرّحيل) اى اعلمتم بلزوم السفر من الدنيا الى الآخرة .

(اقلوا العرجة) اسم من التعريج بمعنى حبس المطية على المنزل (على الدنيا) اى اجعلوا ركونكم اليها قليلا .

(و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم) اى ارجعوا الى الآخرة ، و قد صحبتم احسن مالديكم (من الزّاد) بان تجعلوا اعماركم واموالكم للآخرة لا تصرفوها لأجل الدنيا (فانّ امامكم عقبة كؤدا) اى صعبة المرتقى (و منازل مخوفة مهولة) توجب الخوف و الهول ، فان القبر ، و الحساب ، و الصراط ، و ما اشبه توجب اشدّ الخوف و الهول (لابدّ من الورود عليها) فليس للانسان مفرّ منها (والوقوف عندها) بان يقف حتى يحاسب .

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ ، وَمُعْضِلَاتُ الْمَحْذُورِ. فَقَطِّعُوا عَلَائِقَ الدُّنْيَا وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَىٰ .

وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم ، بخلاف هذه الرواية .

(واعلموا انّ ملاحظ المنية) اى منبعث نظر الموت ، كانّ الموت شئ ينظر الى الانسان حين يريد اختطافه (نحوكم دانية) اى قريبة .

(وكانّكم بمخالبها) جمع مخلب ، وهو ظفر الحيوان المفترس (وقد نشبت فيكم) اى علقت بكم (وقد دهمتكم) اى وردت عليكم (فيها) اى فى المنية ـ اذا نزلت ـ (مفظعات الأمور) اى الأمور الفظيعة الشديدة (و معضلات المحذور) اى المحاذير ـ المخوفات ـ المشكلة من اعضل الأمر اذا اشكل ولم يعلم وجه حله .

(فقطعوا علائق الدنيا) حتى لا تصيدكم وتقعوا فى شباكها (واستظهروا) اى ليستعينوا (بزاد التقوى) اى الزاد الذى هو التقوى من اللّه سبحانه .

((وقد مضى شئ من هذا الكلام فيما تقدم بخلاف هذه الرواية)) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما ، والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً ، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً . أَلَا تُخْبِرَانِي ، أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ ؟ وَ أَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لما عاتبه طلحة و الزبير ، فى انّه عليه السّلام لا يستشيرهما فى الأمور و لا يستعين بهما .

(لقد نقمتما يسيرا) اى غضبتما لأمر يسير وعدم مشورتى لكما (و ارجاتما) اى اخرتما (كثيرا) اى ان الذى اخرتماه لى ـ غير النقمة التى اظهرتماها ـ من تجهيز الجيش و القيام بمحاربتى كثير .

(الا تخبرانى اى شئ لكما فيه حق دفعتكما عنه) ؟ اى هل لكما الحق فى لزوم مشورتى لكما ، فلم استشر ، حتى يكون ذلك دفعا لحقكما و سببا لغضبكما (و اى قسم) اى قسمة فى العطاء (استاثرت) اى استبددت (عليكما به) اى بذلك القسم بان اخذته لنفسى ، و حرمتكما فى حال كون ذلك حقا لكما، حتى تغضبان علىّ .

(ام اىّ حق رفعه الىّ احد من المسلمين) فى امور القضاء و نحوها (ضعفت

عَنْهُ ، أَمْ جَهِلْتُهُ ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ !

وَاللهِ ما كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ ، وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا ، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا ، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ ، وَمَا اسْتَسَنَّ النَّبِيُّ ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَاقْتَدَيْتُهُ ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذٰلِكَ إِلَىٰ رَأْيِكُمَا ، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا ، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ

عنه) فلم اتمكن من تنفيذه (ام جهلته) فلم اعلم به (ام اخطات بابه) بما اشتبهت فى المصداق و الجهل ، الخطاء فى الحكم .. فاحتجت الى احد يوازرنى فلم اعتمد عليكما ؟ كل ذلك لم يكن ، و انما ارادا ان يكونا وزيران يكون لهما منصب ، و ان يكون لهما مال زائد على سائر المسلمين ، فلما رايا خلاف ذلك نقما على الإمام ، و شقّا عصى الطاعة .

(و اللّه ما كانت لى فى الخلافة رغبة) و ميل حتى تمنّا علىّ بانكما نفذتما رغبتى ببيعتكما لى ، فاللازم ان انفذ رغبتكما (و لا فى الولاية) اى تولى شئون المسلمين (ارية) اى غرض و حاجة (و لكنكم دعوتمونى اليها) اى الى الخلافة (و حملتمونى عليها) اى اصررتم علىّ حتّى قبلتها .

(فلمّا افضت) الخلافة ، اى وصلت (الىّ نظرت الى كتاب اللّه و ما وضع لنا) اى الأحكام التى بيّنها الكتاب للخليفة .

(و امرنا بالحكم به) من احكام الشّريعة (فاتّبعته) و نفذته فى المسلمين (و ما استنّ اى جعله سنة و طريقة (النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاقتديته) اى جعلته قدوة لى ، وعملت به .

(فلم احتج فى ذلك) العمل بالكتاب و السّنة (الى رايكما) حتى استشير (و لا راى غيركما) و هل يستشير الانسان بدون الاحتياج ؟ (و لا وقع حكم

جَهِلْتُهُ ، فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ؛ وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا ، وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ ٱلْأُسْوَةِ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي ، وَلَا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي ، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَ أَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ ٱللهِ . صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا

جهلته) كيف يكون وكيف ينفذ ؟ (فاستشيركما) فيه (و) استشير سائر (اخوانى من المسلمين) حتى اعرف الحكم .

(ولو كان ذلك) بان جهلت شيئا (لم ارغب عنكما) بان اتركهما و لا استشيركما (ولا عن غيركما) من سائر المسلمين (و امّا ما ذكرتما من امر الأسوة) اى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى تسوية العطاء بين المسلمين ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يسوى فى العطاء ، وبعده جاء عمر وعثمان ، ففضلا بعضا على بعض على خلاف حكم الله و الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

ولما جاء الامام واعاد سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته ، نقم اهل الاثرة عليه ومن جملتهم طلحة و الزبير ، اذا كانا يريدان ان يفضلهما فى العطاء ، فابى عليه السلام الا اتباع سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (فانّ ذلك امر لم احكم انا فيه برايى) حتى يكون راى الخاص موجبا لحرمانكما (ولاوليته) اى اتبعت هذا الأمر ـ و هو التسوية ـ (هوى منّى) اى بمجرد رغبتى و هوى نفسى .

(بل وجدت انا وانتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) من التسوية فى العطاء (قد فرغ منه) اى انه مفروغ منه ثابت فى الشريعة شهدتم و شهدتما ذلك فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (فلم احتج اليكما فيما

قَدْ فَرَغَ اللهُ مِنْ قَسْمِهِ ، وَأَمْضَىٰ فِيهِ حُكْمَهُ ، فَلَيْسَ لَكُمَا ، وَاللهِ ، عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هٰذَا عُتْبَىٰ . أَخَذَ اللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ .

ثم قال عليه السلام : رَحِمَ اللهُ امْرَأً رَأَىٰ حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ ، أَوْ رَأَىٰ جَوْرًا فَرَدَّهُ ، وَكَانَ عَوْنًا

قد فرغ الله من قسمه) اى جعله من التسوية فى العطاء (و امضى فيه حكمه) بان يكون للكل على حدّ سواء ، و ذلك لأنّ المسلمين اذا كانوا جميعا دخيلا فى تحصيل الغنيمة كان الكل فيه مشاركون على حد سواء الا ما استثنى — نحو : من قتل قتيلا فله سلبه ، وما اشبه — فاذا اراد احدهم اكثر كان ظالما لمن ينتقص من حقّه و حيث ان مركز القيادة الاسلامية هى التى تقوم بالجهاد و ما اشبه ، يكون النصيب هناك موزعا .

اما سائر بلاد الاسلام ، فلها حسب الحاجة كما يرى الولات و من ذلك تبين انه لا يلزم تقسيم المال الى جميع افراد المسلمين : حتى يقال : و كيف كان العطاء خاصا بالمدينة مثلا ؟ كما ان ذلك حكم الغنائم و ما اشبه فلا يقال : فكيف يجوز للمجتهد التفضيل فى اعطاء الخمس و الزكاة ؟ ولذا كان الامام اوصى مالكا فى عهده حين ولاه مصر ان يعطى القاضى ما يسدّ حاجته ، الى غير ذلك .

(فليس لكما) يا طلحة و الزبير (و اللّه عندى و لا لغيركما فى هذا) الأمر و هو التقسيم بالسوية (عتبى) اى عتب و اشكال (اخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم الى الحقّ) بان ترضى القلوب باتباع الحق (و الهمنا و اياكم الصبر) على حكم الله سبحانه و انكان فى ذلك نقص لمال اوجاه بالنسبة الينا .

(ثم قال عليه السلام) : (رحم الله امرء راى حقّا فاعان عليه) حتى يستقر و يغلب على الباطل (او راى جورا) اى ظلما (فردّه) بان ابطله (وكان عونا

بِالْحَقِّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سمع قوما من اصحابه يسبون أهل الشام ايام حربهم بصفين

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ ، وَلٰكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ،

بالحقّ على صاحبه) الذى يظلم ، بان ينبّه صاحبه الذى على الباطل ، حتى يرجع عن غيّه .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(وقد سمع قوما من اصحابه يسبّون اهل الشام ايام حربهم بصفّين) و فيه نهى لهم عن السب ، ولا يخفى انه لا ينافى عدم السب لمصلحة طارئه ، جواز السب للقاعدة ، فان لكل شئ موقعا ، ولذا قال سبحانه : ((ولا تسبّوا الذين يدعون من دون اللّه)) وقد كان النّبى صلى الله عليه وآله وسلم يسب الأصنام ، ولذا قال قريشى لأبى طالب انّ ابن اخيك قد سبّ آلهتنا .

(انّى اكره لكم ان تكونوا سبّابين) فان السب يثير الطرف المقابل بلا فائدة (ولكنكم لو وصفتم اعمالهم) اى اعمال معاوية و اتباعه (و ذكرتم حالهم) لمن يجهل اى الطرفين على الحق (كان اصوب فى القول) لأنه يوجب الفات النّاس الى عدم لياقة معاوية ، وكونه ظالما فى دعواه (و ابلغ فى العذر) اى عذرنا فى قتالهم ، اذ كل من يعرف انهم ظالمون يعطينا الحق فى محاربتهم .

وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ : اَللّٰهُمَّ اَحْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ ، حَتّٰى يَعْرِفَ اَلْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ اَلْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ .

(و قلتم مكان سبّكم اياهم اللّهم احقن) اى احفظ (دمائنا و دمائهم) لعلهم يرجعوا الى الحق فلا يحاربوا حتى تراق الدماء (و اصلح ذات بيننا و بينهم) اى الصفة التى بين الطرفين كأنّها شئ متصل اذا فسد حاربا و اذا صلح تآلفا .

(و اهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحقّ من جهله) منهم (و يرعوى) اى ينقلع (عن الغىّ) اى الضلالة (و العدوان) اى التّعدى (من لهج به) اى تكلم بالغى و العدوان ، ممّن علم الحق لكنه يستمر على الباطل ، غيّا و عدوانا .. و لا يخفى ان مثل ذلك بالنسبة الى الخصم يوجب جلبه وترضية خاطره و جلبه الى طرف الحق .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع إلى الحرب

أَمْلِكُوا عَنِّي هٰذَا ٱلْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِي ، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهٰذَيْنِ - يَعْنِي ٱلْحَسَنَ وَٱلْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - عَلَىٰ ٱلْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

قال السيد الشريف ، وقوله عليه السلام « املكوا عني هذا الغلام » من أعلى الكلام وافصحه .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فی بعض ايّام الصّفين ، حين راى الامام الحسن عليه السّلام يتسرّع الى الحرب

(املكوا) اى احفظوا بشدة (عنّى) اى عن طرفى ، و من جهة امرى (هذا الغلام لا يهدّنى) اى حتّى لا يهدم اركانى بموته اذا قتل (فانّنى انفس) اى ابخل (بهذين) ـ ((يعنى الحسن و الحسين عليهما السلام)) ـ (على الموت لئلاّ ينقطع بـ) سبب موت (هما نسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) اذ هما الباقيان عن نسل الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَىٰ مَا أُحِبُّ، حَتَّىٰ نَهَكَتْكُمُ الْحَرْبُ ، وَقَدْ ، وَاللهِ ، أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ . لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً ، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لمّا اضطرب عليه اصحابه فى امر الحكومة ، فى قصّة صفّيـــــن

(ايّها النّاس انّه لم يزل امرى معكم على ما احبّ) من لزومكم الطاعة وائتمارکم لأوامرى (حتّى نهكتكم الحرب) اى اضعفتكم (وقد و اللّه اخذت) الحـــرب (منكم) بعضا ممن قتلوا (و تركت) بعضا و هم الباقون (و هى) اى الحرب (لعدوّكم) اى اصحاب معاوية (انهك) اذ قتل منهم اكثر من اصحاب الامام و هذا الكلام لوم لأصحابه ، كيف جنبوا عن القتال لما اضعفتهم الحرب بينمايجب ان يكونوا كالسّابق ، اذ تاثير الحرب فى اعدائهم كان اكثر ٠٠ و انّما الشئ قوىّ و انهم فى اجبار الامام على الحكومة ، خوفهم الذى سرى فيهم من الحرب ٠

(لقد كنت امس) قبل انهاك الحرب (اميرا) آمركم فتاتمرون (فاصبحت اليوم مامورا) اذ هم الذين الجئوا الامام لأن يقبل قضية التحكيم ، وكان الامـام كارها له ، لأنه يعلم انه مكيدة ٠

وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً ، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيًّا ، وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ ، وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُونَ !

(وكنت امس ناهيا) عن الحكومة حينما اقترحتم علىّ (فاصبحت اليوم منهيّا) اذ انّ اصحاب الامام لما عرفوا المكيدة فى التحكيم جعلوا ينهون الامام عنه بعد ما افلت الزّمام من يده عليه السلام ، و اعطى القول بقبوله .

(وقد احببتم البقاء) فى الدّنيا و لذا اجبرتمونا على التّحكيم ، لتنهوا بذلك امر القتال (وليس لى ان احملكم على ما تكرهون) من الحرب ، و هذا توبيخ لهم ، بتركهم الحرب ، و جبنهم و الزامهم للامام بالتّحكيم ، ثمّ ندمهم و تهيبهم له عليه السّلام عن التّحكيم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالبصرة ، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي – وهو من أصحابه – يعوده ، فلما رأى سعة داره قال :

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ ؟ وَبَلَىٰ إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ : تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا ،

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(بالبصرة ، وقد دخل على علاء بن زياد الحارثى – و هو من اصحابه – يعوده ، فلمّا راى سعة داره قال :)

(ما كنت تصنع بسعة هذه الدّار فى الدّنيا) ؟ استفهام للانكار ، اى انك لا تحتاج الى مثل هذه السّعة ، فما حاجتك لها ؟ ؟ (اما) للتنبيه (انت اليها) اى الى هذه السّعة (فى الآخرة كنت احوج) بمعنى ان تقدّم بعضها الى آخرتك وتكتفى فى الدّنيا بدار تكفيك ؟ وكانّ الامام عليه السلام قال هذه الجملة مقدّمة لكلامه الآتى (و بلى ان شئت بلغت بها الآخرة) بان صرفتها فى تحصيل مرضات الله سبحانه (تقرى فيها الضّيف) اقراء الضّيف اضافته .

(و تصل فيها الرّحم) بان تدعوهم الى دارك للنّزهة و ما اشبه (و تطلع منها) اى من هذه الدّار (الحقوق) الشّرعية (مطالعها) اى الى وجوهها

فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ .

فقال له العلاء : يا امير المؤمنين ، اشكو اليك أخي عاصم بن زياد . قال : وما له ؟ قال ، لبس العباءة وتخلى عن الدنيا . قال : عليّ به . فلما جاء قال :

يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ ! لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ ! أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ ! أَتَرَىٰ اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ! أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذٰلِكَ !

الّتى شرّعها اللّه سبحانه (فاذا) فعلت ذلك (انت قد بلّغت بها) اى بهذه الدّار (الآخرة) لأنها صارت سببا لتحصيلها .

(فقال له العلاء : ياامير المؤمنين اشكو اليك اخى عاصم بن زياد ، قال عليه السّلام : وما له ؟ قال : لبس العباءة) الّتى كانت من زى الزهاد (وتخلى عن الدّنيا) اى عن التنعّم بنعمها (قال عليه السلام : علىّ به . فلما جاء قال :)

(يا عدىّ نفسه) تصغير عدو اما للتّصغير او للتّعظيم نحو ((دويبية تصغّر منها الأنامل)) (لقد استهام بك الخبيث) اى الشّيطان ، ومعنى استهام زين الهيام و التوله اليك (اما رحمت اهلك و ولدك) ؟ حيث تركت شانهم لزعمك انّك زهدت فى الدّنيا (اترى اللّه احلّ لك الطّيّبات و هو يكره ان تاخذها) ؟ حيث قال سبحانه : ((قل من حرّم زينة اللّه الّتى اخرج لعباده و الطّيّبات من الرّزق ؟ قل : هى للّذين آمنوا فى الحياة الدّنيا ، خالصة يوم القيامة)) .

(انت اهون على اللّه من ذلك) بان يحلّل لك مجبورا فى تحليله ، حتّى اذا علمت ذلك تركت لتوافق مرضات اللّه سبحانه ، وذلك لأنّ لذائذ الدّنيا مباحة للانسان وقد خلقها سبحانه له بشرط ان لا ياخذها من حرام ، ولا يصرف القوة التى اخذ منها الاّ فى طاعة ، ولا يبعد ان يكون هذا للعامة اما الخواص

قال : يا أمير المؤمنين ، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك!

قَالَ : وَيْحَكَ ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَرَضَ عَلَىٰ أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ!

فينطبق عليه قوله عليه السلام : ((ما من احد ظاب مطعمه و ملبسه الاّ و طـــال وقوفه بين يدى اللّه سبحانه)) .

(قال :) عاصم مستفسرا عن الامام كيف ينهاه ، عن ذلك ، هو زاهد فى الدّنيا (يا امير المؤمنين هذا انت فى خشونة ملبسك) لا نعومة له حتّى يلتـــذّ جسمك ((وجشوبة ماكلك)) اى خشونتها لا لين فيه .. ؟ .

(قال) عليه السلام : (ويحك) كلمة تستعمل للاهانة وللمدح (انّـــى لست كانت) حتّى تقيس نفسك بى (انّ اللّه فرض على ائمّة العدل) مقابـــل الأئمّة الجائرون ، فانّ اللّه سبحانه لم يمض كونهم اماما ، حتّى يرتب عليهم شئون الأئمّة المنصوبين من قبله (ان يقدّروا) اى يقيسوا (انفسهم بضعفة النّاس) جمع ضعيف ، اى يعيشوا كالضّعفاء فى الماكل و الملبس و ما اشبه (كيلا يتبيّغ) اى لا يهيج (بالفقير فقره) اذ لو راى الفقير انّ امامه يتنعّم بلذائذ الحياة هاج بهالفقر و لم يصبر و انحرف عن الجادة ، اما اذا راى امامه يعيش مثل عيشه كان ذلـــك سلوة له و تطمينا لقلبه .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع ، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر ، فقال عليه السلام :

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا ، وَصِدْقاً وَكَذِباً ، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً ، وَعَامًّا وَخَاصًّا ، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(وقد سئله سائل عن احاديث البدع وعمّا فى ايدى النّاس من اختلاف الخبر) اى الأخبار المروية عن الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ، وما نسب صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بدعة وكذبا ((فقال عليه السّلام)) مقسما الحديث الى اربعة اقسام ·

(انّ فى ايدى النّاس حقّا وباطلا وصدقا وكذبا) الحقّ والباطل باعتبار المطالب ــ ككون الاله واحدا ام متعدّدا ــ والصّدق والكذب باعتبار الأخبار ، ككون الرّسول قال كذا ام لم يقله ، وقد يكون الفرق بينهما بالاعتبار ، فيقال للخبر المطابق للواقع ((صدق)) باعتبار كونه مطابقا للواقع و ((حق)) باعتبار انّه مطابق للواقع ·

(وناسخا) ازال الحكم السّابق (ومنسوخا) قد ازيل حكمه (وعاما) شاملا لكلّ الأفراد نحو ((اكرم العلماء)) ((وخاصّا)) نحو ((لا تكرم زيدا))(ومحكما) واضح الدّلالة نحو ((قل هو اللّه احد)) (ومتشابها) غير واضح الدّلالة ، نحو

وَحِفْظاً وَوَهْماً. وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَىٰ عَهْدِهِ ، حَتَّىٰ قَامَ خَطِيباً ، فَقَالَ : «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ». وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ ، لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ يَكْذِبُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ،

((الى ربّها ناظرة)) (و حفظا) اى ما حفظ عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (و وهما) ما لم يتعمد كذبه و لكن توهم خلاف ما قاله الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم .

(و لقد كذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله و سلّم على عهده) اى فى زمان حياته (حتّى قام خطيبا فقال : ((من كذب علىّ متعمّدا فليتبوّء مقعده من النّار) اى ليملأ مكانه فى الآخرة من النّار ، و هذا كناية عن انّه بذلك يستحقّ النّار (و انّما اتاك بالحديث اربعة رجال ليس لهم خامس) و كانّ الامام عليه السّلام قدم تلك المقدمة لبيان انّ بعض النّاس علم بالعام دون الخاص ، او سمع المتشابه و ظنّ محكما ، او ما اشبه ذلك . . .

الأول : (رجل منافق) يخالف ظاهر باطنه ، فهو مسلم فى الظاهر،كافر فى الباطن (مظهر للايمان متصنع بالاسلام) اى يصنعه لنفسه دون ان يكون فى الواقع مسلما (لا يتاثّم) اى لا يخاف الاثم (و لا يتحرّج) اى لا يخشى الوقوع فى الحرج ، اى الجرم الموجب للضّيق (يكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله و سلّم متعمّدا) لمصالح شخصية و ذلك كابى هريرة ، و سمرة بن جندب ، و احزابهما .

(فلو علم النّاس انّه منافق كاذب) فى حديثه (لم يقبلوا منه و لم يصدّقوا قوله

وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللّٰهِ ـ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ رَآىٰ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللّٰهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ، عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ فَتَقَرَّبُوا إِلَىٰ أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ، وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَىٰ رِقَابِ النَّاسِ، أَكَلُوا بِهِمُ

و لكنّهم قالوا صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم راى) الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (و سمع منه) الحديث (و لقف عنه) اى تناول و اخذ (فياخذون بقوله) فيما يرويه عن الرّسول .

(و قد اخبرك اللّه عن المنافقين بما اخبرك و وصفهم بما وصفهم به لك) من الصّفات الذّميمة ، كقوله سبحانه : ((و اللّه يشهد انّ المنافقين لكاذبون اتّخذوا ايمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل اللّه انّهم ساء ما كانوا يعملون ، ذلك بانّهم آمنوا ثمّ كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ، و اذا رايتهم تعجبك اجسامهم ، و ان يقولوا تسمع لقولهم كانّهم خشب مسنّدة يحسبون كلّ صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم اللّه انّى يؤفكون)) فهل يتوقّع الانسان بعد ذلك من امثال هؤلاء الصدق و الامانة فى نقل الحديث ؟ .

(ثمّ بقوا) هؤلاء المنافقون (بعده عليه و آله السّلام) اى بعد موت الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (فتقرّبوا الى ائمّة الضّلالة و الدّعاة الى النّار) جمع الدّاعى (بالزّور) اى الكذب و هذا متعلق بـ ((تقرّبوا)) (و البهتان) اى الافتراء على الرّسول فى خلق الأحاديث .

(فولّوهم الأعمال) حيث راى اولئك الأئمّة انّ فى بقاء هؤلاء تقوية لسلطانهم، اذ يختلقون لهم احاديث (و جعلوهم حكاما على رقاب النّاس) يتصرّفون فى البلاد و العباد كيف شائوا (و اكلوا) اى اولئك الأمة (بهم) اى بهؤلاء

الدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ ، فَهٰذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ .

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، فَوَهِمَ فِيهِ ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً ، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ ، وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ ، وَيَقُولُ : أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذٰلِكَ لَرَفَضَهُ !

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ

المنافقين نقلة الأحاديث كذبا (الدّنيا) انّ قووا سلطتهم باختلاف احاديث مجعولة لتحبيبهم الى النّاس .

(و انّما النّاس مع الملوك و) مع (الدّنيا الاّ من عصم اللّه) اى : حفظه حتّى لا يميل اليهم ، اذا كان فى ذلك هلك دينه (فهذا احد الأربعة) الّذين ياتون بالحديث عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، و منه يقع الاختلاف فى الأخبار المروية عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، و من هنا نشئت البدع .

(و) الثّانى من الأقسام الأربعة (رجل سمع من رسول اللّه شيئا لم يحفظه على وجهه) كما قال الرّسول و على الجهة الّتى ارادها (فوهم) اى اخطأ و غلط (فيه) اى فى ذلك الشّئ (و لم يتعمّد كذبا) على الرّسول و افترا عليه (فهو) اى الحديث الموهوم (فى يديه و يرويه) عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم .

(و يعمل به) لنفسه (و يقول : انا سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ، فلو علم المسلمون انّه و هم فيه) و اخطأ (لم يقبلوه منه ، ولو علم هو) الرّاوى (انه كذلك) و هم و اشتباه (لرفضه) و لم يروه و لم يعمل به .

(و) الثّالث من الأقسام الأربعة (رجل ثالث سمع من رسول اللّه صلّى اللّه

عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ ، ثُمَّ نَهَىٰ عَنْهُ ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَىٰ عَنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ .

وَآخَرُ رَابِعٌ ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَىٰ اللهِ ، وَلَا عَلَىٰ رَسُولِهِ ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللهِ ، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَهِمْ ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَىٰ مَا سَمِعَهُ ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ

عليه و آله و سلّم شيئا يامر به ثمّ نهى عنه و هو لا يعلم) بالنّهى ، كسماعه امره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يذهاب ابى بكر لسورة برائة ثم نهيه عن ذلك ، و تبديله بالامام عليه السّلام (او سمعه) صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (ينهى عن شئ ثمّ امر به و هو لا يعلم) كما لو سمع لزوم الكف عن الجهاد فى مكة ثم امر به فى المدينة (فحفظ المنسوخ) الذى زال حكمه (و لم يحفظ النّاسخ) اى الحكم الثّانى .

(فلو علم انّه منسوخ لرفضه) و لم يعلم به (و لو علم المسلمون اذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه) و لم يعملوا به ، لكنّهم جهلوا ذلك فاخذوا به ، وهو خلاف الواقع فمن هنا ياتى الاختلاف .

(و) القسم الرّابع (آخر رابع) الأقسام الثلاثة الماضية الراوية للحديث (لم يكذب على اللّه و لا على رسوله) عمدا كالمنافقين (مبغض للكذب خوفا من اللّه) لئلاّ يعاقبه (و تعظيما لرسول اللّه صلّى الله عليه و آله و سلّم) اذ نسبة الكذب اليه قبيح ينافى مقامه الكريم (و لم يهم) اى لم يخطأ ، لا كالقسم الثانى ، و لا كالقسم الثالث (بل حفظ ما سمع على وجهه) اى مع عرفان مقصده الذى قيل لأجله (فجاء به) اى نقل الحديث (على ما سمعه لم يزد فيه

وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ، فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ والعَامَّ ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ ، وَمُحْكَمَهُ .

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْكَلامُ لَهُ وَجْهَانِ :

ولم ينقص منه) كما انه سمع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، لا بعضه دون بعض .

(فحفظ الناسخ فعمل به ، وحفظ المنسوخ فجنب) اى تجنب (عنه) فانّ الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم كان يامر حسب المصالح فى شئون خاصة ، فاذا ذهب ذلك الظرف امر بما يلائم الظرف الثانى ، كالكف عن الجهاد فى مكة ، والأمر بالجهاد فى المدينة .

(وعرف الخاصّ والعامّ) فلم يامر بالعام حتّى فى مورد الخاص (فوضع كلّ شئ موضعه) العام لجميع الأفراد باستثناء الخاص ، والخاص لمكانه المخصوص به .

(وعرف المتشابه) الذى يراد به غير معناه الظاهر ، او ما تشابه فلم يعلم المراد منه (ومحكمه) نحو ((لا تدرك الأبصار)) الذى هو محكم و ((وجوه يومئذ ناظرة الى ربّها ناظرة)) الذى هو متشابه وهذا الراوى ــ من الأقسام الأربعة ــ هو المعتمد عليه الّذى لا يروى الاّ صدقا وحقّا ، ويمكن الأخذ بقوله .

(وقد كان يكون من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم الكلام له وجهان :) من جهة يمكن العمل به ومن جهة لا يمكن العمل به ، فانّ الرّسول كان يتكلّم حسب اهل العرف قال سبحانه : ((وما ارسلنا من رسول الاّ بلسان قومه)) فكما

فَكَلَامٌ خَاصٌّ ، وَكَلَامٌ عَامٌّ ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ، بِهِ ، وَلَا مَا عَنَىٰ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ ، وَيُوَجِّهُهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ ، وَمَا قُصِدَ بِهِ ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ ، فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ يَسْمَعُوا ،

انّ كلام البلغاء يحتوى على مختلف الأشكال كذلك كلام الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (فكلام خاص و كلام عام فيسمعه) اى الكلام العام (من لا يعرف ما عنى اللّه سبحانه به) اى بهذا الكلام العام فيظنّ انّه عنى تمام افراده ، و الحال انّ المقصود باستثناء الخاص .

(و لا ما عنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) من بيان هذا الكلام العام (فيحمله السّامع و يوجّهه على غير معرفة بمعناه) المقصود (و ما قصد به) حين اطلق (و ما خرج) اى جاء (من اجله) فقد جاء الكلام من اجل الكناية، كما يحكى انّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لبعض اصحابه اقطع لسانه ـ بالنّسبة الى سائل كان يسأله ـ فاراد الرّجل ان يقطع لسانه ، فادركه علىعليه السلام و قال : ان مراد السائل اعطائه شيئا ، و هكذا .

(و ليس كل اصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من كان يسأله و يستفهمه) اى يطلب من الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فهم ما يقول ،اماخجلا او جهلا ، او ما اشبه .

(حتّى ان كانوا ليحبّون ان يجئ الأعرابى) اى البدوى الخارج من المدينة (و الطّارى) اى الّذى طرء اى عرض ، و ليس من الصّحابة (فيسأله عليهالسلام حتى يسمعوا) فاذا كانوا كذلك لم يكن فهمهم للأحاديث فهما صحيحا يمكن

وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ فَهٰذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ ، وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ .

الاعتماد عليه .

(وكان لا يمرّ بى من ذلك شئ) من الأحاديث المشكلة (إلآ سألت عنه و حفظته) ولذا قال عليه السّلام علمنى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم الف باب من العلم يفتح لى من كل باب الف باب .

(فهذه وجوه ما عليه النّاس فى اختلافهم وعللهم) اى علّة هؤلاء فى الاختلاف (فى رواياتهم) الّتى رووها كما ان منا ظهر منشأ البدعة ،وان بعضها عمد وبعضها جهل .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فِي عَجِيبِ صَنْعَةِ الكَوْن

وَكَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ ، يَبَساً جَامِداً ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً ، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فِي عَجِيبِ صَنْعَةِ الكَوْن

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(وكان من اقتدار جبروته) الجبروت الحالة التى يمكن بها جبر الأشياء على الاطاعة و الانقياد ، فاضافة الاقتدار اليها من باب اضافة العام الى الخاص (و) من (بديع لطائف صنعته) اى الصّنعة الدّقيقة الّتى ابتدعها و اوجدها من غير مثال (ان جعل من ماء البحر) و هو البحر الّذى خلقه اللّه سبحانه قبل خلق الأرض و السّماوات ، و اشير اليه فى الخطبة الأولى وغيرها (الزّاخر) اى الطافى الممتلى من زخر البحر اذا امتلأ (المتراكم) اى المجتمع (المتقاصف) اى الذى يقصف بعضه بعضا ، اى يكسره (يبسا جامدا) اى الأرض اليابسة .

(ثمّ فطر منه) اى خلق من ذلك الماء (اطباقا) اى طبقات ، فانّ ماء البحر خض خضا شديدا ، فجعل من زبده الأرض ، و من بخاره الصاعد السماوات ، و حيث كان البخار شيئا واحدا متصلا ، قال عليه السّلام (ففتقها) اى فرقها بعد ان كانت متصلة (سبع سماوات) اما المراد الاجرام ، او المراد

بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ ، وَقَامَتْ عَلَىٰ حَدِّهِ . وَأَرْسَىٰ أَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ ، وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ. وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا ، وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا ، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا ،

ما يملأ الفضاء من الجسم البسيط الذى كان يسمّى اثيرا ، و تمييز بعض السماوات عن بعض بكونها مدارات لكل مدار نظام خاص (بعد ارتتاقها) اى بعد ان كانت متصلة بعضها ببعض اذ البخار كان جسما واحدا

(فاستمسكت) السماوات ، اى تماسكت (بامره) التكوينى (و قامت على حدّه) اى الحد الذى حدده لها الأمر الالهى (و ارسى ارضا) اى جعلها ثابتة محكمة (يحملها الأخضر) اى البحر ،فانّ الأرض كالكرة في البحر (المثعنجر) اى معظم البحر ، او المراد البحر السائل ، فانّ السائل يقال له مثعنجر — بالكسر — (و القمقام) اسم آخر للبحر (المسخّر) الّذى سخّره اللّه سبحانه ،و الأرض و ان لم تكن محمولة للبر حقيقة ، الا ان الانسان يراها كذلك (قد ذلّ) البحر (لأمره) سبحانه .

(و اذعن لهيبته) اى من خوفه تعالى (و وقف الجارى منه) اى من البحر (لخشيته) اى خوفه تعالى ، وامثال هذه الجمل من باب التّشبيه ، و انّما المراد الاطاعة التكوينيّة من الأشياء للّه سبحانه ، و من الممكن ان يكون للأشياء خوف و خشية و ادراك ، كما يظهر من جملة من الآيات و الرّوايات .

(و جبل) سبحانه ، اى خلق (جلاميدها) جمع جلمود ، و هى الصخور الصلبة (و) خلق (نشوز) اى مرتفعات (متونها) كالاكام ، الشبيهة بمتن الانسان فى ارتفاعها (و اطوادها) جمع طود ، بمعنى : الجبل (فارساها) اى : اثبت تلك الجبال (فى مراسيها) اى محلات استقرارها .

وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا ، فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي ٱلْهَوَاءِ ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي ٱلْمَاءِ ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا ، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا ، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا ، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا ، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً ، وَ أَرْزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً ، فَسَكَنَتْ عَلَىٰ حَرَكَتِهَا

(و الزمها) اى الجبال (قراراتها) فكلّ واحدة منها مستقرّة فى مكانها ، و اذا جاء يوم القيامة ، ينعكس الأمر ، قال سبحانه : ((و ترى الجبال تحسبها جامدة و هى تمرّ مرّ السحاب)) .

(فمضت رؤسها فى الهواء) شامخة مرتفعة (و رست) اى ثبتت (اصولها فى الماء) فانّ الجبل يخترق الأرض حتّى الماء (فانهد) سبحانه ، اى ارفع (جبالها عن سهولها) السّهل ضد الجبل ، اى جعل الجبال اعلى من الأرض السّهلة .

(و الساخ قواعدها) اى اثبت اصول الجبال (فى متون اقطارها) اى فى المتون من اقطار الأرض و اطرافها (و مواضع انصابها) جمع نصب ، و هو ما جعل علما ليعرف الانسان به الجادة ، اى جعلها فى المواضع التى يراد ان يكون موضع دلالة للطرق و ما اشبه (فاشهق) اى جعلها شاهقة مرتفعة (قلالها) جمع قلة ، و قلة الجبل اعلاه (و اطال) فى الجو (انشازها) اى متونها المرتفعة فى الأرض ، غير القلال ، جمع نشز ، و هو المرتفع .

(و جعلها للأرض عمادا) تعتمد الأرض على تلك الجبال ، و الا لتفككت و اضطربت (و أرزها) اى ثبت تلك الجبال (فيها) اى فى الأرض (اوتادا) جمع وتد ، و هو المسمار ، فان الجبال بمنزلة المسامير التى تجمع بين قطع الخشب (فسكنت) الأرض (على حركتها) اى مع كونها متحركة ـ كما يقول العلم الحديث ـ او فى حال كونها متحركة ، اذ كانت قبل خلق الجبال

مَن أنْ تَميدَ بِأَهْلِهَا ، أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا ، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا ، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا ، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً ، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً ! فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي ، وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي ، تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ ، وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ ، ﴿ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً ﴾

مضطربة (من ان تميد) اى تضطرب (باهلها) وتتزلزل بهم .

(او تسيخ) اى تهبط فى الهواء (بحملها) اى بما تحمل من الانسان و الدّواب وغيرهما ، بان تأخذ غير مدارها ـ كما يقول العلم الحديث ـ (اوتزول عن مواضعها) ذات اليمين او الشمال او الفوق .

(فسبحان من امسكها) اى حفظ الأرض (بعد موجان) اى تموّج (مياهها) فلم تؤثّر الأمواج الشّديدة فى تحريك الأرض .

(و اجمدها) اى جعلها جامدة (بعد رطوبة اكنافها) اى اطرافها فانّها خلقت من زبد البحر .

(فجعلها) اى الأرض (لخلقه مهادا) موضع الاستقرار و الاستراحة (و بسطها لهم فراشا) كالفرش المبسوط الذى يستريح الانسان اليه (فوق بحرلجّى) كثير الماء (راكد) ذلك الماء (لا يجرى) كما تجرى مياه الأنهار .

(وقائم) فى مكانه (لا يسرى) فى الهواء (تكركره) اى تحركه ذاهبة به وعائدة له (الرّياح العواصف) جمع عاصفة ، وهى الشديدة (و تمخضه) كما يمخض اللبن فى السقاء ليخرج منه الزبد (الغمام) اى السحاب ، و المراد به الجنس ، ولذا جئ بالفعل مؤنّثا (الذوارف) جمع ذارفة ، اى السّائلة ، فانّ الأمطار الشّديدة توجب مخض ماء البحر اذا نزلت فيه ، لأن اعلاه يكون اسفله ، و بالعكس (ان فى ذلك) الذى ذكر من الآيات الأرضية و السّماوية (لعبرة)

لِمَنْ يَخْشَىٰ » .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اَللّٰهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا اَلْعَادِلَةَ غَيْرَ اَلْجَائِرَةِ ، وَاَلْمُصْلِحَةَ ، فِي اَلدِّينِ وَالدُّنْيَا غَيْرَ اَلْمُفْسِدَةِ ، فَأَبَىٰ بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا اَلنُّكُوصَ

اى اعتبارا ، و دلالة على وجود الخالق و علمه و قدرته و حكمته (لمن يخشى) فيعترف بالاله سبحانه و يطيعه .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فيها انهاض لأصحابه الى قتال معاوية ، و اعوانه ، بصورة الدّعاء

(اللّهمّ ايّما عبد من عبادك) ((ما)) زائدة ، او موصوفة اى شخص وصف بـ ((عبد)) (سمع مقالتنا) اى قولنا (العادلة) فى قصة الخلافة ، وبطلان مزاعم من ابطل خلافة الامام طمعا او جهلا (غير الجائرة) التى لا جور فيها و لا انحراف الى الباطل (و المصلحة) صفة المقالة (فى الدّين و الدّنيا) لأنّها توجب اطاعة امر الله ، و نظم المسلمين فى سلك واحد ، يوجب قوتهم امام الكفّار .

(غير المفسدة) حال عن ((المصلحة)) اى فى حالكون مقالتنا لا تفسد شيئا (فابى بعد سمعه لها) اى للمقالة (الاّ النّكوص) اى الرجوع و عدم العمل

عَنْ نُصْرَتِكَ ، وَالْإِبْطَاءِ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً ، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ ، وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ .

بان اصرّ على باطله (عن نصرتك) بنصر دينك (و الابطاء عن اعزاز دينك) فان اعزاز الدين انما يكون بالالتفاف حول خليفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الشّرعى الذى يعرف الاسلام عرفانا تاما .

(فانّا نستشهدك عليه باكبر الشاهدين شهادة) اى نجعلك شاهدا عليه ، بانّه عرف و لم يعمل ، او المعنى نطلب شهادتك ضدك بسبب شهادة الرّسول او القرآن ، فانّهما شهيدان لنا ، و بشهادتهما الصّادقة نطلب ان تكون انت ايضا شاهدا ــ اذ قال الرّسول : علىّ مع الحق ، و الحقّ مع على ، و قال القرآن : اطيعوا اللّه و اطيعوا الرّسول ، و اولى الأمر منكم ــ اما على المعنى الأول فيكون ((باكبر)) شبه ((بدل)) عن ((الكاف)) فى ((نستشهدك))

(و نستشهد عليه جميع من اسكنته ارضك و سماواتك) من الملائكة والانسان و الجن و من اشبه ، ولا يخفى انّ استشهاد هؤلاء مثل استشهاد الانسان لانسان آخر فى قضيّة من القضايا (ثمّ انت) يا ربّ (بعد) اى بعد انحرافه عمدا و الاستشهاد منّا عليه (المغنى عن نصره) اى تغنينا حتّى لا نحتاج الى آخر مثل الشّخص (و الآخذ له بذنبه) ذنب الانحراف عن الحقّ عمدا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ اَلْمَخْلُوقِينَ، اَلْغَالِبِ لِمَقَالِ اَلْوَاصِفِينَ ، اَلظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ ، اَلْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ اَلْمُتَوَهِّمِينَ، اَلْعَالِمِ بِلَا اِكْتِسَابٍ وَلَا اِزْدِيَادٍ ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فی وصف اللّه سبحانه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(الحمد للّه العلیّ عن شبه المخلوقین) ای انّه ارفع من ان یشبههم ،اذ لو کان شبیها لهم ، کان مساویا معهم ، فلم یکن ارفع (الغالب لمقال الواصفین) ای لا یقطع الواصفون ان یصفوه مهما بالغوا فی الوصف ، کانّه سبحانه یغلب وصفهم (الظّاهر بـ) سبب (عجائب تدبیره) ای تدبیره للمخلوقات العجیبة (للنّاظرین) فانّ من نظر الی الآثار العجیبة عرف حکمة صانعها و قدرتها الفائقة .

(الباطن بجلال عزّته) ای انّ کونه عزیزا سبب جلاله و ارتفاعه فانّ کل عزیز مرتفع (عن فکر المتوهّمین) فلا یصل الیه تعالی فکر النّاس و التّوهم : التّظنّی و التّعقل ، فانّه سبحانه لا یدرک کنهه .

(العالم بلا اکتساب) علم من احد ، بعکس الانسان الّذی یعلم الأشیاء بالکسب و التّعلّم (و لا ازدیاد) فانّ علمه لا یزداد تدریجا کما یزداد علم

وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ ، اَلْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ اَلْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ ، اَلَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلَمُ ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْإِبْصَارِ ، وَلَا عِلْمُهُ بِالْإِخْبَارِ .

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ ، وَقَدَّمَهُ فِي الِاصْطِفَاءِ ، فَرَتَقَ بِهِ اَلْمَفَاتِقَ وَسَاوَرَ ، بِهِ

الانسان (ولا علم مستفاد) فلم يستفد العلم من احد ، والاكتساب اعمّ من الاستفادة .

(المقدّر لجميع الأمور) بان يكون لكلّ شئ مقدار خاص طولا وعرضا و زمانا وعمرا ، وما اشبه (بلا روّية) اى فكر (ولا ضمير) اى اضمار فى النّفس اذ لا نفس له سبحانه (الّذى لا تغشاه الظّلم) جمع ظلمة ، فانّ النّهار واللّيل لا يقعان عليه ، اذ هو سبحانه ليس بجسم (ولا يستضئ بالأنوار) بان يقع عليه نور الشّمس او نور المصباح اوغيرهما .

(ولا يرهقه ليل) اى لا يغشاه (ولا يجرى عليه نهار) وهذا اخصّ من ((الظّلم)) و ((الأنوار)) فى الجملتين السّابقتين .

(ليس ادراكه) تعالى للأشياء (بالأبصار) اذ لا عين له كعيون البشر (ولا علمه بالأخبار) بان يخبره شخص فيعلم بعكس الانسان الّذى علمه باخبار النّاس له .

(ومنها فى ذكر النّبى صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)

(ارسله) سبحانه (بالضّياء) اى النّور الّذى يجب معرفة النّاس لطريق السّعادة (وقدّمه) على غيره (فى الاصطفاء) بان اختاره للرّسالة دون سواه (فرتق به المفاتق) جمع مفتق ، بمعنى الشق ، فانّه كان بين النّاس انشقاقات طبقية وما اشبه ، فجمع شملهم (وساور) اى غالب اللّه سبحانه (به) اى :

اَلْمُغَالِبَ ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ ، وَسَهَّلَ بِهِ اَلْحُزُونَةَ ، حَتَّىٰ سَرَّحَ الضَّلَالَ ، عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ .

بسبب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (المغالب) اى الكفّار الّذين يغالبون الحق لا رادة الغلبة عليه .

(و ذلّل به) اى بالرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (الصّعوبة) اى المشاكل الّتى كانت تكتنف النّاس من كلّ جانب و مكان (و سهّل به الحزونة) اى الصّعوبة الّتى كانت فى الأخلاق ، و فى طباع النّاس ، فانّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليّن الطّباع و هذّبها (حتّى سرّح الضّلال) اى ابعده عن النّاس (عن يمين و شمال) اى جانب الافراط و التّفريط ، فمثلا الضّلال فى الانفاق الاسراف و البخل و الوسط الجود .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ ، وَحَكَمٌ فَصَلَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ ، كُلَّمَا نَسَخَ اللهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى الشّهادتين ، و صفة العلماء ، والوعظ

(واشهد انّه) تعالى (عدل) بذاته لا ميل فيه ولا اعوجاج (عدل) فى الحكم و فى الخلق ، فلم يظلم مخلوقا ولا فى حكم (وحكم) اى حاكم (فصل) فى القضيّة تفصيلا عادلا .

(واشهد انّ محمّدا عبده و رسوله) لعلّ تقديم العبد ـ لما تقدّم ـ دلالة على انّ الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم لا يتعدّى منزلة العبودية ، خلافا لزعم اليهود والنّصارى فى انبيائهم (وسيّد عباده) جعله تعالى سيّدا عليهم (كلّما نسخ اللّه الخلق فرقتين) اى جعلهم جماعتين ، كالعرب و العجم و اولاد سام و اولاد حام و هكذا .

(جعله) اى جعل نطفة الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم و نوره (فى خيرهما) اى فى احسن الفرقتين .

(لم يسهم فيه) اى لم يشترك فى نطفته ـ اى آبائه و امّهاته ـ (عاهر)

وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ .

أَلَا وَإِنَّ اللهَ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا ، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً . وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ ، وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةَ . فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ ، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ ،

ای زان (ولا ضرب فيه) صلّى اللّه عليه وآله وسلّم (فاجر) يقال ضرب فی الشّئ اذا صار له نصيب منه ، ای ليس لفاجر نصيب فی الرّسول ، فلم يكن فی آبائه شخص فاجر ابدا .

(الا و انّ اللّه جعل للخير اهلا) هم ياتون بالخير و يعملون له (و للحقّ دعائم) هم ياخذون الحق ، حتّى لا ينهار (و للطّاعة عصما) جمع ((عصمة)) وهی مايعتصم به والمراد الأشخاص المطيعون الّذين تعتصم بهم الطّاعةمن ان تنهار و تفنى ، اذ لولا المطيعون لم تكن طاعة (و انّ لكم عند كلّ طاعة عونا من اللّه) فانّ اللّه يعينكم فی طاعاتكم (يقول) ذلك العون (على الألسنة) ای : يجری ذلك العون الطّاعة على اللّسان .

(و يثبّت الأفئدة فيه) ای يثبت ذلك العون القلوب فی الاتيان بالطاعة ، لئلاّ يتزلزل القلب و يخاف ، و يرجف اللّسان و لا يتكلّم بالطّاعة (كفاء) ذلك العون الغيبی (لمكتف) ای الّذی يريد الاكتفاء ، لا الّذی يريد ان يتعلّل ليفرّ من الطّاعة (و شفاء لمشتف) ای لمن يريد الشّفاء من امراض المعصية . . وقد ذكر الامام هذه الجمل من قوله ((الأوان)) لحثّ النّاس على الطّاعة و ترغيبهم فی الاطاعة .

(و اعلموا انّ عباد اللّه المستحفظين علمه) ای الّذين اودع اللّه فيهم العلم فحفظوه ــ و هم العلماء الأخيار ــ (يصونون مصونه) ای يحفظون ما يجب

وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ . يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ، وَيَتَلَاقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسِ رَوِيَّةٍ ، وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ، لَا تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيبَةُ . عَلَىٰ ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ، وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ، فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَى فَيُؤْخَذُ مِنْهُ

حفظه ، من العلوم لئلا يندرس ويفنى (ويفجّرون عيونه) اى عيون العلم ، بالمدارسة و المذاكرة ·

(يتواصلون بالولاية) اى يصل بعضهم بعضا بسبب الولاية و المحبّة الّتى تحلّوا بها من جراء كونهم حافظين لعلم اللّه تعالى ·

(و يتلاقون) اى يلقى بعضهم بعضا (بالمحبّة) فيحبّ احدهم الآخر (و يتساقون) يسقى بعضهم بعضا (بكأس رويّة) اى توجب الارتواء من الظمأ ، و النجات من العطش ، فانّ العلم الذى يقوله احدهم للآخر يوجب ارتواء المتعلم ، لأنّ ذلك العلم ينير الأذهان المظلمة ·

(و يصدرون بريّة) اى يخرجون بعد التّفرّق بالرّى اى الامتلاء من الماء ـ ((التاء)) فى ريّة ، للموحدة ـ ·

(لا تشوبهم الرّيبة) اى لا يشك احدهم بالآخر ـ من جهة سوء الظّن او ما اشبه ـ (ولا تسرع فيهم الغيبة) اى لا يغتاب احدهم الآخر ، كما هو شان اهل الجهل اذ يسرع احدهم فى غيبة الآخر ـ لدى غيابه ـ ·

(على ذلك) الذى ذكر لهم من الصفات الحسنة (عقد) اللّه سبحانه (خلقهم و اخلاقهم) فانّ خلقهم من طينة صافية ، و اخلاقهم ظاهرة زاكية (فعليه) اى على ذلك ((العقد)) (يتحابّون) يحبّ بعضهم بعضا ·

(و به يتواصلون) يصل احدهم الآخر و لا يهجره (فكانوا كتفاضل البذر)اى انّهم يتفاضلون على سائر النّاس كما يفضل البذر (ينتقى) اى يختار صافيا من ((الزوان)) و ما اشبه ليخرج النّبات جيدا (فيؤخذ منه) اى من ذلك البذر

وَيُلْقَىٰ ، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ ، وَهَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ .

فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا ، وَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ ، فِي مَنْزِلٍ حَتَّىٰ يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا ، فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ. فَطُوبَىٰ لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ ، وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ

الجيّد (و يلقى) الردئ .

(قد ميّزه) اى ذلك البذر (التّخليص) اى كونه قد خلص من البذور السّيّئة (و هذّبه) اى نقاه (التّمحيص) اى الاختيار ـ وهذا هو وصف العلماء الأخيار كما ذكره الامام عليه السّلام ـ .

(فليقبل امرء كرامة) اى كرامة عظيمة (بقبولها) اى بقبوله للتقوى (و ليحذر قارعه) اى مصيبة تقرع الانسان ، و المراد به الموت او القيامة (قبل حلولها) بان يعمل صالحا حتى لا تأتيه القارعة بغتة فتصير سببا لعذابه و نكاله .

(و لينظر امرء فى قصير ايّامه) المراد بالنّظر التّفكر و العمل الصّالح (وقليل مقامه) اى مقامه القليل فى الدّنيا (فى منزل) اى الدّنيا و كانّ التفكير لتحقير شانها .

(حتّى يستبدل به منزلا) المراد به الآخرة ، اى يصبر حتّى ينتقل الى ذلك المنزل (فليصنع لمتحوّله) اى المحل الذى يتحوّل اليه (و معارف منتقله) اى المواضع التى يعرف الانتقال اليها .

(فطوبى لذى قلب سليم) عن ادران الملكات السّيئة (اطاع من يهديه) اى اللّه سبحانه (و تجنّب من يرديه) اى من يهلكه و هو الشيطان .

(و اصاب سبيل السّلامة) اى الطّريق الموجب لسلامته عن المعاصى والآثام

بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ ، وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ ، وَبَادَرَ الْهُدَىٰ قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ ، وَتَقْطَعَ أَسْبَابُهُ ، وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ ، وَأَمَاطَ الْحَوْبَةَ ، فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ .

(ببصر من بصّره) اى بابصار المرشد الّذى ارشده (و طاعة هاد امره) بالسلوك فى هذا السبيل فسلك كما امر (و بادر الهدى قبل ان تغلق ابوابه) بالموت ، فانّه لا تقبل التّوبة من الانسان اذا مات .

(و تقطع اسبابه) اى اسباب الهدى (و استفتح التوبة) اى فتحها بان شرع فى التوبة (و اماط الحوبة) اى ازال الاثم .

(فقد اقيم على الطّريق) اى اقاموا الانسان على طريق الزوال (و هدى نهج السّبيل) اى اروه الطّريق المستقيم الواضح .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمن دُعَاء لهُ عَليْه السَّلام

كان يدعو به كثيرا

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلَا سَقِيماً ، وَلَا مَضْرُوباً عَلَىٰ عُرُوقِي بِسُوءٍ ، وَلَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي ، وَلَا مَقْطُوعاً دَابِرِي ، وَلَا مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي ، وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّي ، وَلَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي ، وَلَا مُلْتَبِساً

وَمن دُعَاء لهُ عَليْه السَّلام

(كان يدعو به كثيرا) وفيه يذكر جملة من النعم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(الحمد للّه الّذى لم يصبح بى ميّتا ولا سقيما) اى لم يمتنى ولم يمرض (و لا مضروبا على عروقى بسوء) فانّ العرق اذا ضرب ـ اى اضطرب ـ صار الانسان مريضا (ولا ماخوذا باسوء عملى) اى لم ياخذنى اللّه سبحانه باعمالى السّيئة ، حتّى يهلكنى بها معذّبنى ، ولا يخفى انّ المراد بسوء العمل ـ ما ذكرناه سابقا من الأمور اللازمة للجسد ، الّتى كان الامام و سائر المعصومين يرونها بعدا عن اللّه تعالى و سيّئا ـ (ولا مقطوعا دابرى) الدّابر بقية الرجل من ولده و نسله ، اى لم يقطع نسلى .

(ولا مرتدّا عن دينى) اى لم ارجع عن دينى (ولا منكرا لربّى) كالجاحدين الّذين ينكرون وجود اللّه سبحانه (ولا مستوحشا من ايمانى) فانّ بعض النّاس يخافون من ايمانهم ، و يرونه شيئا غريبا لاصقا بهم (ولا ملتبسا

عَقْلِي ، وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي . أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي ، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي . وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي ، وَلَا أَتَّقِيَ إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي .

اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ !

اَللّٰهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي ،

عقلى) اى لم يختلط عقلى بجنون و نحوه (ولا معذّبا بعذاب الأمم من قبلى) من قبيل الخسف و الرمى بالحجارة و ما اشبه مما اصيب بها الأمم السابقة .

(اصبحت عبدا مملوكا) لله سبحانه (ظالما لنفسى) فانّ المعصوم حيث يرى حضور اللّه دائما ، و يعلم علمه الواسع و احاطته الشاملة ، يرى نفسه مقصّرا فى جنبه ، اذ لا يتمكن من الوفاء بحقّه ، لضروريات جسده (لك الحجّة علىّ و لا حجّة لى) فانّ اللّه سبحانه اتم الحجّة على العبد ، بما ليس للعبد حجّة اذا ترك امرا او ارتكب نهيا (ولا استطيع ان آخذ) شيئا من الأشياء (الّا ما اعطيتنى) من النّعم و الفواضل . (ولا اتقى الّا ما وقيتنى) اى حفظتنى منه

(اللّهمّ انّى اعوذ بك ان افتقر فى) جنب (غناك) الّذى تغنى به كلّ شئ ، بان تحرمنى من فضلك حتّى افتقر (او اضلّ فى هداك) اى مع هدايتك لى ، و فى بمعنى النسبة (او اضام) اى اظلم (فى سلطانك) اى و الحال انّك سلطان تقدر على دفع الظّالمين عنّى (او اضطهد) و يؤخذ حقّى (و الامر لك) تقدر على الدّفاع عنّى .

(اللّهم اجعل نفسى اوّل كريمة تنتزعها من كرائمى) اى الأشياء الكريمة التى اعطيتها لى ، فانّ الجوارح و المشاعر كلّها كرائم تفضّل اللّه بها على الانسان ، و انتزاع النّفس كناية عن الموت ، اذ لو انتزع غيرها ، قبل الموت اصبح الانسان

وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي

اَللّٰهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ ، أَوْ أَنْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ ، أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ اَلْهُدَىٰ اَلَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ !

ناقصا ، كان يعمى او يصم او يجن او ما اشبه (و اوّل وديعة ترتجعها) اى : تاخذها (من وداع نعمك عندى) فانّ نعم اللّه سبحانه عند الانسان وديعة لابد و ان يرتجعها جميعا .

(اللّهمّ انّا نعوذ بك ان نذهب عن قولك) اى نخالف اوامرك (او ان نفتتن عن دينك) بان نخرج من الدّين بافتتان النّاس و اضلالهم (او تتابع بنا اهوائنا) اى نسير خلف الهوى مرّة فمرّة (دون الهدى الّذى جاء من عندك) بان نتّبع الهوى دون الهدى .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

خطبها بصفين

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ،

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

خطبها بصفين

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(امّا بعد فقد جعل اللّه لى) ايّها المسلمون (عليكم حقّا بولاية امركم) اى بكونى واليا لأموركم (و لكم علىّ من الحق مثل الّذى لى عليكم) المماثلة فى اصل الحق ، لا فى الكيفيّة .

(فالحق اوسع الأشياء فى التّواصف) اى فى وصف النّاس له ، فكل انسان يصف الحق (و اضيقها فى التّناصف) اى فى اعطاء الانصاف ، فانّ الانسان لا يستعدّ ان ينصف النّاس من نفسه ، و اصل الانصاف من النّصف ، كانّ كلا الطّرفين ينصفان الأمر نصف لهذا و نصف لذاك .

(لا يجرى) الحق (لأحد الاّ جرى عليه) بان كان عليه الحقّ مثل انّه له الحق ، فمثلا للرّجل الحق على المرئة بحسن التبعل ، كما ان للمرئة الحق على الرّجل بالنّفقة ، و للوالد الحق على الولد بالاطاعة ، و للولد الحق على الوالد

وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَىٰ لَهُ . وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ ، لَكَانَ ذٰلِكَ خَالِصاً لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ ، لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ ، وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَىٰ ٱلْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ

بالتّربية ، و هكذا .

(و لا يجرى عليه الا جرى له) هذه القضية عكس القضية السابقة (و لو كان لأحد ان يجرى له) بان كان له الحق على غيره (و لا يجرى عليه) فلا يكون عليه حق من احد (لكان ذلك خالصا للّه سبحانه دون خلقه) اذ له حقّ على كل احد ، و ليس لأحد حقّ عليه ، و الاتيان بـ ((لو)) مجاز لزيادة التقريب فى عدم الانفكاك بين الأصل و العكس .

(لقدرته على عباده) و القادر المطلق ، لاحق عليه ، اذ هو خالق ، و الخالق لا يعطيه احد شيئا حتّى يستحقّ شيئا عليه (و لعدله فى كلّ ما جرت عليه صروف قضائه) فاذا عدل سبحانه فى كلّ شئ لم يكن ظالما ، حتّى ياتى عليه حق المظلوم ، اذ مثار الحق احد شيئين .

الأول : ان يكون شخص متفضلا على الانسان ، فالمتفضّل يكون له الحق على ذلك المتفضل عليه ــ و ليس لأحد فضل على اللّه ــ .

الثانى : ان يكون الشخص ظالما لغيره ، فيكون للمظلوم حقّ ، واللّه سبحانه عادل لا يظلم احدا و صروف القضاء تقلبات الأمور الجارية على النّاس ، من افقار و اغناء ، و ابلال و امراض ، و احياء و اماتة ، و ما اشبه .

(و لكنّه) مع ذلك الّذى لاحق عليه سبحانه واقعا (جعل حقّه على العباد ان يطيعوه) بان جعل حقّا له ــ جديدا ــ غير اصل الخلقة و الانعام (وجعل جزائهم عليه مضاعفة الثّواب) اى الثّواب الّذى هو ضعف العمل ، قال تعالى :

تَفَضُّلًا مِنْهُ ، وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ ٱلْمَزِيدِ أَهْلُهُ .

ثُمَّ جَعَلَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً ٱفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا ، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ . وَأَعْظَمُ مَا ٱفْتَرَضَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُقُوقِ حَقُّ ٱلْوَالِي عَلَىٰ الرَّعِيَّةِ ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى ٱلْوَالِي ، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لِكُلٍّ عَلَىٰ كُلٍّ ،

من جاء بالحسنة فله عشر امثالها (تفضّلا منه و توسّعا) اى سعة فى رحمته (بما هو ـ المزيد ـ من اهله) اى بما هو اهله ، مزيدا ، اى زيادة على اصل الأهلية و هذا لزيادة التجليل عنه سبحانه .

ثمّ .. بيّن عليه السّلام حقّ الوالى و حقّ الرّعية ـ الذى ساق الكلام بصدده ـ (ثمّ جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض النّاس على بعض) فان استحقاق بعض النّاس على بعض ، انّما هو بجعل اللّه ، و الاّ فمن تصرّف فى ملك الآخر كان الحق للمالك ، لا للملوك ، و النّاس كلّهم ملك للّه سبحانه ، فاذا تصرف احد فيهم بما لا يلائمهم ، كان اللاّزم ثبوت حقّ اللّه تعالى عليه ، لا حقّ للمتصرّف فيه (فجعلها تتكافأ ، فى وجوهها) فحق فى مقابل حق .

(و يوجب بعضها بعضا) فاذا صار من احد حق على غيره ، كان لذلك الغير حقّ ايضا (و لا يستوجب بعضها الاّ ببعض) هذه القضيّة عكس القضيّة السّابقة (و اعظم ما افترض) اى اوجب (سبحانه من تلك الحقوق حقّ الوالى على الرّعية و حقّ الرّعية على الوالى) و انّما كان ذلك اعظم الحقوق ، لأنّ الاجتماع يستقيم بذلك ، بينما سائر الحقوق توجب اقامة الأفراد ، و ما يتوقّف عليه الاجتماع اهم ممّا يتوقّف عليه الفرد .

و كل حق هذين الحقين (فريضة فرضها اللّه سبحانه لكلّ على كلّ) اى : لكلّ

فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ ، فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ .

طرف على كلّ طرف (فجعلها) اى هذه الفريضة (نظاما لألفتهم) به ينتظم الألفة بين الوالى و الرّعية (وعزّا لدينهم) اذ بالألفة تعتزّ الحكومة و الأمة ، مما يوجب عز الدين و رفعته فى نظر الأعداء .

(فليست تصلح الرّعية الا بصلاح الولاة) فانّ النّاس على دين ملوكهم (ولا تصلح الولاة الاّ باستقامة الرعية) اذ لو انحرفت الرعية ، اضطرب امر الوالى ،ولم يتمكن من ادارة البلاد كما ينبغى .

(فاذا ادّت الرّعية الى الوالى حقّه) بالنصرة و الموآزرة (و ادّى الوالى اليها) اى الى الرّعية (حقّها) بالرّعاية و العناية (عزّ الحق) بسبب الاجتماع و الألفة و القوة (بينهم ، وقامت مناهج الدين) للتعاون الحاصل بينهما الموجب للرقابة الشديدة على حفظ الدين .

(و اعتدلت معالم العدل) جمع ((معلم)) و هو ما ينصب فى الطّريق للارشاد الى جهته ، حتّى لا يضل السّارة (و جرت على اذلالها) جمع ((ذل)) بكسر الذال بمعنى محجة الطريق (السّنن) اى جرت سنن اللّه و احكامه ، على وجوهها (فصلح بذلك الزّمان) اذ ليس المراد من صلاح الزّمان و فساده الاّ فساد النّاس و صلاحهم .

(و طمع فى بقاء الدّولة) اذ الدّولة انما تبقى بمعاضدة الأمة لها ، اما اذا صار الأمر بالعكس سقطت الدولة بتجمع الأمة ضدها (و يئست مطامع الأعداء)

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا ، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ

اى اعداء الدين اذ الأعداء انما يتمكنون من الاخلال اذا تشتت الأمر وتفرقت الكلمة فالوحدة عز ، والفرقة ذل .

(واذا غلبت الرعية واليها) بعدم الاطاعة والمخالفة (او اجحف الوالى برعيته) اى اظلم الوالى رعيته وسار بهم فى طريق الجور (اختلفت هنالك الكلمة) اى تشتت كلمة الوالى والرعية وعبر عن التشتت بالكلمة لأنه اذا اختلفت الآراء ، اختلفت الكلمات ، فكل يقول غير ما يقوله الآخر .

(وظهرت معالم الجور) اذ كل من الطرفين يجور على الآخر (وكثر الادغال فى الدين) الادغال فى الأمر ادخال ما يفسده فيه ، اذ كل جانب يجر الدين الى جانبه ليقوى جبهته ، ومن المعلوم انّ ذلك موجب للتاويل والاختلاف ونسبة ما ليس من الدين الى الدين (وتركت محاج السّنن) جمع محجّة ، بمعنى وسط الطريق اى سنن الاسلام .

(فعمل بالهوى) عوض الهدى (وعطّلت الأحكام) اذ لا ينفذها كل جانب عنادا على الجانب الآخر (وكثرت علل النفوس) اى امراضها الباطنيّة من قبيل الحسد والغل والافتراء وما اشبه .

(فلا يستوحش لعظيم حق عطل) اى اذا عطل الحق لا تاخذ النفوس وحشة واستغراب لتعودها على تعطيل الحقوق ، واتيان كل جانب بالأعمال الباطلةتجاه الآخر .

(ولا لعظيم باطل فعل) لاستيناس كل جانب بالأعمال الباطلة الصادرة

فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ . فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذٰلِكَ ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ ـ وَإِنِ اشْتَدَّ عَلَىٰ رِضَى اللهِ حِرْصُهُ ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ ـ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ ، وَلٰكِنْ

من الجانب الآخر (فهنالك تذل الأبرار) جمع برّ ، بمعنى : المحسنين .

(و تعزّ الأشرار) لأنه يروج سوق الدجل والأعمال المنكر ، يستعين بهم كل طرف للتفليق ضدّ الطرف الآخر . و بمقدار ما يعزّ هؤلاء يذلّ الأبرار . لأنّ توزّعهم المانع عن الاتيان بالمنكرات يسقطهم عن الانتفاع فى زمان رواج سوقها (و تعظّم تبعات اللّه عند العباد) التبعة ما يتبع الذنب من الاثم و العقاب ، و المراد انّ النّاس يستوجبون العقاب من جانبه سبحانه .

(فعليكم بالتّناصح فى ذلك) الوقت بان ينصح كل جانب الجانب الآخر ، لتعود الألفة بين الوالى و الرّعية (و حسن التّعاون عليه) بان يحسن كلّ جانب لاعانة الجانب الآخر فى الاتّحاد و العمل بامر اللّه سبحانه (فليس احد وان اشتدّ على رضا اللّه حرصه) بان كان حريصا على تحصيل مراضى اللّه سبحانه ، بامتثال جميع اوامره تعالى .

(و طال فى العمل اجتهاده) بان اكثر جهد نفسه ليل نهار للعمل حسب اوامر اللّه تعالى (ببالغ) متعلق بقوله ((فليس احد)) و الجملة بينهمامعترضة اى لا يبلغ اى انسان (حقيقة ما اللّه سبحانه اهله من الطّاعة له) ((من)) بيان ((ما)) المصدرية ، و انّما لا يبلغ لأنّ الانسان لا يتمكن ان يؤدى مقدار حقّ اللّه تعالى ، اذ هو ملك له ، فكل ما يصدر منه ليس عوضا من نفسه ، حتّى يكفى و يقابل ما اعطاه اللّه تعالى .

(و لكن) اذا لم يقدر الانسان على اداء جميع حقّ اللّه تعالى ، يلزم ان

مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلنَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِـمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَىٰ إِقَامَةِ ٱلْحَقِّ بَيْنَهُمْ . وَلَيْسَ ٱمْرُؤٌ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي ٱلْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ ـ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ. وَلَا ٱمْرُؤٌ ـ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ ، وَٱقْتَحَمَتْهُ ٱلْعُيُونُ ـ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَىٰ ذٰلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ .

لا يترك ما يقدر عليه اذ (من اوجب حقوق اللّه على العباد النصيحة) بان ينصح كل انسان من يتمكن من نصيحته (بمبلغ جهدهم) اى منتهى مقدار طاقتهم (و التّعاون على اقامة الحق بينهم) كل يعين الآخر ، حتى يتمكن من اداء حقوقه تعالى .

(وليس امرء و ان عظمت فى الحق منزلته) بان كان ذا رتبة كبيرة من التّقوى و الورع (و تقدّمت فى الدّين فضيلته ـ) بأن يكون ذا فضل على اقرانه فى الالتزام بالدّين و احكامه (بفوق ان يعاون) اى يعينه النّاس (على ما حمّله اللّه من حقّه) اذ حقّ اللّه لا يمكن ان يؤديه الانسان وحده ، اذ من حقوقه مالا يؤدّى الاّ بالاجتماع و التّعاون ، وقوله : ((بفوق)) متعلق بـ ((ليس امرء)) و الجملة بينهما معترضة .

(ولا امرء و ان صغّرته النّفوس) بأن نظر النّاس اليه نظر تصغير وتحقير (و اقتحمته العيون ـ) أى احتقرته ، و النسبة الى العين لأنها آلة ادراك الموجب للاحتقار (بدون ان يعين على ذلك) الحق للّه الواجب على غيره (أو يعان عليه) اى على الحق الواجب على نفسه ، فكل انسان ـ كبيرا كان او صغيرا ـ يلزم ان يعين غيره و يعان من ناحية غيره ، اذ الحقوق الاجتماعيّة لا تتأتى الاّ بالتّعاون ، وقوله ((بدون)) متعلق بـ ((لا امرء)) و الجملة بينهما اعتراض

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل ، يكثر فيه الثناء عليه ، ويذكر سمعه وطاعته له ؛ فقال عليه السلام :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ - لِعِظَمِ ذٰلِكَ - كُلُّ مَا سِوَاهُ ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ،

(فاجابه عليه السلام رجل من اصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثّناء عليه ، و يذكر سمعه و طاعته له ، فقال عليه السلام) ردّا له على اطرائه ما يؤنبه فى ذلك تعليما للنّاس بانّه لا ينبغى اطراء الولاة ، اذ ان ذلك يوجب كبرهم و زعمهم التفوق ، و ذلك يكثر المتزلفون حولهم مما يفسدهم ، و يحول بينهم و بين قضائهم لحوائج النّاس او قبول النقد لهم .

(ان من حقّ من عظم جلال اللّه فى نفسه) بان علم انّ اللّه اجل و ارفع من كلّ شئ (و جلّ) اى ارتفع (موضعه) سبحانه (من قلبه) بان رآه اجل من كلّ شئ (ان يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه) ((ذلك)) اى ذلك الجلال و ((كل)) فاعل ((يصغر)) و وجه ذلك انّ الانسان انّما يعظم شيئا اذا لم يدرك اعظم منه ، و الاصغر ذلك العظيم عند الأعظم ، فاذا ادرك الانسان عظمته سبحانه لم ير لما سواه قيمة و عظمة اذ كل عظيم لا شئ عند عظمة اللّه سبحانه ، فان النّسبة ابعد ممّا بين القطرة و البحر ، او الهبائة و الفضاء - اذا اردنا ان نقرب الى الذهن بالتمثيل بالمحسوسات - .

(و انّ احقّ من كان كذلك) اى احقّ المعظّمين للّه بتصغير ما سواه (لمن عظمت نعمة اللّه عليه) لأنه كلما عظمت نعمة اللّه على احد ، عرف عظمة اللّه اكثر ، و كلّما كان معرفة الانسان بعظمة اللّه اكثر ازداد تصغيرا لمن سواه سبحانه .

وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقُّ اللهِ عَلَيْهِ عِظَماً . وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الْإِطْرَاءَ ، وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ ؛ وَلَسْتُ - بِحَمْدِ اللهِ - كَذٰلِكَ ،

(ولطف احسانه اليه) اى دق فانّ الاحسان قد يشمل الأشياء الكبيرة ،وقد يشمل حتّى الأشياء الدّقيقة .

(فانّلم تعظم نعمة الله على احد الاّ ازداد حقّ الله عليه عظما) اذ الحق بمقدار النّعمة ، وكلّما زاد الحق زادت المعرفة - لمن تفكر - وكلّما زادت المعرفة زاد التّصغير لما سواه سبحانه (وانّ من اسخف حالات الولاة) السخف رقّة العقل وضعفه (عند صالح النّاس أن يظن بهم حبّ الفخر) اى ان حال الوالى سخيف ، اذا ظن الصالحون به انه يحب الفخر، اذ ان ظنّهم كاشف عن انه بحيث يظنّ به مثل هذا الظن ، بينما اللازم على الوالى ان يسير سيرة تنفى عنه مثل هذا الظّن .

(ويوضع امرهم على الكبر) اى من سخف الولاة ان يظن الصالحون بهم انّهم يبنون امورهم على اساس الكبر ، فحيثما كان رفعة لهم تبعوه .

(وقد كرهت ان يكون جال فى ظنّكم) اى جاء وتحرّك فى اذهانكم (انّى احبّ الاطراء) اى الثّناء والمدح (واستماع الثّناء) اى استمع منكم ثنائكم علىّ .

(ولست بحمد الله كذلك) احبّ الثّناء والمدح ، وانّما قال الامام هذه الجمل ، دفعا لقول ذلك الشّخص الذى مدحه ، بعدما بيّن الامام حقّ الوالى وحقّ الرّعية ، ممّا يستشم منه انه عليه السلام يريد اطراء نفسه بانّه قام بالواجب

وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذٰلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ. وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ،

عليه تجاه الرّعية .

(و لو كنت احبّ ان يقال ذلك) الاطراء فيّ ـ محبّة نفسية ـ (لتركته) اى اخليت قلبى عن ذلك الحب (انحطاطا للّه سبحانه) اى تواضعا له (عن تناول) اى ارادة (ما هو) سبحانه (احقّ به) و بين ((ما)) بقوله (من العظمة و الكبرياء) فانّ اللّه سبحانه احق بان يعظم و يكبّر من كل احد ، اذ فيه حقيقة ، وفى غير مجاز .

(و ربّما استحلى النّاس الثّناء بعد البلاء) اى يسرّ بعض النّاس الثّناء بعد اجهاد النّفس و العمل الصّالح حلوا ، لكنّى لست كذلك .

(فلا تثنوا علىّ بجميل ثناء) اى بالثّناء الجميل (لاخراجى نفسى الى اللّه و اليكم من التّقيّة) ((لاخراجى)) متعلّق بـ ((لا تثنوا)) اى لا يكن ثنائكم لى ، لأنى خرجت من حقوقكم ، و خرجت من حقوق اللّه سبحانه ، اى ادّيت الحقوق المفروضة علىّ ، تجاه اللّه و تجاهكم بدون تقية او خوف (فى حقوق لم افرغ من ادائها) ((فى)) متعلق بـ ((اخراجى)) اى لأنى اخرجت نفسى من الحقوق الّتى لم اتم بعد جميعها ، فانّ الانسان مادام فى الدّنيا لم يرد جميع الحقوق الواجبة عليه ، اذ الحقوق طيلة الحياة .

(و) فى (فرائض) على بعد (لابدّ من امضائها) اى انجازها (فلا تكلّمونى بما تكلّم به الجبابرة) جمع جبّار و هو الظالم ، فان الظّالم انّما يمدح بما لا يستحقّ خوفا منه .

وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْبَادِرَةِ ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِٱلْمُصَانَعَةِ ، وَلَا تَظُنُّوا بِيَ ٱسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي ، وَلَا ٱلْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي ، فَإِنَّهُ مَنِ ٱسْتَثْقَلَ ٱلْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَو ٱلْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ ، كَانَ ٱلْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ . فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِيءَ ، وَلَا آمَنُ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي ،

(ولا تتحفّظوا منّى بما يتحفّظ به عند اهل البادرة) اى الّذين تبدر منهم بوادر السوء فان الناس يتحفّظون على انفسهم من الجبابرة بمدحهم ، و الموافقة على آرائهم حقّا كانت ام باطلا .

(ولا تخالطونى) اى تعاشرونى (بالمصانعة) اى المدارات و المجاملة بدون ان تفهموا اوامرى وزواجرى خوفا و تملّقا (ولا تظنّوا بى استثقالا فى حقّ قيل لى) فانّه مهما قيل لى الحق نفذته بكل ترحاب (ولا) تظنّوا بى (التماس اعظام لنفسى) اى انّى ارید ان اعظّم نفسى .

(فانّه من استثقل الحقّ ان يقال له) اى يقال له انّ هذا حق (او) استثقل (العدل ان يعرض عليه) فاذا عرض عليه شئ فيه العدالة استثقله و اباه (كان العمل بهما اثقل عليه) فانّ من لا يستعد ان يسمع الحق و العدل ، كيف يستعدّ ان يعمل بهما ؟ .

(فلا تكفّوا) اى لا تتركوا (عن مقالة بحقّ) اذا رايتم الحق فى شئ فاعرضوه علىّ و قولوا لى ذلك (او مشورة بعدل) بان تستشيرونى فيما رايتم فيه العدل ، لا عمل به .

(فانّى لست فى نفسى) اى مع الغض عن الروح القدسية ـ و انا بصفتى انسانا كسائر افراد الانسان ـ . (بفوق ان اخطى ولا آمن ذلك) الخطأ (من فعلى) ثمّ استثنى من ذلك بما هو الواقع ، فى المعصومين عليهم السّلام

إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ؛ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَىٰ مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَىٰ ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَىٰ .

بقوله : (إلاّ ان يكفى اللّه من نفسى ما هو املك به منّى) اى يكفينى الخطأفانه سبحانه اكثر ملكا للخطأ من الامام ، اذ كل شئ يقع انّما هو بقدرته و ارادته حتّى انّه سبحانه لو شاء ان لا يقع لم يقع . و هذا كقول يوسف عليه السّلام : ((و الاّ تصرف عنّى كيدهنّ اصبّ اليهنّ و اكن من الجاهلين)) .

(فانّما انا و انتم عبيد مملوكون مربوبون) جمع مربوب ، بمعنى : مخلوق (لربّ لا ربّ غيره يملك منّا ما لا نملك من انفسنا) فانّ كلّ شئ صادر عن النفس فانما هو بارادته سبحانه اما فى الخير فظاهر ، و اما فى الشر فلأنه سبحانه يملك ان يحول بين العبد و بين ما يريد فعله من الشّر .

(و اخرجنا ممّا كنّا فيه) اى من الجاهليّة الّتى عمّت الآفاق قبل الاسلام ، و هذا باعتبار الاجتماع لا باعتبار الامام نفسه (الى ما صلحنا عليه) من نورالاسلام (فابد لنا بعد الضّلالة) الّتى عمت الدّنيا (بالهدى) الذى جاء به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله (و اعطانا البصيرة) فى امر الدّين و الدّنيا (بعد العمى) اى الجهالة ، فانّ الجاهل كالأعمى ، فى كون كل منهما لا يهتدى الى سبيل ، و لا يعرف الطريق المنجى من الطريق المردى .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في التظلم والتشكي من قريش

اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَؤُوا إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي اَلْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي اَلْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً ، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى التّظلّم و التّشكى من قريش

(اللّهمّ انّى استعديك) اى استعينك و استعينك و الاسم العدوى (على قريش) قالة الامام عليه السّلام (فانّهم قد قطعوا رحمى) فان سلب الانسان حقّه اعظم قطع للرحم (و اكفئوا انائى) كناية عن غصب الحق ، اذ كما اذا كفئ الاناء يفرغ ما فيه ، كذلك اذا غصب الحق يذهب عن الانسان حقّه الّذى هو له (و اجمعوا على منازعتى حقّا) هو الخلافة (كنت اولى به من غيرى) اذ عيّنه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و قام بامر اللّه سبحانه خليفة من بعده ، ثمّ نازعه الخلفاء الثّلاثة مقامه ، و هم من قريش (و قالوا : الا انّ فى الحقّ ان تاخذه) اى ذلك الحق فانت له اهل و كفوء .

(و فى الحقّ ان تمنعه) لينتقل الى غيره و كانّه عليه السّلام يريد ببيان هذا الكلام اظهار المناقضة التى وقعوا فيها ، اذ لو كان حقّا له عليه السّلام كيف يكون من الحق ان يمنعه ، وان لم يكون حقاله كيف يكون من الحق ان يأخذه ... ؟ ثم قالوا (فاصبر) يا على (مغموما) فى غم و غصة (او مت متاسّفا) و هذا كناية عن عدم الفائدة و

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي ؛ فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى ، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ خَزِ الشِّفَارِ

قال الشريف رضي الله عنه : وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة ، إلا أني ذكرته ها هنا لاختلاف الروايتين .

عدم ارجاعهم الحق له كقوله سبحانه ـ فاصبروا او لا تصبروا ـ .

(فنظرت) اى تفكرت كيف اصنع (فاذا ليس لى رافد) اى معين (ولا ذابّ) اى دافع يدفع عنّى (ولا مساعد) يساعدنى فى ارجاع حقّى (الاّ اهل بيتى فضننت بهم) الضن ، البخل اى بخلت بهم (عن المنية) فانّ لازم المحاربة قتل جماعة من اهل البيت عليهم السّلام (فاغضيت) اى غمضت عينى ـ عن الخلافة ـ (على القذى) هو ما يقع فى العين مما يؤذيه ، وهذا كناية عن شدّة تاذّيه عليه السّلام على انسلاب حقّه (وجرعت) اى ابتلعت (ريقى) الريق ماء الفم (على الشجى) هو عظم يعترض فى الحلق فيشتد الوجع به ، والم ما يكون اذا اراد الانسان بلع شئ ،وهذا كناية ثانية عن الصبر بكل اذيه وصعوبة .

(وصبرت من كظم الغيظ) اى اخماده وعدم اظهاره (على امرّ من العلقم) هو مادة مرة جدّا (والم) اى اكثر الما (للقلب من خزّ الشّفار) جمع شفرة بمعنى حدّ السّيف ونحوه ، وهذا ان من باب تشبيه ما يقع على النّفس من المرارة والألم بما يقع على الجسم والحاسة .

(قال الشّريف رضى اللّه عنه : وقد مضى هذا الكلام فى اثناء خطبة متقدمة) هى الشقشقية (الا انّى ذكرته هاهنا لاختلاف الرّوايتين)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَقَدِمُوا عَلَىٰ عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ ، وَعَلَىٰ أَهْلِ مِصْرٍ ، كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَىٰ بَيْعَتِي ؛ فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ ، وَوَثَبُوا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى ذكر من سار الى البصرة ، لحربه من اهل الجمل

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(فقدموا) اى طلحة و الزبير وعائشة و من اليهم (على عمّالى) جمع عامل، و هو المنصوب من قبل الخليفة لادارة الأمور (و خزّان بيت المسلمين) جمع خازن و هو الحافظ (الّذى فى يدى) اذ الامام لما انتقلت اليه الخلافة الظاهرية صارت جميع بيت الأموال فى البلاد تحت سلطة الامام ، كانّها فى يده (و) قدموا (على اهل مصر كلّهم فى طاعتى وعلى بيعتى) المراد بالمصر ((البصرة)) (فشتّتوا كلمتهم) بجعلهم فرقتين فرقة معى ، و فرقة مع العصاة (و افسدوا علىّ جماعتهم) اذ بدلوا بالجماعة بالفرقة .

(و وثبوا) اصل الوثوب القفز ، و يستعمل بمعنى اهتبال الفرصة بغتة

عَلَىٰ شِيعَتِي ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا ، وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَىٰ أَسْيَافِهِمْ ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّىٰ لَقُوا اللهَ صَادِقِينَ .

(على شيعتى ، فقتلوا طائفة منهم غدرا) وخيانة اذ لم يكونوا محاربين لهم ، و انما كانوا امناء تحت لواء الاسلام و سلطة الخلافة الشرعية (و طائفة عضّوا على اسيافهم) العض على السيف كناية عن ملازمة العمل بها ، بكل اصرار كما ياخذ العاض باسنانه الشئ بكل شدّة (فضاربوا بها) اسيافهم ، وحاربوا اولئك العصاة (حتّى لقوا اللّه) اى لقوا ثواب الله سبحانه (صادقين) فى اسلامهم اذ من شرائط الاسلام دفاع الذين يحاربون المسلمين لحب نشر السلطة عليهم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما مر بطلحة بن عبد الله وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل :

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّد بِهٰذَا ٱلْمَكَان غَرِيباً ! أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَىٰ تَحْتَ بُطُونِ ٱلْكَوَاكِبِ !أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(لما مرّ بطلحة وعبد الرّحمان بن عتاب بن اسيد ، وهما قتيلان يوم الجمل)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وكان عبد الرحمان من اعيان بنى امية وكبرائهم والاشداء ضدّ الامام عليه السّلام .

(لقد اصبح ابو محمد) كنية طلحة (بهذا المكان غريبا) اذ ليس ببلده (اما والله لقد كنت اكره ان تكون قريش قتلى) جمع قتيل (تحت بطون الكواكب) اى منتشرين فى الآفاق ، كل واحد منهم تحت كوكب من كواكب السّماء (ادركت وترى) اى ثارى (من بنى عبد مناف) فانّ طلحة كان منهم وكان قاتله ((مروان)) قتله انتقاما لتاليبه الناس على عثمان ، فقد وتروا الامام بتاليب النّاس ضده وعصيانه ، وتشقيق شيعته وقتل جماعة منهم ، والوتر فى الدين من افضل الفضائل ، ولذا قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند فتح مكة حيث عدوا احلاف قريش ، على حلف الرّسول صلى الله عليه وآله ((خزاعته)) ((لانصرت ان لم انصر خزاعة)) .

وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحَ ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَىٰ أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ .

(و افلتتنى اعيان بنى جمح) اى شردوا منّى و لم اتمكن عليهم ، و المراد باعيانهم كبرائهم الذين كانوا فى ركب الجمل (لقد اتلعوا) اى رفعوا ، و المراد بهم من كانوا فى ركب الجمل (اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله) فانّهم لم يكونوا اهل الخلافة ، و انما ارادوا الاستيلاء عليها بالقوة و سفك الدماء (فوقصوا) اى كسرت اعناقهم (دونه) اى قبل الوصول الى ذلك الأمر ، و من غريب الأمر انّ هؤلاء هم الذين افسدوا دنياهم و آخرتهم بهذا العصيان ضد الخليفة الشرعى ، و معاوية هو الذى حصد نتاج اتعابهم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ ، حَتَّىٰ دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطُفَ غَلِيظُهُ ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَىٰ بَابِ السَّلَامَةِ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فی وصف من یرید السّلوك الیه سبحانه بالتّقوی ، و العمل الصّالح

(قد احیا) صاحب التقوی (عقله) و احیاء العقل انما هو بالعلم و التّفکر ، و العمل ممّا یوجب جلاء العقل الّذی هو بمنزلة حیاته (و امات نفسه) بعدم الانسیاق وراء شهواتها (حتّی دقّ جلیله) ای خفی الأمر الذی کان کبیرا فی نفسه من حبّ الشّهوات و اتباع الأهواء (و لطف غلیظه) فانّ النّفس خشنة بالرّذائل جموح ، و اذا اتقی الانسان ، لطفت النّفس حتّی تمحی خشونتها و تکون لینة حکیمة ·

(و برق) ای ظهر (له لامع کثیر البرق) فانّه سبحانه یهدی سبیله لمن جاهد من اجله ، کما قال سبحانه : ((و الّذین جاهدوا فینا لنهدینّهم سبلنا)) و هذا من باب تشبیه المعقول بالمحسوس کما ورد : ((لیس العلم بکثرة التّعلّم بل نور یقذفه اللّه فی قلب من یشاء)) (فابان) ای اظهر ذلك البرق (له الطریق) للسّعادة (و سلك به السّبیل) ای سار به فی طریق الحق ·

(و تدافعته الأبواب الی باب السّلامة) فانّ الانسان الطّالب للحق یطرق کل باب ، فاذا لم یجد مطلوبه فی ذلك الباب طرق بابا آخر ، و هکذا حتّی

وَدَارِ ٱلْإِقَامَةِ ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ ٱلْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ ، بِمَا ٱسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ ، وَأَرْضَىٰ رَبَّهُ .

یاتی الی باب السّلامة لدنیاه و آخرته و هو باب الحق مثلا من یرید الفحص عن المبدء اذا کان صادقا بدون تعصّب یطرق باب الحاد فلا یجد مطلوبه ، ثمّ باب الثنویة ، و هکذا ، حتّی یصل الی باب التّوحید ، و هذا فی کلّ شای من الأصول و الفروع .

(و دار الاقامة) ای المحلّ الّذی یقم علیه من الاعتقادیات و الأعمال و الأخلاق (و ثبتت رجلاه بطمانینة بدنه) ای بسبب ان بدنه مطمئن غیر شاك ولا متزلزل (فی قرار الأمن و الرّاحة) فانّ الانسان اذا کان خائفا شاکا لم یطمئن بدنه ، و من عدم اطمینانه لا تستقرّ رجلاه فی قرار یوجب امن قلبه و الراحة نفسه ، و انما یکون کذلك (بـ) سبب (ما استعمل عقله) حتی یدرك الواقع (وارضی ربّه) فی العمل بما احب .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله بعد تلاوته :

« أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ » حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ »
يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ وَزَوْرًا مَا أَغْفَلَهُ ! وَخَطَرًا مَا أَفْظَعَهُ !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

(قاله بعد تلاوته ((الهاكم التكاثر حتّى زرتم المقابر)) الهاكم اى صرفكم عن ذكر اللّه سبحانه المكاثرة و ارادة كل واحد منكم ان يكثر مانه و ثروته ، على اقرانه ، و استمرّ ذلك الالهاء بكم حتّى الموت و زيارتكم المقابر محمولا على الأعواد ، هذا هو المعنى الظّاهر من الآية ، حسب المتفاهم عرفا ، لكن الظّاهر من كلام الامام عليه السّلام انه فسّر ((التكاثر)) بالافتخار بكثرة الآباء و الأجداد كما هو العادة عند النّاس حيث يفتخرون بآبائهم و اجدادهم مع انهم تراب فى القبور ، قد فنوا و ذهبوا .

(يا له مراما ما ابعده) ((يا)) حرف نداء و ((اللام)) للتّعجّب ، و المنادى محذوف اى يا قوم و الضمير فى ((له)) راجع الى ((المرام)) ، وهو منصوب على التميز ، اى يا للتكاثر مقصدا بعيدا لا يدركه الانسان ، فانّ الانسان لا يصل الى ما يريده و يقصده من التّكاثر فى الأموال و الأولاد ، فانّ النّفس غير القانعة لا تصل الى مشتهاها من كثرة الأموال و الأولاد .

(و زورا) اى زائرون للمقابر ، (ما اغفله) اى اكثر غفلتهم ، حيث انّهم غافلون عن هذا المصير ، اى الهلاك ، ولذا يكثرون من الأموال و الاتيان بضمير المفرد فى ((ما اغفله)) و الحال ان ((وزرا)) جمع باعتبار كل واحد واحد ، نحو قوله سبحانه : ((و الملائكة بعد ذلك ظهير)) (وخطرا) ذلك التكاثر و تلك الزيارة للمقابر (ما افظعه) اذ يوجب ذلك ذهاب سعادة الانسان .

لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ ،وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ! أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ ! أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ!

يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ ،وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ . وَلَأَنْ يَكُونُوا عِبَراً ، أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً ،

(لقد استخلوا منهم) اى وجد الأحياء خاليا من الأموات (اى مدكر) اى اىّ تذكّر و اعتبار ، فلم يعتبروا بهم ، اذ لو وجد الأحياء تذكرا و اعتبارا من الأموات لتذكروا ، فانّ الانسان اذا وجد تذكرة عن احد تذكّر ، فاذا لم يتذكر كان معناه انّه لم يجد تذكرا و اعتبارا ، و المذكر مصدر ميمى اصله ((اذ دكر)) من الذكر قلبت الذال دالا لقاعدة باب الافتعال .

(و تناوشوهم من كان بعيد) اى تنالوا آبائهم الأموات بالمفاخرة بهم ، و الحال انّهم يعيدون عنهم ، فهم فى عالم الآخرة و المكاثرون فى عالم الدّنيا (أفبمصارع آبائهم يفخرون) ؟ الاستفهام للانكار ، أى كيف يفخر هؤلاء الأحياء المكاثرون بالآباء الّذين صرعوا وماتوا (أم بعديد الهلكى) أى بتعداد الهالكين ، فانّ هلكى جمع هالك (يتكاثرون) يتفاخر بعضهم على بعض ، فيقول هذا لى عشرة من الآباء العظام ، و يقول ذاك لى عشرون ، و هكذا .

(يرتجعون) أى يرجع هؤلاء الأحياء بسبب المفاخرة (منهم) أى من أمواتهم (أجسادا خوت) أى سقط بنائها ، وخلت من الأرواح ، فكان المفاخر بآبائه ، يريد أن يرجعهم الى الدّنيا بعد أن هلكوا ، وصاروا فى القبور رميما (و حركات سكنت) حيث يقول فعلوا كذا وكذا من البطولات و المفاخر (و لأن يكونوا) اى الآباء الميّتون (عبرا) أى سببا لاعتبار الأحياء (أحقّ من أن يكونوا مفتخرا) يفتخر الأحياء بهم ، اذ الانسان يلزم ان يعتبر بالميّت لا أن يفتخر .

وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ ! لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ، وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَقَالَتْ، ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَّالًا وَذَهَبْتُمْ فِي

(ولأن يهبطوا) اى ينزل الآباء (بهم) اى بهؤلاء الأحياء المفتخرون (جناب ذلّة) اى على عتبة الاذلال ، بان يكون موتهم سببا لذلّة هؤلاء الأحياء حيث انّ الانسان عند بواعث الضّعف و الهلاك يذل لا ان يطغى (احجى) اى اولى (من ان يقوموا) اولئك الأموات (بهم) اى بهذه الأحياء (مقام عزّة) فيعتزّوا بهم ، ويكون اولئك سببا لطغيانهم حيث يفتخرون بهم .

(لقد نظروا) اى الأحياء (اليهم) اى الى اولئك الآباء الأموات (بابصار العشوة) اى ضعيفة البصر ، اذ لو كانت ابصارهم ينظر البعيد ، ويدرك اعماق الأشياء ، لروا منهم الموجب للاعتبار لا للفخر و التكاثر (وضربوا) هؤلاء الأحياء (منهم) اى من الأموات (فى غمرة جهالة) اى الجهالة التى تغمرهم وتشملهم كانّ هؤلاء الأحياء بسبب مفاخرتهم الأموات ادخلوا انفسهم فى جهالة كثيرة يقال ضرب بالماء اذا غاص فيه و معنى ((منهم)) من جهتهم و بسببهم .

(و لو استنطقوا عنهم) اى طلب الأحياء عن قبل الأموات النطق (عرصات تلك الدّيار الخاوية) جمع عرصة ، بمعنى السّاحة و الدّيار الخاوية آى المتهدمة اى لو سئل الأحياء عن عرصات المقابر ، كيف صارت آبائنا (و الرّبوع الخالية) الربوع المساكن ، و الخالية التى خلت عن الانس و الانسان .

(لقالت) تلك الدّيار و الربوع فى جواب السئوال (ذهبوا فى الأرض ضلّالا) جمع ضال ، اى انّ آبائكم قد ضلوا تحت التراب ، فلا يعرفون اذ صاروا ترابا و اختلطت اجزاء بعضهم ببعض (و ذهبتم) انتم ايّها الأبناء (فى

أَعْقَابِهِمْ جُهَّالًا ، تَطَأُونَ فِي هَامِهِمْ ، وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ ، وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا ؛ وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ .

أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ ، وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ ، الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ ،

اعقابهم) اى بعدهم (جهّالا) جمع جاهل ، اذ لم تتذكروا بعم (تطأون فى هامهم) اى تمشون على رؤسهم ، فان الهام اعلى الراس ، و من المعلوم ان الأحياء يمشون فوق الأموات اذ انهم اخفض منهم فى القبور .

(و تستنبتون) اى تطلبون انبات ما تنبتون من الجدران و الأعمدة (فى اجسادهم) اذ تراب اجساد اولئك الأموات اختلطت بالجص و الآجر و الأرض فيكون البناء و محلّه فى اجساد اولئك الأموات لدى الواقع و الحقيقة (و ترتعون) اى تاكلون و تلذّذون (فيما لفظوا) اى ترك اولئك الأموات من الأموال و الارث .

(فتسكنون فيما خرّبوا) اى فى بيوتهم الّتى خربوها ، خرابا معنويا بانتقالهم عنها (و انّما الأيام بينكم و بينهم بواك) جمع باكية (و نوائح) جمع نائحة (عليكم) اى انّ الأيام تتحسّر عليكم كيف غفلتم و نسيتم ، و هذا مجاز عن انّهم يذهبون الأيام الباقية من عمرهم هدرا بدون تدبّر و تفكر .

(اولئكم) الأموات و ((كم)) للخطاب (سلف غايتكم) الغاية : الموت اى انهم اسلافكم الذاهبون الى الغاية التى انتم تذهبون اليها .

(و فرّاط مناهلكم) فرّاط جمع فارط ، و هو المتقدم من القوم الى الماء و الكلاء ليهيا لهم مكانا حسنا ، و المناهل جمع منهل ، محل ورود الانسان على الماء ، يعنى انّهم الذّاهبون قبلكم الى موارد الماء و المراد بها مناهل الموت (الّذين كانت لهم مقاوم العزّ) مقاوم جمع مقام ، اى مقامات يظهر فيها عزّهم

وَحَلَبَاتُ ٱلْفَخْرِ ، مُلُوكاً وَسُوَقاً. سَلَكُوا فِي بُطُونِ ٱلْبَرْزَخِ سَبِيلًا سُلِّطَتِ ٱلْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ ؛ فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ ، وَضِمَاراً لَا يُوجَلُونَ ؛ لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ ٱلْأَهْوَالِ ، وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ ٱلْأَحْوَالِ ، وَلَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ ، وَلَا يَأْذَنُونَ

(وحلبات الفخر ملوكا) جمع حلبة ، وهى الدفعة من الخيل فى الرهان ، و المراد محلات يفتخرون فى تلك المحلّات (وسوقا) اى كانت لهم الأسواق الرّائجة ، والمراد نفوذ كلمتهم ورواج امرهم او هو جمع سوقة ، بمعنى الرّعية .

(سلكوا فى بطون البرزخ) البرزخ العالم المتوسط بين الدّنيا والآخرة ، و معنى بطونه اواسطه و بحبوحاته (سبيلا سلّطت الأرض عليهم فيه) اى فى البرزخ والمراد بتسليط الأرض تمكنها من تحويلهم الى التراب (فاكلت) الأرض (من لحومهم) اذ بدلتها ترابا (وشربت من دمائهم) اذ سالت عليها و نفذت فيها .

(فأصبحوا فى فجوات قبورهم جمادا) اى كالجماد الذى لا ينمو ، و فجوات جمع فجوة ، بمعنى الفرجة ، والمراد شقّ القبر (لا ينمون) اى ليس لهم نمو كما ينمو الأحياء .

(وضمارا) اى فاقدين خلاف الضمان (لا يوجدون) اى لا يجدهم الانسان لاختفائهم فى القبور (لا يفزعهم) اى لا يوجب خوفهم وفزعهم (ورود الأهوال) فى عالم الأرض ، لأنهم بمعزل عن الأرض واهوالها ومخاوفها .

(ولا يحزنهم تنكر الأحوال) اى تبدّل الحالات الحسنة الى حالات السيّئة لأهل الأرض (ولا يحفلون بالرّواجف) اى لا يبالون بالاضطرابات التى تحصل للأحياء ، ورواجف جمع راجفة ، بمعنى : الاضطراب والزلزلة (ولا يأذنون)

لِلْقَوَاصِفِ. غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ ، وَشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا ، وَآلَافاً فَافْتَرَقُوا ، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ ، وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ ، عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ،

وَلٰكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً، فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ.

اى لا يستمعون (للقواصف) من قصف الرعد اذا اشتد صوته .

(غيّبا) جمع غائب (لا ينتظرون) اى لا ينتظر احد رجوعهم (و شهودا) جمع شاهد اى حاضرون فى البلاد غير مسافرين ــ اذ المقبرة من البلد ــ (لا يحضرون) فى المجالس و النوادى .

(و انما كانوا جميعا) مجتمعين بعضهم مع بعض و مع اهاليهم (فتشتتوا) اى تفرقوا و آلافا) جمع الف ، اى مؤتلفين مع غيرهم (فافترقوا) فلا الفة بينهم و بين الأحياء .

(و ما عن طول عهدهم و لا بعد محلّهم عميت اخبارهم) اى انّ جهل الناس باخبارهم و ما مرّ عليهم بعد الموت ، ليس لأجل انهم منذ زمان بعيد افترقوا عن الناس ــ اذ الميت القريب العهد ايضا لا يعرف خبره ــ و ليس لأن محلهم بعيد مكانا عن محل الأحياء ولذا لا يعرف خبرهم (و صمت ديارهم) صمّ ، اى : خرس به لاقة الحال و المحل ، فاذا خرس الحال ينسب الخرس الى المحلّ .

(و لكنّهم سقوا كاسا) هى كاس الموت (بدّلتهم) تلك الكاس ــ و هى مؤنثة سماعا ــ (بالنطق خرسا) فصمتوا ولا يتمكنون من حكاية احوالهم (وبالسّمع) اى استماعهم للأقوال (صمما) فلا يسمعون الكلام بالآذان الجسدية (و بالحركات سكونا) فلا يتمكنون من الحركة (فكانّهم فى ارتجال الصّفة) اى اذا وصفهم واصف مرتجلا بلا تأمل فى حين ما يشاهدهم ملقين على الأرض (صرعى سبات) اى

جِيرَانٌ لَا يَتَآنَسُونَ .

وَأَحِبَّاءٌ لَا يَتَزَاوَرُونَ ، بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى التَّعَارُفِ ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ ،

وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ ، لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً

أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً ،

شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا ،

صرعوا و القوا على الأرض من النّوم .

(جيران) بعضهم لبعض (لا يتآنسون) اى لا يانس احدهم بالآخر والمراد بهذه الصّفة وما اشبهها حسب ابدانهم وحالتهم الدّنيوية لا حالة ارواحهم .

(و احبّاء) لأنهم كانوا فى حال الحياة احبّاء (لا يتزاورون) لا يزور بعضهم بعضا (بليت بينهم) اى خلقت و ذهبت بين الأموات (عرى التّعارف) جمع عروة ، اى لا يتعارف احدهم مع الآخر (و انقطعت منهم اسباب الاخاء) فلا اخوّة بينهم (فكلّهم وحيد و هم جميع) اى ان كل واحد منهم منفرد ، لا يرتبط بالآخر و الحال انهم مجتمعون فى قبور متقاربة .

(و بجانب الهجر) اى كل واحد منهم يهجر صاحبه (و هم اخلّاء) جمع خليل بمعنى الصديق ــ اذ كانت بينهم مودّة فى الدنيا ــ (لا يتعارفون لليل و نهارا و صباحا و لا لنهار مساءا) اى لا يميزون احدهما من الآخر .

(اى الجديدين) اى الليل و النهار ، و يقال لهما جديدان لتجدد كل واحد منهما (ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا) الظعن السفر ، اى ان ماتوا نهارا لم ياتهم ليل بعد ، و ان ماتوا ليلا لم ياتهم نهار بعد فكانه صار ابديا لهم .

(شاهدوا من اخطار دارهم) الجديدة ، اى عالم القبر و الآخرة (افظع ممّا خافوا) فان المخاوف هناك اكثر مما عرفها الانسان ، او يتمكن ان يصفها

وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا،
فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَىٰ مَبَاءَة، فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.
فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ

(و راوا من آياتها) اى علاماتها و الأشياء المهمّة من تلك الدّار (اعظم ممّا قدّروا) فانّ الانسان مهما قدّر احوال الآخرة ، اذا وصل اليها رآها اعظم ممّا قدّر ، لأن ذلك عالم وسيع ، نسبته الى الدنيا كنسبة الدنيا الى الرحم .

(فكلتا الغايتين) اى الجنّة و النّار (مدّت لهم الى مباءة) المباءة :مكان التبوء و الاستقرار ، اى انّ الانسان يمدّ فى عمره الى تلك الغاية ، فاسناد الامتداد الى الغاية مجاز ، و انّما الأسناد حقيقة الى مدّة بقاء الانسان فى الدنيا المنتهية تلك المدة الى الغاية ـ و جاز الاسناد المجازى الملازمة بين المدة و بين الغاية ، و اذا اريد الحقيقة قيل فكلتا المدتين مدت لهم الى مباءة .

(فاتت) تلك المباءة (مبالغ الخوف و الرّجاء) فان الجنة فوق رجاء الانسان ، و النّار فوق خوف الانسان ، فالمباءة التى هى محل الاستقرار اعظم مما نتصوره نحن فى الدنيا ، فان مبلغ خوفنا هنا لا يصل الى واقع النار العظيمة الخارجة عن التّصور ، فاذا رايناها وجدناها اكثر خوفا مما كنا نخاف منها ، و هكذا الجنة بالنسبة الى الرجاء .

(فلو كانوا) هؤلاء الأموات (ينطقون بها) اى بتلك المباءة ـ بان اذنوا فى ان يصفوا لنا مقدار الخوف من النار و الرجاء للجنة ـ (لعيوا) اى عجزوا (بصفة) اى بان يصفوا (ما شاهدوا و ما عاينوا) من اهوال النار ونعيم الجنة اذ انهما فوق الوصف (و لئن عميت آثارهم) اى انقطعت عن كل اثر عن الأموات .

(و انقطعت اخبارهم) فلا يخبرون بشئ (لقد رجعت فيهم ابصار العبر)

وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ ، فَقَالُوا : كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ ، وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى ، وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا ،

اى ان ابصارنا التى تعتبر نظرات اليهم ، فانا و ان لم نعتبر بكلامهم ـ لسكرتهم ـ لكن لا بد و ان نعتبر بالأموات انفسهم ، اذ رايناهم هامدين خامدين بعد الحركة و النشاط ، و انما قال عليه السلام ((رجعت)) لأنّ العين كانت ناظرة اليهم حال الحياة ، ثم رجعت اليهم بعد الممات .

(و سمعت عنهم) اى اقوالهم التى يقولونها بلسان الحال (آذان العقول) اى عقولنا (و تكلّموا) اولئك الأموات (من غير جهات النّطق) و انّما من جهات الحال (فقالوا : كلحت) اى تكشر فى عبوس و تجهم (الوجوه النّواضر) جمع الناضرة ، اى التى لها بريق و صفاء من النعمة (و خوت) اى تهدمت و تفرقت الأجزاء (الأجسام النواعم) اى اللينة جمع ناعمة .

(و لبسنا اهدام البلى) جمع هدم بالكسر الثوب البالى و البلى : الفناء و الزوال (و تكاءدنا) اى شق علينا (ضيق المضجع) اى القبر (و توارثنا الوحشة) اى ورثها بعض لاحق عن بعض سابق ، فكانّ الميت السابق الذى كان فى وحشة الانفراد و العزلة اعطى بالارث الوحشة للميّت اللاّحق .

(و تهكمت) اى تهدمت او سخرت (علينا الربوع) اى اماكن الاقامة ، و المراد المقابر (الصّموت) الذى لا ينطق (فانمحت) اى زالت اصله : انمحت (محاسن اجسادنا) اى المحلات الجميلة فى ابداننا (و تنكرت) بحيث اذا راها الانسان الذى كان يعرفها لم يعرفها الآن لتغيرها (معارف صورنا) اى

وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ ٱلْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا ، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ نَرجا، وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً ! فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ ٱلْغِطَاءِ لَكَ ،

وَقَدِ ٱرْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِٱلْهَوَامِّ فَٱسْتَكَّتْ وَٱكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ ، وَتَقَطَّعَتِ ٱلْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا ،

وَهَمَدَتِ ٱلْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى .

المواضع المعروفة من صورتنا ، كالعين و الفم و ما اشبه .

(و طالت فى مساكن الوحشة اقامتنا) فلا نبرح المقابر (و لم نجد من كرب فرجا) اذ المهموم فى القبر لسوء عمله لا يجد مفرّجا لهم و حزنه (و لا من ضيق) اى ضيق القبر (متّسعا) اى محل سعة (فلو مثّلتهم) ايّها السامع (بعقلك) اى تصورت حالهم (او كشف عنهم محجوب الغطاء) اى الغطاء الحاجب ، نحو قوله ((حجابا مستورا)) اى ساترا (لك) ايها السامع .

(و قد ارتسخت) اى صارت الهوام راسخة ثابتة فى آذانهم (اسماعهم بالهوام) جمع هامة ، الحيوانات الصغيرة التى تسكن داخل الأرض ، و المراد بها الدود (فاستكت) اى صمّت (و اكتحلت ابصارهم بالتراب) بان دخل التّراب فى اعينهم (فخسفت) وغارت اذ العين تتقلص لدى الجفاف و اليبس (و تقطّعت الألسنة) اى صارت قطعة قطعة (فى افواههم بعد ذلاقتها) اى حدتها فى النطق و فصاحتها .

(و همدت) اى سكنت (القلوب فى صدورهم بعد يقظتها) و حركتها الدائمة (وعاث) اى افسد (فى كل جارحة) اى عضو (منهم جديد بلى)

سَمَّجَهَا وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا ، مُسْتَسْلِمَاتٍ
فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ ، وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ ، لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ
لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ ،
وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي . وَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ، وَأَنِيقِ لَوْنٍ
كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيٌّ تَرَفٍ، وَرَبِيبَ شَرَفٍ يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ

اى فناء جديد اذ الفناء يتجدد ، كما انّ البقاء فى الحيّ يتجدد (سمجها) اى قبحها (وسهل) ذلك البلى (طرق الآفة اليها) و الآفة الفساد (مستسلمات) تلك الجوارح للفناء و البلى لا تقدر على دفع شئ يرد عليها من الفساد و الآفات.

(فلا ايد تدفع) الفساد كما كان فى ايّام الحياة ، اذ وردت واردة على جسدهم تدفعها ايديهم (ولا قلوب تجزع) و تحزن لورود المصيبة على ابدانهم (لرايت) جواب ((فلو مثلتهم)) (اشجان قلوب) جمع شجن ، بمعنى : الهم ، اى قلوبا محزونة (و اقذاء عيون) اى عيونا قد دخلها القذى و هوما يقع فى العين فيؤذيها (لهم) اى لأولئك الأموات (فى كلّ فظاعة) اى امر فظيع شديد (صفة حال لا تنتقل) اى لا تنتقل تلك الصّفة السّيّئة عنهم ، لا مثل المريض الذى اذا طاب ذهبت عنه الحالة السّيّئة .

(وغمرة) اى كربة تغمرهم اى تشملهم (لا تنجلى) اى لا تنكشف و لا تذهب (وكم اكلت الأرض) فصيرته ترابا (من عزيز جسد) اى جسد عزيز (و انيق لون) اى لون انيق ، بمعنى الرائق الحسن .

(كان) ذلك الجسد و اللّون (فى الدنيا غذى ترف) اى مغذيا بالنعم ، فان غذّى فعيل بمعنى المفعول ، و الترف الزيادة فى النعمة (و ربيب شرف) اى مربّا بالشّرف و العز (يتعلل بالسّرور) اى يتشاغل باسباب السرور و الفرح لينسى احزانه (فى ساعة حزنه) ضنا على قلبه ان يقع فى مخالب الأحزان .

وَيَفْزَعُ إِلَىٰ السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ، ضَنًّا بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ! فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ ، إِذْ وَطِيءَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ ، فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ ، وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ ، آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ ، فَفَزِعَ إِلَىٰ مَا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ ،

(و يفزع الى السّلوة) اى ينصرف الى التّسلى بتخيل السّعادة و الأفراح و اللّذائذ (ان مصيبة نزلت به) يريد انصراف نفسه عن تلك المصيبة (ضنّا) اى بخلا (بغضارة عيشه) اى بطيب عيشه ان ينقص بالمهموم و المصائب (و شحاحة) اى بخلا (بلهوه و لعبه) اى يذهبا من يده ، بسبب المصيبة النّازلة به (فبينا هو يضحك الى الدنيا و تضحك) الدنيا (اليه) فهو فرح مسرور ، و الدنيا مقبلة عليه (فى ظل عيش غفول) اى موجب للغفلة .

(اذ وطى الدهر به حسكه) الحسك شوك شديد اللزقة كثير الألم ، و المعنى ادخل الدّهر فى جسم هذا الانسان الحسك اى اشد الآلام و المصائب (و نقضت الأيام قواه) اى حطمها حتى لا تبقى له قوة (و نظرت اليه الحتوف) اى المهلكات ، جمع حتف (من كثب) اى من قرب ، بمعنى وصول المهلكات اليه (فخالطه بث) اى حزن (لا يعرفه) اى لم يكن يعرفه سابقا ، و انما ورد عليه ورودا و خالطه اى مازج خواطره و افكاره (و نجى همّ) اى هم خفى كانّه يناجيه (ما كان يجده) سابقا .

(و تولدت فيه فترات علل) اى علل تاخذه فى فترات و دفعات (آنس ما كان بصحّته) اى فى وقت كان اكثر الأوقات انسا و فرحا بصحّته (ففزع) اى التجأ (الى ما كان عوّده الأطباء) لشفاء امراضه (من تسكين الحارّ بالقارّ) اى البارد ،

وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً ، وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً ، وَلَا اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ ؛

حَتَّىٰ فَتَرَ مُعَلِّلُهُ ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ ،

وسمى قارا لأن من طبع البرودة الاستقرار ، بعكس الحرارة التى من طبعها الحركة ، والحار الأمراض الحارّة التى تولدت من الدم .

(وتحريك البارد) الذى يقطن البدن فيفسده كالبلغم (بالحارّ) اذ الأدوية الحارة ، تحرك المرض البارد وتزيله (فلم يطفئ ببارد) مرضه الحار (الا ثوّر حرارة) اى هيجها و ((الا)) استثناء منقطع ، والمعنى لم ينفع الدواء البارد الا تهييج الحرارة ، اذ يتحرك الطبع الحار بالحرارة لدفع البارد ـ فان الطبع والدواء يتعارضان ـ وذلك يسبب ثوران الحار .

(ولا حرّك بحارّ) من الدواء ، الذى شربه لتحريك البارد وازالته (الا هيج برودة) وصار سببا لازدياد المرض (ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع) اى لم يتمكن المريض من تعديل طبيعته بسبب مزج تلك الأدوية بطبيعته المنحرفة التى يريد تعديلها (الا امدّ منها) اى من الطبائع (كل ذات داء) حتى قويت وتمكنت من اضافة داء جديد على دائه القديم .

(حتى فتر معلله) المعلل من يتولى خدمة المريض ويرجّيه الشفاء ، و فتر بمعنى : ضعف ووهن ، لأنه لم ير له شفاءا (وذهل) اى فوجى بعدم شفائه الموجب لذهوله (ممرّضه) اى من يداريه (وتعايا اهله بصفة دائه) اى عجز اهله عن ان يصفو للطبيب دائه ، وبذلك اشتركوا فى العجز مع الطبيب والمريض والمعلل .

وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيٌّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ فَقَائِلٌ يَقُولُ : هُوَ لِمَا بِهِ

وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ . فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا ، وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ

(وخرسوا عن جواب السّائلين عنه) لأنهم لا يريدون ان يقولوا ، انّه اسوء حالا ، ولا يتمكنون ان يقولوا انّه احسن (و تنازعوا دونه) اى حول المريض (شجيّ خبر) اى الخبر المشجى المحزن (لما تكتمونه) من عدم رجاء شفائه ، فانّ الحاضرين يختلفون عند الياس عن برئه ماذا يصنعون ؟ (فقائل يقول هو) اى المريض (لما به) اى انّه يموت لما به من المرض ، وكانّه مملوك للعلّة الّتى حلّت به ـ ولذا قال : لما به ـ

(و ممّن لهم اياب عافيته) اى يمنّى اهله بان عافية المريض تعود (و مصبّر لهم على فقده) بانّه ان فقد فالله يعطيهم الأجر و الصّبر (يذكرهم اسى الماضين) جمع اسوة ، لزوم الاقتداء و التاسّى بعباد الله الصّالحين الذين مضوا فانهم كانوا يصبرون على البلايا (من قبله) اى من قبل هذا الحادث اوقبل هذا المريض اوقبل هذا الذى يصيبه (فبينا هو) المريض (كذلك على جناح من فراق الدنيا) تشبيه بالراكب على جناح الطّائر الذى يريد به السّير و الطيران من مكان الى مكان .

(و ترك الأحبّة) جمع حبيب (اذ عرض له عارض من غصصه) جمع غصة التى توجب كرب الانسان ، و صعوبة حاله ، فانّ نوبات المرض تاخذ و تفك (فتحيرت نوافذ فطنته) نوافذ الفطنة المحلات التى تنفذ الفطنة و الفكر منها الى الخارج ، و المراد ان افكارها الصائبة قد تجمدت لأن الروح اخذت فى

وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ. فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيٍّ عَنْ رَدِّهِ ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ لَقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ ! وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَهْلِ الدُّنْيَا .

الخروج فلا تعمل اجهزة الفطنة لتاخذ الأفكار و تعطيها ·

(و يبست رطوبة لسانه) فلا يقدر على التكلم (فكم من مهمّ من جوابه عرفه) اى يهم الحاضرين جوابه عن سؤال و جهوه اليه ، و هو يعرف الجواب (فعيّ) اى عجز (عن ردّه) لأنه لا يقدر على الكلام (و دعاء مؤلم لقلبه سمعه) اى دعاه بعض اهله و الحاضرين ، وقد سمعه وكان ذلك النداء مؤلما لقلبه اذ كان مزيجا بالحزن و البكاء (فتصامّ عنه) اى كان كالأصم عن سماعه اذ لم يتمكن على جوابه ليبس لسانه ·

(من كبير كان يعظمه) اى كان الدّعاء له من كبير هو معظم عند المريض (او صغير كان يرحمه) و يرحّب به و يحبّه (و انّ للموت لغمرات) جمع غمرة بمعنى الشدة التي تغمر الانسان و تحيط به (هي افظع من ان تستغرق بصفة) فلا يمكن وصف تلك الشّدائد (او تعتدل على قلوب اهل الدنيا) اى انها لا تستقيم على قلوب النّاس ، لأنهم في غفلة عنها و لهو و لعب ، او ان قلوب الناس لا يمكن ان تدركها لأنها اعظم من القياس و المعلومات التي للانسان حتى يقيسوا تلك الشّدائد بما علموها ·

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله عند تلاوته : « رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ».
إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ ،
وَمَا بَرِحَ لِلّٰهِ - عَزَّتْ آلَاؤُهُ - الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ ، وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(قاله عليه السلام عند تلاوته : ((رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله))) .

(انّ الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاءا للقلوب) فكما تصفو المرآة بالجلاء ، كذلك تصفو القلوب بالذكر ، لأنه بذكرها بالحقائق فتلين خشونتها (تسمع) القلوب (به) اى بالذكر (بعد الوقرة) هى ثقل فى السمع (و تبصر) القلوب (به) اى بالذكر (بعد العشوة) هى ضعف البصر (وتنقاد) القلوب اى تخضع (به) اى بالذكر (بعد المعاندة) اى عنادها ولجاجها فى ترك الحق والعدل .

(وما برح لله عزّت آلاؤه -) اى مازال ، واسمه قوله ((عباد)) ومعنى عزّت آلائه اى نعمه سبحانه عزيزة رفيعة لأنها من قبل الله عزيز رفيع (فى البرهة بعد البرهة) اى الفترة بعد الفترة (وفى ازمان الفترات) جمع فترة ، هى

عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ،

كَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ ،

يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللهِ ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ ،

بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ . مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ ، وَ

الزمان الخالى عن المعالم و الشرائع (عباد ناجاهم) الله سبحانه (فى فكرهم) بان القى سبحانه فى فكرهم .

(وكلمهم فى ذات عقولهم) اى دلت عقولهم ، و الدلالة كانت من الله سبحانه ، كانّها كلامه لهم (فاستصبحوا بنور يقظة فى الأبصار و الأسماع والافئدة) استصبح اى اضاء مصباحه اى اضاء ابصارهم برؤية الحقائق و اسماعهم بالاستماع الى الحق ، و افئدتهم بفهم الحقيقة .

(يذكرون) متعلق بـ ((عباد)) اى ان لله عباد تلك اوصافهم يذكرون النّاس (بايام الله) ايام الله هى الأيام التى كانت فيها لله سبحانه نعمة عظيمة على البشر ، او نقمة عظيمة عليهم ، و بالقرينة يعين ، اى المعينين ، و المراد هنا الثانى بقرينة (و يخوّفون مقامه) اى يخوفون الناس ان هم اسدوا فى الغى و الضلال بعذاب الله سبحانه ، و قوله ((مقامه)) من باب تشبيه المعقول بالمحسوس .

فهم (بمنزلة الأدلّة فى الفلوات) ادلة جمع دليل الذين يدلون المسافرين على الطّريق و فلوات جمع فلات ، بمعنى : الصحراء (من اخذ القصد) اى : الطريق السّوى (حمدوا اليه طريقه) اى استحسنوه فى سيره لهذا الطريق المستقيم (و بشّروه بالنّجاة) لأن قصد الطريق ، يوصل الى الغاية المطلوبة (و

مَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ.

وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ،

وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ، وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ،

من اخذ يمينا وشمالا) بان انحرف عن الجادة ، ولعلّ المراد الافراط والتّفريط فى الحق (ذمّوا اليه الطّريق) وقالوا انّ طريقك هذا مذموم (و حذّروه من الهلكة) اى الهلاك (وكانوا كذلك) اى كاولئك الأدلّة فى الطرق فى الصحارى (مصابيح تلك الظلمات) ظلمات الجهل والضلال (وادلّة تلك الشبهات) الأمور التى تشتبه فى ذهن الانسان فلا يدرى ايها الحق وايها باطل.

(وان للذكر لأهلا اخذوه) اى اخذوا الذكر (من الدّنيا بدلا) فلم يشغلوا انفسهم بالدّنيا ، بل اشغلوها بالذكر (فلم تشغلهم تجارة) كالمزارعة والاصطياد ، والمداهنة ، وما اشبه (ولا بيع عنه) اى عن الذكر (يقطعون به) اى بالذكر (ايام الحياة) اى يسيرون مدة عمرهم وهم ذاكرون لله سبحانه (ويهتفون بالزواجر) جمع زاجرة ، وهى المواعظ المخوفة التى تزجر الانسان عن المعاصى (عن محارم الله فى اسماع الغافلين) الذين غفلوا عن الآخرة ، و هتف بمعنى صاح .

(ويامرون) الناس (بالقسط) اى العدل (ويأتمرون به) اى : انهم يعملون بالقسط (وينهون عن المنكر) : المحرمات والقبائح (ويتناهون عنه)

فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذٰلِكَ،

فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذٰلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّىٰ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ،

وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ. فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ،

وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ،

اى انهم لا ياتون بالمنكر (فكانما قطعوا الدنيا الى الآخرة) اى وصلوا الى الآخرة وتمت دنياهم (وهم فيها) اى و الحال انهم فى الدنيا (فشاهدوا ما وراء ذلك) الذى هم فيه من الدنيا .

(فكانّما اطلعوا غيوب اهل البرزخ) اى غيب احوالهم (فى طول الاقامة فيه) اى فى حالكون اهل البرزخ مقيمين فيه طويلا ، فان طول الاقامة يوجب الضّجر و السآمة علاوة على سائر اقسام العذاب (و حققت القيامة عليهم) اى على هؤلاء الأدلاّء المرشدين (عداتها) جمع عدة ، بمعنى : الوعد (فكشفوا غطاء ذلك) فانّ الآخرة كالمغطات بغطاء ، ولذا لا يعلم بتفاصيلها و خصوصيتها اهل الدنيا (لأهل الدنيا) اذ يبينون تفاصيلها (حتّى كانّهم يرون ما لا يرى النّاس) من الآخرة .

(و يسمعون) من اقوال اهل البرزخ و القيامة و الجنة و النار (مالايسمعون) اى لا يسمع النّاس (فلو مثّلتهم لعقلك) اى مثلت اولئك الأدلة المرشدين ، بان تفكرت احوالهم ـ و هم فى الدنيا ـ (فى مقاومهم المحمودة) جمع مقام (و مجالسهم المشهودة) التى يشهدونها اى يحضرونها لأجل الطاعة والعبادة (وقد نشروا دواوين اعمالهم) جمع ديوان ، و هو الصحيفة التى كتبت

وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَىٰ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا .
فَقَصَّرُوا عَنْهَا ، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ ، فَضَعُفُوا عَنِ الِاسْتِقْلَالِ بِهَا ، فَنَشَجُوا نَشِيجاً ، وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً يَعِجُّونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًىٰ ،

فيها الحسنات و السّيئات ، و هذا كناية عن تفكرهم فيما عملوا من خير و شر فى ماضى احوالهم ، عند وقايتهم لأنفسهم فان الصالحين يراقبون انفسهم (وفرغوا) عن كل عمل (لمحاسبة انفسهم عن كلّ صغيرة وكبيرة امروا بها) بان اراد والاطلاع على خصوصيات اعمالهم كبيرها وصغيرها .

(فقصّروا عنها) اى عن الاتيان بتلك الأشياء الّتى امروا بها (او نهوا عنها ففرّطوا فيها) بان اتوها خلافا للنّهى ـ و انّما ذكر عليه السلام هذين فقط ، لأنّ الصّالحين اذا اراد وا التفكر فى اعمالهم ، و محاسبة انفسهم تذكروا المعاصى فقط لأنها هى محط نظرهم (و حمّلوا ثقل اوزارهم ظهورهم) اى نسبوا الوزر و العصيان الى انفسهم ، لا كعامة الناس الذين لا يعترفون بالعصيان ، و اذا اعترفوا بها علّلوا ذلك بعلل غير انفسهم حتى يبرئوا ساحتهم .

(فضعفوا عن الاستقلال بها) اى علموا بانّهم لا يتمكنون من حمل هذه الأوزار ، لأنها توجب العذاب الذى لا يطاق (فنشجوا) نشج الباكى اذا غص بالبكاء فى حلقه من شدّة تالّمه النّفسى (نشيجا و تجاوبوا نحيبا) النحيب اشدّ البكاء ، اى اجاب بعضهم بعضا فى البكاء ، كما يفعل اهل المصيبة ، و هكذا كان عباد الله سابقا ، يجتمعون كل اسبوع مرة او ما اشبه ، ثم يتذكرون ويذاكرون احوال الآخرة ، و ما سلف منهم من المعاصى و الذنوب فيبكون و يعلو نشيجهم و نحيبهم (يعجّون) العجيج : الصّياح (الى ربّهم من مقام) جمع مقام (ندم و اعترف) بالخطايا (لرايت) جواب ((فلو مثلتهم)) (اعلام هدى) جمع

وَمَصَابِيحَ دُجًى ، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ ٱلْكَرَامَاتِ ، فِي مَقَامَ اَطْلَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ . يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَىٰ فَضْلِهِ ، وَأُسَارَىٰ ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ ، جَرَحَ طُولُ ٱلْأَسَى

علم بمعنى اللّواء ، او الجبل .

(ومصابيح دجى) اى الظلمة ، فكما ينير المصباح للهداية الى الطريق ،كذلك ينيرون هؤلاء لهداية الناس الى الحق فى ليالى الجهل و الضلال (قد حفّت بهم الملائكة) اى احاطت بهم ، كما قال سبحانه : ((الذين قالوا ربّنا اللّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة)) .

(و تنزّلت عليهم السكينة) اى حالة هدوء و اطمينان و سكون توجب استقرارهم وعدم تزلزلهم فى الحق ، او فى كل امر (و فتحت لهم ابواب السّماء) المراد ان ادعيتهم ترفع الى اللّه سبحانه ، و تنزل الرحمة عليهم (و اعدّت لهم مقاعد الكرامات) اى فى الجنة ، و مقاعد جمع مقعد ، محل القعود و الجلوس (فى مقام اطلع اللّه عليهم) اى انزل عليهم رحمته و فضله (فرضى سعيهم) الذى عملوه لأجله سبحانه .

(و حمد مقامهم) اى مدحه و اجزل ثوابهم لأجل ذلك (و يتنسّمون) اى ينتظرون ، و تنسّم النسيم اى تشممه بانفه (بدعائه) اى بدعائهم له تعالى (روح التّجاوز) عن سيئاتهم (رهائن فاقة) اى احتياج (الى فضله) فكانّه فى رهن الفضل فاذا جاء الفضل فكت رقابهم كما يفك الرهن اذا جاء المال .

(و اسارى ذلّة لعظمته) اى انهم اسرى لعظمته تعالى ، فقد اسرتهم العظمة فيتبعونه تعالى ، اتباع الأسير لمن آسره (جرح طول الاسى) اى :

قُلُوبَهُمْ. وَطُولُ ٱلْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ. لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٍ إِلَىٰ اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ ٱلْمَنَادِحُ ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ .

فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ ٱلْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ.

الحزن (قلوبهم) و المراد بالجرح الخشوع و الخضوع و الانكسار .

(وطول البكاء) من خشيته سبحانه (عيونهم) فاعينهم مجروحة الأجفان (لكلّ باب رغبة الى اللّه يد قارعة) اى يقرعون جميع ابواب رحمته باب الخوف، وباب الرجاء ، وباب الشكر ، وباب الذكر ، وهكذا ، والمعنى : انّهم يقبلون عليه سبحانه ، بمختلف انحاء الاقبال و الرجاء (يسالون من لا تضيق لديه المنادح) جمع مندوحة ، والأصل فيها المتسع من الأرض ، والمراد انه لا تضيق لدية الاعطيات (ولا يخيب عليه الراغبون) فمن رغب فضله لا يخيب ،بل يرجع بما رغب و اراد (فحاسب) ايها الانسان (نفسك لنفسك) اى لنجا ت نفسك (فان غيرها) اى غير نفسك (من الأنفس لها حسيب غيرك) فلا تشغل نفسك بحساب غيرك .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله عند تلاوته :

« يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ».

أَدْحَضُ مَسْؤُولٍ حُجَّةً ، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً ، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ ، يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، مَا جَرَّأَكَ عَلَىٰ ذَنْبِكَ ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ، وَمَا أَنْسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله عند تلاوته (يا ايها الانسان ما غرّك بربّك الكريم) ؟

(ادحض مسئول حجّة) دحض بمعنى بطل ، يعنى انّ الانسان حجته امام حجّة اللّه سبحانه باطلة تافهة لا قيمة لها ، و هذا الكلام بمناسبة قوله سبحانه : ((ما غرّك)) يعنى انه لا حجة له عند احتجاج اللّه سبحانه عليه بانّه لم يفعل المحرمات ؟ (و اقطع مغترّ) اى مغرور و معناه المخدوع (معذرة) اذ لا عذر له امام حجّته سبحانه (لقد ابرح) اى اعجب (جهالة) اى من جهة جهله (بنفسه) فاعجبته نفسه ، اذ لم يعلم واقعها و حقيقتها .

(يا ايها الانسان ما جرّاك على ذنبك) استفهام توبيخى ، اى ما الّذى صار سببا لجراتك حتى تعصى الله سبحانه (ما غرّك بربّك) اى ما الذى خدعك حتى عصيت ربك (و ما آنسك بهلكة نفسك) اى ما اكثر انسك بان تهلك نفسك بسبب الآثام و المعاصى .

(اما من دائك بلول) ؟ اى شفاء من بل مرضه اذا زال (ام ليس من نومتك) اى غفلتك (يقظة) و انتباه ؟ (اما ترحم من نفسك ما ترحم من

غَيْرِكَ؟ فَلَرُبَّمَا تَرَىٰ الضَّاحِيَ مِنْ لَحَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ ، أَوْ تَرَىٰ ٱلْمُبْتَلَىٰ بِٱلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ! فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ ، وَجَلَّدَكَ عَلَىٰ مُصَابِكَ ، وَعَزَّاكَ عَنِ ٱلْبُكَاءِ عَلَىٰ نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ ٱلْأَنْفُسِ عَلَيْكَ ! وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ ٱلْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ ،

غيرك) ؟ فالانسان يرحم غيره اذا راه فى مشكلة توجب له عاقبة سيئة فكيف لا يرحم نفسه . و هى معرضة لسخط اللّه و انتقامه (فربّما ترى الضاحى لحر الشمس) الضاحى البارز الظاهر للشمس (فتظله) لئلا تؤذيه الشّمس .

(او ترى المبتلى بالم يمض جسده) اى يبالغ فى نهك جسده و ضعفه (فتبكى رحمة له) و حزنا لما اصابه (فما صبّرك على دائك) اى مرضك ؟ الذى هو الانحراف فى النّفس و فى العمل ، و هذه صيغة تعجّب (و جلّدك) من التجلد بمعنى التصبر (على مصابك) ؟ اى مصيبتك التى هى الزيغ عن سبيل الرشاد الموجب لهلاك الانسان فى الآخرة .

(و) ما (عزّاك) اى سلاك (عن البكاء على نفسك و هى اعزّ الأنفس عليك) ؟ فغفلت عنها ، وعمّا يراد بها من العذاب و الأهوال فى الآخرة فلم تبك خوفا (وكيف لا يوقظك) عن نومة الغافلين (خوف بيات نقمة) اى تبيت بنقمة من اللّه توجب زوال نعمتك .

(وقد تورّطت بمعاصيه) التورط الوقوع فى المحذور (مدارج سطواته) جمع مدرج ، بمعنى المحل الذى يدرج اليه الانسان درجة ، درجة . و الباء فى ((بمعاصيه)) للسببية ، اى وقعت بسبب معاصى اللّه سبحانه ، فى مدارج عقوباته ، فان السطوة بمعنى الهجمة للأخذ و النكال (فتداوّ من داء الفترة) اى الفتور عن اطاعة اللّه سبحانه (فى قلبك) فان مبعث الفتور فى الجسد القلب

بِعَزِيمَةٍ ، وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ ،وَكُنْ لِلّٰهِ مُطِيعاً ، وَبِذِكْرِهِ آنِساً. وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ ، يَدْعُوكَ إِلَىٰ عَفْوِهِ ، وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ. فَتَعَالَىٰ مِن قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ ! وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ ! وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ .

(بعزيمة) اى عزم واضح موجب للعمل (ومن كرى الغفلة) الكرى النوم ، فان الغافل كالنائم (فى ناظرك بيقظة) اى انتباه من الغفلة (وكن لله مطيعا) فى اوامره و نواهيه (و بذكره انسا) اى تانس بذكره ، ولا تضجر ولا تسام ولا تستوحش .

(و تمثل فى حال توليك عنه) اى اعراضك عنه تعالى (اقباله عليك) فانّ الله سبحانه ناظر الى اعمال عبيده دائما ، فهو دائم الاقبال ، وكيف يعرض الانسان عن ملك عظيم مقبل عليه بيده كل رحمة و نقمة ؟ (يدعوك الى عفوه) بان تفعل ما يوجب عفوه من التوبة و الانابة (و يتغمدّك) اى يغمرك (بفضله) و نعمته .

(و انت متولّ عنه الى غيره) اى صارف بقلبك الى لذائذ الدّنيا وشهواتها (فتعالى) اى ارتفع سبحانه (من قوى ما اكرمه) صنيعه التعجب ، اى انه قوى كريم فى غاية الكرم بينما ان الأغنياء فى العادة لا يكرمون ، لأنهم يرون انفسهم فى غنى عن مصانعة الناس بكرم و احسان ، لأنهم اقوياء (و تواضعت) اى انت وضيع (من ضعيف ما اجرئك على معصيته) مع ان العادة تقتضى عدم جرئة الضعيف على العصيان .

(و انت فى كنف) اى طرف (ستره مقيم) فقد سترعليك و لم يبد معايبك امام الناس (و فى سعة فضله متقلب) اى متحرك ، نهار تستضئ به ، و ليل

فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرِفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ . فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ ! وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ ، مُتَوَازِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ ،

تسكن فيه و اثاث و رياش تتنعم بها و ماكل و مشارب تتلذذ بها و هكذا (فلم يمنع) سبحانه (عنك فضله) بسبب عصيانه (و لم يهتك عنك ستره) بما اقترفت من الآثام .

(بل لم تخل من لطفه مطرف عين) اى مقدار طرفة عين ، و هى اللّحظة التى يتحرك فيها الجفن (فى نعمة يحدثها لك) فان نعمة حركة اجهزة البدن المستمرة و التنفس ، و نقاء الهواء ، و ما اشبه ذلك ، ترد على الانسان ، فى كل لحظة لحظة (او سيّئة يسترها عليك) فان الستر مستمر ، و انكانت السّيّئة سابقة (او بليّة) اى بلاء (يصرفها عنك) اذ الانسان معرّض للأخطار والبلايا كل آن .

(فما ظنّك به لو اطعته) ؟ فان من يحسن على العاصى كيف يعمل مع المطيع ؟ .

نعم قد ورد فى الحديث القدسى : عبدى اطعنى تكن مثلى ، اقول للشئ كن فيكون و تقول للشئ كن فيكون (و ايم اللّه) حلف باللّه سبحانه فان كلمة ((ايم)) وفيها لغات للحلف (لو انّ هذه الصفة) اى صفة عصيانك له و احسانه لك (كانت فى متفقين فى القوة) فكان هناك نفران يتفقان فى القوّة (متوازيين فى القدرة) بان كانت قدرة احدهما بقدر قدرة الآخر ، ثم كان احدهما يحسن الى الآخر ، و الآخر يسئ اليه .

لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِىءِ الْأَعْمَالِ. وَحَقًّا أَقُولُ ! مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ ، وَلٰكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتُ ، وَآذَنَتْكَ عَلَىٰ سَوَاءٍ . وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْفَىٰ مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ، أَوْ تَغُرَّكَ. وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ

(لكنت اوّل حاكم على نفسك بذميم الأخلاق) اذ كنت تسئ الى من احسن اليك ، و ذميم فعيل بمعنى المفعول اى بالأخلاق المذمومة (و مساوى الأعمال) اى الأعمال السيئة ، فكيف اذا كان احدهما اله عظيم و الآخر عبد ذليل ... ؟ .

(و حقّا اقول) اى اقول حقّا ـ و هو مفعول مطلق (ما الدّنيا غرّتك) اى ان الدنيا لم تسبب غرورك ، حتى اجترئت على المعاصى ، اذ الدنيا ارتك الاعتبار و الموعظة .

(ولكن) انت (بها) اى بالدنيا (اغترت) فاللّوم عليك لا عليها ، اذ انّك غفلت عمّا ترى فى الدّنيا من مصائبها و احزانها (ولقد كاشفتك الغطات) اى اظهرت لك الموعظات التى تقع فى الدنيا حقيقة الدنيا لكنك لم تهتم بها (و آذنتك) اى اعلمتك الدنيا (على سواء) اى على عدل فى الأعلام فلم تتحيّ شيئا (ولهى) اى الدنيا ، و اللام للتاكيد (بما تعدك من نزول البلاء بجسمك) اذ الانسان معرض للبلايا و الأمراض (و النّقص فى قوّتك) بالشيب و الهرم (اصدق و اوفى من ان تكذبك) بان تعدك بالقوة الدائمة و الصحة المستمرة ، ثم لا تفىٔ .

(او تغرّك) اى تخدعك (ولربّ ناصح لها) اى للدنيا ، و المراد لأهل الدنيا ـ بعلاقة الحال و المحل ـ نحو واسئل القرية (عندك متّهم) كما كان

وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ . وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ ، وَالشَّحِيحِ بِكَ ! وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً ، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلاً ! وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ .

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ

النّاس يتهمون الأنبياء و الأئمّة فلا يقبلون اقوالهم .

(و) لرب (صادق من خبرها) لك بانّها دار زوال و بلاء عندك (مكذب) لا تصدقه ، كما هو شان الجهلة ، لا يصغون الى كلام الاصلحاء و المرشدين (و لئن تعرفتها) اى طلبت معرفة الدنيا على حقيقتها (فى الديار الخاوية) اى : الساقطة ، التى فنى اهلها ، و سقطت ابنيتها .

(و الربوع الخالية) عن الأهل و الربع المنزل (لتجدنها من حسن تذكيرك) اى تذكير الدنيا لك ، بسبب بيان احوال السابقين فيها الذين فنوا ، وبقيت ديارهم خالية خاوية (و بلاغ موعظتك) اى وعظها لك وعظا بالغا (بمحلة الشفيق عليك) اى تكون الدّنيا بهذه الموعظة بمنزلة الناصح المشفق ، و الاشفاق الخوف و يقال للصديق شفيق ، لأنه يخاف ان يقع صديقه فى محذور .

(و الشحيح) اى البخيل (بك) لا يريد ان يسلمك بيد الحوادث ، و لا يريد ان يخدعك ويغرك (و لنعم) اى الدنيا (دار من لم يرض بها دارا) بان جعلها معبرا ، و انّما كانت حسنة ، لأنها مزرعة الآخرة (و محل من لم يوطنها محلا) بان لم يتخذها وطنا لنفسه (و ان السعداء بالدنيا غدا) اى الذى سعد بسبب الدنيا ، و هو فى الآخرة (هم الهاربون منها) اى من الدنيا (اليوم) لأنهم تزودوا منها ، بدون ان يتلوثوا بها .

(اذا رجفت الراجفة) الراجفة هى النفخة التى ترجف و تزلزل الأرض، حين

وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا ٱلْقِيَامَةُ ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي ٱلْهَوَاءِ، وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ ، وَعَلَائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ ! فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ ، وَخُذْ مَا يَبْقَىٰ لَكَ مِمَّا

النشور (وحقّت) اى ثبتت وقامت (بجلائلها القيامة) اى قامت القيامة مع عظائمها واهوالها (ولحق بكل منسك اهله) اى عباده ، قال سبحانه : ((و لكلّ جعلنا منسكا هم ناسكوه)) (وبكل معبود عبدته) فالمشركون يلحقون بالأصنام ، وعباد النار يلحقون بها ، وعباد البقر يلحقون به ، وهكذا (وبكل مطاع) من اهل الصلاح او الجور (اهل طاعته) اى اتباعه .

(فلم يجز فى عدله وقسطه) الضمير لله سبحانه (يومئذ) اى يوم القيامة (خرق بصر فى الهواء) فكانّ الهواء شئ واحد ، اذا نظر الانسان الى ما فوق خرق نظره ذلك الشئ (ولا همس قدم فى الأرض) كانّ للقدم صوتا خفيّا اذا وضعت على الأرض ، حاصل ذلك من الاصطكاك والاصطدام (الاّ بحقّه) اى كل صغير ــ فكيف بالكبير ــ يجازى فى يوم القيامة بالحق .

(فكم حجّة يوم ذاك داحضة) اى باطلة ، وهى الحجج والاعذار التى يقدما اهل المعاصى (وعلائق عذر) ما يتعلق به الانسان العاصى ليجعله عذرا لنفسه (منقطعة) اذ لا تقبل تلك الأعذار (فتحر) من التحرى ، بمعنى الطلب (من امرك) اى اطلب امرا (ما يقوم به عذرك) فاذا اردت ان تعمل عملا ، فاطلب وجه رضاه سبحانه فيه ، حتّى يكون لك عذر هناك .

(وتثبت به حجّتك) بان تكون لك حجّة ومفرّا عمّا اتيت به من الأعمال (و خذ ما يبقى لك) من الدنيا ، كالخيرات والصدقات والأعمال الصالحة (ممّا

لَا تَبْقَىٰ لَهُ ؛ وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ ؛ وَشِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ ؛ وَارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

جبراً من الظلم

وَاللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَىٰ حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً ، وَ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً ،

لا تبقى له) فانّ الانسان لا يبقى للدّنيا ، ولا يبقى لعمره و صحّته و ماله و نشاطه و ما اشبه .

(و تيسر) اى تاهّب (لسفرك) الى الآخرة (و شم) اى المح و انظر (برق النجاة) اى انتظره لتستغله فتسير فى ضوئه (و ارحل مطايا التشمير) مطايا جمع مطية ، و هى المركوب ، يقال رحل المطية اذا وضع عليها الرحل ، والتشمير الحسر عن اليد والرجل استعداد للعمل ، والمراد به السّفر الى الآخرة .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى ابتعاده عن الظّلم ، و قصّة عقيل عليه السّلام ، و قصّة اخرى

(و اللّه لئن ابيت) اى اكون ليلا الى الصّباح (على حسك السعدان) الحسك : الشوك ، و السّعدان : نبت ترعاه الابل له شوك شديد تشبه حلمة الثدى ، (مسهدا) اى مسهرا ، لا انام من سهده اذا اسهره (و اجرّ فى الأغلال) جمع غل ، ما يوضع فى عنق المجرم و يده و رجله (مصفدا) اى مقيّدا

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَىٰ الْبِلَىٰ قُفُولُهَا، وَيَطُولُ فِي الثَّرَىٰ حُلُولُهَا ؟!

وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ،

(احبّ الىّ من ان القى اللّه و رسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد) ملاقات اللّه كناية عن ملاقات جزائه و حسابه .

(وغاصبا لشئ من الحطام) حطام الدنيا متاعها تشبيه بما يحطّم ـ اى يكسر ـ من النبت اليابس الذى لاقيمة له (وكيف اظلم احدا لنفس يسرع الى البلى قفولها) ؟ القفول الرجوع ، و البلى الفناء ، فانّ نفس الانسان يرجع الى الفناء كما كان فانيا قبل وجوده ، و المراد من ((نفس)) نفسه الزاكية ، و المعنى : لماذا يظلم الانسان احدا ، لمنفعة نفسه الفانية ، فانها سواء انتفعت ام لا ، تفنى و لا تبقى للدّنيا ، حتّى يقول الشخص انّ فائدة الظلم تبقى له .

(و يطول فى الثرى) اى التراب (حلولها) و بقائها (و اللّه لقد رايت عقيلا) يريد عليه السّلام اخاه عقيل بن ابى طالب عليه السّلام (و قد املق) اى افتقر ، و ذلك لأنه عليه السّلام كان كريما ، فبذل اموالا كثيرة حتّى ركبته مائة الف من الدّيون ، و ذلك سبب سوء حاله و حال عائلته ، و هذا هو السّبب فى عدم اعطاء الامام دينه ـ مع ان بيت المال لا بد وان يقوم بديون المديونين ـ فانّ ذلك الدّين لشئونه لا الدّين لبذله الذى لا يعرف الوسط .

و منه ظهر كيف وجد هذا الفقر فى الدّولة الاسلامية مع انه لا يوجد فقير واحد فى بلاد الاسلام ، لما قرّر الاسلام من المناهج لرفع الفقر ، و لذا قال الامام عليه السّلام فى كلام له : ((لعلّ هناك بالحجاز او اليمامة من لا عهد بالشبع ولا طمع له فى القرص)) و تعجّب الامام من وجود فقير فى الكوفة حتّى وقف سائلا :

حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً ، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ ، غُبْرَ الْأَلْوَانِ ، مِنْ فَقْرِهِمْ ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً ، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً ، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي ، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي ، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا ، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا ، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ

((ما هذا)) ؟ كما فى كتاب الوسائل .

(حتّى استماحنى) اى استعطانى (من برّكم) اى حنطتكم ، و المراد حنطة بيت المال (صاعا) الصاع ثلاثة امداد ، و هو اقلّ من ثلاث كيلوات (و رايت صبيانه شعث الشعور) شعث جمع اشعث و هو الشعر المتلبد بالوسخ (غبر الألوان) جمع اغبر ، و هو متغير اللون بسبب غبار او شحوب (من فقرهم) فانّ الفقير يشحب لونه ، و يغبّر لعدم اعتنائه بنظافة جسمه ، من شدّة الفقر (كانّما سودت وجوههم بالعظلم) هو سواد يصبغ به .

(و عاودنى) عقيل عليه السّلام فى طلبه (مؤكدا) استعطائه (و كرّر علىّ القول) فى طلب العطاء الزّائد (مردّدا) يردّد و يكرّر الطّلب (فاصغيت اليه سمعى) اى استمعت الى كلامه (فظنّ انّى ابيعه دينى) بانجاز رغبته خلافا لأمر الدّين (و اتبع قياده) ما يقاد به كالزمام ، اى اتبعه فيما يقول (مفارقا طريقى) الدّينية (فاحميت له حديدة) اى جعلتها فى النّار حتّى صارت حارّة .

(ثم ادنيتها من جسمه) اى قربت الحديدة الحارّة من جسم عقيل عليه السّلام (ليعتبر بها) اى يتّعظ و يعرف الم العذاب (فضجّ) عقيل (ضجيج ذى دنف) اى ذى مرض (من المها) تالم جسمه بالحديدة (و كاد ان يحترق

مِنْ مِيسَمِهَا ، فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ ، يَا عَقِيلُ ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ ، وَتَجُرُّنِي إِلَىٰ نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ ! أَتَئِنُّ مِنَ الْأَذَىٰ وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظًى ؟! وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ

من ميسمها) الميسم المكوات ، التى تكوى بها اجسام الحيوانات او ما اشبه وانما قال عليه السلام كاد ، لأن الحديدة لم تتصل بجسم عقيل ، وانّما اقتربت منه فحس بلفحها ·

(فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل) الثكل فقدان الحبيب ، والأكثر ان يستعمل فى فقدان الولد ، وهذه الجملة دعاء على الانسان بالموت ، حتّى تفقده امه ونساء اقاربه ، فان الثواكل جمع ثاكلة (اتئن) من الانين ، بمعنى : الصوت الذى يخرجه المريض من فمه من شدّة المرض (من حديدة احماها انسانها للعبه) فان العمل لم يكن جدا ، اذ لم يرد الامام عليه السّلام ان يكويه ، بل اراد ان يقرب من جسمه واضافة الانسان الى الحديدة ، لأدنى مناسبة ·

(وتجرّنى الى نار سجرها) اى اوقدها (جبّارها) اى اللّه سبحانه الجابر القاهر للأشياء حسب ارادته (لغضبه) فان من لا يتحمل الم قرب حديدة محمات ينبغى له ان لا يريد بغيره الوصول الى النّار (اتئن من الأذى) الأذية القليلة (ولا ائن من لظى) اى نار جهنّم ، والاستفهام للانكار فى الوضعين·

ثم انتقل الامام الى قصّة اخرى تفيد ما افادتها القصّة الأولى ، من انّه عليه السّلام يتحرج عن الظلم ولو كان قليلا ، وهى انّ اشعث بن قيس كان من المنافقين ، واراد ان يصانع الامام بشئ حتّى يستميل قلبه عليه السّلام ، ويكون بذلك محفوظا لديه فينال بذلك مالا اوجاها كما هى عادة الأشراف مع الحكّام·

(واعجب من ذلك) اى من استعطاف عقيل عليه السّلام ، وانّما كان اعجب لأنّ عقيل كان فى مطلبه شفعاء فقره وقرابته وحقّه فى بيت المال ، دون هذا

طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا ، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ ، أَمْ زَكَاةٌ ، أَمْ صَدَقَةٌ ؟ فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ !

الانسان الّذى اهدى الهدية التى اراد بها التوصل الى نيل جاه او مال حرام .

(طارق) الطارق هو الآتى ليلا ، ويستعمل فى كل من يطرق باب الانسان بمكروه (طرقنا بملفوفة) اى مع ملفوفة ، وهى نوع من الحلاوى ، كأنّهاتلفّ بعد الطّبخ (فى وعائها) اى فى ظرفها (و) بـ (معجونة) عجنت من السكر و الدقيق وما اشبه (شنئتها) اى كرهتها (كأنما عجنت بريق حية) اى :بلعابها المسموم (اوقيئها) الذى اشد كراهة للانسان .

(فقلت : اصلة) للرحم هذه (ام زكاة) فان ثمن الزكاة يجوز ان يشترى به الحاجة للفقير (ام صدقة) مستحبة (فذلك محرم علينا اهل البيت) فقد حرّم اللّه سبحانه على الرّسول و آله الأئمّة و الصديقة الطاهرة عليهم الصلاة و السلام الزكاة و الصدقة المستحبة و الواجبة .

اما غيرهم من السادة فالمحرم عليهم الصدقة الواجبة ، اما المستحبة فلا تحرم عليهم ، و احتمل جماعة من الفقهاء ان حرمة الصدقة المستحبة جارية حتى بالنسبة الى اقرباء الرسول الأقربين ، غير الأئمّة عليهم السلام ، و لذا كانت ام كلثوم تاخذ الجوز و التمر من افواه ايتام الامام الحسين عليه السلام و تقذفها ، بخة اهل الكوفة بانّ الصدقة محرمة عليهم .

ثم ان الامام عليه السلام لم يذكر حكم الصلة لوضوح ان الطارق لم يقصدها اذ لم تكن قرابة بين الامام و بين الأشعث ، ولفظة ((ذلك)) تعود الى كل من ((الزكاة)) و ((الصدقة)) .

ولم يذكر الامام الهدية ، لأنّ الهدية انكانت لاجرائه الحق فلا يجوز ان

فَقَالَ : لَا ذَا وَلَا ذَاكَ ، وَلٰكِنَّهَا هَدِيَّةٌ . فَقُلْتُ : هَبِلَتْكَ ٱلْهَبُولُ! أَعَنْ دِينِ ٱللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي ؟ أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ ، أَمْ تَهْجُرُ؟ وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ ٱلْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ

ياخذ الانسان ثمن اجراء الحق ، وانكانت لأن يعمل بالباطل فحرمة ذلك اكثر، ولذا استغرب الامام عليه السلام لما قال الشخص انه هدية (فقال) الطارق (لا ذا) اى الصدقة (ولا ذاك) اى الزكاة (ولكنّها هدية) اهديت اليك (فقلت هبلتك الهبول) هى المرئة لا تعيش لها ولد ، وهبلتك بمعنى : ثكلتك ، وهذا دعاء عليه بالموت ، حتّى تثكل عليه امّه (اعن دين الله اتيتنى لتخدعنى) ؟ بان الين لك بواسطة هذه الهديّة ، فاميل عليك سواء وافق الحق ام الباطل .

(امختبط انت) هو الذى خلط عقله ، فهو نصف مجنون (ام ذو جنة) هو المجنون الصرف ، الذى سترعلى عقله (ام تهجر) اى تهذوا بما لا معنى له ، فانّ الانسان العاقل الشاعرلا يقصد خداع الامام ، بعد معرفته له بمثل الهدية ونحوها ، وقد رفض الامام عليه السّلام فى قضيّة الشّورى الخلافة الطويلة العريضة ، لمجرد ان لا يقول ((وسيرة الشيخين)) .

لا يقال فكيف كان الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم يقبل الهدية ؟ اذ الجواب واضح ، فانّه فرق بين المهدين للهدايا ، اذ قد يكون المهدى يريد بذلك رضاه سبحانه ومحبّته للمهدى له ، ومن هذا القبيل كانت الهدايا الّتى يقبلها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وقد يكون يريد بذلك استمالة الحاكم ليحكم له بالباطل ، وهذا هو الّذى قصده الامام عليه السّلام .

(والله لو اعطيت الأقاليم السّبعة) جمع اقليم ، وهو القطعة المعيّنة من قبل علماء الفلك فى الأرض ، فانّهم قسموا الربع الشمال من خطّ الاستواء الى

بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا ، عَلَىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَىٰ ، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَىٰ ! نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ . وَبِهِ نَسْتَعِينُ .

وَمِن دُعَاءٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يلتجيء إلى الله أن يغنيه

سبعة اقسام معظم المعمورة فيها ، ومراد الامام عليه السّلام اعطيت المعمورة كلّها (بما تحت افلاكها) اى اعطيتها من السّماء الى الأرض (على ان اعصى اللّه فى نملة اسلبها جلب شعيرة) اى قشرتها (ما فعلته) ذلك الظّلم على قلّته ولو كان الثمن بتلك الكثرة والعظمة فكيف اظلم ـ كما يريد الأشعث ـ فى مقابل ملفوفة حلواء ... ؟ .

(و ان دنياكم عندى لأهون من ورقة) من اوراق الشّجرة (فى فم جرادة تقضمها) تكسرها باسنانها ، فكيف اظلم احدا لهذه الدّنيا ؟ (ما لعلى ولنعيم يفنى) ؟ اى لا حاجة لى بنعيم الدّنيا الفانية (ولذّة لا تبقى) من لذائذ الدّنيا (نعوذ باللّه) اى نستجير به ان يحفظنا (من سبات العقل) اى نومه الموجب لأن يرجح الانسان شهواته على مقتضيات عقله (وقبح الزّلل) اى السقوط فى الخطاء الّذى هو قبيح (و به نستعين) حتّى يعيننا على انفسنا كى لا نظلم و لا نعصى .

وَمِن دُعَاءٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يلتجئ الى اللّه أن يغنيه

اَللّٰهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِيَ بِالْإِقْتَارِ ، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ ، وَأُبْتَلَىٰ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ ، «إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» .

(اللّهمّ صن وجهى باليسار) صيانة الوجه حفظه من التّعرض للسؤال ، و نسبة الصّيانة الى الوجه لأنه الموضوع الّذى يواجه الانسان به الباذل فيوجب خجله ونحوه . واليسار الغنى (ولا تبذل جاهى بالاقتار) الاقتار : الفقر، وبذل الجاه اسقاط المنزلة من القلوب ، فانّ الفقير تسقط منزلته ، لأنّ النّاس يفرّون منه ولا يحترمونه (فاسترزق) اى اطلب الرزق من (طالبى رزقك) اى الّذين يطلبون الرّزق منك ، فلا داعى الى تطويل الطريق ، واعطاء غيرك لى ما انت قادر عليه .

(واستعطف شرار خلقك) اى اطلب عطفهم ومنحهم (وابتلى بحمد من اعطانى) دون حمدك (وافتتن) اى ابتلى وامتحن (بذم من منعنى) وذلك ليس ممّا ينبغى ان يذمّ الانسان شخصا منعه لمجرّد انّه منعه (وانت من وراء ذلك كلّه) اعطاء المعطى ولمنع المانع (ولى الاعطاء والمنع) فانّه سبحانه لم يقدر لى ولذا منعت اوتفضّل علىّ بعطف المعطى ، فاعطيت ، فاذا كان الأمر بيدك يا رب ، فاسئلك ان توصل الرزق الى مستقيما بدون واسطة (انك على كلّ شئ قدير) فتقدر على الايصال وصون وجهى باليسار .

وَمِنْ خُطبَة لهُ عَليْه السَّلام

في التنفير من الدنيا

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا يَسْلَمُ نُزَّالُهَا

أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ ، اَلْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُوم ، وَالْأَمَانُ فِيها مَعْدُومٌ ،

وَمِنْ خُطبَة لهُ عَليْهِ السَّلام

فى التّنفير من الدّنيا ، و التّزهيد فيها

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(دار بالبلاء محفوفة) ففى جوانبها كلها بلايا و اسقام (و بالغدر) اى : الخدعة (معروفة) يغدر بذى الجاه و ذى المال ، و ذى السلطان فينزلهم عن رتبهم ، و يجعل غيرهم مكانهم (لا تدوم احوالها) على حالة واحدة ، بل تتقلب من حال الى حال (ولا يسلم نزالها) جمع نازل ، اى النازلون فيها ، بل ترميهم بمختلف اصناف البلاء و المحن ، فللانسان فيها (احوال مختلفة) من غنى و فقر و صحّة و مرض و شباب و هرم و هكذا .

(و تارات) جمع تارة ، بمعنى مرة ، (متصرفة) اى مختلفة فمرّة هكذا ، و مرّة هكذا (العيش فيها مذموم) اذ عيشها منغّص بالكدورات ،واذا يذمّه كل انسان (و الأمان فيها معدوم) اذ لا امان لأحد ، بل كل انسان

وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَة ، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا ، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا عَلَىٰ سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَىٰ قَبْلَكُمْ ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً ، وَأَعْمَرَ دِيَاراً ، وَأَبْعَدَ آثَاراً ؛ أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً ، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً ، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً . فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ ،

فيها معرض للفناء و صنوف البلاء (و انما اهلها فيها اغراض مستهدفة) اى كالغرض الذى يرمى ويجعل هدفا للنبال ، يأتيهم مختلف سهام البلاء (ترميهم) الدّنيا (بسهامها) المراد بها الأمراض و المحن و الشّدائد (و تفنيهم بحمامها) الحمام : الموت .

(و اعلموا عباد اللّه ، انكم و ما انتم فيه من هذه الدّنيا) اى شملكم فى حال كونكم فى الدّنيا (على سبيل من قد مضى قبلكم) من اهل الدّنيا الذين تمتّعوا بالدّنيا ثمّ فنوا (ممّن كان اطول منكم اعمارا) فانّ الأعمار فى بعض الأمم كانت اطول من اعمارنا ، لشدّة بنيتهم و صلابة عظامهم (و اعمر ديارا) اى انّ ديارهم كانت اكثر عمارة كالسباء و نحوها .

(و ابعد آثارا) فانّ آثارهم كانت تبقى بعدهم كثيرا ، بخلاف آثاركم التى لا تبقى الاّ قليلا ، ولذا بقيت بقايا طاق كسرى ، وقلعة بعلبك ، و ما اشبههما (اصبحت اصواتهم هامدة) اى ساكنة ، فلا يتكلمون (و رياحهم راكدة) اى ساكنة ، و ركود الريح كناية عن انقطاع العمل و بطلان الحركة (و اجسادهم بالية) اى فانية مندرسة من البلى بمعنى الاندراس .

(و ديارهم خالية) عن اهلها فقد فنى اهلها و بقيت الدّيار (و آثارهم عافية) اى ذاهبة مندرسة (فاستبدلوا بالقصور المشيّدة) اى المبنيّة بناء

وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ ، الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ فِنَاؤُهَا ، وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا ؛ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ ، لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ ، عَلَىٰ مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ ، وَدُنُوِّ الدَّارِ . وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ ،

محكما (والنمارق) جمع نمرقة ، وهى الوسادة (الممهدة) الّتى صفطت لاتكائهم عليها (الصخور والأحجار المسندة) التى يستندون فى القبور اليها (و القبور اللاطئة) اى اللاصقة بالأرض ، من لطاء بالأرض بمعنى لصق (الملحدة) من الحد القبر اذا جعل له لحدا ، وهو الشق فى جانبه (الّتى قد بنى بالخراب فنائها) الفناء الساحة للدار وما اشبه ، كان تلك القبور منازل لها فناء ، وفنائها خراب وعدم .

(وشيد بالتراب بنائها) اذ تملاء القبور بالتراب (فمحلها) اى محل تلك القبور (مقترب) قريب من النّاس ، فانّ المقابر فى قرب المدن (وساكنها مغترب) غريب اذ لا انس له باهل الدنيا (بين اهل محلة موحشين) فانّ الأموات لا تزاور بينهم ولا انس ، ولذا فهم اهل محلة واحدة ، ولكنّهم تغمرهم الوحشة والانفراد .

(واهل فراغ) اذ لا عمل لهم (متشاغلين) اى مشغولين بثواب اعمالهم اوعقابها (لا يستانسون بالأوطان) الّتى تركوها فى دار الدّنيا (ولا يتواصلون) يصل بعضهم بعضا (تواصل الجيران) اذ همدت اجسامهم وخوت اجسادهم (على ما بينهم من قرب الجوار) اى مع انّ بعضهم قريب من البعض (ودنوا الدّار) اى قربها ، فانّ قبورهم متقاربة ، (وكيف يكون بينهم تزاور) زيارة بعضهم لبعض .

وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَىٰ، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَىٰ وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَىٰ مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَكُمْ ذٰلِكَ الْمَضْجَعُ وَضَمَّكُمْ ذٰلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ. فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ:

«هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ، وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

(وقد طحنهم بكلكله البلى) البلى : الفناء ، وكلكل : الصدر ، كان الفناء القى عليهم صدره ، فصار سببا لتحطّمهم ، كما تحطم الحنطة و نحوها بالرحى (و اكلتهم الجنادل) جمع جندل ، بمعنى : الحجارة (و الثرى) اى التراب ، فانّ الانسان يتحوّل الى التراب فكان التراب اكله .

(وكانّ قد صرتم) ايّها السّامعون (الى ما صاروا اليه) من الفناء (و ارتهنكم ذلك المضجع) كما يحبس الرّهن فى يد المرتهن و المضجع محل الاضطجاع و النّوم ، يعنى القبر (وضمكم ذلك المستودع) اى حواكم القبر الّذى هو محل وديعة اجسادكم (فكيف بكم لو تناهت بكم الأمور) تناهى به الأمر ، اى وصل الى غايته ، و المراد انتهاء الأمور الّتى فى البرزخ و القبر ، لتاتّى نوبة القيامة و اهوالها .

(و بعثرت القبور) اى قلبت ثراها و اخرجت الأموات منها (((هنالك تبلو))) اى تخبر من قبله سبحانه (((كل نفس ما اسلفت))) فى دارالدنيا و المراد الاخبار للجزاء ، كما يقرّ جرم المجرم ليعاقب ، و احسان المحسن لتعطى الجائزة (((و ردوا الى الله))) اى الى جزائه و حسابه (((مولاهم الحق))) فانّه سبحانه ربّهم لا غيره (((و ضلّ عنهم))) اى عن عبدة الأصنام (((ما كانوا يفترون))) اذ يجعلونها شركاء له سبحانه .

وَمن دُعَاء لهُ عَليْه السَّلام

يلجأ فيه إلى الله يهديه إلى الرشاد

اَللّٰهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الْآنِسِينَ لِأَوْلِيائِكَ، وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ . تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ . فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ . إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ ،

وَمن دُعَاء لهُ عَليْه السَّلام

(اللّهم انّك انس الانسين لأوليائك) فاولياء اللّه سبحانه اشد انسا باللّه من انسهم بكل احد ، و الأنس باللّه عبارة عن ارادة العزلة و المناجات ، مما يجد الصّالحون فيه لذّة و اطمينان (و احضرهم) اى احضر النّاس (بالكفاية للمتوكلين عليك) فانّك تكفيهم باحسن انواع الكفايه ممّا لا يقدر مثلها غيرك ، و المتوكل على اللّه هو الّذى يعمل بامره سبحانه ، و يكل امره اليه (تشاهدهم فى سرائرهم) جمع سريرة ، اى تنظر الى ضمائر النّاس الأولياء و المتوكلين .

(و تطّلع عليهم فى ضمائرهم) الاطّلاع اعم من المشاهدة ، اذ المشاهدة الروية و الاطّلاع شامل للاستماع و نحوه (و تعلم مبلغ بصائرهم) جمع بصيرة ، بمعنى : المعرفة ، اى تعلم مقدار معرفة كل واحد منهم (فاسرارهم لك) يا الهى (مكشوفة) اذ انت مطّلع على باطنهم (و قلوبهم اليك ملهوفة) اى : مضطربة من شدّة الحب و الاشتياق (ان اوحشتهم الغربة) بان كانوا فى محل غريبا ، يوجب وحشتهم (انسهم ذكرك) فانّ بالذكر يحصل اطمينان و سكون للنّفس يوجب ذهاب الوحشة .

وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَؤُوا إِلَىٰ الِاسْتِجَارَةِ بِكَ ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ . اللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي ، أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي فَدُلَّنِي عَلَىٰ مَصَالِحِي ، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَىٰ مَرَاشِدِي ، فَلَيْسَ ذٰلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ ، وَلَا بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ . اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَىٰ عَفْوِكَ ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَىٰ عَدْلِكَ .

(وان صبت عليهم المصائب لجاوا الى الاستجارة بك) اى يلجئون اليك فى دفع المصائب و المكاره عنهم (علماً) منهم (بان ازمة الأمور) جمع زمام وهى الأسباب الّتى تاتى بالنّتائج الحسنة او السّيئة (بيدك) المراد تحت ارادتك ، ولفظة اليد من باب التشبيه (و) ان (مصادرها) اى صدور تلك الأمور (عن قضائك) فانك تقضى ما تشاء .

(اللّهم ان فهيت) اى عييت ، فان الفهاهة ضد النصاحة (عن مسئلتى) اى عن كيفيّة السئوال (اوعميت عن طلبتى) فلم اتمكن من الوصول اليها (فدلّنى على مصالحى) فى كيفيّة الطّلب وطريق الوصول (وخذ بقلبى الى مراشدى) مواضع الرّشد والصّلاح (فليس ذلك بنكر) اى منكر ـ غير معروف ـ (من هداياتك) فكم هديت النّاس الى مصالحهم ، وارشدتهم الى مواضع رشدهم .

(ولا ببدع) اى مبتدع جديد (من كفاياتك) التى تكفى بها من تشاء من خلقك (اللّهم احملنى على عفوك) كان العفو مركب يركب الانسان عليه فينجو من خطاياه وآثامه (ولا تحملنى على عدلك) اذ العدل موجب لعدم اعطاء الأجر، فان الانسان ملك له سبحانه ، فكل عمل يعمله يكون باستحقاقه تعالى ، و مثله لا يوجب الأجر ، وقد سبق وجه استغفار المعصومين عليهم السلام و طلبهم العفو

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

لِلّٰهِ بَلَاءُ فُلَانٍ ، فَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ، وَدَاوَىٰ الْعَمَدَ ، خَلَّفَ الْفِتْنَةَ! وَأَقَامَ السُّنَّةَ ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ ، قَلِيلَ الْعَيْبِ. أَصَابَ خَيْرَهَا ،وَسَبَقَ شَرَّهَا. أَدَّىٰ إِلَى اللّٰهِ طَاعَتَهُ ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ . رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فی مالك الأشتر ((ره)) بعد موته

(لله بلاء فلان) ای لله ما فعل مالك من الخير ، وهذا مدح بان عمله كان لله سبحانه (فقد قوم الأود) ای عدّل الاعوجاج فقد كان ((ره)) للامام بمنزلة الامام علیه السلام للرّسول صلّی اللّه علیه وآله وسلم ــ كما نصر بذلك الامام علیه السلام ــ (وداوی العمد) ای العلة ، ومداواتها ازالتها (خلف الفتنة) بان تركها بعده ، وهذا تضجر من بقاء الفتنة ، وموت مالك الّذی كان يعالج الفتن وينفذ امر الامام علیه السّلام فيها ، بلا زيادة او نقصان .

(واقام السّنة) ای عمل بسنّة الرّسول صلی الله علیه وآله وسلم ، بدون ابتداع فيها (ذهب نقی الثوب) نقاء الثوب كناية عن عدم تلوثه بالمعاصی و الآثام (قليل العيب) وانّما قال قليل العيب لا كل احد غير المعصوم لابد وان يكون فيه عيب (اصاب خيرها) لعل الضمير يعود الی احوال النّاس الظّاهر من السياق ، واصابة الخير كناية عن نجاحه فی الامتحان ، اذ ثبت واستقام .

(وسبق شرها) كناية عن انّ شرها لم يلحقه ، فكانّه فوّعنها ، كالذی يفرّمن سبع ولص وما اشبه (ادّی الی اللّه طاعته) ای اطاعة سبحانه ، فكان الطّاعة كانت امانة بيده فاداها كاملة (واتقاه بحقه) ای حق التقوی (رحل وتركهم)

فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي .

اى النّاس (فى طرق متشعبة) فان مالك كان زمام امر اهل الكوفة يثقون به و يجتمعون على رايه ، فلما مات صار لكل راى (لا يهتدى فيها) اى فى تلك الطرق (الظال) اذ لا يطمئن بما يرى من طرق الهداية .

(ولا يستيقن المهتدى) بانّ طريقه هدى ، وهذه عادة النّاس ، فانّهم يتبعون رؤسائهم دون الآمر الأعلى ، فاذا فقد الرئيس انفصم حبلهم ، وقد قال بعض اهل السنة ان المراد بـ ((فلان)) فى كلام الامام ، عمر ، وهذا خطاء وكيف يجتمع هذا مع تضجّره الشديد من عمر فى خطبة الشّقشقيّة ، مع الغض عن سائر الأمور التى ثبتت فى التّواريخ و السّير .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في وصف بيعته بالخلافة

قال الشريف : وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة .

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا ، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَىٰ حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا ، حَتَّىٰ انْقَطَعَتِ النَّعْلُ ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ ، وَوُطِيءَ الضَّعِيفُ ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ ، وَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يصف كيفيّة بيعتهم له بالخلافة ، قال الشريف : (وقد تقدّم مثله بالفاظ مختلفة) .

(و بسطتم يدى) اى مددتموها للبيعة (فكففتها) اى جمعتها فرارا عن بيعتكم (و مددتموها فقبضتها) اما عبارة اخرى عن الجملة السّابقة ، او المراد ببسط اليد فتح الكف ، والمراد بكففتها جمعها ، فالجملتان لافادة معنيين (ثمّ تداككتم علىّ) التداك الازدحام (تداك الابل الهيم) اى مثل تزاحم جماعة الابل العطاش ، فانّ هيم جمع هيماء ، بمعنى : العطشى ، (على حياضها) جمع حوض : مجمع الماء (يوم ورودها) اى ورودها الماء للشّرب (حتّى انقطعت النّعل) اى انقطع شسع نعل الامام عليه السّلام .

(و سقطت الرّداء) من منكب الامام عليه السّلام (و وطئ الضّعيف) اى : سحق بالأقدام من كان ضعيفا لا يقدر على المكافحة (و بلغ من سرور النّاس ببيعتهم اياى ان ابتهج بها) اى بالبيعة (الصغير) والابتهاج الفرح (و

هَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ

هدج) اى مشى مشية الضعيف (اليها الكبير) ليوصل نفسه الى الامام فيبايع (وتحامل نحوها العليل) اى حمل نفسه على المشى بكلّ صعوبة ليبلغ البيعة .

(وحسرت اليها الكعاب) كعاب وزن السّحاب ، الجارية حين يبدو ثديها للنهود ، وهى الكاعبة ، وحسرت اى كشفت عن وجهها لترى جماهير النّاس ، و هذه من عادة البنات ان يكشفن عن وجوههنّ فى الازدحامات و المناسبات ، وغضّ الامام عليه السلام من بيان هذه الجمل انّ البيعة تمّت بمقتضى اختيار النّاس ، فليس لأحد ان يقول عنها بانّها كانت باكراه و اجبار ، وهذه عادة النّاس يقبلون على الشئ بكل جد و اشتياق ، ثم اذا تصادم الحق مع مصالحهم تنفّروا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى فضيلة التّقوى ، و العمل ، و الجد

(فانّ تقوى الله مفتاح سداد) فانّ سداد الانسان انّما يكون بالتّقوى (و ذخيرة معاد) اى هى الباقية للانسان فى يوم القيامة (وعتق من كلّ ملكة) الملكة الصّفة الحاصلة للنّفس الثّابتة فيها ، كملكة الجبن او الشّجاعة ، و البخل او الكرم

وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ. بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ. فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِئَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ. وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً، أَوْ مَرَضاً حَابِساً، أَوْ مَوْتاً خَالِساً.

و هكذا ، و المراد هنا الملكات السيّئة ، فانّ الانسان المتّقى يتخلّص من كلّ هذه الملكات ، حيث يتّبع اوامر الاسلام .

(و نجاة من كل هلكة) اى هلاكة فى الدّنيا و الآخرة . فانّ التّقوى تحفظ الانسان عن المهالك ـ و بالأخص المهالك الأخروية ـ (بها) اى بالتّقوى (ينجح الطالب) لأمر من الأمور فانّ اللّه يتفضّل على اهل التّقوى بانجاز امورهم (و ينجو الهارب) من خوف المعاصى و الآثام ، فالّذى يهرب من اللّه من خوف معاصيه اذا اتّقى ينجو و لا يلحقه الضّرر الّذى هرب منه (و تنال الرّغائب) اى : الأشياء المرغوبة للانسان .

(فاعملوا) الآن ، و انتم فى الدّنيا (و العمل يرفع) اى يقبل (و التّوبة تنفع) فتوجب محو الذّنوب (و الدّعاء يسمع) اى يقبله اللّه سبحانه و السّماع حيث هو سبب للقبول ، اقيم مقامه بعلاقة السّبب و المسبّب (و الحال هادئة) اى ساكنة يمكن العمل فيها ، فانّ فى اوقات الاضطراب لا يمكن العمل .

(و الأقلام جارية) اى تجرى بكتابة الحسنات ، و المراد اقلام الكتبة من الملائكة الحافظين للأعمال (و بادروا بالأعمال عمرا ناكسا) اى ذاهبا كانّ العمر النّاكس ـ و هو اواخر العمر الموجب لنكس الانسان الى حالة الطّفولة و الخرافة ـ يريد اخذ الانسان و العمل يريد استغلاله ، فاللازم ان يعمل الانسان قبل ان ياخذه العمر (و مرضا حابسا) اى يحبسكم و يمنعكم من العمل (او موتا خالسا) ياخذكم على فجئة و بغتة .

فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ. زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ. قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ ، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ،

(فانّ الموت هادم لذّاتكم) يهدم لذائذكم فى الحياة (ومكدّر شهواتكم) تنغّصها بالفناء (ومباعد طياتكم) جمع ((طية)) بالكسر ، بمعنى : القصد اى يحول بينكم و بين مقاصدكم فيبعدها عنكم و الموت (زائر غير محبوب) لا يحبّه الانسان (وقرن) هو الكفوء فى الشّجاعة ، الّذى يبارز الشّخص فى ساحة الحرب (غير مغلوب) لا يتمكن الانسان من غلبته .

(و واتر) القاتل و من اشبه من الّذين يريقون دم الانسان و يجرحونه (غير مطلوب) فانّ الانسان لا يتمكن ان يطالب الموت بدم من اماته (قد اعلقتكم حبائله) شبكة الصّيد ، جمع حبالة ، و اعلقتكم اى تعلقت بكم (و تكنفتكم) اى احاطتكم (غوائله) جمع غائله ، و هى الشّدائد و الكوارث .

(و اقصدتكم) اقصده اذا رماه بالسّهم (معابله) جمع معبلة ، و هى : النّصل الطّويل العريض ، اى الحديدة فى راس السّهم (وعظمت فيكم سطوته) اى اخذه فان الموت اذا اراد اخذ احد لا يمكنه الفرار منه (و تتابعت عليكم عدوته) العدوة العدوان ، و تتابع العدوان باعتبار اخذه لأقربائهم واصدقائهم واحد بعد واحد (و قلّت عنكم نبوته) النبوة : ان يخطى فى الضّربة فلا يصيب ، اى الموت لا يخطئ اذا اراد الاصابة ، ولعل لفظة ((قلت)) باعتبار الآجال المعلّقة التى يغلت الانسان منها (فيوشك ان تغشاكم دواجى ظلله) دواجى جمع داجيه ، اى المظلمة و ظلل جمع ظلة ، كالسحابة التى تظل اى يقرب ان يظلكم سحاب الموت المظلم .

وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ ، وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ ، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ ، وَأَلِيمُ إِزْهَاقِهِ ، وَدُجُوُّ أَطْبَاقِهِ ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ. فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ ، وَعَفَّى آثَارَكُمْ ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ ، يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ ،

(واحتدام علله) اى يوشك ان يغشاكم احتدام ـ اى اشتداد ـ علل الموت ، جمع علة ، فان الموت يورث العلة (وحنادس غمراته) حنادس جمع حندس ، بكسر الحاء ، الظلمة الشديدة وغمرات جمع غمرة ، وهى التى تغمر الانسان وتشمله من انواع الشدائد .

(وغواشى سكراته) غواشى جمع غاشية ، التى تغشى الانسان وتشمله ، و سكرات جمع سكرة ، الحالة الشديدة التى توجب ان لا يشعر الانسان كأنه سكران (واليم ازهاقه) الازهاق الابطال ، اى الشديد المولم من الموت الذى يوجب ابطال الانسان (ودجو اطباقه) الدجو الاظلام ، والاطباق الاشتمال فان الموت يشمل الانسان ، وله ظلمة توجب سقوط الحواس والمشاعر عن الادراك .

(وجشوبة) اى خشونة (مذاقه) اى ذوقه ، فانّ الانسان يذوق الموت بحواسه وادراكاته ، والتاكيد بهذه الجمل المتقاربة معنى لتركيز حال الموت فى ذهن الانسان ، فان التكرار من افضل وسائل التركيز (فكان قد اتاكم) الموت (بغتة) اى فجئة (فاسكت نجيكم) النجى القوم يتناجون .

(وفرق نديكم) الندى الجماعة يجتمعون للمشاورة (وعفّى اثاركم) اى محاها حتى لا اثر لكم بعد (وعطل دياركم) عن ساكنيها فبقيت خالية (وبعث) اى اثار (وراثكم) جمع وارث (يقتسمون تراثكم) اى ميراثكم (بين حميم خاص) اى حال انتم فى حال الموت بين صديق يخصكم (لم ينفع) بكم نفعا فى درء الموت عنكم .

وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ ، وَآخَرَ شَامِتٍ وَلَمْ يَجْزَعْ .

فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ ، وَالتَّأَهُّبِ وَالاسْتِعْدَادِ ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ . وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا ، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا ، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا ، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا . أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً

(وقريب محزون لم يمنع) الموت عنكم (و اخر شامت) يفرح بموتكم (و لم يجزع) اى لم يحزن حزنا شديدا (فعليكم بالجد) فى العمل (و الاجتهاد) فى الطاعة (و التاهب) اى التهيّ لملاقات الموت (و الاستعداد) بتحصيل التّقوى التى تنفع فى الآخرة (و التزود) اى اخذ الزاد اللائق بالآخرة وهوالعمل الصالح (فى منزل الزاد) اى الدنيا .

(و لا تغرّنكم الدنيا) اى لا تخدعنكم بزخارفها حتى تركنون اليها (كما غرّت من كان قبلكم) من البشر (من الأمم الماضية) الذين انحرفوا عن سنن الأنبيا (و القرون الخالية) الخالية اى الماضية ، وقرون جمع قرن مائة سنة اوما اشبه ، و الظاهر انه سمى قرنا ، لتقارن اعمار كل جيل فى تلك المدة (الذين احتلبوا) اى حلبوا (درتها) اى لبن الدنيا ، و المراد لذائذها تشبيها لها بالناقة الحلوبة .

(و اصابوا غرتها) اى غفلتها ، فكانّهم اصابوا ان الدنيا غافلة عنهم ، لا تريد بهم شرّا ، ولذا تمتعوا بلذائذها غافلين من انها فاطنة و ستنتقم منهم (و افنوا عدتها) اى ايامها العديدة ، كناية عن بقائهم فيها مدّة مديدة (و اخلقوا جدتها) اى جعلوا جديدها ـ من الشّباب و الرياش و الأموال وماشبه ـ قديما حيث عمروا فيها و تمتعوا بزخارفها (اصبحت مساكنهم اجداثا) جمع جدث ، بمعنى : القبر .

وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً . لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ ، وَلَا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ. فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا.

منها في صفة الزهاد : كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا ، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا ،

(واموالهم ميراثا) ارثا لأقربائهم (لا يعرفون من اتاهم) الى مقابرهم ، و المراد عدم المعرفة بالأبدان ، كما كانت العادة ان يعرفوا بحواسها (ولا يحلفون) اى لا يبالون (من بكاهم) لأنهم في شغل عنهم (ولا يجيبون) اجابة باللّسان (من دعاهم) كما كانوا في الدّنيا يجيبون ، امّا المعرفة بالنّفس لمن اتى و الاهتمام بالنّفس لمن بكا و اجابة النّفس لمن دعا فذلك شئ مسلّم بالنّسبة الى من يؤذن لهم هناك .

(فاحذروا الدّنيا فانها غدارة) تغدر بالانسان تظهر شيئا حتّى اذا اطمئنّ اليه اخذه منه على حين غرّة (غرارة) كثيرة التغرير و الخداع (خدوع) كثيرة الخديعة و المكر (معطية) لبعض الأشياء للانسان (منوع) كثيرة المنع لحوائج الانسان ، ولا تعطى يوما شيئا الا منعته بعد ذلك (ملبسة) تلبس الانسان اللباس و الرياش (نزوع) ثم تنزعها منه .

(لا يدوم رخائها) الرخاء السعة في العيش (ولا ينقضى عنائها) اى تعبها (ولا يركد) اى لا يهدء (بلائها) و مصائبها .

(منها :) (في صفة الزّهّاد) :

(كانوا قوما من اهل الدنيا) بابدانهم و تعارفهم مع اهلها (وليسوا من اهلها) بالقلوب والأعمال (فكانوا فيها كمن ليس منها) اذ لا يعاشرون اهل الدنيا معاشرة تامة ، و انّما ياخذون بطرف من الدنيا لا تضر دينهم و آخرتهم

عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ ، تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الْآخِرَةِ، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

(عملوا فيها بما يبصرون) فيه الخير و السّعادة ، لا كاهل الدنيا الذين يعملون كالأعمى لا يهتمّون انجوا ام هلكوا ؟ .

(و بادروا فيها ما يحذرون) اى سبقوا المحذور حتى لم يلحقهم كمن يسبق لصّا او سبعا حتّى لا يلحقه (تقلّب) اى تتقلب ، حذفت احدى تائيه على قاعدة باب التّفعل (ابدانهم بين ظهراني اهل الآخرة) اى كانهم ـ و هم فى الدنيا ـ يعيشون بين اظهر اهل الآخرة ، لأنسهم باولئك ، و وحشتهم من اهل الدنيا (يرون اهل الدنيا يعظمون موت اجسادهم) فاذا مات من اهل الدنيا احد عظموا موته ، مع العلم ان ليس المهم موت الأجساد و انما المهم موت القلوب .

(و) لذلك (هم) اى الزّهاد (اشد اعظاما لموت قلوب احيائهم) فاذا راوحيّا مات قلبه ـ بان ترك الطاعة و اقترف المعصية ـ عظموا ذلك ، لما يعلمون من ان عاقبة مثل هذا الانسان الى الخسارة الأبدية .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

خطبها بذي قار ، وهو متوجه إلى البصرة ، ذكرها الواقدي في كتاب « الجمل » :

فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ ، وَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ ، فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ ، وَأَلَّفَ بِهِ ذَوِي الْأَرْحَامِ ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

(خطبها بذى قار) اسم موضع (وهو متوجّه الى البصرة ، ذكرها الواقدى فى كتاب الجمل) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(فصدع) اى الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلم ، والصدع اصله الكسر ، فكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كسر عادات الجاهلية وعقائدها (بما امر به) من اوامر اللّه سبحانه (وبلغ رسالات ربّه) والاتيان بالجمع باعتبار كلّ رسالة رسالة ، وحكم وحكم (فلم اللّه به الصدع) اى جمع سبحانه بسبب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انشقاق الناس .

(ورتق) اى خاط (به الفتق) وهو شق الثوب ، ومفاد هذه الجملة كمفاد الجملة الأولى (وألّف به ذوى الأرحام بعد العداوة الواغرة فى الصّدور) الواغرة ، بمعنى : الداخلة ، فان الجاهليين كانوا يقطعون الأرحام لعداوات بينهم فألّف اللّه بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين اولئك حتى صاروا ارحاما واخوة (والضغائن) جمع ضغينة ، بمعنى الحقد (القادحة فى القلوب) كانت تتطاير شررها فى قلوب اهل الجاهلية .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به عبدالله بن زمعة ، وهو من شيعته ، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً ، فقال عليه السلام :

إِنَّ هٰذَا ٱلْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ ، كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ ، وَإِلَّا فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(كلم به عبد اللّه بن زمعة وكان من شيعته ، وذلك انه قدم عليه فى خلافته يطلب منه مالا ، فقال عليه السلام) :

(انّ هذا المال) الّذى تراه فى بيت المال تحت سلطتى ، واردت بعضه (ليس لى ، ولا لك ، وانّما هو فئ للمسلمين) اى اخراج وغنيمة (و جلب اسيافهم) اى ما جلبه اسيافهم فى الجهاد (فانّ شركتهم فى حربهم) بان حاربت معهم (كان لك مثل حظّهم) يقسّم المال على الكل بالسوية فيعطى لك قسم منه (ولا فجناة ايديهم) اى ما جناه (لا تكون لغير افواههم) ولا نصيب لك فيه

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

أَلَا إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ ، وَلَا يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ . وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

امر الامام ابن اخته (جعدة بن هبيرة) يوما ان يخطب الناس فصعد المنبر فحصر ، ولم يستطع الكلام فخطب الامام بهذا الكلام .

(الا انّ اللّسان بضعة) اى قطعة (من الانسان فلا يسعده القول) اى لا يتاتى من اللسان التكلم (اذا امتنع) الانسان عن الكلام بان لم يستعد ذهنه لتخريج الكلام (ولا يمهله النطق اذا اتّسع) اذ تنحدر الألفاظ من اللّسان انحدار السيل حتى لا يجد لافراغ ما فى ذهنه ، مجالا (وانا لأمراء الكلام) يعنى ان عليّ ابن اختى ليس لعدم تمكنه ، فانا فى الكلام كالأمير ، وسائرالناس كالرعية ، بل عيّه لعدم مساعدة ذهنه ، لأنّ اللّسان بضعة من الانسان لا يسعده القول اذا امتنع .

(وفينا تنشبت) اى ثبتت (عروقه) كالشجرة التى تثبت اصولها (وعلينا تهدلت) اى تدلت (غصونه) فالمعانى السامية فى انفسنا ، والألفاظ الفصيحة البليغة متدلية علينا ، اى انّها تتفجّر من جوانبنا .

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ ، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ . أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ ، مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإِدْهَانِ ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ . لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ ، وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ .

(واعلموا رحمكم الله) دعاء بلفظ الخبر . وكانّ الأصل فيه بيان الشوق الى المطلوب حتّى كانّه وقع او سيقع فى مثل : يرحمكم الله (انكم فى زمان القائل فيه بالحق قليل) هذا بالنسبة الى زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم او مطلقا . لأنّ زمان الامام كان زمان فوضى واضطراب . وفى مثله يقل القائل بالحق (واللّسان عن الصدق كليل) اى تعب للخوف او الطمع المستولى على النّفس ممّا يوجب ثقل الصّدق .

(واللّازم للحق ذليل) وهكذا يكون الزّمان اذا اضطراب واختل حبل الوحدة (اهله معتكفون على العصيان) اى ملازمون له من عكف بمعنى لزم (مصطلحون على الأدهان) اى اصطلح بعضهم بعضا على المجاملة فى الدّين (فتاهم) اى شابهم (عارم) شرس سئ الخلق (وشائبهم) اى كبيرهم فى السن (اثم) يعصى الله سبحانه ولا يمنعه شيبه عن الكف عن الاثم .

(وعالمهم منافق) يبطن شيئا ويظهر غيره طلبا للدنيا (وقارئهم) للقرآن (مماذق) هو من يخرج ودّه بالغش . بينما اللازم ان يكون القارى محبّاللنّاس، حتى يؤثر القرآن فيهم بسبب محبوبية شخصه (لا يعظم صغيرهم كبيرهم) وذلك لفساد الصغار والكبار (ولا يعول) اى لا يعين (غنيّهم فقيرهم) لاستيلاء حبّ المال على قلوب الأغنياء ، فلا يقومون بامور الفقراء .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

روى ثعلب اليامي عن أحمد بن قتيبة ، عن عبد الله بن يزيد ، عن مالك بن دحية ، قال : كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال :

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا ، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا ، فَهُمْ عَلَىٰ حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ ، وَعَلَىٰ قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ ،

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(روى ابو محمد يماني ، عن احمد بن قتيبة ، عن عبد اللّه بن يزيد ، عن مالك بن دحية قال : كنّا عند امير المؤمنين عليه السلام ، وقد ذكر عنده اختلاف النّاس) اى فى الأخلاق و الصّفات و الطّاعة و العصيان ، فقال عليه السلام :

(انّما فرق بينهم مبادئ طينهم) اى عناصر تركيبهم التى هى الأصل فيهم (و ذلك) اى بيان ذلك (انهم كانوا) فى الأصل (فلقة) اى قطعة (من سبخ ارض وعذبها) اى مالح الأرض الناشة بالملح ، وعذبها التى لا ملوحة فيها (و حزن تربة) اى الخشن من الأرض (و سهلها) الّتى لا خشونة فيها ، بل لين و نعومة (فهم على حسب قرب ارضهم) اى قرب اصل بعضهم لبعض فى اللين و الخشونة و ما اشبه (يتقاربون) فنفران كانا من طين عذب تتقارب اخلاقهما و هكذا .

(وعلى قدر اختلافها) اى اختلاف ارضهم فى الحزونة و السهولة و ما اشبه (يتفاوتون) فى الأخلاق ، و توضيح ذلك انه لا شك فى اختلاف طبائع الانسان ، فمن جواد ذاتا الى بخيل ذاتا ، و شجاع طبعا الى جبان طبعا ، و

فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ ، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ ، وَتَائِهُ الْقَلْبِ

هكذا .. كما لا شك فى ان اصل الانسان التراب ، اذ يتحول التراب نباتا فياكله الانسان ـ او ياكله الحيوان و ياكل ذلك الحيوان الانسان ـ فيصير الماكول دما ثم منيا منشاء للولد ، فذلك الطبع الذى كان فى الأرض يؤثر فى اخلاق الانسان و نفسياته ، مع اختلاف الأثر فى كونه ترابا او انسانا ، فالأرض السهلة تكوّن الانسان اللين الاخلاق و بالعكس ، الحزنة و الأرض المالحة تكوّن الانسان الصعب النفس بخلاف العذبة .

و لكن لا يخفى انه مع ذلك زمام الاختيار بيد الانسان ، و ليس مجبورا على العمل بمقتضى طبعه و ذاته ، و لهذا الكلام تفصيل طويل ، و احتمالات اكتفينا منه بهذا القدر من الاحتمال .

ثمّ بيّن الامام عليه السّلام اقسام النّاس بالنّسبة الى الجهة الجسميّة و العقليّة معا ، اذ اختلاف التّربة يؤثر فى اختلاف الجسم ايضا (فتام الرّواء) اى المنظر و المعنى ذو النظر الحسن التام (ناقص العقل) خلاف منظره (و ماد القامة) بان كانت قامته طويلة (قصير الهمة) لا يهتم لأمور العالية المحتاجة الى طول زمان (و زاكى العمل) اى الذى عمله حسن (قبيح المنظر) فبين منظره و عمله خلاف .

(و قريب القعر) اى قصير الجسم ، خفيفه فى مقابل الانسان السمين الشبيه بالاناء البعيد قعره ، (بعيد السبر) اى بعيد النظرة و الفكرة ، و الهمة و المسبار آلة يقدر بها عمق الشئ (و معروف الضريبة) اى الطبيعة (و منكر الجلية) ما يتصفه الانسان على خلاف طبعه كانه يجلبه و يجلبه (و تائه القلب) لا يستقرّ

مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله وهو يلي غسل رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، وتجهيزه :

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ! لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْإِنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ .

قلبه على شئ ، ولا ارتكاز فيه (متفرق اللب) اى العقل فتفكيره مشوش ، وميوله متناقضة (وطليق اللسان) اى فصيحه (حديد الجنان) اى ثاقب الفكر ، قوى الفهم ، والجنان القلب سمّى به لتستره .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله وهو يلى غسل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ، وتجهيزه (بابى انت وامّى) الباء للتفدية ، اى افديك ابى وامّى ، لأنك اعزّ منهما عندى ، وهذه الجملة لاظهار مقدار الحب بالنسبة الى المحبوب ، حقّ انّ الحب اذا دار الأمر بينه وبين ابويه قدمه عليهما وفداه بهما (لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك) من الأنبياء (من النّبوّة والأنباء واخبار السّماء) اذ كل نبى توفى كان بعده نبى متصل بماوراء الغيب ، فهو نبى ويأتى باخبار السماء ، وانباء غيبية ، ولو من غير جهة السّماء ، لقوّة نفس النبى واتصاله بماوراء الطبيعة .

خَصَّصْتَ حَتَّىٰ صِرْتَ مُسَلَّياً عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَعَمَّمْتَ حَتَّىٰ صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً . وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ ، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا ، وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً ، وَقَلًّا لَكَ وَلٰكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّهُ ،

اما بعد الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و سلّم حيث لم يكن نبى آخر، فقد انقطعت هذه السلسلة من الموجودات الشريفة و الأخبار الغيبيّة (خصصت) يا رسول اللّه بالفضل اهلك و اقاربك (حتّى صرت مسليا عمن سواك) فلم يكن فقدهم لشئ محزنا لهم ، بعد ان كان لهم مثلك (وعممت) بالفضل جميع النّاس (حتّى صار النّاس فيك سواء) فكلّهم معترف من فضلك مستفيد من رسالتك ، و بعض الشّراح جعل التّخصيص و التّعميم فى جهة مصيبته صلى الله عليه و آله و سلم، و الاطلاق اجمل .

(و لولا انّك امرت بالصّبر) فى المصائب (و نهيت عن الجزع)وهوانسياق الانسان وراءعاطفته فى المصيبة ، فان الانسان اذا انساق وراء العاطفة ظهر منه حزن كثير ، وضرب للنفس و اعمال بشعة اخرى يفعلها الجهلاء (لأنفدنا عليك ماء الشئون) الشئون منابع الدمع من الراس ، اى افنينا فى فراقك ماء عيوننا حتى لا يبقى دمع فى مخازنه (و لكان الداء مماطلا) فلا يذهب بل يبقى كالمماطل الذى لا يؤدّى دينه ، و المراد بالداء هنا الحزن .

(و الكمد) الحزن الكامن فى النفس الشديد التاثير (محالفا) لنا ، لا يفارقنا كالذين تحالفا ان يكون احدهما عونا للآخر حيث لا يفترقان (وقلا) تثنية ((قل))، فعل ماضى ، اى ان الداء المماطل و الكمد المحالف قليلان (لك) فى مصابك (و لكنه) اى الموت (ما يملك رده) فان الانسان لا يقدر على ارجاع الموت .

وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ !

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ ،

(ولا يستطاع دفعه) فاى فائدة فى الحزن بعد ان اختطفك المنون فان المطلب المهم وهو دفع الموت ليس مقدورا ، و المقدور وهو الحزن لا ينفع ـ و بهذا الاعتبار جئ بالاستثناء بلفظة ((لكنه)) ـ (بابى انت و امى) يارسول الله (اذكرنا عند ربك) بالدعاء لنا ، و طلب الرحمة منه سبحانه علينا (واجعلنا من بالك) فى خاطرك و لفظة ((من)) نشوية .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(اقتص) اى تتبع و حكى (فيه) اى فى هذا الكلام (ما كان منه عليه السلام بعد هجرة النبى صلى الله عليه و آله و سلم) من مكة الى المدينة ثم لحاقه عليه السلام به صلى الله عليه و آله و سلم) .

(فجعلت اتبع ماخذ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم) اى محل اخذه اى كنت اتسائل عن كيفية عمل الرسول صلى الله عليه و آله ، من يوم فارق مكة بقصد الهجرة (فاطأ ذكره) كانه عليه السلام يمشى فى ذكر الرسول صلى الله

حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ الْعَرَجِ .

قال السيد الشريف رحمه الله فى كلا طويل : قول عليه السلام ((فاطـــاء ذكره)) من الكلام الذى رمى به الى غايتى الايجاز و الفصاحة ، اراد عليه السلام انّى كنت اعطى خبره صلى الله عليه و آله و سلم ، من بدء خروجى الى ان انتهيت الى هذا الموضع ((اى عرج)) فكنى عن ذلك بهذا الكناية العجيبة ((اى وطئ الذكر)) كانّه عليه السلام يضع قدمه فى مواضع يذكر فيه الرسول صلى الله عليـه و آله و سلم) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

في المسارعة إلى العمل

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ،

عليه و آله و سلم اذ يتتبع اخباره (حتى انتهيت الى العرج) عند خروجى من مكة بعد الرسول بقصد الهجرة و عرج موضع بين مكة و المدينة .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

فى الحثّ على المسارعة على العمـل

(فاعلموا و انتم) الواو للحال (فى نفس البقاء) اى سعة البقاء ، وسميت السعة نفسا كان البقاء يتنفس و له حيات بعد ، بخلاف ما اذ ذهب البقاء ــ بان مات الانسان ــ فقد انقطع نفس البقاء (و الصحف) التى تكتب فيهـــا اعمالكم جمع صحيفة (منشورة) لم تطو فان الانسان مادام حيّا تبقى صحفه منشورة ليدرج فيها عمله (و التوبة مبسوطة) اى لها مجال فتقبل و البسط ضد القبض

وَالْمُدْبِرُ يُدْعَىٰ ، وَالْمُسِيءُ يُرْجَىٰ ، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ ، وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ ، وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ .

فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ . امْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَىٰ أَجَلِهِ ، وَمَنْظُورٌ إِلَىٰ عَمَلِهِ .

(والمدبر) اى الذى ادبر عن الله سبحانه بالكفر و العصيان (يدعى) يدعوه سبحانه الى الايمان و الاطاعة .

(والمسئ يرجى) ان يقلع عن اسائته حيث ينفعه الانقلاع (قبل ان يخمد العمل) اى يبطل فلا عمل بعد الموت (وينقطع المهل) اى المهلة (و ينقضى الأجل) اى تفنى مدّة بقاء الانسان فى الدنيا (ويسدّ باب التوبة) كما قال سبحانه : ((وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا جاء احدهم الموت قال انى تبت الان ، ولا الذين يموتون وهم كفّار)) (وتصعد الملائكة) الحافظون لعمل الانسان فانه اذا مات لم تبق حفظته فى الأرض لانتهاء مهمتهم .

(فاخذ امرء من نفسه لنفسه) ((اخذ)) مضى بمعنى الأمر ، اى فلياخذ كل امرء من نفسه ـ بصرفها فى الأعمال الصالحة ـ لنفسه اى لنجاتها ، و فوزها غدا ، فان الانسان اذا صرف نفسه فى العمل الصالح راى نتيجته فى الدنيا و الآخرة (واخذ من حى) اى من نفسه و هو حى (لميت) اى لحالة موته (ومن فان) و هو جسمه (لباق) و هو الانسان فى عالم الآخرة .

(ومن ذاهب) و هو الانسان فى الدنيا ، اذ يذهب و يسافر منها (لدائم) باق ، و هو الانسان فى الآخرة ، او المراد بالذاهب الدنيا ، وبالدائم الآخرة . فالنّاجى هو (امرؤ خاف الله) فعمل باوامره (و هو معمّر) اى يعمر و يبقى فى الدنيا (الى اجله) الذى هو وقت موته .

(ومنظور) اى اعطى المهلة و النظرة (الى عمله) الذى يعمله و هو فى

اَمْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا ، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا ، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللهِ ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللهِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي شَأْنِ الْحَكَمَيْنِ وَذَمِّ أَهْلِ الشَّامِ

جُفَاةٌ طَغَامٌ ، وَعَبِيدٌ أَقْزَامٌ ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ .

الدنيا (امرؤ الجم نفسه بلجامها) و لجام النفس التقوى التى تحول بين الانسان و بين المحرمات (و زمّها) اى قادها (بزمامها) اى بالحبل الذى يقاد بـــه النفس و هو حبل الشريعة (فامسكها بلجامها عن معاصى الله) هذا بيان لقوله عليه السلام ((بلجامها)) (وقادها بزمامها الى طاعة اللّه) هذا بيان لقولـــه بزمامها .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(فى شان الحكمين) فى قصة معاوية و حرب صفّين (و ذمّ اهل الشّـــام)

اهل الشام اصحاب معاوية (جفات) جمع جاف ، بمعنى غليظ القلـــب (طغام) اوغاد الناس واراذلهم (وعبيد) جمع عبد ، و انما شبههم بالعبيد لعدم استقلالهم فى الارادة و تفهم الأشياء ، و انما هم اتباع يمتثلون امر معاوية فى ما يضرهم (اقزام) جمع قزم ، و هو الرذل الذى لا يعرف له كيان (جمعوا من كل اوب) اى من كل ناحية و هذا عادة الأشرار دائما ، فان ذوى البيوتـــات و الشرف لا يتبعهم ، فيضطرون الى جمع الأشرار و التقوية بهم .

وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ ، وَيُوَلَّىٰ عَلَيْهِ ، وَيُؤْخَذَ عَلَىٰ يَدَيْهِ . لَيْسُوا مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ، وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ تَبَوَّؤُوا ٱلدَّارَ .

أَلَا وَإِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا

(وتلقطوا) الالتقاط الجمع والأخذ من الأرض (من كلّ شوب) اى : كل خلط ، فهم ليسوا بصراح النسب ، بل شائبه (ممن ينبغى ان يفقّه ويؤدّب) اى انهم جهلاء اصحاب رذيلة ، فاللازم ان يعلّموا ويؤدّبوا بالآداب (ويعلّم) العلم (ويدرّب) اى يمرنوا على العمل فلا اصل لهم ولا شرف ، ولا حسب لهم ولا ادب (ويولّى عليه) اى يكون له ولىّ يلى شئونه ، فانهم سفهاء لا رشد فيهم (ويؤخذ على يديه) حتى لا يتصرف تصرّفا سيّئا .

(ليسوا من المهاجرين والأنصار) ذوى السوابق والعلم والآداب (ولا من الذين تبوأوا الدار) اى نزلوا المدينة المنورة ممن اجتمع حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من غير مكة ، لا يقال وقد كان كذلك اصحاب الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلم ، حيث اجتمعوا من كل ناحية ، ولم يكن لهم فى اول الدّعوة سوابق ؟ اذ الفرق واضح فان الرسول اجتمع حوله الأخيار ، اذ لم يكن له اول الدعوة مال وقوة بخلاف معاوية فانه جمع الأشرار بالمال والقوة ، والأشرار تابعون لهما ، بخلاف الأخيار الذين هم تابعون للحق .

ثم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن فى قباله من له انصار ذووا سوابق ، فعدم السابقة فى اصحابه لا يضر بخلاف معاوية ، فانه جمع من لاسابقة له ليقابل بهم من له سوابق وفضائل .

(الا وان القوم) اى معاوية وربعه (اختاروا لأنفسهم اقرب القوم مما

تَكْرَهُون . وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللهِ ابْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ : «إِنَّهَا فِتْنَةٌ ، فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ» . فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَةُ . فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَخُذُوا مَهَلَ الْأَيَّامِ ،

تكرهون) اى اختاروا فى التحكيم ابا موسى الأشعرى ، واسمه عبد الله بن قيس، وهذا الرجل كان قريبا الى ما يكره اصحاب الامام ، لأنه كان ضدّ الامام ، وضدّ قيامه بالحرب امام الطغام .

(وانّما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول) ما يدلّ على كراهته لكم و لنهضتكم : (انها فتنة) اى هذا الحرب بين الامام و بين الناقضين لبيعته (فقطعوا اوتاركم) اى اوتار القسىّ ، وهو ما يرمى منه (وشيموا) اى اغمدوا (سيوفكم) ، وذلك كناية عن عدم الحرب ، فكان ابوموسى يخذل عن الامام و يثبط عزائم المؤمنين فى محاربة مناوئ الامام عليه السلام .

(فانكان صادقا) فى ان هذه الحرب فتنة وينبغى للانسان ان لا يشارك فيها (فقد اخطاء بمسيره) الى الفتنة بنفسه (غير مستكره) اذ لم يكره احد ابا موسى ليسير الى الحرب ويدخل فيها ويكون حكما فى الأمر فعمله خلاف عقيدته ، ومثل هذا الشخص لا يعتمد عليه .

(وان كان كاذبا) فى قوله : انها فتنة (فقد لزمته التهمة) اذ كان عارفا بالحق ، ومع ذلك تكلم بالباطل (فادفعوا فى صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس) فقد رشح الامام عليه السلام للمحاجة من جانبه ابن العباس ، لأنه كفوء لعمرو ويعلم مكائده ، اما ابوموسى فكان ابلها ، لكن عدة من اصحاب الامام المغفلين اصرّوا على ابوموسى ، جهلا منهم بواقع الحال (وخذوا مهل الأيام) اى اجعلوا ايام المهلة بين الجانبين حيث عطلت الحرب مدة مديدة ،

وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ . أَلَا تَرَوْنَ إِلَىٰ بِلَادِكُمْ تُغْزَىٰ ، وَإِلَىٰ صَفَاتِكُمْ تُرْمَىٰ ؟

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يذكر فيها آل محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ . يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ .

لحكم الحكمين ، لتجديد قواكم واستعدادكم للحرب من جديد .

(وحوطوا قواصي الاسلام) جمع قاصية ، وهي : الأطراف البعيدة ، و معنى احاطتها حفظها من غارة اهل الفتنة عليها ، وقد كان الأمر كما قال الامام عليه السلام ، فانّ معاوية اغار على اطراف بلاد الامام حيث راى تفرق جيش الامام (الا ترون الى بلادكم تغزى) وتهاجم بسبب معاوية ؟ (والى صفاتكم) الصفات الحجر الصلب ، والمراد منها هنا القوة (ترمى) اى ان قواكم صارت مطمعا للأعداء .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يذكر فيها آل محمد ، صلّى الله عليه وآله

(هم عيش العلم وموت الجهل) اذ العلم لا يعيش الاّ بسبب العلماء ، و الجهل لا يموت الاّ بمقدار حياة العلم (يخبركم حلمهم عن علمهم) فانّ العالم يكون حليما ، اما الجاهل فانه يكون عجولا حادّا (وصمتهم عن حكم منطقهم) فان

لَا يُخَالِفُونَ ٱلْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ. هُمْ دَعَائِمُ ٱلْإِسْلَامِ، وَوَلَائِجُ ٱلْاِعْتِصَامِ. بِهِمْ عَادَ ٱلْحَقُّ فِي نِصَابِهِ، وَٱنْزَاحَ ٱلْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ. عَقَلُوا ٱلدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ ٱلْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

الصمت دليل العقل الذى هو بدوره دليل على المنطق الحكيم، وهو عبارة عن الارشاد. والقول فى موضع الكلام، والكلام بقدر الحقيقة.

(لا يخالفون الحق) الى الباطل (ولا يختلفون فيه) بان يخالف احدهم الآخر (هم دعائم الاسلام) جمع دعامة، بمعنى العمود، اذ هم المبيّنون لأحكامه (وولائج الاعتصام) ولائج جمع وليجة، وهى: ما يدخل فيها الانسان فرارا من مطر او عدو او سبع او ما شبه، اى ان باتباع طريقهم يعتصم الانسان من الانحراف والزلل.

(بهم عاد الحق فى نصابه) اى اصله المقدّر له (وانزاح) اى زال (الباطل عن مقامه) الذى اقام فيه، فكان الحق والباطل يتراوحان فى مجالات الحياة فاذا وجد الحق اعوانا يبينونه ويهتمون بشانه ـ كالأئمة عليهم السلام واوليائهم ـ يأخذ الحق مكان الباطل، والا اخذ الباطل مكان الحق (وانقطع لسانه) اى لسان الباطل (عن منبته) اى المحل الذى نبت فيه، اى اصله، وهذا كناية عن انقطاع حجة الباطل امام حجة الحق.

(عقلوا) اى فهم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (الدين عقل وعاية ورعاية) بان وعوه واشتملوا عليه (ورعاية) بان رعوه ولاحظوه لئلا يتعدى عليه متعد ولا يحرّفه محرّف (لا عقل سماع ورواية) فلم يكونوا مجرد سامع لأحكام الدين، وراووا من النبى صلى الله عليه وآله الى الغير، بدون تفهّم وتدبّر (فانّ رواة العلم كثير) اى الذين يروونه (ورعاته قليل) اى الذين يراعونه.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

قاله لعبد الله بن العباس ؛ وقد جاءه برسالة من عثمان ، وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبُع ، ليقلّ هتف الناس باسمه للخلافة ، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل ، فقال عليه السلام :

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

(قاله لعبد الله بن عباس ، وقد جاءه برسالة من عثمان ، وهو محصور ، يسئله فيها الخروج الى ماله بينبع ، ليقل هتف الناس باسمه للخلافة ، بعد ان كان سئله مثل ذلك من قبل) لقد كان الثوار المجتمعون فى المدينة من البلاد ، لأجل اعطاء عثمان مطاليبهم ، وامره بعدل الولات فى المسلمين ، يئسوا من عثمان ، ولذا حاصروه فى داره ، واعلموا انهم لم يفكوا الحصار حتى يخرج من مظالمهم ، وكان جماعة منهم فى ذلك الأثناء ينادى باسم الامام خليفة مكان عثمان ، وهذا مما ساء عثمان ، فارسل الى الامام عليه السلام ، يامره بالخروج — مسفّرا — الى خارج المدينة ، حيث كان للامام هناك مال يسمى ((ينبع)) المعروف بهذا الاسم الى يومنا هذا ، فخرج الامام ، ثم بعد ان راى عثمان ان لا يمكن لشخص غير الامام حل المشكلة ، طلبه وجعله سفيرا بينه وبين الثوار .

فجاء الامام عليه السلام ، واراد الاصلاح ، لكن عثمان ابى العمل بنصح الامام ومطاليب المسلمين ، وعاد المسلمون الى حصارهم ، فطلب عثمان ابن عباس ، وقال له ابلغ الامام لزوم خروجه من المدينة ثانيا ، حيث سمع الهتاف

يَا بْنَ عَبَّاسٍ ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحاً بِالْغَرْبِ : أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ ! بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ! وَاللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً .

باسم الامام خليفة ، من الثائرين ، فلما ابلغ ابن عباس الامام مقالة عثمان ،، قال عليه السلام :

(يابن عباس ما يريد عثمان الا ان يجعلني جملا ناضحا بالغرب) الغرب : الدلو العظيمة ، والجمل الناضح ، هو الذي يستقي الماء من البئر ونحوها ، فانه اذا ذهب نحو البئر تدلت الدلو الى الماء ، واذا رجع صعدت الدلو ، فياخذها الزارع ، ونحوه ليكبّها (اقبل وادبر) كيف ما شاء عثمان ، والكلام تضجر واستهزاء (بعث) عثمان (الي ان اخرج) من المدينة ، فخرجت (ثم بعث الي ان اقدم) وارجع الى المدينة ، فرجعت (ثم هو الآن يبعث الى ان اخرج) من المدينة (والله لقد دفعت عنه) ورددت الثوار (حتى خشيت ان اكون اثما) حيث كان الحق مع الثوار ، والمراد ليست الخشية حقيقة ، بل هذا كناية لكثرة المدافعة .

۴۱ وَمِن كَلَام لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يحث فيه أصحابه على الجهاد

وَٱللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ ، لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ ، فَشُدُّوا عُقَدَ ٱلْمَآزِرِ ، وَٱطْوُوا فُضُولَ ٱلْخَوَاصِرِ ،

وَمِن كَلَام لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يحثّ فيه اصحابه على الجهاد

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(و اللّه) سبحانه (مستاديكم شكره) اى طالب منكم اداء شكره (و مورثكم امره) اى يورث امر الدين اياكم ، حيث قمتم بامره و اطاعته (و ممهلكم فى مضمار محدود) اى معطيكم المهلة فى مضمار الحياة المحدود بالأجل ، و المضمار هو محل تربية الخيل و اضماره ، ليتمكن من السبق يوم المسابقة ، و شبه بها الدنيا حيث انها محل العمل للسبق يوم القيامة ، و الفوز بالجنّة .

(لتتنازعوا سبقه) السبق هو الشئ الثمين الذى يكون عليه التسابق ، فياخذه السابق ، من المتسابقين ، و معنى التنازع التنافس فى احتواء اكبر قدر من الثواب و الجنة (فشدوا عقد المآزر) العقد جمع عقدة ، و المآزر جمع مئزر هو ((الفوطة)) و شد عقدها كناية عن الجدّ و العمل ، فانّ العقدة اذا لم تشد شدا محكما ، لم يتمكن الانسان من العمل الدائب السريع ، خوف ان يقع مئزره و تبد و عورته .

(واطووا فضول الخواصر) فانّ الانسان اذا اراد العمل ، جمع فاضل ثوبه

وَلَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ. مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ، وَأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ!

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله مصابيح الدجى والعروة الوثقى، وسلم تسليماً كثيراً.

لئلا يلتف بقدمه، فيمنعه من الحركة (ولا تجتمع عزيمة) اى عزم راسخ للعمل (وليمة) اى الأطعمة الشهية، يعنى لا يجتمع معالى الأمور مع طلب اللذائذ والشهوات (ما انقض النوم لعزائم اليوم) اى ما اشد النوم نقضا لعزيمةالانسان فاذا نام الشخص لم يتمكن من انفاذ عزمه وارادته.

(وامحى الظلم) اى ما اكثر ما يمحى ظلمة الليل، فان ظلم جمع ظلمة (لتذاكير الهمم) اى تذكار الهمة التى كانت بالنهار، فاذا جاء الليل ارتخى الانسان، ولم يمض ما بناه وعزم عليه فى النهار، وكانّ الجملتين لبيان وجوب الجدّ حتى لا يبطل العمل النوم، وظلمة الليل.

(وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد النّبى الأمى) المنسوب الى امّ القرى—وهى مكة، لأنّ البلاد مدت من تحتها، كما فى الأحاديث — (وعلى آله مصابيح الدجى) اى الظلمات، فانّهم ينيرون سبيل الحق (والعروةالوثقى)اى المحكمة التى اذا اخذ بها الانسان لم يخف انفصامها، حتىيبقى بلا ماء (وسلم) خبر فى معنى الانشاء اى اللّهم سلّم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (تسليما كثيرا) والصلاة منه سبحانه العطف بالرحمة، والسلام جعلهم سالمين من كلّ مكروه.

باب المختار من كتب امير المؤمنين عليه السلام

الى اعدائه ، و امراء بلاده

و يدخل فى ذلك ما اختير من عهوده الى عماله ، و وصاياه لأهله ، و اصحابه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام

إلى أهل الكوفة ، عند مسيره من المدينة إلى البصرة

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، جَبْهَةِ الْأَنْصَارِ وَ سَنَامِ الْعَرَبِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّىٰ يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ ، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ وَأُقِلُّ عِتَابَهُ،

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام

لأهل الكوفة ، عند مسيره من المدينة الى البصرة ، يبيّن فيه حاله وحال مناوئيه

(من عبد الله علىّ امير المؤمنين الى اهل الكوفة جبهة الأنصار) المراد : انصاره عليه السّلام ، لا انصار الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ، وتشبيههم بالجبهة تشريف لهم ، كانّهم فى اعلى مرتبة من مراتب انصاره (وسنام العرب) السنام المحل المرتفع فى ظهر الابل ، وانما شبّههم بالسنام ، ترفيعا لهم ، ثمّ لا يخفى انّ هذا لا ينافى تضجّره عليه السّلام فيما بعد عنهم ، لأنه اختلف حالهم قبلا و بعدا .

(اما بعد فانّى اخبركم عن امر عثمان) وما جرى عليه ، لتعلموا عدم اشتراكى فى قتله ، كما يدّعيه العصات كطلحة والزبير ، (حتى يكون سمعه كعيانه) اى سماعكم كالرؤية لا تخفى عليكم من الأمر خافية (انّ النّاس طعنوا عليه) اى عابوا اعماله (فكنت رجلا من المهاجرين اكثر استعتابه) اى استرضائه ، حتّى يرضى عن النّاس فيعطيهم مطاليبهم المشروعة (واقل عتابه) والعيب عليه .

وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنَ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ وَأَرْفَقَ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ. وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا ، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ .

(وكان طلحة و الزبير اهون سيرهما فيه) اى فى امر عثمان و النقمة عليه (الوجيف) اى السّريع ، و هذا كناية عن مسارعتهما فى اثارة الفتنة عليه وكثرة الطعن فيه (و ارفق حدائهما العنيف) الحداء زجل الابل لسيره ، و العنيف التسير بكل شدّة وعنف (وكان من عايشة فيه) اى فى عثمان (فلتة غضب) الفلتة ما يصدر من الانسان من قول اوعمل فجئة و بلا روية ، فقد كانت عائشة تقول : ((اقتلوا نعثلا قتله اللّه)) تشبه عثمان بنعثل اليهودى وكانت تحرض النّاس عليه اشدّ تحريض .

(فاتيح له قوم) اى هيّئ لعثمان جماعة (فقتلوه) بسبب تلك التحريضات (و بايعنى النّاس غير مستكرهين) لم يكرههم احد على البيعة (و لا مجبرين) و الجبر خروج الأمر من يد الانسان ، و الاكراه ان يعمله بذاته ، لكنّه لخوف من يكره ، فاذا صب الماء فى حلق انسان بالقوة سمى اجبارا ، و اذا قيل له ان لم تشرب قتلناك ، فاخذ بيده و شربه ، سمّى اكراها (بل طائعين) فى بيعتهم (مخيرين) بكلّ اختيارهم و ارادتهم .

(و اعلموا انّ دار الهجرة) اى المدينة الّتى كانت هجرة الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم و اصحابه اليها (قد قلعت باهلها) اذ انتقل اهلها ، الامام و اصحابه المهاجرون و الأنصار ــ من بقى منهم ــ الى صوب العراق (و قلعوا بها) اى فارقوها ، يقال قلع المكان باهله ، اذا انتقلوا عنه و لم يصلح لاستيطانهم(و جاشت) اى غلت (جيش المرجل) اى مثل غليان القدر لتدفع

وَقَامَتِ ٱلْفِتْنَةُ عَلَىٰ ٱلْقُطْبِ ، فَأَسْرِعُوا إِلَىٰ أَمِيرِكُمْ ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ ، إِنْ شَاءَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ .

فتنة عائشة و طلحة و ابن الزبير ، اى فعليكم ان تقتدوا بهم فى الخروج من الكوفة لنصرة الاسلام ضد العصات ٠

(و قامت الفتنة على القطب) اى قطب الخلافة ، و هو الامام ، و اخماد مثل هذه الفتنة اولى ، من الفتنة الّتى تقوم على الأطراف و الجوانب (فاسرعوا) يا اهل الكوفة (الى اميركم) يعنى نفسه الشّريفة (و بادروا) الى (جهاد عدوّكم) فانّ العصات اعداء المسلمين اذ يريدون الفوضى و الاضطراب (ان شاء الله عزّ و جل) كلمة كانت للشرط ، ثم استعملت للتبرك ٠

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام

إليهم ، بعد فتح البصرة

وَجَزَاكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ .

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام

اليهم ، بعد فتح البصرة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(وجزاكم الله من اهل مصر) ((من)) لبيان ((كم)) (من اهل بيت نبيكم) اى جزاكم من جهة نصرتكم ، لا ولئكم (احسن ما يجزى العاملين بطاعته) اذ اطعتم يا اهل الكوفة فى نصرة خليفة الرسول و سائر اهل بيته (و الشاكرين لنعمته) اذ شكرتم نعمة الخليفة بنصركم له (فقد سمعتم) الكلام (و اطعتم) الأمر (و دعيتم) الى الجهاد (فاجبتم) و نصرتم .

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام

لشريح بن الحارث قاضيه

بَلَغَنِي أَنَّكَ ٱبْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً ، وَكَتَبْتَ كِتَـابـاً ، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً .

فقال له شريح ، قد كان ذلك ياأمير المؤمنين . قال : فنظر إليه نظر المغضب ثم قال له ،

يَا شُرَيْحُ ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ ،

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(كتبه لشريح بن الحارث ، قاضيه) فى الكوفة ، وقد كان قاضيا من زمن عمر الى زمن يزيد ، حيث افتى بقتل الحسين عليه السلام ، ثم بقى بعد ذلك الى زمان الحجاج ، وكانت مدّة قضاوته خمسا وسبعين سنة ، باستثناء عامين فى فتنة ابن الزبير وسبب هذا الكتاب ما (روى ان شريح بن الحارث قاضى امير المؤمنين عليه السلام ، اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا ، فبلغه عليه السلام ذلك ، فاستدعاه ، وقال له) :

(بلغنى انّك ابتعت) اى اشتريت (دارا بثمانين دينارا وكتبت كتابا) ادرجت فيه البيع (واشهدت فيه شهودا) بان اخذت امضاءاتهم ؟ ((فقال شريح : قد كان ذلك يا امير المؤمنين)) كما بلغك ، قال الراوى ((فنظرعليه السلام اليه نظر مغضب)) ثم قال له : (يا شريح اما انه سياتيك من لا ينظرفى كتابك) اى الموت ، اوعزرائيل عليه السّلام (ولا يسئلك عن بيّنتك) وشهودك

حَتّىٰ يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً،وَيُسْلِمَكَ إِلَىٰ قَبْرِكَ خَالِصاً . فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هٰذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَ دَارَ الْآخِرَةِ ! أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَىٰ هٰذِهِ النُّسْخَةِ ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هٰذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ .

والنسخة هذه : «هٰذَا مَا اشْتَرَىٰ عَبْدٌ ذَلِيلٌ ، مِنْ عَبْدٍ قَدْ أَزْعِجَ لِلرَّحِيلِ ، اشْتَرَىٰ مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ ، وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ . وَتَجْمَعُ هٰذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ : الْحَدُّ

(حتّى يخرجك منها) اى من هذه الدار (شاخصا) اى ذاهبا بك الى قبرك.

(ويسلمك الى قبرك خالصا) اى مجردا عن تلك الرادد (فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك) كمال الرشوة و الأيتام و الأمانات و ما اشبه (او نقدت الثمن) اى اعطيته (من غير حلالك) بان كان من مالك المشتبه (فاذا انت) فعلت احد هذين (قد خسرت دار الدّنيا) لانتقالك عنها (و دار الآخرة) لتعاطيك المحرم الموجب لدخول النّار .

(اما انك لو كنت اتيتنى عند شرائك ما اشتريت) من تلك الدار (لكتبت لك كتابا على هذه النسخة) الآتية (فلم ترغب فى شراء هذه الدّار بدرهم فما فوق) حيث توجب هذه النسخة التنبيه و الايقاظ (والنسخة) هذه (هذا ما اشترى عبد ذليل) شريح (من عبد) هو البائع (قد ازعج للرحيل) اى : حرّك تحريكا موجبا لأذاه (اشترى منه دارا من دار الغرور) اى الدّنيا (من جانب الفانيين) اى من طرف اناس قد فنوا .

(وخطة الهالكين) اى صوبهم (وتجمع هذه الدار حدود اربعة) كالشّمال و الجنوب و الغرب و الشرق ، فى الدور المشتراه ، لكنها حدود معنوية (الحد

الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَىٰ دَوَاعِي الْآفَاتِ ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَىٰ دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَىٰ الْهَوَىٰ الْمُرْدِي ، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَىٰ الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي ، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هٰذِهِ الدَّارِ . اشْتَرَىٰ هٰذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ ، مِنْ هٰذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ ، هٰذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ ، وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ ، فَمَا أَدْرَكَ هٰذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَىٰ مِنْ دَرَكٍ ، فَعَلَىٰ مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ ،

الأول ينتهى الى دواعى الآفات) جمع آفة ، وهى : البلاء فى المال ، كانّه من هذا الحد ينتهى البلاء فى مال ساكن الدار (والحد الثانى ينتهى الى دواعى المصيبات) اى ما يصيب الانسان فى اهله وبدنه (والحد الثالث ينتهى الى الهوى المردى) اى هوى النّفس الموجب لهلاك الانسان (والحدّ الرابع ينتهى الى الشيطان المغوى) الذى يغوى الانسان ليهلكه ، والمراد بهذه الحدود ان الانسان معرض لهذه الأخطار الأربعة .

(وفيه) اى فى الحدّ الرابع (يشرع باب هذه الدّار) اى يفتح باب الدّار ، وذلك كناية عن اختلاف الشيطان ذهابا وايابا الى الانسان (اشترى هذا المغتر بالأمل) اى شرع الذى غره وخدعه البقاء فى الدنيا (من هذا) البائع (المزعج بالأجل) اى المضطرب بسبب الأجل والموت (هذه الدّار) مفعول ((اشترى)) وانما اشتراها (بـ) سبب (الخروج من عز القناعة) التى كان فيها حيث لا دار له .

(والدخول فى ذل الطلب) فان الطالب للشئ اسير له (والضراعة) اى الاستكانة والتضرع (فما ادرك هذا المشترى) اى لحقه (فيما اشترى) اى : الدار (من درك) اى تبعة ونقص (فعلى مبلبل اجسام الملوك) خبر مقدم ، ومبتدئه ((اشخاصهم)) اى لو ظهر نقص ، فعلى اللّه سبحانه ان يجمع بين البائع والمشترى فى يوم الحساب ، ليرى هناك ، لمن الحق ، ومبلبل الجسم

وَسَالِبِ نُفُوسِ ٱلْجَبَابِرَةِ ، وَمُزِيلِ مُلْكِ ٱلْفَرَاعِنَةِ ، مِثْلِ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ ، وَمَنْ جَمَعَ ٱلْمَالَ عَلَىٰ ٱلْمَالِ فَأَكْثَرَ ، وَ بَنَىٰ وَشَيَّدَ وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ ، وَٱدَّخَرَ وَٱعْتَقَدَ ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ ، إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَىٰ مَوْقِفِ ٱلْعَرْضِ وَٱلْحِسَابِ ، وَمَوْضِعِ ٱلثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ : إِذَا وَقَعَ ٱلْأَمْرُ بِفَصْلِ ٱلْقَضَاءِ ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ شَهِدَ عَلَىٰ ذٰلِكَ ٱلْعَقْلُ

مهيج دائه .

(و سالب نفوس الجبابرة) اى مهلكهم ـ و هو اللّه ـ جمع جبّار ، و هو الّذى يجبر النّاس على حسب ارادته ، بما يكرهون (و مزيل ملك الفراعنة) جمع فرعون ، و المراد به هنا الملوك الطغات (مثل كسرى) ملك فرس (و قيصر) ملك الروم (و تبع و حمير) ملوك اليمن .

(و من جمع المال على المال فاكثر) من المال و الادّخار (و بنى) الأبنية (و شيد) اى رفع البناء (و زخرف) اى نقش البناء بالزينة (و نجّد) اى زين (و اعتقد) المال اى اقتناه (و نظر ـ بزعمه ـ للولد) اى فكّر فى ان يدّخر المال لأولاده من بعده .

(اشخاصهم) مبتدء : تقدم خبره ، و هو قوله ((فعلى مبلبل)) (جميعا) اى اذا ظهر نقص فى الدار ، فعلى اللّه سبحانه ارسال البائع و المشترى (الى موقف العرض و الحساب) اى القيامة ، و هذه الجملة على غرار ما يكتب فى اوراق الأملاك ، من انه اذا ظهر نقص ، فعلى البائع ، او فعل المشترى .

(و موضع الثواب و العقاب) اذ فى القيامة يبين من المثاب ، ومن المعاقب ؟ (اذا وقع الأمر بفصل القضاء) اى اشخاصهم فى هذا الزّمان ، و الجملة السابقة لبيان المكان (و خسر هنالك) فى القيامة فى ذلك اليوم (المبطلون) اى : العاملون بالباطل ، ثم يكتب مكان الشهود (شهد على ذلك) البيع (العقل

إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَىٰ، وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا.»

وَمِن كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى بعض أمراء جيشه

فَإِنْ عَادُوا إِلَىٰ ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَىٰ الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَىٰ مَنْ عَصَاكَ، وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ

اذا خرج من اسر الهوى) اى هو النفس (وسلم من علائق الدنيا) فانه يميز حينئذ انّ الأمر كما كتب فى هذه النّسخة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمن كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الى بعض امراء جيشه

و ذلك حين انتهى اصحاب الجمل الى البصرة ، فكتب الى واليه عثمان بن حنيف ، يامره باخضاعهم (فان عادوا الى ظل الطاعة) الطاعة باعتبارها موجبا للرفاه ، جعل لها ظل (فذاك الذى نحب) الموجب لجمع شمل المسلمين (و ان توافت الأمور بالقوم) توافى القوم اى وافى بعضهم بعضا ، حتى تم اجتماعهم و الأمور يراد بها ما يسبب و ينتهى بهم (الى الشقاق و العصيان) عن طاعة الدولة .

(فانهد) اى انهض (بمن اطاعك الى من عصاك) من اهل الجمل و مواليهم من البصريين (و استغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك) اى تخلف و تثاقل (فان المتكاره) المتثاقل الذى يكره الحرب (مغيبه) اى غيابه (خير

مِنْ شَهَوْدِهِ ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ .

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أشعث بن قيس عامل أذربيجان

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ . لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْتَ

من شهوده) اذ غيابه يوجب قلة نفر واحد ، اما شهوده فانه موجب لأن يخذل غيره فيلزم فقدان عدة اشخاص (وقعوده اغنى عن نهوضه) اى اكثر فائدة عن ان ينهض للحرب ، وهذه قاعدة كلية فى اهل الاستثقال و الكراهة .

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الى اشعث بن قيس ، عامل اذربيجان

(وان عملك ليس لك بطعمة) فلا تجعل ولايتك لاستدرار المادة و المال (ولكنه فى عنقك امانة) يجب ان تتحفظ عليه كما تتحفظ على امانتك (وانت مسترعى لمن فوقك) اى يرعاك ويواظب على تصرفاتك الخليفة الذى هو فوقك (ليس لك ان تفتات فى رعية) اى تستبد فيهم (ولا تخاطر) المخاطرة القاء النفس فى الخطر ، والمراد به الدنيوى والأخروى (الا بوثيقة) اى دليل شرعى ، واجازة من الخليفة .

(وفى يديك مال من مال الله عزوجل) وهو ما يجتمع فى بيت المال (وانت

مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّىٰ تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّيَ أَنْ لَا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ ، وَالسَّلَامُ .

وَمن كتاب لهُ عَليهِ السَّلام
إلى معاوية

إِنَّهُ بَايَعَنِي ٱلْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَىٰ مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ ، وَلَا لِلغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ ، وَإِنَّمَا الشُّورَىٰ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ،

من خزّانه) جمع خازن ، وهو الحافظ (حتى تسلّمه الىّ) بارساله ، كى يصرف فى مصالح المسلمين (ولعلى ان لا اكون شر ولاتك) اى الذين تسلطوا عليك من الخلفاء (لك والسلام) وكلمة ((لعلّ)) من الامام عليه السلام على سبيل التواضع .

وَمن كتاب لهُ عَليهِ السَّلام
الى معاويـــــــة

(انه بايعنى القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان) مراد الامام اهل الحل والعقد ، لا الأفراد باعيانهم (على ما بايعوهم عليه) من العمل بالكتاب والسنة (فلم يكن) بعد بيعتهم (للشاهد) الحاضر الذى لم يبايع بعد (ان يختار) لنفسه خليفة آخر (ولا للغائب) عن المدينة (ان يرد) لأنّ الميزان لو كان بيعة اهل الحل والعقد فى عاصمة الاسلام ، فقد بايعنى اولئك ، وانكان الميزان غير ذلك فكيف رضيت انت ببيعة اولئك .

(وانما الشورى للمهاجرين والأنصار) لأنهم اهل الحلّ والعقد الذين

فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذٰلِكَ لِلّٰهِ رِضى ، فَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَىٰ مَا خَرَجَ مِنْهُ ، فَإِنْ أَبَىٰ قَاتَلُوهُ عَلَىٰ اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلَّاهُ اللّٰهُ مَا تَوَلَّىٰ .

وَلَعَمْرِي ، يَا مُعَاوِيَةُ ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّىٰ ؛ فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ ! وَالسَّلَامُ .

عرفوا الاسلام احسن من غيرهم (فان اجتمعوا على رجل و سموه اماما كان ذلك لله رضى) اما على راى الشيعة فلان اجتماع جميعهم يلازم وجود راى الامام المعصوم و اما على راى السنة فلان اهل العقد و الحل كاف فى تعيين الخليفة (فان خرج من امرهم خارج بطعن) فى الخليفة (او بدعة) بان اشترط شيئا آخر فى الخليفة ، و اتى بشرط جديد (ردوه الى ما خرج منه) بالنصح و الارشاد ، لياخذ بما اخذ به المسلمون .

(فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين) الذى اجمع المسلمون عليه (وولاه الله ما تولى) اى جعله الله محبا لما احب ، و تابعا لما تبع ، و هذا اشارة الى قوله سبحانه ((و من يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و سائت مصيرا)) (و لعمرى) قسم بنفسه الشريفة (يا معاوية ، لئن نظرت بعقلك دون هواك) و اتباعك لميولك و شهواتك (لتجدنى ابرء الناس من دم عثمان) اى اكثر الناس برائة ، اذ لم اشرك فيه بيد ولا لسان (و لتعلمن انى كنت فى عزلة عنه) اى انعزال و انزواء (الا ان تتجنى) اى تدعى الجناية على من لم يفعلها (فتجن) اى تستر (ما بدالك) اى ما ظهر لك و انقدح فى نفسك ان تخفيه (و السّلام) ختم الكتب بالسلام ، من باب سلام الوداع .

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام
إليه أيضاً

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ، وَكِتَابُ امْرِىءٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَىٰ فَأَجَابَهُ ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ ، فَهَجَرَ لَاغِطاً ، وَضَلَّ خَابِطاً .

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام
اليه ، ايضـــا

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(اما بعد فقد اتتنى منك موعظة موصلة) اى ملفقة من كلام مختلف ، وصّل بعضه ببعض ، فقد كتب معاوية الى الامام كتاب وعظ و ارشاد ــ حيلة و خدعة ــ فاجابه الامام بهذا الجواب (و رسالة محبّرة) اى مزيّنة بالألفاظ و العبارات (نمقتها بضلالك) اى حسنت بلاغتها ، بسبب ضلالك ، اذ تريد اكل الحق بالكتب و العبارات (و امضيتها بسوء رايك) امضيتها ، اى بعثتها الىّ ،حيث انّ رايك سوءٌ تظن ان لامارة الدنيا قيمة وقدرا ٠

(وكتاب امرء ليس له بصر يهديه) اى بصيرة توجب هدايته ، و هذا عطف على ((موعظة)) (ولا قائد يرشده) الى موضع صلاحه و فلاحه (قد دعـــاه الهوى) الى العصيان (فاجابه) اى قبل طلب الهوى (وقاده الضلال) اى جره كما تجر الدابة (فاتبعه) الضمير للضلال (فهجر) اى هذى فى كلامـــه (لاغطا) من اللغط بمعنى الجلبة بلا معنى (وضل) اى انحرف عن الطريق (خابطا) قد خرج الكلام بلا ميزان ٠

منه : لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُثَنَّىٰ فِيهَا النَّظَرُ ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ . الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَالْمَرْوِيُّ فِيهَا مُدَاهِنٌ

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ،

(منه) : اى من ذلك الكتاب ، فى ردمعاوية الذى ادعى ان البيعة لم تتم للامام (لانها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر) اى لا ينظر فيها ثانيا بعد ما نظر اليها اولا ، بل تنفذ البيعة اذا تمّت (ولا يستانف فيها الخيار) اى لا اختيار لأحد ان يستانف البيعة بعد عقدها وقبول النّاس لها (الخارج منها طاعن) فى عمل المسلمين (والمروى فيها) اى الذى يتفكر ويتروّى هل يقبلها ام لا ؟ (مداهن) اى منافق ، يخالف الحق باطنا ، ويسميه التروى ظاهرا .

وَمن كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

الى جرير بن عبد اللّه البجلى ، لما ارسله الى معاوية

(اما بعد) اى بعد الحمد والصلاة ، (فاذا اتاك كتابى) هذا (فاحمل) اى الزم (معاوية على الفصل) اى الحكم القطعى ، فى انه يرضخ ، او يابى ، فقد بعث الامام جريرا الى معاوية بكتاب ، لكن معاوية ارجاء الجواب ، وجرير فى دمشق ينتظر الجواب ، ويريد معاوية بالمماطلة ، تجهيز قواه ، ليعلم انه هل يتمكن ان يقابل الامام ام لا ؟ ولذا كتب الامام بهذا الكتاب الى جرير (وخذه بالأمر الجزم) اى القطع فى احد الطرفين .

ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ، وَالسَّلَامُ.

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

زَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَ

(ثم خيره بين حرب مجلية) اى مخرجة له من وطنه ، ان ابى التسليم لبيعتى (او سلم مخزية) اى تخزيه وتذله عن كبريائه ، وذلك بقبوله البيعة، و الحرب و السلم مونثان سماعا ، ولذا جئ بوصفهما مؤنثا (فان اختار الجرب) و العصيان (فانبذ اليه) اى اعلمه من قبلى بالحرب ، وانى اعامله معاملة المحارب (وان اختار السلم) و الرضخ (فخذ بيعته) لى (والسلام) .

وَمِن كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَام

يحكى عليه السلام معاملة قريش للرسول صلى الله عليه وآله فى اول الدعوة

(فاراد قومنا) اى العرب ، او قريش (قتل نبيّنا) كما فعلوا فى ليلة المبيت (و اجتياح) اى استئصال (قطع اصلنا) فان الرسول صلى الله عليه وآله اصل اهل بيته (و هموا بنا الهموم) اى قصدوا انزالها بنا (و فعلوا بنا الأفاعيل) جمع افعولة : و هى الفعلة الرديئة ، من الالجاء الى الشعب ، و التعذيب ، و الاهانة ، وما اشبه (و منعونا العذب) اى هنئ العيش ، او الماء العذب .

(و احلسونا الخوف) اى الزمونا الخوف ، بافعالهم و تهديداتهم (و

اَضْطَرُّونَا إِلَىٰ جَبَلٍ وَعْرٍ ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ ، فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَىٰ الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ. مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذٰلِكَ الْأَجْرَ ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ . وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ .
وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ ،

اضطرونا الى جبل وعر) كناية عن الجاء الكفار لهم الى الشدائد ،كالذى يضطر الى ان يصعد جبلا وعرا شديدا حيث يلاقى الشدائد و المصائب (و اوقدوا لنا نار الحرب) اى حاربونا ، و انما قيل نار الحرب ، تشبيها لها بالنار التى تاكل الحطب و ما اشبه ، و الحرب تاكل الناس و تحطمهم .

(فعزم الله لنا) اى اراد لنا (الذب عن حوزته) اى نذب و ندفع عن شريعته (و الرمى من وراء حرمته) حرمة الله احكامه ، و الرمى من ورائها كناية عن الدفاع عنها ، كالذى له حرمة فيرمى الأعداء من ورائها لئلا يصلوا اليها (مؤمننا) الذى آمن بالرسول (يبغى بذلك) الدفاع (الأجر) و الثواب (و كافرنا) اذا دافع عن الرسول ، كما دافع ابولهب عنه صلى الله عليه و آله و سلم فى بعض الأوقات (يحامى عن الأصل) و العشيرة ، فلم يكن لنا مدافع ، لأجل مال او منصب اوما اشبه .

(و من اسلم من قريش) غير قبيلة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و اهانه الادنين (خلو مما نحن فيه) اى خال عن الهموم و الشدائد التى كنا نقاسيها بسبب اسلامنا (بحلف يمنعه) فله حلف مع عشيرة يمنعه ذلك الحلف من ان يؤذيه الكفار (او عشيرة تقوم دونه) فان عشائرهم كانوا يحامون عنهم ، فلايتعرض احد لهم بسوء (فهو من القتل بمكان امن) لا يتجرء احد من قتله ، فاهل البيت و اقارب الرسول صلى الله عليه و آله هم ـ فقط ـ قاسوا الشدائد .

(وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا احمر البائس) اى اشتد القتال ، فان

وَأَحْجَمَ النَّاسُ ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ . وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ ، وَلَكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ ، وَمَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ . فَيَا عَجَباً

القتال اذا اشتد جرت الدماء فيه كثيرا و ذلك احمراره (و احجم الناس) اى فروا وتقهقروا (قدم اهل بيته) للمبارزة ، لأنهم يفدونه الى اخر انفاسهم ، ولهذا كان حوله صلى الله عليه و آله يوم حنين عباس و اولاده و الامام عليه السلام ، الى غير هذا الموقف ، من سائر المواقف (فوقى بهم اصحابه حرّ السيوف و الأسنة) جمع سنان ، بمعنى : الرمح ، اى جعل اهل بيته وقاية لأصحابه ، فيلاقون حرارة السيف و الرمح ، دون اصحابه .

(فقتل عبيدة بن الحارث) ابن عم الامام عليه السلام (يوم بدر) و هو اول حرب بين الرسول صلى الله عليه و آله و بين الكفار (و قتل حمزة) بن عبد المطلب عم الامام عليه السلام (يوم احد) و مثّل بجسمه الشريف (و قتل جعفر) بن ابى طالب ، اخ الامام عليه السلام (يوم مؤتة) و هى بلد على حدود الشام ، فى حرب بين الرسول صلى الله عليه و آله و الروم .

(و اراد من لو شئت ذكرت اسمه) ((من)) فاعل ((اراد)) و مصداقه ((الامام عليه السلام)) لم يسمّ نفسه تواضعا ، اى انى اردت (مثل الذى ارادوا من الشهادة) و القتل فى سبيل الله تعالى (ولكن آجالهم عجلت) اى آجال من ذكرت اسمائهم من اقاربى (و منيته) اى موته ، و الضمير عائد الى الامام عليه السلام (اجلت) و تاخّرت (فيا) قوم (عجبا) اصله عجبى ، ويجوز فى مثله خمسة اوجه ، قال ابن مالك :

واجعل منادى صح ، ان يضف ليا كعبد عبدى عبد عبدا عبديا

لِلدَّهْرِ ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَالَا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ . وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هٰذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَىٰ غَيْرِكَ ،

(للدهر) والزمان (اذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي) اى بمثل وقوفي على قدمي لأجل الدين ، والمراد بـ ((من)) معاوية .

(ولم تكن له كسابقتي) اذ لا سابقة لمعاوية الا الكفر والقيام ضد الاسلام ، لمحاربة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (التي لا يدلي احد بمثلها) اى لا يقول احد بان لي مثل سابقة الامام ، لعدم وجود مثل تلك السابقة في احد من المسلمين (الا ان يدعي مدّع ما لا اعرفه) بان يكذب ، فيقول عن نفسه سوابق مكذوبة .

(ولا اظن الله يعرفه) اذ لا وجود لها ، وهذا من باب السالبة بانتفاء الموضوع ، كقوله سبحانه : ((اتعلمونه ، بما لا يعلم في السماوات)) و لفظة ((الظن)) من باب التواضع (والحمد لله على كل حال) حتى حال انسى ((صرت قرن بمثل معاوية)) وانما يحمده سبحانه ، لأن البلايا موجب للأجر ولذا ورد ((الحمد لله الذي لا يحمد على المكروه سواه)) .

(واما ما سئلت من دفع قتلة عثمان اليك) لقد وجد معاوية في المطالبة بدم عثمان حين خدعة يخدع بها جماهير اهل الشام البلّة ، وبذلك يتمكن ان يشق عصر الطاعة ، ويدعي الخلافة ، فيجعل ذلك ذريعة الى ما دار في نفسه المشوبة من حب السلطة ، ولذا طالب في كتابه الامام عليه السلام بان يدفع اليه قتلة عثمان ليقتلهم عوضه .

(فانّي نظرت في هذا الأمر فلم اره يسعني دفعهم اليك ولا الى غيرك) و

وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ ، وَزَوْرٌ لَا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

ذلك لأنّ عثمان بسبب بدعه كان مهدور الدم ، كما افتى بذلك طلحة و الزبير و عائشة و من اليهم ، ولا يقتضى من قتل مهدور الدّم ، ولا اقل من ان يكون الأمر شبهة ، و الحدود تدرء بالشبهات ، وعلى فرض وجوب القصاص ، فليس معاوية حق الاقتصاص ، و هل يصح لافراد الرعية ان يطالبوا تنفيذ الحكم بايديهم ؟ ؟ بالاضافة الى ان القتلة كانوا مجتهدين ، وفتواهم ان للمجتهد المخطى اجرا واحدا .

(و لعمرى) قسم بنفسه الشريفة (لئن لم تنزع عن غيك و شقاقك) اى : لم تنته عن ضلالك و مشاقتك اى مخالفتك (لتعرفنهم) اى قتلة عثمان (عن قليل) اى بعد قليل من الزمان (يطلبونك) عوض ما كنت انت تطلبهم ، يريدون قتلك كما قتلوا عثمان (لا يكلفونك طلبهم) اى هم بانفسهم ياتون اليك ،حتى لا تحتاج انت الى ان تتكلف فى طلبهم (فى بر ولا بحر ولا جبل ولا سهل) اى لا تحتاج الى طلبهم فى هذه الأماكن و انما هم الطالبون لك (الا انه) اى : لطلبهم لك (طلب يسوئك وجدانه) اى وجدان هذا الطلب ، بمعنى : ان تجده .

(و زور) جمع زائر ، اى انهم زائرون لك (لا يسرك لقيانه) اى لقائهم ، و افراد الضمير باعتبار كل واحد واحد كقوله سبحانه : ((الى طعامك و شرابك لم يتسنّه)) (و السلام لأهله) اى اهل السلام المستحقين له .

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام

إليه أيضاً

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا ، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا . دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا ، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا ، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا . وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَىٰ مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ ، فَاقْعَسْ عَنْ هٰذَا الْأَمْرِ ، وَخُذْ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام

اليه ايضا

(وكيف انت) يا معاوية (صانع اذا تكشفت عنك جلابيب ما انت فيه) جلابيب جمع جلباب ، الثوب الذى فوق الثياب و تكشف الجلابيب كناية عن موته مخلفا ورائه امور الدنيا و زخارفها (من دنيا قد تبهجت) اى تحسنت (بزينتها) لك (و خدعت بلذتها) اى غرت الناس بسبب لذائذها ، فارتكبوا معاصى الله سبحانه لأجلها (دعتك) الدنيا (فاجبتها) بالتناول من محرماتها (و قادتك) الى الضلالة (فاتبعتها) فضللت (و امرتك فاطعتها) خلافا لأمر الله سبحانه .

(و انه يوشك) اى يقرب (ان يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجنّ) المجن الترس ، و المراد ايقافه سبحانه له فى معرض الحساب و النهوان ، حيث لا ترس ينجيه (فاقعس) اى تاخّر (عن هذا الأمر) اى امر الخلافة (و خذ

أَهْبَةَ ٱلْحِسَابِ ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ ، وَلَا تُمَكِّنِ ٱلْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ ، وَجَرَىٰ مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ .

وَمَتَىٰ كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ ، وَوُلَاةَ أَمْرِ ٱلْأُمَّةِ ؟ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ ، وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ .

اهبة الحساب) اى استعداد حساب الآخرة وعدّته (و شمر لما قد نزل بك) اى استعد للمحاربة و البلاء الّذى نزل بك (و لا تمكن الغواة) جمع غاوى ، بمعنى قرناء السوء (من سمعك) بان يقولوا لك ما شائوا فتسمع كلامهم .

(والا تفعل) ما امرتك (اعلمك ما اغفلت من نفسك) من الضعف ، فانك اذا اصطدمت بالقوة تعرف ضعف قواك ، و هكذا الانسان لا يعرف جهاته الاّ عند الامتحان (فانك مترف) المترف الذى اطغته النعمة (قد اخذ الشيطان منك ماخذه) اى ما اراد اخذه ، و تسلط الشيطان على المترفين اكثر من تسلطه على غيرهم (و بلغ فيك امله) اذ امل الشيطان ان يضل الناس (وجرى) الشيطان (منك مجرى الروح و الدم) كناية عن تسلطه التام عليه .

(و متى كنتم يا معاوية ساسة الرعية) ؟ جمع سائس ، بمعنى المدبر لشئونها (و ولاة امر الأمة) اى انكم لا تصلحون لذلك (بغير قدم سابق) اى لا سابقة لكم حتى تستحقون ذلك (و لا شرف باسق) اى عال رفيع ، فقد كان ابو معاوية ابو سفيان رجلا جاهلا بخيلا احمق زانيا ــ كما هو مشهور فى قصة ابى سلول ــ و امه هند ، حمقاء حقودا زانية ــ كما هو مشهور فى قصة تلاوة النبى صلى الله عليه و آله و سلم آية : ((اذا جائك المؤمنات)) عليها ، الى قوله : ((و لا يزنين)) وضحك الحاضرين ــ .

(و نعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء) اى ان يلزم الانسان ما سبق له من

وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ ، مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ .

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجْ إِلَيَّ ، وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ ، لِيَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَالْمُغْطَّى عَلَى بَصَرِهِ ! فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي ، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي ، مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً ، وَلَا

الشقوة ، فيشقى بسبب ذلك (واحذّرك) يا معاوية (ان تكون متماديا فـي غرّة الأمنية) اى مستمرّا فى غرور الأمل ، اذ امله بالخلافه هو الذى اوجب لـه ذلك التمادى فى الغى والضّلال (مختلف العلانية والسريرة) فعلانيته طلب دم عثمان ، وسريرته الطمع فى الخلافة (وقد دعوت الى الحرب) قد كـان معاوية اراد اظهار الشجاعة ، فدعى الامام للمحاربة ، فاجابه الامان بهـذا الجواب (فـدع الناس جانبا واخرج الىّ) لنحارب انا وانت ، حتّى يظهر الشجاع .

(واعف الفريقين من القتال ليعلم ايّنا المرين على قلبه) يقال : ران على قلبه ، اذا صدء قلبه ـ كما يصدء الحديد ـ من الآثام والمعاصى (والمغطّى على بصره) فلا يرى الحق ، وهذا الكلام من الامام كالمباهلة ، فى غلبـة الصادق على الكاذب ، ولذا جاء بلام التعليل فى قوله عليه السلام ((ليعلم)) فلا يقال : اى ربط بين ((اخرج)) وبين ((ليعلم)) ؟ .

(فانا ابو حسن) اى المعروف عندك ، وعند النّاس بالشّجاعة (قاتـل جدّك) لأمك عتبة بن ابى ربيعة (وخالك) الوليد بن عتبة (واخيك) حنظلة بن ابى سفيان (شدخا) اى كسرا لهم (يوم بدر وذلك السيف) الذى قتلتهم (معى) المراد اما الحقيقة ، اوكناية عن القوة (وبذلك القلب) القـوى (القى عدوى ما استبدلت دينا) بأن اعرض عن دينى السابق بدين جديد (ولا

اسْتَحْدَثْتُ نَبِيًّا. وَإِنِّي لَعَلَىٰ الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ .

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِعُثْمَانَ . وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً ، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ ، وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ ،وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ ،وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ ، إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ ،

استحدثت نبيّا) بان اتّخذ نبيّا جديدا .

(و انّى لعلى المنهاج الّذى تركتموه طائعين) فانّ معاوية و اباه وقومه الكفّار لعنهم اللّه لم يدخلوا فى الاسلام بالطوعة و الرغبة (و دخلتم فيه مكرهين) بعد فتح مكة حين راو ان عدم اسلامهم يوجب قتلهم لما اقترفوه من الآثام و الأجرام مع الرسول ، قبل الفتح .

(و زعمت انك جئت ثائرا بعثمان) يقال ثار به اذا طلب بدمه (ولقدعلمت حيث وقع دم عثمان) اى على من لزم و من الذى اراقه (فاطلبه من هناك ان كنت طالبا) فانّ من اراق دم عثمان بالتحريض و الحث هم عائشة و طلحة و الزبير .

(فكانّى قد رايتك تضجّ من الحرب) اى تصيح و تولول خوفا و هلعا (اذا عضتك) اى الحرب ، تشبيه لها بالسبع الذى يعض الشخص باسنانه (ضجيج الجمال بالأثقال) اى مثل ما يضج الجمل بحمله الثقيل ، لأنه لا يطيقه ، وقد كان كما قال الامام عليه السلام (وكانّى بجماعتك تدعونى ــ جزعا من الضرب المتتابع) ياتى متعلق تدعونى فى قوله ((الى)) ومعنى جزعا ، انهم جزعا من ضربنا الذى يتبع بعضه بعضا ، بهم .

(و القضاء الواقع) عليهم بالقتل و الابادة (و مصارع بعد مصارع) اذ يقتل منهم جماعة بعد جماعة (الى كتاب اللّه) كما فعل معاوية باشارة عمرو بن العاص

وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ ، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ .

وَمن وَصيَّة لهُ عَليه السَّلام

وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ ، فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً ، وَدُونَكُمْ مَرَدًّا . وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ ،

حيث امر برفع المصاحف خدعة و مكيدة (و هى كافرة جاحدة) بالكتاب ، اذ لا تعمل باحكامه (او مبايعة حائدة) اى غادرة حيث بايعت معى ثم حادت ومالت عن البيعة . و المراد انهم يرفعون المصاحف و هم بين كافر و بين غادر كالذين بايعوا الامام ثم التحقوا بمعاوية .

وَمن وَصيَّة لهُ عَليه السَّلام

وصّى بها جيشا بعثه الى العدو

(فان نزلتم بعدو) بان ذهبتم اليهم (او نزل بكم) العدو ، بان جاء اليكم (فليكن معسكركم فى قبيل الأشراف) جمع شرف ـ محركة ـ العلو ، اى قدام الجبال (او سفاح الجبال) سفح الجبل اسفله (او اثناء الأنهار) اى : منعطفات النهر (كيما يكون لكم ردءا) اى عونا ، فانّ العدو لا يتمكن ان يعبر الشّرف او الجبل او النّهر ليحيط بكم (و دونكم مردّا) اى مكان الرد الدفع ، ترجعون اليه فتتحصنون .

(و لتكن مقاتلتكم من وجه واحد) اى طرف واحد (او اثنين) لا اكثر ،لئلاّ

وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ وَمَنَاكِبِ الْهِضَابِ ، لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ . وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ . وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ : فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً ، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً ، وَإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً ، وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً .

يتفرق العسكر ، فان تفرّق القوى موجب لضعفها (و اجعلوا لكم رقباء) جمع رقيب ، و هو المراقب لحال العدو (فى صياصى الجبال) اى اعاليها (ومناكب الهضاب) اى مرتفعات الآكام ، فان مناكب جمع منكب ، بمعنى المرتفع ، و هضاب جمع هضبة ، بمعنى : الجبل القليل الارتفاع .

(لئلاّ ياتيكم العدو من مكان مخافة) اى مكان تخافون منه (او امن) اى : تامنون من جهته (و اعلموا ان مقدمة القوم) الذين يذهبون مقدما عليهم ليختاروا لهم المكان المناسب (عيونهم) التى بها يرون المكان الصالح للقتال (وعيون المقدمة طلائعهم) فان من المقدمة يخرج بعضهم الأجرء الأعلم بالأمور ليختار المكان ، فاللازم ان تكون المقدمة و الطليعة فى كمال الالتفات و الوعى ، او المراد انهم اذا راو طلائع العدو فليتهيئوا ، ولا يستسهلوا الأمر .

(و اياكم و التفرق) و التشتت بينكم فان ذلك موجب لضعف قواكم (فاذا نزلتم) فى مكان (فانزلوا جميعا ، و اذا ارتحلتم) و اردتم السير (فارتحلوا جميعا) لا ان ينزل بعض و يرتحل بعض حتى تختلف كلمتهم (و اذا غشيكم اللّيل فاجعلوا الرماح كفّة) اى مثل كفّة الميزان مستديرة حولكم حتى اذا هجم العدو يكونوا مستعدين للدفاع ، ليس حمل السلاح الذى يحيط بهم (و لا تذوقوا النوم الا غرارا) هو النوم الخفيف (او مضمضة) بان يتراوح بين النوم و اليقظة ، كالذى يتمضمض الماء ، و ياخذه ثم يمجه ، و هكذا .

وَمن وَصيَّة لهُ عَليه السَّلام

وصى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له :

أَتَّقِ اللهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ ، وَلَا مُنْتَهَىٰ لَكَ دُونَهُ . وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ . وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ، وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ ،وَرَفِّهْ فِي السَّيْرِ، وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَكَناً ، وَقَدِّرْهُ مُقَاماً لَا ظَعْناً ، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ .

ومن وَصيَّة لهُ عَليه السَّلام

لمعقل بن قيس الرياحي ، حين انفذه الى الشام فى ثلاثة آلاف مقدمة لـــه

(اتق الله الذى لابدّ لك من لقائه) اى لقاء حسابه وجزائه (ولا منتهى لك دونه) فان نهاية كل انسان الى حسابه تعالى وثوابه اوعقابه (ولا تقاتلنّ الاّ من قاتلك) فاترك الامنين فى القرى والأرياف والاخبية ، ومن لا يتعرض لك (وسر البردين) اى فى الغداة والعشى حيث الهواء والأرض باردتان ، حتى لا يتاذى العسكر بالحرّ (وغوّر بالناس) اى انزل بهم فى الغائرة ، اى نصف النهار وقت شدّة الحرّ .

(ورفّه بالسير) اى سر سيرا عادلا ، لا سريعا حتّى يتاذّى الناس (ولا تسر أوّل الليل) وقت منام الناس (فان الله جعله سكنا) اى وقتا للسكون ، لتخفيف اتعاب النهار (وقدره مقاما) اى للاقامة (لا ضعنا) اى لا لأجل السفر (فارح فيه) اى فى اول الليل (بدنك وروّح ظهرك) اى ارح دابتك .

فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ ، فَسِرْ عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ . فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً ، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ . وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ أَمْرِي ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَىٰ قِتَالِهِمْ ، قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ .

(فاذا وقفت) اى قمت (حين ينبطح السحر) اى ينبسط (او حين ينفجر الفجر) اى يظهر ، و الفجر هو الصبح (فسر على بركة الله) بان يجعل الله سبحانه سيرك مباركا ، ذا ثبات و استمرار ، و هذا هو الأصل فى البركة (فاذا لقيت العدو فقف من اصحابك وسطا) و ذلك ليستوى اصحابه بالنسبة اليه فيكون اسهل فى الأمر و النهى ، و لئلا يقتل فيتشتت نظام الجيش (ولا تدن من القوم) اى لا تقترب من العدو (دنو من يريد ان ينشب الحرب) اى يهيّجها (ولا تباعد عنهم) اى عن العدو (تباعد من يهاب الباس) اى يخاف الحرب حتى يوجب ذلك جرئة العدو و خوف جيشك ، اذ يروك كالخائف (حتى ياتيك امرى) بماذا ينبغى ان تفعل (ولا يحملنكم شنآنهم) اى بغضكم للعدو (على قتالهم قبل دعائهم) اى قبل ان تدعوهم الى المسالمة و نبذ الخلاف (و الأعذار اليهم) اى تقديم ما يبين عذركم فى قتالهم ، فاللازم الاعذار و الدعاء ثم القتال .

وَمن كتاب لهُ عَليهِ السَّلام

الى اميرين من امراء جيشه

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَىٰ مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ ٱلْحَارِثِ ٱلْأَشْتَرَ، فَٱسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا ، وَٱجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً ، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا ٱلإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَىٰ مَا ٱلْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ

وَمن كتاب لهُ عَليهِ السَّلام

(الى اميرين من امراء جيشه) هما زياد بن النضر و شريح بن هانى بعثهما على مقدمة له فى اثنى عشر الفا ، فالتقيا بجند الشام ، وكتبا الى الامام بذلك ، فارسل اليهما الاشتر لنجدتهما .

(وقد امرت عليكما) اى جعلت اميرا (وعلى من فى حيزكما) اى فى جانبكما من الجيش (مالك بن الحارث الأشتر فاسمعا له واطيعا) ما يامر (و اجعلاه درعا ومجنّا) اى ترسا تتحفظان به عن الأعداء (فانّه ممن لا يخاف وهنه) اى لا يخاف ان يهن ويضعف (ولا سقطته) اى ان يسقط ويغلط فى المحاربة (ولا بطوئه عما الاسراع عليه احزم) اى اقرب الى الحزم ، وهو تدبير الأمر والالتفات الى جهات العمل (ولا اسراعه الى ما البطوء عنه امثل) اى اولى واحسن .

وَمن وَصيَّة لهُ عَليه السَّلام

لعسكره قبل لقاء العدو بصفّين

لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ يَبْدَؤُوكُمْ ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللهِ عَلَىٰ حُجَّةٍ ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّىٰ يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ . فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً ، وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِراً ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَىٰ جَرِيحٍ ، وَلَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى ، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ ، وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ ،

وَمن وَصيَّة لهُ عَليه السَّلام

لعسكره قبل لقاء العدو بصفّين

(لا تقاتلوهم حتى يبداوكم) فتكون الحجة لكم عليهم ، اذ تكونوا بذلك مدافعين ، لا مهاجمين (فانكم بحمد الله على حجّة) ومن هو كذلك لايحتاج الى الاسراع والسبق فى المحاربة ، انما ذلك لمن يعلم انه ليس محقّا فيريد السبق لئلا يسبقه المحق (وتركّكم اياهم حتى يبداوكم حجّة اخرى لكم عليهم) اذ لا يتمكنوا ان يقولوا بعد ذلك ان الطرف اعتدى علينا ونحن دافعنا (فاذا كانت الهزيمة) والانكسار للأعداء (باذن الله) ولطفه (فلا تقتلوا مدبرا) اى من فرّ وادبر .

(ولا تصيبوا) بالقتل والجرح (معورا) الذى امكن من نفسه وعجز عن حمايتها (ولا تجهزوا على جريح) الاجهاز على الجريح تتميم اسباب موته وقتله (ولا تهيجوا النساء باذى) اى لا تؤذوا امرة (وان شتمن اعراضكم) العرض كل شئ يحترمه الانسان من نفسه او اهله او اقربائه (وسببن امرائكم) وحكامكم .

فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ ٱلْقُوَىٰ وَٱلْأَنْفُسِ وَٱلْعُقُولِ ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِٱلْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ ٱلْمَرْأَةَ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ بِٱلْفَهْرِ أَوِ ٱلْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ .

(فانّهنّ ضعيفات القوى) فان الرجل اقوى من المرئة (و الأنفس) فانّ روح الرجل اكثر من روح المرئة ، اذ ضعف جسدها يوجب ضعف نفسها (و العقول) فان المرئة اميل الى العاطفة ، من العقل (ان) مخففة من الثقيلة ، و حذف اسمها ، اى انّا (كنا لنؤمر بالكفّ عنهنّ) اى عن النّساء (و انّهن لمشركات) و ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم .

(و ان كان الرجل ليتناول المرئة فى الجاهلية) اى يؤذيها ويضربها (بالفهر) الحجر الصغير بقدر املاء الكف او ما اشبه (او الهراوة) العصى (فيعير بها) اى بهذه الفعلة يلومه قومه ، لم فعلت هذا مع المرئة ؟ .

(و) يعير (عقبه) إى نسله بفعل ابيه (من بعده) فاذا كان هذا حال الجاهلية ، و ذلك حال الاسلام مع المشركات ، فما اجدر بالعفو عن مثل المسلمة التى انحرفت فى الفتن .

وَمن دُعَاءٍ لهُ عَليهِ السَّلام

كان عليه السلام يقول إذا لقي العدو محارباً :

اَللّٰهُمَّ إلَيْكَ أفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ ، وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ ، وَأُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ . اَللّٰهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْتُومُ الشَّنَآنِ ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ . اَللّٰهُمَّ إنَّا نَشْكُو إلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا ، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا ، وَتَشَتُّتَ أهْوَائِنَا ، رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ،

وَمن دُعَاءٍ لهُ عَليهِ السَّلام

كان عليه السلام يقول اذا لقي العدو محاربا :

(اللّهمّ اليك افضت القلوب) اى انتهت بالتوجه و الاستكانة (و مدت الأعناق) لتنظر هل ياتى الفرج و النصر (و شخصت الأبصار) اى توجّهت نحو السماء . الذى هو جهة العلو ، ومنه ياتى النصر و الرزق (و نقلت الأقدام) اذ الذهاب الى الحرب ذهاب الى امره سبحانه (و انضيت) اى ابليت بالضعف و الهزال (الأبدان) فى طاعتك (اللّهم قد صرح) اى ظهر (مكتوم الشنآن) اى ان العداوة المكتوبة فى صدور الأعداء قد ظهرت .

(و جاشت) اى غلت كما يغلى القدر (مراجل) جمع مرجل ، بمعنى : القدر (الاضغان) جمع ضغن ، بمعنى الحقد (اللهمّ انّا نشكو اليك غيبة نبيّنا) . هذا اظهار للضعف امام اللّه سبحانه ليتفضل بالقوة و الغلبة (و كثرة عدوّنا ، وتشتت) اى تفرق (اهوائنا) اي آرائنا ، و المراد آراء انصاره عليه السلام ((ربّنا افتح بيننا و بين قومنا)) المحاربين لنا ، فتحا ((بالحق)))

وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ » .

وَكَانَ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَام

لأصحابه عند الحرب :

لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا ، وَوَطِّنُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا ، وَٱذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى ٱلطَّعْنِ ٱلدَّعْسِيِّ ، وَالضَّرْبِ ٱلطِّلَحْفِيِّ ، وَأَمِيتُوا ٱلْأَصْوَاتَ ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ .

و القيد توضيحى ، و اظهار لما فى نفس الداعى من طلب الحق ، اذ من المعلوم انّ فتحه سبحانه بالحق ((و انت خير الفاتحين)) الذى تفتح الطريق امام اهل الحق .

وَكَانَ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَام
لأصحابه عند الحرب

(لا تشتدن عليكم) اى لا تشق عليكم (فرة) اى فرار (بعدها كرة) و رجوع ، فلا تعتبروها انهزاما لتخلق فى نفوسكم الضعف و آثار الانكسار (و لا جولة) اى دوران من هنا الى هناك (بعدها حملة) و هجوم على الأعداء (و اعطوا السيوف حقوقها) فى الضرب بها على الأعداء (و وطئوا للجنوب) جمع جنب (مصارعها) اى هيّئوا لجنوب الأعداء محل وقوعها ، كناية عن لزوم احكام الضرب حتى يسقط العدو بسببه الى مصرعه (و اذ مروا) اى حرضوا (انفسكم على الطعن) فى الأعداء (الدعسى) اى الشديد اسم من الدعس اى الطعن الشديد (و الضرب الطلحفى) اشد الضرب ـ و الياء فى اللفظين للمبالغة ـ (و اميتوا الأصوات) فلا تتكلموا عند الحرب (فانه) اى السكوت (اطرد للفشل),

فَوَالَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، مَا أَسْلَمُوا وَلٰكِنِ ٱسْتَسْلَمُوا ، وَأَسَرُّوا ٱلْكُفْرَ ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ .

وَمن كتاب لهُ عَليهِ السَّلام

إلى معاوية ، جواباً عن كتابٍ منه إليه

فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ ٱلْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ .

اذ المتكلم يتوجه بعض نفسه الى الكلام والى المخاطب ، فلا تتجه نفسه جميعا الى المحاربة ،فيتسرب اليه الفشل بخلاف الساكت (فو الذى فلق الحبّة) اى شقّها حتى اخرج من وسطها النبات (وبرا) اى خلق (النسمة) اى البشر (ما اسلموا) اى معاوية ومن على شاكلته (ولكن استسلموا) اى اظهروا الاسلام حقنا لدمائهم ، وانتهازا للفرصة (واسروا الكفر) اى اضمروه فى انفسهم (فلما وجدوا اعوانا عليه) اى على الكفر (اظهروه) وذلك بنقض احكام الاسلام ، و هدم شريعة الدين .

وَمن كتاب لهُ عَليهِ السَّلام

(الى معاوية ، جوابا عن كتاب منه ، اليه عليه السلام) وذلك بعد ما طالت الحرب ، وخاف معاوية الفشل ، فطلب من الامام الشام ــ بحجة ان الحرب اكلت العرب ، وانه والامام سيان ، فمن الجدير ان ياخذ الامام بعضا ويدع لمعاوية بعضا .

(فامّا طلبك الى الشام) بان ادعها لك (فانى لم اكن لأعطيك اليوم ما منعتك امس) فان الامام لم يقرّ معاوية فى منصبه : امارة الشام ، فكيف يعطيه

وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ ، أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَىٰ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَىٰ النَّارِ . وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَىٰ عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ، فَكَذَٰلِكَ نَحْنُ ، وَلَٰكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ ،

اليوم ، وقد ظهر خبث سريرته ، وما عرفه الامام منه ، من عدم الدين ، وتصرفه السيّ فى المسلمين (واما قولك ان الحرب قد اكلت العرب) اى افنتهم (الاحشاشات انفس بقيت) جمع حشاشه بمعنى بقية الروح (الا ومن اكله الحق) بان قتل عن امر الدين وفى سبيله (فالى الجنة) وذلك لا يضر (ومن اكله الباطل) بان حارب ضد الدين (فالى النار) وهذا جزائه .

(واما استواؤنا فى الحرب والرجال) اذ تريد بذلك تهديدى ، بانّه لا غلبة لى عليك ، اذ الجيشان متساويان (فلست بامضى على الشك منى على اليقين) فلسنا متساويين اذ الشاك لايتمكن ان يخلص لمبدئه كما يتمكن المتيقن . والمعنى : لست على الشك الذى انت فيه ، باكثر مضيا واقداما فى الأمر منى وانا على يقين من عقيدتى وامرى ، هذا حالنا .

(و) اما جنودنا فـ (ليس اهل الشام) وهم جنودك (باحرص على الدنيا من اهل العراق) جنودى (على الآخرة) لأنّ اهل الآخرة احرص على الآخرة ، من اهل الدنيا على الدنيا .

(واما قولك انا بنوعبد مناف) اراد معاوية ان يبين استوائه مع الامام فى النسب (فكذلك نحن) من بنى عبد مناف ، لا انتم (ولكن ليس امية) جدك (كهاشم) جدى (ولا حرب) جدك الثانى (كعبد المطلب) جدنا الثانى (ولا ابوسفيان) ابوك (كابى طالب) ابى ، فقد كان آبائى سادة اشرافا ،

وَلَا ٱلْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ ، وَلَا ٱلْمُحِقُّ كَٱلْمُبْطِلِ ، وَلَا ٱلْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ . وَلَبِئْسَ ٱلْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا ٱلْعَزِيزَ ، وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ .

وآباؤك اراذل اوباشا .

(ولا المهاجر) يعنى نفسه الكريمة (كالطليق) اى الذى اطلق ، حيث ان معاوية اسلم عام الفتح ، واطلقهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منّا عليهم حيث قال لهم اذ هبوا فانتم الطلقاء (ولا الصريح) يعنى نفسه الزكية حيث ان نسبه صحيح لا مغمز فيه (كاللصيق) اى كالذى الصق بالقبيلة وليس منهم ،، فانّ امية كما يذكر اهل التواريخ كان عبدا رومياً تبناه عبد الشمس ويقال ان بينها كان اتصال محرّم ، وهذا ليس بعيدا من سيرة آل امية فان اخلاقهم لا تشبه اخلاق العرب ، فضلا عن قريش والهاشميين .

(ولا المحق) يعنى نفسه الكريمة (كالمبطل) وهو معاوية (ولا المؤمن كالمدغل) اى المفسد ، وهو معاوية (ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى فى نار جهنّم) فان معاوية كان يتبع آبائه فى معارضة الاسلام وقد هوى آبائه فى نار جهنم (وفى ايدينا بعد فضل النبوة) اى بقايا تعاليم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وما فضل الله سبحانه هذا البطن من هاشم الذى فيه النبى صلى الله عليه وآله وسلم (التى اذللنا بها العزيز) من الكفّار .

(ونعشنا) اى رفعنا (بها الذليل) اذ الاسلام الغى الميزات الآ التقوى ،كما قال سبحانه : ((انّ اكرمكم عند الله اتقاكم)) فلا ذلة بسبب الانتماء الى العشيرة الفلانية او ما اشبه كما كان رائجا فى الجاهلية ،وبنو امية ليسوا كذلك لعدم كونهم من هذا البطن ، ولا لديهم تعاليم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التى علمها لأهل

وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً ، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هٰذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً ، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ : إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً ، عَلَىٰ حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ . فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً ، وَلَا عَلَىٰ نَفْسِكَ سَبِيلًا ، وَالسَّلَامُ .

بیته .

(ولما ادخل اللّه العرب فی دینه افواجا) ای جماعة ، جماعة حیث قوی الاسلام (واسلمت له هذه الأمة طوعا وکرها) ای بعضهم عن رغبة نفس ، و بعضهم عن خوف و رهبة (کنتم ممن دخل فی الدین اما رغبة) فی مال و جاه (او رهبة) عن قتل و اهانة (علی حین فاز اهل السبق بسبقهم) ای بسبب سبقهم الی الاسلام ، وکانّ المراد بذلك نفسه الکریمة الذی کان اول من اسلم .

(و ذهب المهاجرون الأولون) الذین هاجروا مکة الی المدینة (بفضلهم) اذ فضلهم اللّه سبحانه علی من سواهم ، بما لقوا من الأتعاب و ثبتوا فی مقابل الشدائد (فلا تجعلن للشیطان فیك نصیبا) کانّ جزءا منه للشیطان (ولا علی نفسك سبیلا) بان یکون متبعا له ، و لعلّ الأول لنهیه عن اتباع الهوی ، و الثانی لنهیه عن اتباع الشیطان ، و اللّه العالم .

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام

إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة

أَعْلَمْ أَنَّ ٱلْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ ، وَمَغْرِسُ ٱلْفِتَنِ ، فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِٱلْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَٱحْلُلْ عُقْدَةَ ٱلْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ .
وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ ، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ ،

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام

(الى عبد اللّه بن عباس ، وهو عامله على البصرة)

(اعلم انّ البصرة مهبط ابليس) و لعلّ ذلك باعتبار القائه الفتن هناك يوم الجمل ، كانّه هبط هناك للاضلال و الاغواء (و مغرس الفتن) كان الفتن تخرج منها ، و هذه العادة جارية فيما اذا وقعت الثورة فى مدينة كثرت الفتن فيها الى مدّة مديدة ، لهيجان النفوس المقتضى للفتن (فحارث اهلها بالاحسان اليهم) ليكون الكلام كلاما حسنا (و احلل عقدة الخوف عن قلوبهم) كانّ الخوف عقد فى قلوبهم ، ولذا هم دائموا الخوف ، و الترفق و اللين يوجب حل تلك العقدة .

(وقد بلغنى تنمرك لبنى تميم) اى تنكر اخلاقك لهم ، فان بنى تميم كانوا ضدّ الامام فى قصة الجمل ، ولذا كان ابن عبّاس يسئ اليهم انتقاما ، فكتب بعض الشيعة الى الامام يخبره بذلك ، فكتب الامام الى ابن عباس بهذا الكتاب (و غلظتك عليهم) اى تغلظ و تخشن فى معاملتهم .

(و انّ بنى تميم لم يغب لهم نجم الآ طلع لهم) نجم (آخر) كناية عن انّ

وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ ،وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً ، وَقَرَابَةً خَاصَّةً ، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَىٰ صِلَتِهَا ، وَمَأْزُورُونَ عَلَىٰ قَطِيعَتِهَا. فَارْبَعْ أَبَا الْعَبَّاسِ ، رَحِمَكَ اللهُ ، فِيمَا جَرَىٰ عَلَىٰ لِسَانِكَ وَيَـدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ! فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذٰلِكَ ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ ،وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ ، وَالسَّلَامُ .

بعضهم و انكانوا معادين الا ان بعضهم لآخر موالون (و انهم لم يسبقوا بوغم)اى حرب (فى جاهلية ولا اسلام) فكانوا هم شجعان فى الجاهلية و الاسلام ،حتى ان قبيلة لم تسبقهم فى الشجاعة ، ومثل هذه فضيلة تستحق التقدير (و انّ لهم بنا رحما ماسة) اذ كان بين تميم و هاشم مصاهرة ، و هى تستلزم القرابةوالرحمية (و قرابة خاصة) لا قرابة مطلق القبائل بعضهم مع بعض فى اجدادهم الأعالى (نحن ماجورون على صلتها) اى صلة تلك الرحم .

(و مازورون) من الوزر ، اى مذنبون (على قطيعتها) و هذه جهة اخرى توجب مراعاتهم (فاربع) اى ارفق (ابا العبّاس) لقب عبد اللّه بن عباس (رحمك اللّه) دعاء بلفظ الخبر (فيما جرى على لسانك و يدك) بالنسبة الى بنى تميم (من خير و شر) يعنى فى الاثابة و المعاقبة ، فلا تحرمهم من الثواب ، ولا تكثر عليهم من العقاب ــ فوق الّذى يستحق المستحق منهم ــ (فانّا شريكان فى ذلك) اى فيما جرى على لسانك و يدك ، على الخليفة احسان الوالى و اسائته ، لنصبه اياه .

(وكن عند صالح ظنّى بك) اى صدق ظنّى الحسن فيك بانّك تطيع امرى (ولا يفيلن) اى لا يخطئن (راى فيك) بسوء صنيعك (و السّلام) عليك.

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً ،وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً ، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ ، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ ، فَاَلْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ ، وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ اَلْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ ، وَامْزُجْ

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام
الى بعض عمّالـه

(امّا بعد) الحمد و الصّلاة (فانّ دهاقين اهل بلدك) جمع دهقان ـ معرب ده بان ـ اى اصحاب الرّيف ، فان ((ده)) بمعنى الريف، و((بان)) بمعنى الحافظ له (شكوا منك غلظة وقسوة) فى اخلاقك و اعمالك معهم (و احتقارا) لهم (وجفوة) اى جفاءا (و نظرت) اى فكرت فى امرهم (فلـم ارهم اهلا لأن يذلّوا) اى يقرّبوا اليك (لشركهم) و المروى انهم كانوا مجوسـا (ولا ان يقصوا) اى يبعّدوا و يهانوا (و يجفوا) اى يقطع الوال صلاته معهم (لعهدهم) اى لأنهم معاهدون (فالبس لهم جلبابا) هو الثوب الواسع الذى يلبس فوق الثياب ، و المراد هنا ((الأخلاق)) لأنها تحيط بالانسـان ، كالجلباب (من اللين تشوبه بطرف من الشّدة) اى تخلطه ببعض الشدة ، (و داول لهم) اى تراوح (بين القسوة) مرة (و الرافة) مرة (و امزج

لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ . إِنْ شَاءَ اللهُ

لهم) اى ليكن لك اخلاقا مختلفة ممزوجة (بين التقريب والادناء) لهم منك (والابعاد والاقصاء ان شاء الله) وذلك لأنّ كونهم معاهدين يوجب اللين ، واذا اخذوا باللين طمعوا فى الأمر وقويت شوكتهم مما يضرّ الاسلام فاللازم ان يمزج اللين ببعض الشدة ، حتى لا يفسدهم اللّين .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام

إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة ، وعبد الله عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان وغيرها :

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً ، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً ،

وَمن كتاب لهُ عليه السّلام

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(الى زياد بن ابيه ، و هو خليفة عامله عبد الله بن عبّاس على البصرة ، وعبد اللّه عامل امير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كور الأهواز و فارس و كرمان) كور : جمع كورة ، بمعنى : الناحية ، لا يقال : كيف ولى الامام زيادا ، و هو ولد الزّنا ، و ذلك لا يصلح لمجرد الامامة فكيف بالولاية ؟ وقد اجيب عن ذلك بجوابات ذكرناها فى شرح العروة فى مسالة التقليد ، لعلّ اقربها : انّ الأحكام كانت تدريجية ، بعضها لم يظهر الاّ بعد الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، اوفى زمان امام متاخّر ، كما ان بعضها لم يظهر الى الآن ، فيظهر فى زمان الامام المهدى عليه السّلام ، ولعلّ عدم الصلاحية من هذا القبيل ، و هذا لا ينافى ظهور الأحكام فى زمن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ، اذ انّ ظهور بعضها بمعنى ايداعها الى الامام عليه السّلام ، لا انّ جميعها ظهرت الى النّاس كما لا يخفى .

(و انّى اقسم باللّه قسما صادقا) اى عاملا بمقتضى القسم (لئن بلغنى انّك خنت من فئ المسلمين) اى غنائمهم (شيئا صغيرا او كبيرا) اى قليلا كانت

لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ ، ضَئِيلَ الْأَمْرِ ، وَالسَّلَامُ .

وَمن كتاب لهُ عَليهِ السَّلام
إلى زياد أيضاً

فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً ، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً ، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ .
أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ

الخيانة اوكثيرة (لأشدنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر) اى قليل المال ، بسبب ما جمعته منك (ثقيل الظّهر) من العقاب ، وهذا من باب التّشبيه ، فانّ العقاب يحمل على الجسم كلّه ، لكن الظهر حيث انه محل الحمل ، جعل موضعا للعقاب الّذى يتحمّله الانسان (ضئيل الأمر) اى ضعيفه ، فانّ العزل عن المقام يوجب ضئالة امر الانسان ، وعدم جاه له (والسّلام) .

وَمن كتاب لهُ عَليهِ السَّلام
اليه ايضا

(فدع الاسراف) وكن (مقتصدا) اى متوسّطا فى الانفاق ، لا بالافراط ولا بالتّفريط (واذكر فى اليوم) اى الدّنيا (غدا) اى الآخرة الذى فيه تحاسب عمّا عملت (وامسك) اى احفظ (من المال بقدر ضرورتك) الّتى تحتاج اليها (وقدم الفضل) اى الزّائد على الضّرورة (ليوم حاجتك) فى الآخرة (اترجو ان يعطيك الله اجر المتواضعين) الّذين عملوا باوامره تواضعا و

وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَعُ ـ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ ، تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَٱلْأَرْمَلَةَ ـ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ؟ وَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَىٰ مَا قَدَّمَ ، وَالسَّلَامُ .

تخضّعا (وانت عنده من المتكبرين) الذين لا يعملون بامره ، فان من يتصرّف المال بخلاف امره سبحانه متكبر عليه اذ عمل عملا يدل على عدم الانقياد ، بل الكبر و اللّجاج .

(وتطمع ـ وانت متمرّغ) اى متقلّب (فى النّعيم) اللّذائذ والمشتهيات (تمنعه) اى النّعيم (الضّعيف) اى الفقير (والأرملة) الّتى مات زوجها و بقيت فقيرة بلا والى (ان يوجب) اللّه (لك ثواب المتصدّقين) الّذين تصدّقوا باموالهم فى سبيله سبحانه .

(و انّما المرء مجزّى بما اسلف) اى يجزى فى الآخرة ، بما قدّم فى الدّنيا (وقادم) اى يرد فى القيامة (على ما قدّم) وارسل من الدّنيا الى هناك (والسّلام) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهرست

الموضوع	رقم الصّفحة
و من خطبة له عليه السّلام : يذكر فيها عجيب خلقة الطّاوس	٥
منها : في صفة الجنّة	١٦
و من خطبة له عليه السّلام : في الحثّ على التألف و ارشاد النّاس للتّمسّك بالحق	٢٠
و من خطبة له عليه السّلام : في أوائل خلافته	٢٦
و من كلام له عليه السّلام : بعد ما بويع بالخلافة	٢٩
و من خطبة له عليه السّلام : عند مسير أصحاب الجمل الى البصرة	٣٢
و من كلام له عليه السّلام : في وجوب اتباع الحق عند قيام الحجّة	٣٥
و من كلام له عليه السّلام : لمّا عزم على لقاء القوم بصفّين	٣٧
و من خطبة له عليه السّلام : يذكر فيها قصّة الشّورى ، وأصحاب الجمل	٤٠
و من خطبة له عليه السّلام : و فيها ذكر المستحق للخلافة ، و بيان هوان الدّنيا	٤٥
و من كلام له عليه السّلام : في معنى طلحة بن عبد اللّه	٥٠
و من خطبة له عليه السّلام : في الوعظ و الارشاد	٥٢
و من خطبة له عليه السّلام : و فيها الوعظ و الارشاد ، و بيان فضل القرآن	٥٧
و من كلام له عليه السّلام : في معنى الحكمين	٧٢

و من خطبة له عليه السّلام : في وصفه سبحانه ، و بيان رسالة الرّسول (صلّى اللّه عليه وآله) و الانذار و الوعظ ۷۶
و من كلام له عليه السّلام : في التّوحيد ۸۱
و من خطبة له عليه السّلام : في ذمّ العاصين من أصحابه ۸۳
و من كلام له عليه السّلام : في قوم من جند الكوفة ۸۷
و من خطبة له عليه السّلام : و فيها حمد اللّه ، و بيان صفاته ، و الارشاد و النّصح ۸۹
و من خطبة له عليه السّلام : في وصفه تعالى ، و فضل القرآن ، و وعظ النّاس ۱۰۵
و من كلام له عليه السّلام : قاله للبرج بن مسهر الطّائي ۱۱۶
و من خطبة له عليه السّلام : في حمد اللّه ، و ذكر الرّسول ، و الالفات الى خلق الحيوان ۱۱۷
و من خطبة له عليه السّلام : تجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة ۱۲۸
و من خطبة له عليه السّلام : في ذكر الملاحم ۱۴۶
و من خطبة له عليه السّلام : في الوصيّة بالتّقوى ، و ذكر الموت ، و الاستعداد له ۱۵۰
و من كلام له عليه السّلام : في الايمان ، و معنى الهجرة ، و تحمّل أمر الامامة ، و بيان علمه عليه السّلام ۱۵۲
و من خطبة له عليه السّلام : فيها حمد اللّه ، و الثّناء على نبيّه ، و الوصيّة بالتّقوى ۱۵۸
و من خطبة له عليه السّلام : في حمد اللّه ، و الثّناء على نبيّه ، و الوصيّة بالتّقوى ۱۶۶

و من خطبة له عليه السّلام : تسمّى القاصعة ۱۷۶
و من خطبة له عليه السّلام : يصف فيها المتّقين ۲۳۱
و من خطبة له عليه السّلام : يصف فيها المنافقين ۲۴۵
و من خطبة له عليه السّلام : فيها الحمد للّه ، و الثّناء على رسوله ، و الوعظ ۲۵۰
و من خطبة له عليه السّلام : حول بعثة الرّسول (ص) و موعظة النّاس ۲۵۷
و من كلام له عليه السّلام : يذكر فيه قصّته مع الرّسول (ص) ، و يحرض أصحابه على الجهاد ۲۶۰
و من خطبة له عليه السّلام : فى علم اللّه ، و الحثّ على التّقوى ، و بيان فضل الاسلام ، و الرّسول ، و القرآن ۲۶۳
و من كلام له عليه السّلام : فى الصّلاة ، و الزّكاة ، و الأمانة ، و الوعظ ۲۷۷
و من كلام له عليه السّلام : فى معاوية ۲۸۲
و من كلام له عليه السّلام : فى الوعظ و الارشاد ۲۸۴
و من كلام له عليه السّلام : عند دفن سيّدة النّساء فاطمة (عليها ـ السّلام) ۲۸۶
و من كلام له عليه السّلام : فى الوعظ و التّزهيد عن الدّنيا ۲۹۰
و من كلام له عليه السّلام : كان كثيرا ما ينادى به أصحابه ۲۹۲
و من كلام له عليه السّلام : كلّم به طلحة و الزّبير ۲۹۴
و من كلام له عليه السّلام : و قد سمع قوما من أصحابه يسبّون أهل الشّام أيام حربهم بصفّين ۲۹۸
و من كلام له عليه السّلام : فى بعض أيام صفّين ۳۰۰

و من كلام له عليه السّلام : قاله لمّا اضطرب عليه أصحابه فى أمر الحكومة ٣٠١
و من كلام له عليه السّلام : بالبصرة و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثى ٣٠٣
و من كلام له عليه السّلام : و قد سأله سائل عن أحاديث البدع ٣٠٦
و من خطبة له عليه السّلام : فى عجيب صنعة الكون ٣١٤
و من خطبة له عليه السّلام : فيها انهاض لأصحابه الى قتال معاوية و أعوانه ، بصورة الدّعاء ٣١٨
و من خطبة له عليه السّلام : فى وصف اللّه سبحانه ٣٢٠
و من خطبة له عليه السّلام : فى الشّهادتين ، و صفة العلماء ، و الوعظ ٣٢٣
و من دعاء له عليه السّلام : كان يدعو به كثيرا ٣٢٨
و من خطبة له عليه السّلام : خطبها بصفّين ٣٣١
و من كلام له عليه السّلام : فى التّظلّم و التّشكى من قريش ٣٣٣
و من كلام له عليه السّلام : فى ذكر سار الى البصرة ، لحربه مع أهل الجمل ٣٣٥
و من كلام له عليه السّلام : لما مرّ بطلحة و عبد الرّحمان بن عتاب بن اسيد ، و هما قتيلان يوم الجمل ٣٣٧
و من كلام له عليه السّلام : فى وصف من يريد السّلوك اليه سبحانه بالتّقوى ، و العمل الصّالح ٣٣٩
و من كلام له عليه السّلام : قاله بعد تلاوته : (الهاكم التّكاثر ، حتّى زرتم المقابر) ٣٥١

ومن كلام له عليه السّلام : قاله عند تلاوته : ((رجال لا تلهيهم تجارة ...)) ٣٦٦
ومن كلام له عليه السّلام : قاله عند تلاوته : ((يا أيها الانسان ما غرّك بربّك الكريم)) ٣٧٣
ومن كلام له عليه السّلام : يتبرّأ من الظّلم ٣٨٠
ومن دعاء له عليه السّلام : يلتجئ الى الله أن يغنيه ٣٨٦
ومن خطبة له عليه السّلام : في التّنفير من الدّنيا ، والتّزهيد فيها ٣٨٨
ومن كلام له عليه السّلام : في مالك الأشتر (ره) بعد موته ٣٩٤
ومن كلام له عليه السّلام : في وصف بيعته بالخلافة ٣٩٦
ومن خطبة له عليه السّلام : في فضيلة التّقوى ، والعمل ، والجد ٣٩٧
ومن كلام له عليه السّلام : عند اختلاف النّاس ٤٠٨
ومن كلام له عليه السّلام : قاله وهو يلي غسل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وتجهيزه ٤١٠
ومن كلام له عليه السّلام ٤١٢
ومن خطبة له عليه السّلام : في المسارعة الى العمل ٤١٣
ومن كلام له عليه السّلام : في شأن الحكمين وذم أهل الشّام ٤١٥
ومن خطبة له عليه السّلام : يذكر فيها آل محمّد (صلى الله عليه وآله) ٤١٨
ومن كلام له عليه السّلام : قاله لعبد الله بن عبّاس ٤٢٠
باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين (عليه السّلام) ٤٢٤
ومن كتاب له عليه السّلام : الى أهل الكوفة ، عند مسيره من المدينة الى البصرة ٤٢٥
ومن كتاب له عليه السّلام : اليهم ، بعد فتح البصرة ٤٢٨

٣ ومن كتاب له عليه السّلام : لشريح بن الحارث قاضيه ٤٢٩
٤ ومن كتاب له عليه السّلام : الى بعض أمراء جيشه ٤٣٣
٥ ومن كتاب له عليه السّلام : الى أشعث بن قيس ، عامل اذربيجان ٤٣٤
٦ ومن كتاب له عليه السّلام : الى معاوية ٤٣٥
٧ ومن كتاب له عليه السّلام : اليه أيضا
٨ ومن كتاب له عليه السّلام : الى جرير بن عبد اللّه البجلى ، لمّا أرسله الى معاوية ٤٣٨
٩ ومن كتاب له عليه السّلام : يحكى عليه السّلام معاملة قريش للرّسول (صلّى اللّه عليه وآله) فى اوّل الدّعوة ٤٣٩
١٠ ومن كتاب له عليه السّلام : اليه أيضا ٤٤٢
١١ ومن وصيّة له عليه السّلام : وصّى بها جيشا بعثه الى العدو ٤٤٨
١٢ ومن وصيّة له عليه السّلام : لمعقل بن قيس الرّياحى ٤٥٠
١٣ ومن كتاب له عليه السّلام : الى أميرين من أمراء جيشه ٤٥٢
١٤ ومن وصيّة له عليه السّلام : لعسكره قبل لقاء العدو بصفّين ٤٥٣
١٥ ومن دعاء له عليه السّلام : كان عليه السّلام يقول اذا لقى العدو محاربا ٤٥٥
١٦ وكان يقول عليه السّلام : لأصحابه عند الحرب ٤٥٦
١٧ ومن كتاب له عليه السّلام : الى معاوية ، جوابا عن كتاب منه اليه ٤٥٧
١٨ ومن كتاب له عليه السّلام : الى عبد اللّه بن عبّاس ، وهو عامله على البصرة ٤٦١
١٩ ومن كتاب له عليه السّلام : الى بعض عمّاله ٤٦٣
٢٠ ومن كتاب له عليه السّلام : الى زياد بن أبيه ٤٦٥
٢١ ومن كتاب له عليه السّلام : الى زياد أيضا ٤٦٦
الفهرست ٤٦٨